

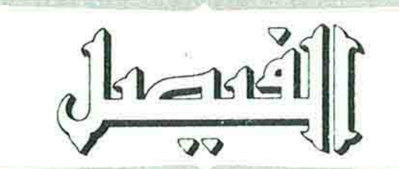
مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 26 JULY 1979.

العدد (٢٦) ـ شعبان ١٣٩٩ هـ/يوليو ١٩٧٩ م (السنة الثالثة)

بسم الله الرحمن الرحيم

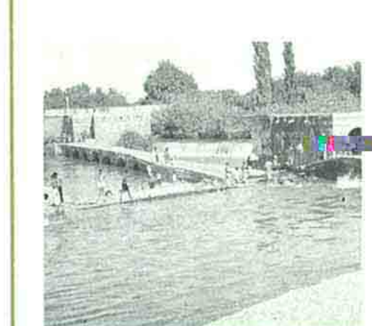


مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

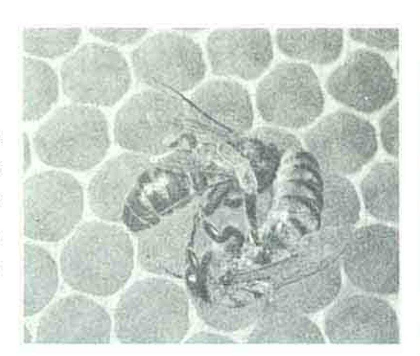
رئيس التحرير
علوي طه الصافي

العدد (٣٦) شعبان ١٣٩٩هـ يوليو ١٩٧٩م

هذا العدد



★ المدينة حماة .. أو مدينة النواعير .. وأبي الفداء كما يحلو لأبنائها نلتقي بها في هذا العدد ص (٣٥) ★



★ النحل .. كيف يتغذى .. أنواعها .. تركيب جسمها .. كيف تتزاوج .. وأشياء أخرى تهمك عن النحل ص (١٣٤) ★

★ أحلاف دفاعية لم تعقدها البشرية .. عبارة تثير الاستغراب، وتضع أمام القارىء أكثر من علامة استفهام .. طالع ص (١٢٨) ★

	ص
من كتاب هذا العدد	٤
الحركة الثقافية في شهر	٥
الخريطة النفطية لشبه الجزيرة العربية .... د. أحمد رمضان شقلية	١٩
عودة الشجرة ... (قصيدة) .... فتحي سعيد	٣٤
حماة مدينة النواعير (مدينة وتاريخ) .... وليد قنباز	٣٥
إذا ... (قصيدة) .... عبد الملك عبد الرحيم	٥١
حياة الطفل في البيت والمدرسة .... د. عبد الفتاح الديدي	٥٢
مؤلفات الإمام ابن حزم المفقودة كلها .... أبو عبد الرحمن بن عقيل	٥٩
صورة من الرحلات العلمية للتونسيين .... د. محمد الحبيب الهيلة	٦٣
رحلة مع الخط العربي	٦٦
نظام الحسبة في الإسلام .... د. مصطفى الرافعي	٦٨
التراث الجغرافي لعلماء المسلمين (ندوة الشهر) ... إعداد محمد مبارك	٧٠
ضوء على أبي العلاء المعري .... صلاح عبد الصبور	٧٨
شعر حديث من إفريقيا (رحلة في كتاب) .... عرض وتحليل علي شلش	٨٣
الساعات .. والزمن .. (موضوع خاص)	٩١
لوحة وفنان .... فهد الربيق	١٠٢
القصة القصيرة في أدبنا العربي الحديث (لقاء مع). إعداد محمد متولي	١٠٤
قالوا .. عن الكتب	١٠٩
أبو عطاء السندي، الشاعر .... د. مصطفى إبراهيم حسين	١١٠
الدوس هكسلي .. المتشائم المرح .... نهاد شريف	١١٣
الريحاني .. ورحلاته .... د. حسني محمد حسين	١١٨
رسوم الأطفال وقيمتها الجمالية والنفسية .... فوزي سليمان	١٢٤
أحلاف دفاعية لم تعقدها البشرية .... د. عبد المحسن صالح	١٢٨
النحل .... د. أحمد عبد القادر المهندس	١٣٤
لوحة شعبية من الشرفة الخلفية ... (قصة قصيرة). إبراهيم أحمد الشنطي	١٣٩
في المصيف ... (قصة قصيرة) .... ترجمة أحمد فارس	١٤١
أغسطس الثامن والأربعون ... (قصة قصيرة) ترجمة أليس توفيق مرجان	١٤٤
لغة الشعر .... د. وليد قصاب	١٤٧
أوراق متناثرة	١٥٠
دائرة المعارف	١٥٢
مع الأصدقاء	١٥٥
ردود قصيرة	١٥٦
مسابقة الفيصل	١٥٩

✱ من كتاب هذا العدد ✱ من كتاب هذا العدد ✱ من كتاب هذا العدد

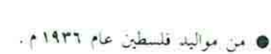



د . أحمد رمضان شقلية

● من مواليد فلسطين عام ١٩٣٦ م .

● دكتوراه في الجغرافيا الاقتصادية .

● عمل أستاذاً مساعداً للجغرافيا في جامعتي قسنطينة وطرابلس ، ومدرساً



للجغرافيا بجامعة الرياض ، كما عمل مدرساً في البحرين .

● يعمل حالياً أستاذاً مشاركاً للجغرافيا في كلية التربية ـ قسم الجغرافيا ـ مكة المكرمة .

● اشترك في عدد من المؤتمرات .

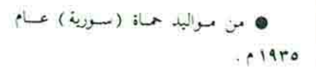
● له كتابان مطبوعان ، وأطلس خرائط العالم التطبيقية ، إلى جانب عدد من البحوث المنشورة في المجلات .



وليد قنباز

● من مواليد حماة (سورية) عام ١٩٣٥ م .

● شهادة الإجازة في الآداب قسم اللغة العربية ـ جامعة دمشق ، دبلوم في التربية العامة .



● عضو البعثة التعليمية للمشاركة في تعريب الجزائر (١٩٦٧ ـ ١٩٧٢ م) .

● شارك في عدد من المهرجانات والاحتفالات الأدبية .

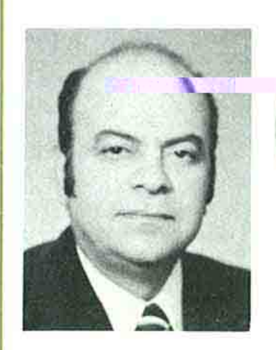
● حاضر في أغلب مدن سورية والجزائر .

● كتب المقالات والدراسات الأدبية في الصحف والمجلات العربية .

● أصدر دراسة (رسالة جامعية) عن الطبيب الشاعر وجيه البارودي ـ وشارك في إصدار دراسات في الأدب العربي .

● يعد للطبع ديواناً شعرياً بعنوان « من القلب » ودراسة عن أمير شعراء الجزائر « محمد العيد » .

● يعمل حالياً مفتشاً في الهيئة المركزية للرقابة والتفتيش (مجموعة التربية) .



د . مصطفى الرافعي

● من مواليد طرابلس ـ لبنان عام ١٩٢٢ م .

● إجازة التخصص في القضاء الشرعي ـ كلية الشريعة ـ جامعة الأزهر .

● دكتوراه في الحقوق ـ جامعة باريس .

● دكتوراه في الآداب ـ جامعة السوربون .

● عمل محامياً شرعياً ، فقاضياً ، ثم مستشاراً في المحكمة الشرعية العليا في بيروت .

● خلال ذلك عمل محاضراً في الجامعة اللبنانية لمادتي الحضارة العربية والنظم الإسلامية ، ويعمل حالياً رئيساً لقسم اللغة العربية فيها (فروع الشمال) .

● عمل مستشاراً ثقافياً لبلاده في مصر والسودان والحبشة .

● مثل بلاده في عدد من المؤتمرات الإسلامية .

● له عدد من المؤلفات المطبوعة ، والمخطوطة .



د . محمد الحبيب الهيلة

● من مواليد تونس .

● درس في جامع الزيتونة فنال شهادة التحصيل والعالمية ليعمل مدرساً .

● دكتوراه الجامعة ـ جامعة باريس .

● دكتوراه الدولة ـ جامعة باريس .

● يقوم بالتدريس في الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بتونس .

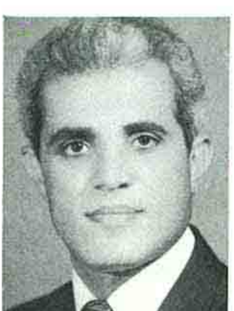
● شارك في مؤتمرات عديدة .

● له عدد من المؤلفات المطبوعة تحقيقاً وتأليفاً .

● يشرف حالياً على مركز الأبحاث الإسلامية التابع للكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بتونس .

● عضو بقسم التاريخ الإسلامي في مركز الأبحاث والدراسات الاجتماعية والاقتصادية بتونس .

● عضو بجائزة الملك فيصل العالمية .




د . مصطفى إبراهيم حسين

● من مواليد القاهرة ـ مصر عام ١٩٣٤ م .

● دكتوراه في الدراسات الأدبية .

● عمل في التدريس في الجامعات ، وخاصة تدريس اللغة العربية للأجانب .

● يعمل حالياً أستاذاً بكلية البنات بجامعة عين شمس .

● له عدد من الكتب المطبوعة .

* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **

- معرض دائم للكتاب الإسلامي في مكة المكرمة .
- إنشاء مركز إقليمي للبحار في جدة .
- توحيد المناهج التربوية في سورية والأردن .
- اكتشاف أثري جديد في العراق .
- مهرجان للقصور الصحراوية في تونس .
- معرض للفنانين التشكيليين القطريين في الدوحة .

- إنشاء متحف خاص بآثار ابن سينا في إيران .
- افتتاح معهد للأبحاث والدراسات الشرقية في الهند .
- اكتشاف ديوان شعر عمره ثلاثة قرون في فرنسا .
- تشكيك جديد في نظرية داروين ينشره أستاذ في جامعة كينيا .
- دراسة إنشاء مبان لا تتأثر بالزلازل في إيطاليا .

السعودية

معرض هام للفنون العالمية

أقيم في **الرياض** وتحت اشراف **مؤسسة المشهورة للتجارة** معرض يضم لوحات من القرن ١٦ وحتى القرن ٢٠ لأشهر رسامي تلك الحقبة أمثال **مير ، روبنز ، غويا ، بيكاسو** ، كما ضم عدة أعمال تعد من قمم النهضة الأوروبية في القرن ١٧ ، واحتوى أيضاً على **تحف أثرية من الأحجار الكريمة تمثل عهود أباطرة الشرق الأقصى وقياصرة روسيا** ، هذا وقد استعدت **جامعة الرياض** لعمل فيلم فيديو لمحاولة الاستفادة من هذا المعرض .

الجدير بالذكر أن **محتويات المعرض قدرت بمئة مليون ريال** ، ولا شك أن معرضاً كهذا له قيمته الفنية ، ومكانته من حيث إقامة مثله في المملكة العربية السعودية لأول مرة .

معرض دائم للكتاب الإسلامي

تجرى اتصالات بين **الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي** بمكة المكرمة ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض لإقامة **معرض دائم للكتاب الإسلامي بمكة المكرمة** ، يدعى للاشتراك فيه أكبر عدد من دور النشر ، والمشروع يهدف إلى تقديم الكتاب الإسلامي بسعر مناسب ، لانعاش حركة التأليف الإسلامي .

معرض من « وحي البيئة السعودية »

أقامت إدارة الشؤون الثقافية ، **بالرئاسة العامة لرعاية الشباب** معرضاً من وحي البيئة السعودية للفنون التشكيلية ، اشترك فيه ٧٥ فناناً وفنانة ، كما اشتمل على ١٢٣ عملاً فنياً في **التصوير - الحفر - الرسم - الطباعة - الخزف - الفنون التطبيقية - المعادن .**

ندوة خبراء تطوير برامج إعداد المعلم العربي

عقدت ندوة خبراء تطوير برامج إعداد المعلم العربي ، بمبنى **وزارة المعارف بالرياض** ، خلال شهر جمادى الثانية ، للتوصل إلى برامج متطورة ، لإعداد المعلم العربي ، وتطبيق تقنيات التربية في ضوء الواقع العربي ، والاتجاهات الحديثة المعاصرة في مجال الوسائل التعليمية .

الزام المؤسسات باستعمال اللغة العربية

أصدرت **وزارة الداخلية** بالمملكة تعميماً إلى جميع الإمارات والقطاعات ، للتنبيه بشدة وحزم على الجهات التنفيذية بإلزام الشركات والمؤسسات باستعمال اللغة العربية في جميع أمورها داخل المملكة ، حرصاً على المحافظة على اللغة العربية في بلد مهبط الوحي ، ولغة القرآن الكريم .

العلاقة بين الحضارة الإسلامية والغرب

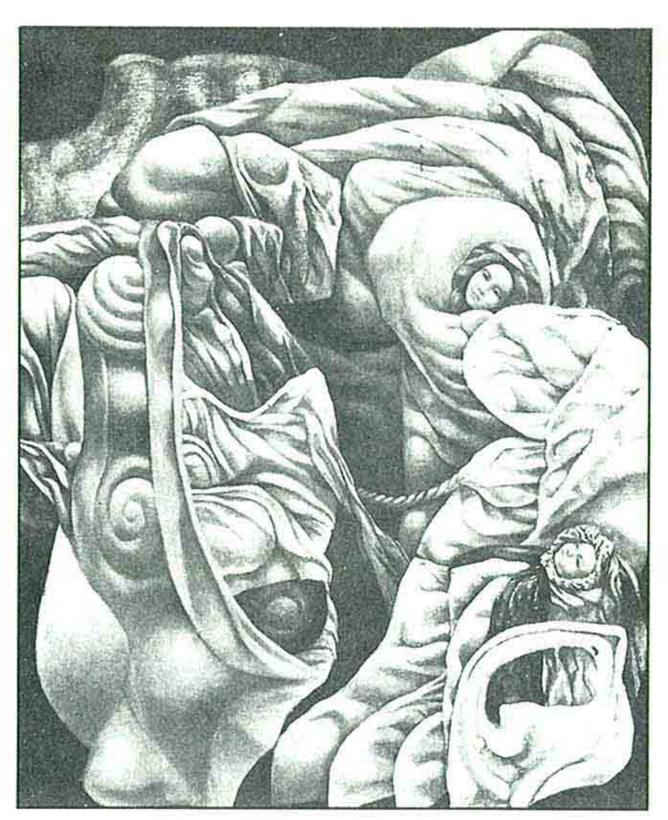
عقدت **بجامعة الرياض** الندوة الثانية في سلسلة النشاط الثقافي بالجامعة ، حول **العلاقة بين الحضارة الإسلامية والغرب** ، وقد كان من بين المشتركين فيها ، **سفيرا إسبانيا وتركيا لدى المملكة .**

ندوة مناهج التعليم الطبي

نظمت **كلية الطب بجامعة الرياض** ، ندوة لمناقشة **مناهج التعليم الطبي** في عدد من كليات الطب في **بريطانيا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية وماليزيا والأردن ومصر ، وكليات الطب بالمملكة** ، بغية الوصول إلى منهج دراسي لتخريج طبيب قادر على مواجهة متطلبات الخدمة الطبية بالمملكة ، اشترك في الندوة عدد من عمداء كليات الطب من مختلف دول العالم ، وممثلو كليات الطب بجامعات المملكة .

مركز إقليمي للأعمال البحرية

تقرر **إنشاء مركز إقليمي في قسم البحار بجامعة الملك عبد العزيز بجدة** ، وذلك لإعداد الكوادر الفنية للأعمال البحرية .



★ « قصة طفل » لوحة للفنان بيبي سانشيه من داخل المعرض العالمي الذي أقامته مؤسسة المشهورة بمدينة الرياض ★

مهرجان للتوعية الإسلامية

افتتح في مكة المكرمة مهرجان للتوعية الإسلامية تنظمه وزارة المعارف، وقد تم فيه عرض نماذج لأنشطة المدارس، كما أُقيمت المحاضرات والندوات الإسلامية.

مسابقة مسرحية

أقام فرع الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالمنطقة الغربية مسابقة مسرحية بين أندية المنطقة، وقد قدِّمت في نهايتها الجوائز للفائزين وكذا المنظمين لهذه المسابقة.

معرض السليم

أقام الفنان التشكيلي السعودي **محمد السليم** معرضاً **خاصاً للسيدات بجمعية النهضة النسائية بمقر نادي فتيات الجزيرة بالرياض**، واشتمل على ست وثلاثين لوحة.

الفن المعماري التونسي في جدة

في مجال التعاون بين تونس والمملكة أُقيم بجدة معرض لنماذج الهندسة المعمارية التونسية الحديثة تحت عنوان «**ادماج الفنون المعمارية الحديثة والأصالة العربية الإسلامية في الهندسة المعمارية التونسية**». وقد عرضت نماذج مصغرة وتصاميم لبعض المباني والمنجزات المعمارية في تونس.

العام الدولي للطفل

في نطاق الاحتفالات بعام الطفل الدولي، أقامت **كلية التربية بالرياض** أسبوعاً للطفل، شارك فيه حوالي ٣٥٠٠ طفل، وزعوا على دفعات خلال أيام الأسبوع، كما تضمن البرنامج، **معرضاً لكتب الأطفال**، وعرضاً **لأفلام**، ومعرضاً للتربية الفنية، وقدمت للأطفال وجبات غذائية وهدايا بهذه المناسبة.

ترجمة كتاب مؤلف سعودي إلى الانجليزية

أسندت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية، إلى **الدكتور جلال شوقي** الأستاذ بكلية الهندسة بجامعة القاهرة، ترجمة كتاب «**جهود العلماء المسلمين في الرياضيات**» إلى اللغة الانجليزية، وهو من تأليف **د. علي عبد الله الدفاع**، عميد كلية العلوم في جامعة البترول والمعادن بالظهران في المملكة العربية السعودية.

كتب جديدة

● «**نظرات في الشريعة الإسلامية**» تأليف **الشيخ عبد المحسن ابن عثمان أبا بطين**- **مكتبة الرياض الحديثة للنشر والتوزيع.**

● «**أشتات في التعليم والابتعاث**» كتيب تضمن المحاضرة التي ألقاها **الشيخ عثمان الصالح** في فرع **الرئاسة العامة لرعاية الشباب في حائل.**

● «**مؤسسة التربية النموذجية**» كتيب يعرف بنشأتها، ونشاطاتها- إصدار **وكالة الوزارة لشؤون الرعاية الاجتماعية** بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية.

كلمة

المجلة.. وكتابها
مرة أخرى

نعود مرة أخرى لنطرح واحدة من مشاكلنا مع فئة قليلة من الكتّاب بعد أن أشرنا في أحد أعداد المجلة الماضية خلال هذه الزاوية مشكلة الغالبية من الكتّاب الكرام مع المجلة، المتمثلة في تأخير نشر مواضيعهم التي أوضحنا من خلالها الأسباب القاهرة المؤدية إلى هذا التأخير القسري، وهي أسباب خارجة عن إرادتنا، أملاً في تفهم أصدقائنا الكتّاب لهذه الأسباب لتقدير موقف المجلة.

والمشكلة التي سنتحدث عنها هذه المرة هي إفراز لحالات فردية حدثت فسببت لنا حرجاً مؤلماً مع القراء من ناحية، وبعض المجلات الصديقة من ناحية أخرى.

فقد حدث أن نشرت هذه المجلة مواضيع لبعض الكتّاب سبق نشرها في مجلات أخرى.. كما حدث أن نشرت مواضيع أخرى صادف نشرها في نفس الوقت في مجلات صديقة.

هاتان صورتان من صور مشكلة تكرار نشر موضوع واحد لكاتب واحد في مجلتين مختلفتين.

وهناك صورة ثالثة لهذه المشكلة تم اكتشافها قبل صدور المجلة فانحصر تأثيرها على تخطيط المجلة. فقد حدث أن أعدت بعض المواضيع للنشر، بعد بذل كل الجهود المطلوبة لإخراجها مزودة بالصور في شكل تتطلبه تقنية الصحافة المعاصرة، فوجئنا بنشرها في إحدى المجلات، مما اضطرنا إلى إلغائها، والاسراع في إجراء التغيير المطلوب بنشر مادة أخرى مكانها.

ولعل أبرز ما تعانيه المجلة من جراء هذه المشكلة الأمور التالية:

١ ـ الحرج الكبير الذي تجسده رسائل عدد كبير من القراء الذين يتابعون ما ينشر في مختلف المجلات.. هذه الرسائل التي تعد مؤشراً جيداً للوعي الكبير لدى هؤلاء القراء، المتمثل في المتابعة المستمرة الواعية، إلى حد أن بعضهم كتب إلينا عن موضوع نشرته المجلة، سبق أن قرأه في مجلة توقفت عن الصدور منذ سنوات، وأورد رقم العدد، وتاريخه، ولم يكتف بذلك، بل زودنا بصورة من صفحات المجلة المنشور بها الموضوع.

٢ ـ الاضطراب في تنفيذ خارطة المجلة نتيجة للتغيير المفاجىء الذي يحدث من جراء إلغاء موضوع، ونشر موضوع آخر في مكانه قد لا يتفق مع الخارطة.

٣ ـ خلق جو- وهو الأهم- يفتقر إلى الثقة بين الكتّاب، والمجلات، وجمهرة القراء، هذا الجو الذي يعد الركيزة الأساسية لقيام أية علاقة بين الكتّاب، ووسائل النشر، والقراء.

ونحن، حين نشير إلى هذه المشكلة نؤكد أنها حالات فردية نتمنى ألا تشكل ظاهرة عامة، وذلك حفاظاً على الثقة الكبيرة التي تربط المجلة بكتّابها وقرائها.

فهل يساعدنا أصحاب هذه الحالات الفردية في الإبقاء على هذه الثقة باحترام تقاليد الأمانة العلمية، وقواعد النشر، والأخلاق التي يجب أن تسود المناخ الثقافي؟

هذا ما نتمناه.. حتى لا يأتي يوم نجد فيه أنفسنا مضطرين لكشف الأسماء التي تريد أن تفسد بتصرفاتها المناخ الفكري العام.. ونسأل الله التوفيق للجميع.

«المجلة»

● «**دليل رسائل الماجستير الممنوحة من الجامعة**» قامت بإعداده وطبعه مؤخراً إدارة الدراسات والمعلومات **بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** .

● «**مطبوعات جامعة الرياض**» فهرس يتضمن أسماء الكتب مع تعريف موجز بكل كتاب ـ أصدرته عمادة شؤون المكتبات **بجامعة الرياض** .

المغرب

كتب جديدة

● «**أمواج**» عنوان أول مجموعة قصصية ، تصدر للأديب المغربي **مصطفى أجاهري** ، سبق أن نشرها متفرقة في الصحف المغربية .

● «**تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**» وهو القسم الثالث من كتاب «**أعمال الأعلام**» ، للوزير الغرناطي **لسان الدين بن الخطيب** ، حقق الكتاب وعلق عليه **د . أحمد مختار العبادي** ، **ومحمد إبراهيم الكتاني** ، **دار الكتاب للطبع والنشر والتوزيع ، الدار البيضاء** .

سورية

الاحتفال بذكرى مرور ٩٠٠ سنة على مولد ابن عساكر

احتفلت سورية بذكرى مرور تسعمئة سنة على ميلاد المؤرخ العربي «**الحافظ ابن عساكر**» ، شارك في الحفل عدد من المؤرخين من مختلف أقطار العالم العربي ، تخليداً لذكراه وإشادة بإنتاجه .

والحافظ هو [illegible] قد عرف بابن عساكر . . توفي عام ٥٧١ هـ .

كان محدث الشام في عصره ، ومن أعيان فقهاء الشافعية . . بيد أن الذي غلب عليه هو **الحديث** ، فقد اشتهر به ، وبالغ في طلبه ، إلى أن جمع منه ما لم يتفق لغيره كما يقول **ابن خلكان** . . وكان مولعاً بالسفر ، واللقاء بالمشايخ ، وكان يرافقه في رحلاته **الحافظ أبو أسعد عبد الكريم بن السمعاني** .

من أهم كتبه «**تاريخ دمشق**» في ثمانية أجزاء . . اختصره **الشيخ عبد القادر بدران** في سبعة أجزاء ، وأسماه «تهذيب تاريخ دمشق» قامت **دار المسيرة للطباعة والنشر في بيروت** بنشره احتفالا بمرور ألف عام على مولد ابن عساكر .

توحيد المناهج

تفكر سورية والأردن حالياً بتوحيد المناهج التربوية بينهما ، تم هذا في الاجتماع الذي عقد بين وزيري التربية والتعليم في البلدين .

كتب جديدة

● «**القصر المسحور**» مجموعة من قصص الأطفال للكاتب التشيكوسلوفاكي لبافول دوبشنسكي ، ترجمها إلى العربية **خير الدين عبد الصمد** ، نشرتها وزارة الثقافة السورية **بمناسبة العام الدولي للطفل** .

تونس

مهرجان للقصور الصحراوية

أُقيم بمدن **تطاوين وبني خداش وغمراسن** في الجنوب التونسي **المهرجان الثاني للقصور الصحراوية** ، واشتمل على عدد من المحاضرات ، والمساجلات الشعرية ، والاستعراضات والألعاب المختلفة المتنوعة .

معرض وثائقي عن صحة الطفل

نظم الديوان القومي للتنظيم العائلي والعمران البشري بالتعاون مع مختلف مصالح وزارة الصحة العمومية ، ببهو **دار ابن رشيق** معرض صور ووثائق عن **صحة الطفل** .

معرض للخط

أُقيم بقاعة الأخبار معرض للخطاط كمال إبراهيم مدير مدرسة محمد إبراهيم ، اشتمل على عدة لوحات ، تضمنت نماذج من الخط العربي بأنواعه المختلفة .

مهرجان أبي اسحاق الجبنياني

شهدت مدينة «**جبنيانة**» في ولاية **صفاقس** مهرجان **أبي اسحاق الجبنياني** ، اشتمل على محاضرات دينية وثقافية ، وألعاب فروسية .

جائزة المسرح العربي

ينتهي في أواخر أغسطس / آب القادم موعد التقدّم لنيل ـ جائزة المسرح العربي ـ التي تقدر بـ ٢٠٠٠ دولار أميريكي أو ما يعادلها ، والتي تنظمها **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية** ، وتقدّم هذه الجائزة لأحسن مسرحية عربية تتوفر فيها الشروط المطلوبة والتي من أهمها :

★ أن تكون باللغة العربية الفصحى .

★ أن تكون مرتبطة بقضايا الإنسان العربي .

كتب جديدة

● «**مئة ليلة وليلة**» قصص شعبية مغربية ، حققها **محمود طرشونه** ، أصدرتها **الدار العربية للكتاب بتونس** .

● «الفنون التونسية» مجلد خاص بالفنون الإسلامية التونسية، من قيام دولة الأغالبة، إلى قيام دولة الموحدين - أعده مصطفى زبيس - إصدار المعهد القومي للآثار والفنون التونسي.

● «السينما التونسية» تأليف فيكتور باشي صدر عن الشركة التونسية للتوزيع، ويقع في ٥١٠ صفحات.

● «مفهوم السببية عند الغزالي» تأليف أبو يعرب المرزوقي، صدر عن دار بوسلامة، يقع في ٢٥٠ صفحة.

● «قيود» تأليف عمر السعيدي الغريبي، صدر عن دار بوسلامة، يقع في ١٤٥ صفحة.

الكويت

كتب جديدة

● «أدب المرأة في الكويت» تأليف ليلى محمد صالح.

● «بيروت.. وجوه وحكايات» مجموعة مقالات تأليف ذو الفقار قبيسي.

العراق

اكتشاف سور مدينة بابل

اكتشفت مؤسسة الآثار العراقية بقايا سور مدينة بابل الأثرية، وهي عبارة عن جدارين سمك الأول ستة أمتار ونصف، وسمك الثاني ثلاثة أمتار وسبعون سنتيمتراً، وارتفاعها خمسة أمتار ونصف. وتواصل الجهود لإعادة الحياة إلى تلك المدينة التاريخية، التي أنشأها الملك البابلي «نبوخذ نصر» سنة ٢٠٠٠ ق.م.

الندوة العربية للعلوم والتكنولوجيا

عقدت في بغداد ندوة عربية للعلوم والتكنولوجيا، الغرض منها إعداد موقف عربي موحد من القضايا الرئيسية التي ستبحث في مؤتمر الأمم المتحدة للعلوم والتكنولوجيا، الذي سيعقد في فيينا خلال شهر أغسطس/آب ١٩٧٩م.

كتب جديدة

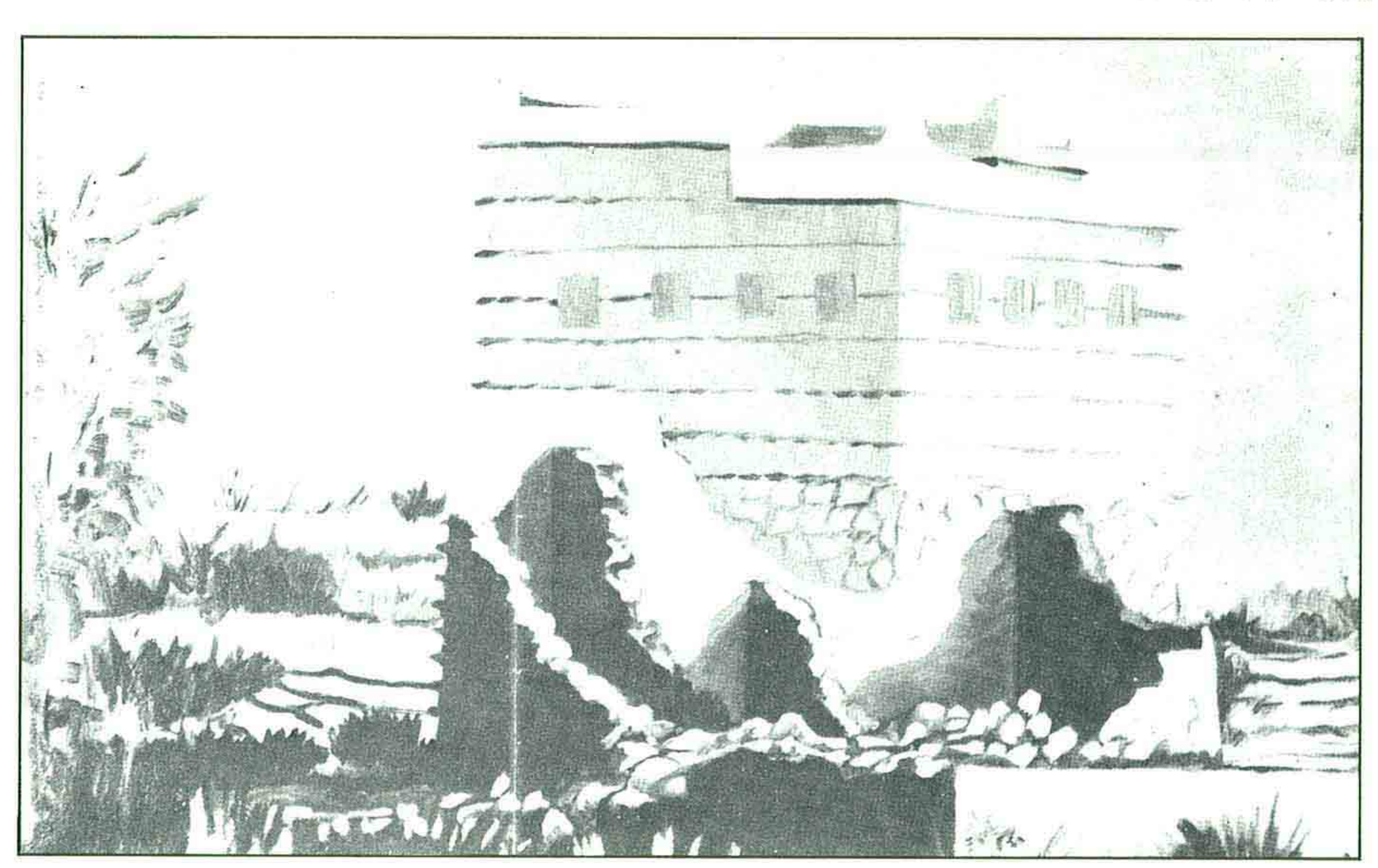
● «الزمن المستعار» كتاب جديد للناقد العراقي ماجد السامرائي نشر وزارة الثقافة والفنون العراقية، يقع في ١٧٦ صفحة من القطع الكبير، يتضمن مجموعة من المقالات والمقابلات. وقد سبق أن أصدر المؤلف كتاباً بعنوان «أحاديث ومواقف».

● «منهج البحث الأدبي عند العرب» تأليف د. أحمد جاسم النجدي - أصدرته وزارة الثقافة والفنون العراقية في بغداد ضمن سلسلة «دراسات» الدورية التي تشرف عليها الوزارة.

الأردن

رابطة الكتاب الأردنيين

إثر وفاة الأستاذ المرحوم محمد أديب العامري، رئيس رابطة الكتّاب الأردنيين، تم انتخاب الدكتور عبد الرحمن ياغي خلفاً له. ويشغل



★لوحة من معرض «من وحي البيئة» الذي أقامه الفنانون التشكيليون السعوديون★

الدكتور ياغي الآن كرسي الأدب العربي الحديث في الجامعة الأردنية ، وهو معروف في الأوساط الأكاديمية بكتبه المتعددة المناحي . فقد ألف في الحياة الثقافية في **القيروان** وحقق ديوان **ابن رشيق الأندلسي** ، وترجم للشاعر **ت . س اليوت** ، وكتب عن حياة الأدب الفلسطيني وتناول الجهود الروائية عند العرب المعاصرين .

١١٢ ميكروفيلماً عن مخطوطات مهمة

تسلّمَ **مركز الوثائق والتوثيق في الجامعة الأردنية** ، من عدد من المعاهد والمراكز للمخطوطات في العالم ، مائة واثني عشر ميكروفيلماً عن المخطوطات والوثائق المهمة المتوفرة في الكنائس والأديرة في المشرق العربي . وستعرض هذه الميكروفيلمات لاطلاع الباحثين عليها .

برنامج للتوعية المسرحية

باشر **قطاع المسرح في وزارة الثقافة والشباب** برنامجاً للتوعية المسرحية في مختلف مناطق المملكة ، وقد اختُطّ هذا البرنامج بعد النجاح الفذ الذي لاقته تجربة الخروج بالمسرحيات الناجحة من عمان العاصمة إلى المدن والقرى في الأردن ، ويشتمل هذا البرنامج على سلسلة من المحاضرات والندوات عن المسرح وفنونه ، وعن تكون المسرح الأردني وتطوره . وسيعقب هذا البرنامج تجوال الفرق المسرحية في سائر مناطق المملكة بعد افتتاح عروضها في عمان .

كتب جديدة

● « **السلحفاة والأطفال** » للقاص **فخري قعوار** ، المجموعة رقم ١٠ ضمن منشورات رابطة الكتّاب الأردنيين .



حمزة شحاتة : قمة عرفت ولم تكتشف !

●● كتاب صغير صدر تحت رقم (٢١) في سلسلة « **المكتبة الصغيرة** » السعودية لصاحبها **الأستاذ عبد العزيز الرفاعي** يكشف عن شخصية فكرية فذة ، من تأليف الأديب السعودي « **عزيز ضياء** » وهذه الشخصية هو الشاعر والأديب الراحل **حمزة شحاتة** أحد ، بل أكثر أبناء جيله من الكتّاب موهبة وعبقرية كما يقول المؤلف . . والدراسة هي الوحيدة عن حمزة شحاتة حتى الآن . . ولأن ما اكتفى الأديب الراحل بنشره لا يكفي لتأليف كتاب عنه ، ولهذا أفاد المؤلف كثيراً من معاصرته لحمزة شحاتة .

والذي يقرأ الكتاب ويكتشف الوجوه المتعددة لحمزة شحاتة يدرك أن المؤلف كان محقاً حين قال عنه : « قمة عرفت ولم تكتشف » .

عرفه معاصروه ولم يكتشفه معاصرونا . ولعل هذا الكتاب يدفع بعض معاصرينا إلى البحث عن أعمال الأديب الراحل وجمعها ونشرها موثقة منقحة ومدروسة .

وقد عاش حمزة شحاتة فيما بين عامي ١٣٢٨ - ١٣٩٢ هجرية ، وأمضى الجزء الأخير من حياته في **القاهرة** . واستطاع أن يملأ حياته وحياة أصدقائه ومعاصريه أدباً وفناً وعلماً . قرأ **أرسطو وأفلاطون وبرنارد شو وأناتول فرانس وتولستوي وداروين والفارابي ولطفي السيد وطه حسين وشبلي شميل وطانيوس عبده والمازني** في وقت كان يندر فيه وجود أعمال هؤلاء الكتاب المفكرين في المملكة العربية السعودية . . ولم تكن الإضاءة الكهربائية شائعة فأمضى لياليه ومعه أصدقائه على أضواء الفوانيس الضئيلة .

وكان الأديب الراحل حجة في هؤلاء ، الذين قراهم جميعاً وفي غيرهم قدماء ومعاصرين . وحين نقرأ مقتطفات من شعره المطعم باللغة العامية نرى مدى صدقه وصفائه ونتذكر حسين شفيق المصري وعبد الحميد الديب وبيرم التونسي . وحين نسمع آراءه في محاضرة ألقاها عام ١٣٥٩ هجرية ، بمكة المكرمة عن « **الخلق الكامل عند الرجولة** » ندرك أن خلفها رجلاً قرأ كثيراً في كتب علم الاجتماع والتاريخ والسياسة والدين .

اسمعه يخاطب غاندي زعيم الهند شعراً فيقول :

« ولو ساعفني الدهر لقابلتك في الهند »

« ولكني كما تدري فقير عاثر الجد »

« أضعت البيت والقرشين في التهليس والجد »

تفسر لك هذه السخرية زهده في الشهرة وعزوفه عنها .

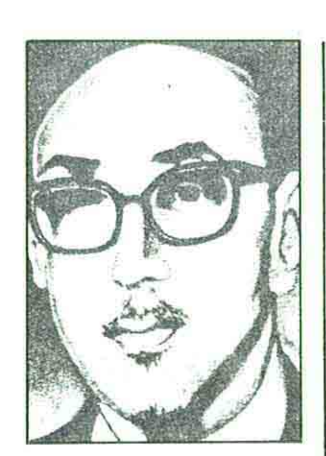
واقرأ له مقتطفات من محاضرته التي جاء فيها قوله :

« تضيق حرية الفرد كلما تقدمت أطوار الجماعة اجتماعياً وكلما تكاثرت الروابط الاجتماعية واتسعت الحدود لحرية الجماعة فيها » .

وقوله :

« الإيمان بالقوة ونفوذها هو حقيقة الحياة وهو قانونها في القرن العشرين وفي القرون الأولى وفي أطوار الحياة القديمة والبعيدة » .

وقوله أيضاً :



« الرجولة في ميزان الاعتبار الأدبي ليست هي الفارق الطبيعي بين جنسين ولكنها مجموعة من الصفات الرائعة في خلق الرجل الرائع » .

ليس هناك فرق بين قائل الشعر وقائل النثر . إنه رجل واحد جاد يأخذ الحياة بسهولة . كانت جديته طريقه للتحصيل من كل شيء حتى **الموسيقى** ، وكانت نظرته للحياة وراء زهده فيها . . وكم من شخصيات في عالمنا العربي كشخصية حمزة شحاتة في حاجة إلى من يفتش عنها ويظهرها إلى النور ، مثلما فعل عزيز ضياء الذي لم يسعفه الوقت لكي يقدم دراسة أشمل تتفق وشمولية حمزة شحاتة نفسه .

تبوك : إبراهيم عبد المجيد



★د. علي عبد الله الدفاع★



★فدوى طوقان★



★جلال العشري★

فلسطين

عدد ممتاز من مجلة البيادر

صدر قبل أيام العدد الأول من السنة الرابعة من **مجلة البيادر** المقدسية أيار/ مايو ١٩٧٩م، في ١٥٢ صفحة من القطع الكبير.

وقد احتوى العدد ملحقاً خاصاً لطلبة التوجيهية يتضمن إجابات نموذجية على أسئلة الشهادة الثانوية. وجاءت هذه الخطوة من المجلة بعد أن حظرت سلطات الاحتلال على الصحف المحلية نشر الأسئلة والإجابات لفائدة الطلبة.

وتضمن العدد مجموعة من القصص والقصائد والدراسات منها دراسة عن **فدوى طوقان** بقلم **إبراهيم العلم** ودراسة عن الحركة الثقافية في الضفة والقطاع بقلم **علي الخليلي** ودراسة عن نماذج من القصة القصيرة في الضفة والقطاع بقلم **خليل السواحري** ودراسة عن **جبرا إبراهيم جبرا** بقلم **حسين نصر الله** ودراسة عن فنون الكتابة الأدبية للأطفال بقلم **بيان الصفدي**.

أما القصائد فكانت للشعراء **علي لبد ومحمد الغريب وحسن خضر وتوفيق الحاج وجان نصر الله** والقصص كانت للقصاصين **عبد الله تايه وفاطمة حمد ومحيي الأشقر**.

المهرجان الثالث للتراث الشعبي

أقامت لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني في **البيرة** بالضفة الغربية المحتلة مهرجانها الثالث **للتراث الشعبي الفلسطيني** بمناسبة **العام الدولي للطفل**. وقد تضمن المهرجان فقرات من الدبكات الشعبية والأغاني والأزجال بالإضافة إلى عرض للأزياء الشعبية.

كتب جديدة

● «**الجبل لا يأتي**» المجموعة القصصية الثانية للقاص زكي العيلة، سوف تصدر بعد أيام قليلة عن **دار الكاتب في القدس المحتلة**. وقد كتب مقدمة هذه المجموعة الشاعر الفلسطيني المعروف **سميح القاسم**.

سبق لزكي العيلة أن أصدر مجموعة «**العطش**» في أيار/ مايو ١٩٧٨م.

● «**الخروج عن الصمت**» المجموعة القصصية الأولى للأديب غريب عسقلاني عن دار الكاتب في القدس المحتلة. كما ستصدر له في الوقت نفسه رواية عن منشورات البيادر بعنوان «**الطوق**» وفيها يسجل لأحداث السبعينات في نضال الجماهير العربية في الأرض المحتلة.

مصر

تصوير ذخائر التراث

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، يدرس مشروعاً لتسجيل ما تضمنته مكتبة الأزهر من ذخائر التراث الإسلامي وتصويره، والعمل على نشره على المراكز العلمية العالمية.

كتب جديدة

● «**السجل الذهبي للعظماء**» الجزء الأول من الموسوعة التاريخية عن حياة عظماء العالم المعاصرين ـ إصدار دار الرأي العام للصحافة والنشر، **القاهرة**.

● «**الفكر السياسي في الإسلام: شخصيات ومذاهب**» تأليف: **د. جلال شرف**، و**د. علي عبد المعطي** ـ صدر عن **دار الجامعات المصرية ـ الإسكندرية**.

● «**فلسفة الضحك**» دراسة قصيرة للأديب جلال العشري ـ إصدار سلسلة «كتابك» الصغيرة ـ القاهرة.

● «**عظماء الوطنية في مصر في العصر الحديث**» تأليف **شحاته عيسى** ـ صدر عن **الهيئة المصرية العامة للكتاب**. يقع في ثلاثمائة وخمس صفحات من القطع الكبير.

لبنان

كتب جديدة

● «**إناء لأزهار سارا. زعتر لأيتامها**» خامس مجموعة شعرية للشاعر الفلسطيني المقيم في عمان **محمد القيسي** إصدار: **دار ابن رشد ـ بيروت**.

● «**مفهوم الحرية في الإسلام**» للمستشرق الألماني **فرانز روزنتال** ترجمه وقدم له **د. معن زيادة**، و**د. رضوان السيد**، من **منشورات معهد الإنماء العربي ـ بيروت**.

● «**غنوا يا أطفال**» الجزء الأول من ديوان يقع في عشرة أجزاء من أغاني الأطفال، تأليف **سليمان العيسى** ـ يصدر عن **دار الآداب ـ بيروت**.

● «**البرق والصاعقة**» رواية من تأليف **د. جميل جبر**، صادرة عن

الآفاق الجديدة .. تدور أحداث الرواية حول الأحداث الرهيبة التي عاشها اللبنانيون أثناء حرب السنتين ١٩٧٥ - ١٩٧٦ م .

● « **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي** » تأليف **د . حسن صعب** صدر عن **دار العلم للملايين - بيروت** .

● « **النهوض الوطني الفلسطيني** » تأليف **سعيد جواد** - صدر عن **دار ابن خلدون - بيروت** .

● عن دار الآداب ، سوف تصدر رواية للشاعرة السورية **حميدة نعنع** تصور من خلالها تجربة امرأة شرقية في الغرب ، وستكون الرواية بعنوان « الوطن في العينين » بدلا من « باريس سوداء كوجهي » ربما لأن العنوان الأخير هو نفس عنوان مجموعة الكاتب اللبناني **ذو الفقار قبيسي** القصصية « لندن سوداء مثلي » .

● « **في دوامة الحب والكراهية** » مجموعة قصص قصيرة ، تأليف الروائية العراقية **ديزي الأمير** - إصدار **دار العودة - بيروت** .

● « **دفاتر المطر** » مجموعة شعرية في ثماني قصائد طويلة ، للشاعرة **ليلى السايح** - إصدار **المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت** .

● « **اختلاط الليل والنهار** » ديوان للشاعر الفلسطيني **أحمد دحبور** صدر عن **دار العودة - بيروت** .

● « **الملك لير** » ترجمة جديدة لمسرحية الشاعر الانجليزي **وليم شكسبير** قام بها **جبرا إبراهيم جبرا** صدرت عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت** .

● « **البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف** » تأليف السيد **الشريف ابن حمزة الحسين الحنفي الدمشقي** ، تحقيق **د . الحسين عبد المجيد هاشم** ، أمين عام المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - الكتاب في ثلاثة أجزاء كبيرة - **المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت** .



★ حميدة نعنع ★

● « **حروب الردة في الإسلام** » تأليف **محمد أحمد باشميل** - صدر عن **دار الفكر للنشر والتوزيع - بيروت** .

● « **الفرائض وشرح آيات الوصية في القرآن الكريم** » تأليف **الإمام السهيلي** - تحقيق الأستاذ **محمد إبراهيم البنا** ، الأستاذ **بجامعة قاريونس ببنغازي** ، ينتظر أن يصدر الكتاب قريباً عن **مطبعة الشروق - بيروت** .

قطر

المعرض الخامس للفنانين التشكيليين

بمتحف قطر الوطني بالدوحة ، أقيم في قاعة المعارض المعرض الخامس للفنانين التشكيليين القطريين ، ضم أكثر من خمسين لوحة لثلاثة عشر فناناً من مدارس مختلفة .

لجنة للدراسات التربوية

تم في قطر تشكيل **لجنة للبحث والدراسات التربوية** وذلك لتقوم بإعداد الدراسات والبحوث اللازمة لتقويم العملية التعليمية في جميع مجالاتها ، وكذلك لدراسة الخطط التربوية .

الجزائر

كتب جديدة

● صدر للكاتب الشاب **مرزاق بقطاش** المجموعة القصصية الأولى والمعنونة باسم « **جراد البحر** » وذلك في عدد خاص من مجلة « **آمال** » الصادرة عن **وزارة الثقافة والإعلام الجزائرية** .

ليبيا

كتب جديدة

● « **سقوط الـ التعريف** » ديوان الشاعر سعيد المحروق .

سلفادور دالي وأكاديمية الفنون

شهدت قاعة أكاديمية الفنون بباريس حفلاً كبيراً لاستقبال **سلفادور دالي** بوصفه العضو الجديد لمقعد الرسام الإسباني «ماريانو اندرو» في الأكاديمية .

جائزة جونكور

« **أندريه شديد** » الأديبة اللبنانية ، فازت بجائزة « **جونكور** » للقصة في المهرجان الدولي للكتاب ، الذي أقيم في **مدينة نيس** الفرنسية ، عن قصتها « **الأجساد والزمن** » .

الرسومات النارية

افتتح في **متحف الفن الحديث بباريس** معرض « **الرسومات النارية** » وقد سمي بذلك ، لأنه يضم الأعمال الفنية التي استخدمت فيها الألوان الصارخة .

الأدب المغربي في السربون

حصلت « **جاكلين أرنو** » على درجة الدكتوراه برتبة الشرف الأولى ، من جامعة السربون بفرنسا ، عن رسالتها « **الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية** » . بلغ عدد صفحات الرسالة ١٢٠٠ صفحة .

البحث عن مدينة أثرية !

مدينة أثرية عمرها خمسة آلاف سنة ، يقوم فريق من الغواصين منذ عدة أشهر للبحث عنها في قاع بحيرة مستنقع في جنوبي فرنسا .

وقد تمكن الغطاسون من العثور على هياكل بشرية لعدد (١٨) آدمي من الذكور ، من سكان هذه المدينة القديمة .

وعثر أيضاً على بعض الأواني والرماح والجرار .

قصة تتحول إلى تسعة آلاف بيت من الشعر !

قصة « برسيفال » لمؤلف العصور الوسطى « كريتيان دوتروا » ، تحولت إلى أكثر من تسعة آلاف بيت من الشعر ، وذلك لكي يتمكن المخرج إريك رومر من إخراجها سينمائياً ، والقصة كان قد ألفها « كريتيان دوتروا » لكنها لم تكتمل حينما توفي في عام ١١٨٣ م ، وأكملها بعده « جربيردي مونتروبل » .

معرض مخطوطات جلد العجول

أقيم في العاصمة الفرنسية **أول معرض للمخطوطات المكتوبة على جلد العجول** ، وقد دون على هذه الوثائق الجلدية التاريخ الطبيعي للنبات والحشرات والحيوانات ، على غرار الجهد الذي قام به « **جاستون دورليون** » عام ١٦٣٠ م ، وقد ضم المعرض ٣٥ مخطوطاً .

أحدث الكتب

● « **شعراء اليوم** » عنوان مجلد من ثلاثة أجزاء ، صدر في **باريس** ، يتضمن قصائد ١٥ من أشهر الشعراء المعاصرين في فرنسا والعالم .

إيران

آثار ابن سينا

أنشىء في إيران متحف خاص سوف يضم آثار **الشيخ الرئيس ابن سينا** ومؤلفاته ، وقد بدأت البعثات الثقافية في عمليات البحث في العالم لجمع ما تركه ابن سينا من آثار ثقافية وفلسفية .

الباكستان

أحدث الكتب

● « **الفتوحات الإسلامية** » تأليف مجموعة من أساتذة التاريخ الإسلامي ، في عدد من الجامعات في الباكستان ـ **إسلام أباد** .

الهند

افتتاح معهد للأبحاث والدراسات

افتتحت الحكومة الهندية أحدث معهد للأبحاث والدراسات العربية والفارسية والأوردية ، في منطقة « **الهينة تونك** » بولاية **راجستان** الهندية ، لتقديم العون لطلبة الدراسات العليا من الهنود والوافدين الباحثين في العلوم الإسلامية واللغات الشرقية ، والكلاسيكيات العربية والفارسية والأوردية .

أحدث الكتب

● « **فقه اللغة المعاصر** » تأليف مجموعة من أساتذة اللغويات في الجامعات الهندية .

فرنسا

شيوخ الاستشراق والأجيال الشابة

عقد في جامعة السوربون الجديدة « **فانسان** » بدعوة من قسم الدراسات العربية فيها مؤتمر حول « **اشكالية الدراسات العربية** » شارك فيه عدد كبير من المستشرقين الفرنسيين والباحثين والأجانب والشعراء والنقاد العرب .

دار الحوار حول المناهج والطرق العلمية الجديدة ، بين شيوخ الاستشراق والأجيال الشابة .

ديوان شعر عمره ثلاثة قرون

لافونتين الذي توفي عام ١٦٩٥ م ، اكتشفت له **أكاديمية الأدب والعلوم** في « **مونبليه** » ٥٧٠ بيتاً من الشعر ضمن صفحات كتيب قديم غير مصحوبة بأي توقيع سوى تاريخ النشر في عام وفاة لافونتين ، إلى جانب خطاب رقيق إلى أحد أصدقائه يبلغه فيه أنه بدأ مشروعاً شعرياً كبيراً استهله بهذا الديوان ، وأسماه « **الشعر والموسيقى** » .

● « **ماري كوري** » تأليف **روبير رايد** ، والمعروف أن السيدة كوري هي أول سيدة قامت بالتدريس في جامعة السربون ، وحصلت على **جائزة نوبل** عام ١٩١١ م ، لاكتشافها « الراديوم » .

● « **داخل قلب موزارت** » تأليف **جان فيكتور** أستاذ الأدب في جامعة نيس .

● « **أحسن التعاريف الخاصة بفرنسا** » تأليف بيير دروان ، يتناول المؤلف في كتابه تاريخ فرنسا منذ عهد الاستقلال إلى هذا اليوم .

● الجزء الأول من رسائل الروائي الشهير « إميل زولا » صدرت في باريس ، حيث يتضمن كل جزء ٢٢٠ رسالة في عشرة أجزاء .

● « **زلزال البشر** » تأليف **بول جوما** ، عبارة عن مجموعة من المذكرات ، تدور حول الأرض ، وأنها ليست وحدها التي تعاني من الهزات ، فالناس أيضاً يعانون منها بفعل الخوف .

● « **المملكة الفرعونية** » بحث في وقائع الحضارة المصرية القديمة من تأليف **هنري ستيران** .

● « **الأوبرا** » دراسة نقدية لـ (٢٦٥) عملاً أوبرالياً من أشهر أعمال الأوبرا في التاريخ الأوروبي ، تأليف **فرانسوا رينيه** .

● « **الوجه الحقيقي للإنسان والبترول العربيين** » كتاب صدر باللغة الفرنسية ـ تأليف **نديم إسماعيل** .

● أول مجلة فرنسية عن « **الطاقة الشمسية** » ستصدر في باريس وسيرأس تحريرها **جورج لوكلير** المحرر العلمي للقناة الثانية بالتلفزيون الفرنسي .

● « **العلاج النفسي بالرقص والموسيقى** » تأليف **روزجو تنسز** مدير إحدى المستشفيات النفسية للأطفال المتخلفين عقلياً .

اليابان

*** أحدث الكتب ***

● « **عجائب وأسرار البحار** » تأليف مجموعة من العلماء المتخصصين في علم البحار .

نافذة

المكتبات .. في خطة التنمية الثالثة

★ لم يذهب « جين كي ميتز » بعيداً عندما قال : « إن المكتبات في العصر الحديث أصبحت وسيلة حضارية حقيقية لرصد التطور الإنساني وتتبع خطوات المجتمعات المتلاحقة في سبيل تحقيق النقلات الحضارية الفعلية » ★

فإذا نحن أدركنا أن أكثر من (٦) ملايين عنوان تضاف إلى رصيد المكتبة العالمية كل سنة ، فإننا سندرك أبعاد التغير الذي يحدثه هذا العدد الضخم لا في طبيعة التفكير الإنساني فحسب ، وإنما في حجم التفاعلات في المجتمعات البشرية ، مصحوباً بالعديد من الظواهر الحيوية المؤثرة في العملية التكوينية لهياكل المجتمعات على نحو أوسع وأشمل .

وعندما يترجم المتخصصون في مجال المكتبات وعلم المعلومات هذا الرقم إلى حقائق علمية ، يصلون إلى نتائج خطيرة قد لا يدرك مدى أهميتها الآخرون بنفس القوة والعمق ، وبنفس الأثر والأبعاد ، ومع ذلك فإن المتغيرات الثقافية ـ بصورة خاصة ـ لا نكاد ترى بنفس القدر الذي يلمس فيه التغير المادي في البنية الهيكلية للمجتمعات ، ولعل هذه الحقيقة هي المحور الذي يجعل علماء المكتبات والمعلومات أشد إحساساً بالخطر ، وأعظم إدراكاً لأبعاد التأثير الذي تعكسه في طبيعة الحياة .

ومع كل هذا فإن هذا الانفجار الرهيب في المعلومات لا يجد وسائل عملية فعالة في تقليص حجم خطورته ، بنفس الدرجة التي تمتص معه تلك الآثار البعيدة المدى الذي قد تحدثه .

ويسلم علماء المكتبات والمعلومات بحقيقة هامة ، وهي **أن الإنتاج الفكري يفوق بمراحل شاسعة كل الوسائل والإمكانات وحتى الأساليب العلمية والعملية المتاحة لتنظيم هذه المعلومات على الرغم من ادخال « الميكنة » في العديد من العمليات الفنية المبطمة** ، كالفهرسة أو التصنيف ، أو العمليات الأخرى كطبيعة الخدمات والتسهيلات المكتبية كالاعارة لصورها المختلفة أو التبادل أو التعاون ، أو حتى العمليات البيبليوجرافية المختلفة .

وإذا كانت هذه الحقيقة تعكس مدى ما تواجهه المجتمعات المتقدمة ، فما هو الحال ـ إذن ـ بالنسبة للمجتمعات النامية ، ولا سيما مجتمعنا ـ هذا ـ وهو الذي لم تبدأ فيه الحركة المكتبية في الظهور على حقيقتها ، ولم تتبلور ـ بعد ـ شخصيتها ، ولم تبرز ماهية هذا العلم على حقيقته .

وهذا الواقع يجعلنا نطرح سؤالا هاماً ، وهو : **كيف يمكن أن نوفر الأرضية المناسبة لنمو مفاهيم علمية يتوقف عليها نمو مجتمعنا الحقيقي إلى حد بعيد ، ونحن لم نهيىء إمكانية خلق هذه الصناعات بين صفوف المفكرين والباحثين والدارسين ، فضلاً عن طلبة المدارس الثانوية والمتوسطة .. وحتى طلبة الجامعات ؟**

التعبيرية في الفن

أقيم في **متحف كرديف** بالعاصمة البريطانية معرض لأشهر سبعة رسامين فرنسيين ، اتبعوا التعبيرية في الفن ، ضم ٢٣ لوحة من اللوحات التي رسمها هؤلاء الفنانون .

أول مجلة عربية صوتية

صدر العدد الأول من مجلة « **الواصل** » وهي مجلة صوتية شهرية لخدمة الجالية العربية في بريطانيا ، عبارة عن شريط كاسيت ، مدته ساعة واحدة ، خصص نصفه للزوار العرب والنصف الثاني للمقيمين ، وصاحبها **أفتيم قريطم** فلسطيني من مدينة القدس .

عشرون عاماً من البحث العلمي

أمضى فريق من العلماء البريطانيين قرابة العشرين عاماً في تجارب علمية لتطوير مركّب للقضاء على الحشرات . . وقد حاز هذا الفريق على جائزة منظمة اليونسكو العلمية .

مسرحيات عربية إلى الانجليزية

المستشرق الانجليزي **دينيس جونسون ويفز** ، من المهتمين بالتراث العربي ، وقد سبق أن قام بترجمة مجموعة من **الأحاديث النبوية للإمام النووي . .** كما ترجم عدداً من القصص المصرية . . يعد حالياً كتابه الجديد عن « **المسرح المصري** » ، حيث يختار لكل كاتب مسرحية ذات فصل واحد . . ومن الكتّاب الذين سيضمهم كتابه الجديد ، سعد الدين وهبه ، نعمان عاشور ، ألفريد فرج ، توفيق الحكيم ، عبد المنعم سليم ، يسري الجندي وغيرهم .

* أحدث الكتب *

- صدرت في لندن **موسوعة جديدة** من خمسة أجزاء عن **أنواع الطيور** في كل من بريطانيا وأوروبا ، تأليف **جون جودار .**
- « **الثنائية اللندنية** » رواية جديدة صدرت في لندن بقلم الأديبة العراقية **سميرة المانع** التي صدر لها من قبل « **السابقون واللاحقون** » عن دار العودة ـ بيروت ، و« **الغناء** » عن وزارة الإعلام العراقية .
- « **صانعو الأساطير** » تأليف **ف . سجاء تيشيت** تناول فيه بالدراسة والبحث كبار كتّاب الأدب القصصي في العالم .

إن مقالة « Gates » بأن المكتبات وسيلة تنمية حضارية ، تتطلب تلاقياً عضوياً معها ، يبدأ بتبلور هذا المفهوم الخطير والهام في تحديد أطر التنمية الأساسية ، بدء بوضع الاستراتيجيات الهامة وانتهاء بحصر وسائل العمل على تحقيقها ، ومروراً بالتخطيط والبرمجة الشاملين .

وعندما تصبح المكتبة عنصراً هاماً في التخطيط بكل مراحله لدى جميع الأجهزة . . وعلى جميع مستويات المجتمع ، فإن هذا سيعني تنامي الإحساس بأهمية هذا التوجه الموضوعي نحو الأخذ بهذا الجانب في مختلف مراحل النمو العديدة للمؤسسة أو المنشأة أو الوزارة أو الإدارة أو المصلحة أو القطاع .

وليس ثمة شك في أن الانتقال من مرحلة تبني هذا المفهوم عقب تبلور القناعة بأهميته إلى مرحلة الحرص على نشره وتعميمه وتكريسه ، سيحقق مفهوم « ميتز » وتصوره لما يجب أن يكون عليه الاهتمام بهذا المجال .

وسوف يكون عندها للمكتبة أثر بالغ في إحداث التغيير الفكري والاجتماعي المتوازن ، وسوف يتحرك المجتمع نحو أهدافه عن وعي وإدراك ومشاركة ، تظل غائبة ماظل دور المكتبة العامة بصورة خاصة غير موجود في هذه البلاد أو تلك .

وما أريد أن أقوله هو : **إن خطة التنمية الثالثة** في بلادنا وهي تدخل مراحل البلورة النهائية مسؤولة عن تبني هذا المفهوم بصورة أوسع وأشمل وأعمق مما أعطته **خطة التنمية الثانية** ، ليدخل مجتمعنا مرحلة التطوير الحقيقي بدء بالعمل على غرس قناعات عملية وحقيقية عن مفاهيم التطوير ، وانتهاء بضمان مشاركة الفرد في عملية التنمية لا سيما وإن هذه الخطة تضع الإنسان في مقدمة أهدافها .

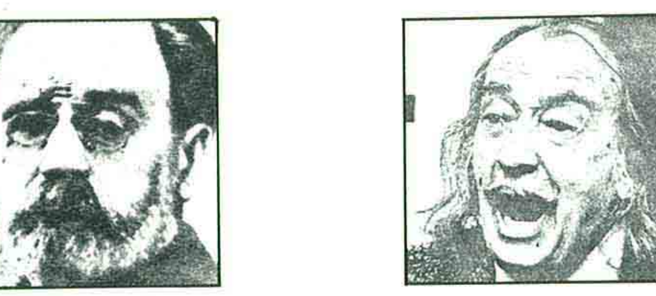
وعندما يكون الإنسان ـ هدفاً رئيسياً في التخطيط، فإن هذا يعني ضرورة أن يكون قادراً ـ ذهنياً ـ على المشاركة ، ومهيئاً ـ اجتماعياً ـ لممارسة أدواره ، وقادراً جسدياً على الاضطلاع بجميع المسؤوليات عن كفاية وكفاءة .

ولا يمكن أن نتصور أن **البرامج التعليمية** وحدها ـ مهما بلغت من الدقة والإحكام ـ وأن التخصص وحده ، قادران على أن يزودا المجتمع بالنوعية المطلوبة من المواطنين المؤهلين للعب الأدوار المختلفة في مراحل ومجالات التنمية والتطوير ، بالقدر الذي يمكن أن يلعب هذا المواطن المهيأ ذهنياً واجتماعياً وصحياً ، من خلال معارفه المكتسبة ، واستعماله للمكتبة بصورة دائمة .

* * *

إن لدي القناعة بأن حصول الحد الأدنى من تبني هذا الأساس في تضاعيف الخطة القادمة سيقلص الفجوة العميقة بين خطوات التنمية المادية المتسارعة . . وخطواتها الثقافية الشديدة البطء .

هاشم عبده هاشم
جدة



★ سلفادور دالي ★ ★ إميل زولا ★



معرض فناني أوروبا

أُقيم بالعاصمة الإسبانية ، معرض للوحات التي رسمها فنانو أوروبا في **القصور الإسبانية** ، في القرن الثامن عشر ، اشتمل المعرض على أعمال الرسامين الإيطاليين والفرنسيين الذين كان لهم الفضل في نقل التطور الفني خلال تلك الفترة إلى إسبانيا ، ومن بينهم الرسام الإيطالي **جيياتا تيبولو** المولود عام ١٦٩٦ والمتوفي عام ١٧٧٥م .

مهرجان الأندلس

وفد عربي مكون من اتحاد المؤرخين العرب ، شارك في إعداد مهرجان الأندلس الذي سيقام في مدينة **مدريد** خلال عام ١٩٨٠م ، حيث يضم إلى جانب الدراسات والأنشطة الثقافية ،التراثية ، معروضات من التحف والمخطوطات من مختلف البلاد العربية ومن مقتنيات المتاحف الإسبانية .

أحدث الكتب

● « **الوردة المفصولة وبعض الأشعار** » كتاب يضم ثمانية دواوين شعرية ألفها الشاعر التشيلي **بابلو نيرودا** وحصل بها على جائزة نوبل في عام ١٩٧١م .



أحدث الكتب

● « **روما تحت المطر** » آخر عمل روائي للكاتب **أنطوني بورجس** .



★ الطفل في الدول المتقدمة ★



★ الطفل في الدول النامية ★



★ موزار ★

كينيا

تشكيك في نظرية داروين

البروفسور **ريشاد لايكي** أستاذ علم الإنسان في **جامعة كينيا** ومدير متحفها الوطني ، قال في دراسة نشرت له مؤخراً في لندن : إنه اكتشف في الشهر الماضي هياكل عظمية لإنسان ضخم الجثة ، يعود تاريخها إلى مئات الألوف من السنين ، وأردف قائلاً : **إن نظرية الهياكل ، تشكك مرة أخرى بصحة نظرية «داروين» .**

إيطاليا

تحليل أعمال «باولو بازوليني»

أقامت الأوساط الثقافية الإيطالية ندوة اشترك فيها ثلاثون كاتباً وناقداً ، لعرض وتحليل أعمال الكاتب الإيطالي **باولو بازوليني** . وبهذه المناسبة أقيم معرض ضم صوراً لهذا الفنان في مراحل حياته المختلفة ، والمعروف أنه ولد عام ١٩٢٢ وتوفي عام ١٩٧٥ م .

معرض لكتب الأطفال

أقيم معرض بولونيا في إيطاليا لكتب الأطفال ، اشتركت فيه ٧١٦ داراً للنشر تمثل إحدى وأربعين دولة .

منازل لا تتأثر بالزلازل

نظمت ندوة أوروبية استمرت ثمانية أيام ، بذل فيها العلماء جهوداً مكثفة للوصول إلى إقامة مبان لا تتأثر بالزلازل التي تحدث من حين لآخر في مواقع متفرقة من العالم .

★أحدث الكتب★

● **«أمراء دي فرانكالانز» تأليف فيدريكودي روبرتو ،** يتضمن تاريخ جزيرة صقلية ، وأسرة دي فرانكالانز ، التي حكمت الجزيرة خلال الفترة من ١٨٥٠ إلى ١٨٧٠ م .

ألمانيا

غرامة مالية

لحقت أحد كبار كتّاب ألمانيا الشرقية ـ وهو الهر ستيفان هايم (٦٦ سنة) ـ غرامة مالية تقدر بتسعة آلاف مارك ألماني ، وذلك لنشره رواية في الغرب دون إذن رسمي .



أقراص للضحك

● في جامعة بنسلفانيا بأمريكا ، يعد الطبيب جون فيكر دواء جديداً يجعل من يتناوله يستمر في الضحك لعدة ساعات ، والدواء عبارة عن مجموعة من الأقراص ، تؤخذ على مرات متتالية ، فتجعل الإنسان في حالة من المزاجية الهادئة .. وقدرة غريبة على اطلاق النكات وطاقة كبيرة من الهدوء النفسي .

هذا الدواء تجرى عليه التجارب النهائية لخروجه من المعامل لتداوله .

أشعة الليزر والحاسب الإلكتروني

● العلماء الهولنديون ، توصلوا إلى تسجيل عشرة بلايين معلومة للحاسب الإلكتروني على قرص من البلاستيك الشفاف لا يتجاوز قطره (١٢ بوصة) ، مستخدمين في ذلك أشعة «الليزر» ، وقد ذكر أن أشعة الليزر قد استخدمت في تسجيل خمسة بلايين معلومة على كل وجه من وجهي القرص على نحو مشابه للطريقة المعتادة في تسجيل الأسطوانات الموسيقية .

القرفة !

● بعض علماء اليابان قاموا مؤخراً ـ عن طريق الأبحاث العلمية ـ بإثبات أن «القرفة» تحتوي على مواد طبيعية تقاوم نمو الكائنات الحية الدقيقة .. وقد تم تحضير مستحضر جديد من مركبات زيت «القرفة» ، حيث أطلق عليه اسم «أو. م. سي» .. وهذا المستحضر مقاوم فعّال لنمو الكائنات الدقيقة وذلك ما يساعد على استعماله كمادة حافظة للأغذية .

عندما تنطق الآلة الكاتبة

● آلة كاتبة ، هي الأولى من نوعها من ناحية أنها تستطيع القيام بترجمة النصوص التي تطبعها إلى كلام مسموع ، وذلك من خلال جهاز خاص ، يحول الحروف المطبوعة إلى حروف مسموعة ، وهذه الآلة ، سوف يستعين بها فاقدو البصر .

أحدث ساعة الكترونية

● ساعة حديثة ، يتراوح ثمنها بين ٧٧٠ و ٩٤٠ دولاراً ، تم إنتاجها أخيراً في سنغافورة من قبل إحدى الشركات الأمريكية ، وهذه الساعة تعتبر أحدث اختراع في عالم الساعات الإلكترونية ، فهي عبارة عن ساعة وآلة حاسبة ويمكن بها معرفة الوقت وتخزين المعلومات الهامة كأرقام التليفونات والتواريخ وتستطيع أيضاً حساب أسعار العملات الأجنبية المختلفة .

[سكريبوفون]

● تليفون مبتكر حديثاً ، أطلق عليه اسم «سكريبوفون» ، وهو اختراع ، قد نجح مهندسو الاتصالات الهولنديين في صنعه وذلك لنقل الرسوم البيانية على نفس الخط التليفوني الذي ينتقل من خلاله الكلام المنطوق .. وهذا الجهاز افادة بالدرجة الأولى للمهندسين ورجال الاقتصاد ، حيث إن أعمالهم تحتاج إلى الرسوم التوضيحية ، فالجهاز يتيح للمتحدث من خلاله أن يقوم في نفس الوقت برسم الخطوط التوضيحية المتعلقة بالموضوع الذي يتحدث بشأنه ، وذلك عن طريق قلم عادي ، على شريحة خاصة من البلاستيك ، فينتقل ما يرسمه مع كلامه إلى الطرف الآخر من المكالمة الذي يتلق الصوت عبر السماعة .. ويرى الرسم الباقي على شاشة صغيرة .

أضخم «مقص» صناعي

● في تشيكوسلوفاكيا ، انتهى عدد من المهندسين من التوصل لصناعة مقص لاستخدامه في الأغراض الصناعية ، وهذا المقص يصل وزنه إلى (٨٩ طناً) ، وهو قادر على قص الحديد الصلب بسرعة تصل إلى مترين ونصف المتر في الثانية الواحدة .

نوع من البلاستيك .. كالنحاس

● مصانع البلاستيك في بريطانيا ، استطاعت التوصل إلى استحداث نوع من البلاستيك له درجة الاحتمال التي يتحملها معدن النحاس ، حيث تصل درجة تحمله إلى ٩٥ درجة مئوية دون أن يصاب بالتشويه أو الاشتعال .

أفكار منشورة أفكار منشورة

● كل سيدة فلسطينية تشعر بأنها تحمل رسالة ، وفي مجالات نضالية كافة ، ولا تتوانى عن تأدية واجبها ، سواء في الداخل أو في الخارج . ونشاطهن في الواقع حلقة متصلة ببعضها البعض . فقضيتنا قضية وطنية وإنسانية معاً ، والنضال يتجسد أيضاً في الاهتمام بالإنسانية التي ترزح تحت وطأة المعاناة والتشرد المستمر .

تمام الأكحل ـ مجلة (الأسبوع العربي)

● اللغة العربية في غربي إفريقيا مرتبطة تماماً بالإسلام فقد اكتسبت مكانتها وقدسيتها من خلال القرآن فكل إفريقي مسلم يعرف أن العربية لغة القرآن وأن تعلمها هو من أحسن إسلامه ، وأما الانكليزية أو الفرنسية فتمثل لديهم لغة المستعمر القديم وتمثل شخصية غريبة على الشخصية الإفريقية لا تتصل بها في ثقافة أو دين .

د . محمود عادل شعبان ـ جريدة (اليوم) السعودية

● أنا أعتقد من تجربتي ، أن اللغة العربية لغة حية .. ولغة من نوع اللغات الثقافية والفكرية الممتازة ، بل من أبدع اللغات لأنها قادرة على أن تعبر عن كل مكتشفات الفكر .

محمد المسعدي ـ مجلة (المستقبل)

● إن أعظم نشاط فكري قام به العرب ، يبدو جلياً في حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم ، فإنهم كانوا يبدون نشاطاً واجتهاداً عجيبين ، وبصفتهم مفكرين ، مبدعين ، فقد أتوا أعمالا رائعة في حقلي الرياضيات والفلك .. وللسبب ذاته ، نجح العرب في باقي العلوم .

فرانز روزنتال ـ مجلة (الثقافة)

● الشعر .. فيه تعبير عن شخصيتنا .. عن أحاسيسنا في مراحل مختلفة ، وقد كان هو السجل الحافل عبر التاريخ .. أما في عصرنا الحاضر .. فأنا لا أعتقد أن الشعر أضاف أي شيء .. بل بالعكس الشعر عندنا متخلف .. لأنه لو تتبعت ما ينشر من شعر لوجدت أنه لا يخرج عن دائرة واحدة دائرة الغزل .

د . إبراهيم العواجي ـ مجلة (اقرأ) السعودية

● إن الذكاء لا يمت إلى الوراثة بأي صلة ، لكن على العكس ، يمكن أن يصبح الإنسان ذكياً إذا ما اتيحت له الفرصة المناسبة والتربية اللازمة ، وأن حق الإنسان في أن يكون ذكياً ، هو كحقه في التغذية التي هي من الحقوق الأساسية للإنسان .

لويس ألبرتو ماكادو ـ وزير تنمية الذكاء ـ فنزويلا
جريدة (الشرق الأوسط)

● التعريب جزء من قضية الأصالة والتجديد وازدواجية اللغة الموجودة في بعض البلاد العربية خاصة المغرب العربي والصراع الدائر بين العامية والفصحى ورسالة الأمة العربية بين شعوب العالم الثالث خاصة في دعم القيم الروحية ويهتم بايجاد علاقات عضوية مستمرة بين المجامع اللغوية والجامعات ودور البحث ونشر الثقافة وتطوير طرق تدريس اللغة العربية وتعلمها بالمدارس وكذلك يركز على ضرورة مساهمة المعلمين على اختلاف تخصصاتهم في تأكيد الفصيحة في تفاعلهم بالناشئين وتوجيه وسائل التربية اللامدرسية وفي مقدمتها وسائل الإعلام نحو تحقيق هذه الغاية والاهتمام بثقافة الطفل بما يبعث فيهم الاهتمام بلغتهم .

جريدة (المدينة المنورة) السعودية

● كلما تعمق المرء في دراسة المدنيّة العربية ، تجلت له أمور جديدة ، واتسعت أمامه الآفاق .. وثبت له أن القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة إلا بواسطة العرب أصحاب الفضل في مدنية أوروبا .

جوستاف لوبون ـ كتاب «حضارة العرب»



لشبه الجزيرة العربية

دراسة جغرافية إقتصادية

بقلم : د. أحمد رمضان شقلية

المقدمة

من أبرز المظاهر في حياة الأمم وشعوبها المرتبة والدرجة الاقتصادية والحضارية التي تحتلها بين أمم وشعوب هذا الكوكب والتي تتنافس وتتزاحم فيما بينها للوصول إلى أرقى وأميز المرتبات والدرجات الاقتصادية خاصة والحضارية عامة ، وتتقلد الأمم والشعوب مرتباتها ودرجاتها الاقتصادية المتمايزة بين أمم وشعوب العالم باستغلالها عطاء طبيعة إقليمها لها وما يتوفر لها في إنسانها من نشاط وجهد عضلي وفكري وإمكانات مادية . فأي نشاط اقتصادي سواء أكان استهلاكي أو إنتاجي فهو نتاج تفاعل وتعاون بين مقوماته وأسسه الجغرافية البشرية والطبيعية ، وينطبق هذا المفهوم على ولادة أو ظهور أي مورد اقتصادي في القطر أو ذلك أو في إقليم وآخر ، **أي إن خام النفط موضوع هذه الدراسة وكمورد اقتصادي يعزى في وجوده إلى العوامل الطبيعية والأسس البشرية التي تفاعلت أو تكاتفت فأوجدته وأخرجته للاستغلال تدريجياً حتى وصل إلى أوسع وأرقى صور الاستغلال الاقتصادي في أيامنا هذه ومنذ الأربعينات السابقة .**

ويتخصص هذا البحث الجغرافي الاقتصادي في جانبين هامين من جوانب النفط كمورد اقتصادي عالمي وفي هذا الجزء من الوطن العربي هما :

● **الجانب الأول :** طبيعة أصل ونشأة خام النفط في حقول أقطار شبه الجزيرة العربية وعلاقة هذه النشأة بالتطور الجيولوجي لأراضي هذا الجزء من العالم القديم خلال العمر الجيولوجي الطويل لكوكب الأرض ، وليس من الغريب أن يتعرض هذا البحث الجغرافي الاقتصادي لهذا الجانب العلمي فهو يبحث له من الجانب الجغرافي ومن منطلق الشعبة الجغرافية الطبيعية المعروفة « **الجيولوجيا** » .

● **الجانب الثاني :** تطور إنتاج النفط في أقطار شبه الجزيرة العربية وتقديرات احتياطها من النفط والوزارات والمؤسسات والشركات الحكومية والمشاركة القائمة على عمليات هذا الإنتاج .

وفي عنوان موضوع البحث يتضح أنه سيتخصص في أقطار شبه الجزيرة العربية بمعناها الجغرافي التقليدي (**الشكل رقم ـ ١**) ، أي الأراضي التي تحدها شمالاً الحدود السياسية الجنوبية لكل من قطري العراق والأردن ومن الغرب مياه البحر الأحمر وفي الجنوب مياه خليج عدن وبحر العرب ومن الشرق مياه خليج عمان والخليج العربي ، أي تلك الأراضي التي تتقاسمها كاملة ويتمايز فيما بينها كل من أقطار المملكة العربية السعودية واليمن الشمالي واليمن الجنوبي وسلطنة عُمان ودولة الإمارات العربية المتحدة ودولة قطر ودولة البحرين ثم دولة الكويت والمنطقة المتقاسمة .

ومن أهم ما يمتاز به هذا البحث توفر جميع متطلبات مصادر ومراجع معلوماته سواء منها الرسمية أو من إخراج الشركات والمؤسسات المتخصصة في البحث أو استغلال النفط العربي مما وفر له جميع ما تطلبه من معلومات لعله بواسطتها وتمحيصها وتحليلها يحقق بعض من آمال المهتمين في أصل ونشأة النفط وإنتاجه في هذا الجزء من وطننا العربي ، ولعله يجد منها كريم نقدهم العلمي البناء .

تعريف بالنفط

يعرف النفط علمياً : أنه ذلك السائل الايدروكربوني[1] الأسود أو المشوب بالبنية أو الحمرة أو الخضرة الغليظ القوام الكريه الرائحة الذي يخرج من باطن الأرض إلى سطحها ذاتياً أو يستخرج اصطناعياً بواسطة حفر الآبار وآلات الضخ .

وعلى أثر التقدم المستمر والرقي في تعامل الإنسان مع النفط عبر نحو قرن من المعرفة الحديثة استطاع وتأكد من التكوين الكيماوي الدقيق لهذا المورد الاقتصادي الايدروكربوني ، كذلك ميز فيه على أثر الدراسات المتفحصة له على ثلاث مجموعات اقتصادية[2] رئيسية كيماوية ايدروكربونية متمايزة في نوع مركباتها الايدروكربونية وكميتها ونوع شوائبها[3] ومتباينة في صفاتها القابلة للاشتعال :

١ ـ **مجموعة البرافين** Paraffin Series تشمل على عدد من الغازات منها : الميثان ، البيوتان ، الايثان ، والبروبان والسائل الاوكتان ، وإذا ما توفرت مركبات هذه المجموعة في خام نفط ما يسمى (النفط الخفيف) الذي احتل مكانة مرموقة منذ بدء أعمال التكرير نظراً لغناه بالمكررات الخفيفة ، ويعتبر خام النفط هذا المصدر الطبيعي للبرافينات .

٢ ـ **مجموعة البنزين** Banzene كثير من الكيمائيين يدخلون هذه المجموعة ضمن مفهوم المجموعة الرافينية ، وهي دائماً ذات نسبة قليلة في أي خام للنفط وتتراوح نسبتها في خام النفط إن وجدت ما بين ١٠ ٪ إلى ٢٠ ٪ وأهم مشتقاتها البنزين والمتبخرات التي تتبخر فيما فوق درجة حرارة ١٥٠°م .

٣ ـ **مجموعة النافتين** Naphthene تكسب خام النفط مزيداً من غلاظة القوام بسبب ارتفاع نسبة الاسفلت فيه وبالتالي يكون غنياً بالمشتقات الثقيلة كالاسفلت والكيروسين والديزل وفقرها في نفس الوقت بالمكررات الخفيفة ويطلق على نفط هذه المجموعة ، النفط الثقيل .

أصل ونشأة النفط

في هذا القسم يستعرض ما قيل حتى الآن من نظريات أو آراء حول أصل ونشأة خام النفط ، هذا المورد ذو العلاقة التاريخية بالإنسان في عدد من مواقع حضاراته القديمة وحتى أصبح مورداً اقتصادياً وحضارياً معاصراً هاماً ، فمن المعرف أن أي حدث جغرافي طبيعي سحيق في تاريخ حدوثه أو نشأته مثل : نشأة المجموعة الشمسية ونطاقات الكرة الأرضية وقارات يابسها ومنخفضات بحارها كذلك الفحم الحجري جميعها تحوم من حولها الآراء والنظريات التخمينية المتعددة والتي لم يتأكد بعضها أو أحدها حتى الآن . يحدث هذا

بالرغم مما يتوفر لدى الإنسان المتخصص فيها من معلومات آخذة في التطور والزيادة وما يمتلكه من آلات وأجهزة وأدوات بحث علمية تقنية ، وعليه فقد كان لزاماً على هذا البحث التعرض لمعظم وأهم ما قيل حول أصل ونشأة (خام النفط) الموضوع الأساسي لهذا البحث .

الأصل غير العضوي للنفط

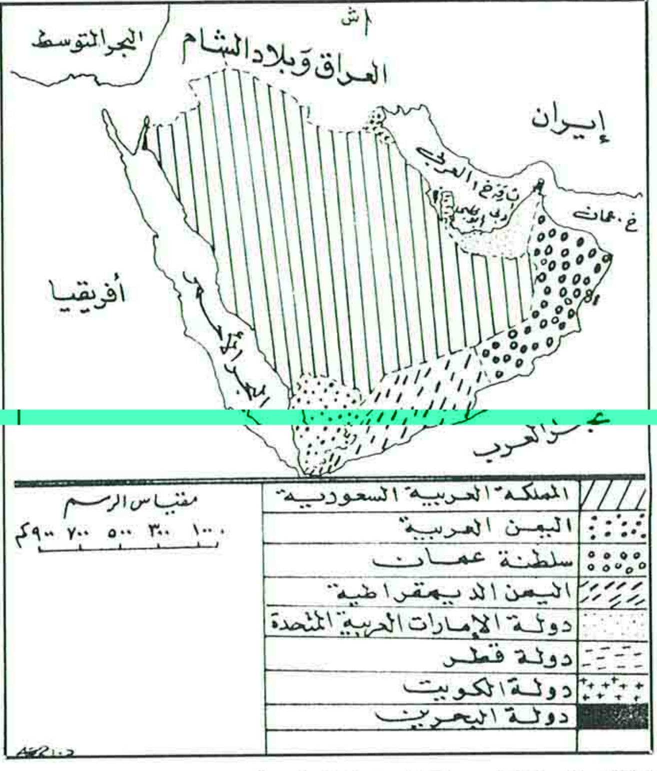
يقصد به ارجاع النفط إلى أصل كيماوي غير عضوي لأنه كان يخرج ذاتياً من باطن الأرض إلى سطحها حيث تجف وتتصلب بقاياه وتتخذ الشكل المعدني غير العضوي .

وقد قيل في هذا الأصل عدة آراء كالتالي :

النفط/ الزيت الصخري : يقال إن أول مرة أطلق عليه هذه التسمية هم **اليابانيون** الذين كانوا من بين الشعوب القديمة التي عرفت النفط يخرج ذاتياً على سطح أراضي جزرهم على شكل سائل زيتي غليظ القوام من خلال شقوق وفتحات صخرية أكسبته تلك التسمية القديمة التي سرعان ما اختفت بانتقال الإنسان إلى طوره الحضاري الحديث ليطلق عليه تسمية غير عضوية جديدة .

النفط حصيلة تفاعل كيماوي : وهو رأي حديث جاء في أواخر القرن التاسع عشر ، خلاصته **أن النفط في أصله يرجع إلى تأثر وتأثير الماء بكربيدات المعادن أو عليها التي توجد بكثرة في باطن الأرض أحاطت ذلك التأثير أو التأثر ظروف حرارية مرتفعة وثقل شديد ناتج عن الطبقات الصخرية العليا والمجاورة أو عن ضغوط الالتواءات والانكسارات الباطنية ...** وقد تحمس لهذا الرأي الكثيرون ولكن سرعان ما تخلوا عنه ليساندوا الآراء القائلة بالأصل العضوي للنفط .

النفط / بركاني الأصل : وهو من أقدم الآراء التي قيلت حول أصل خام النفط . إذ يعزى أصله إلى أنه كالمصائد البركانية في الغلاف الصخري والتي تتكون من أبخرة وغازات ومواد منصهرة مضغوطة تبحث عن مخرج لها إلى سطح الأرض من خلال مناطق الضغط (الشقوق والانكسارات والتهشمات) في القشرة الأرضية فتتجمع تكويناته عند مخارجها لتكون بقعاً صغيرة أو بركاً أو بحيرات من الاسفلت بعد تبخر مكوناته الخفيفة كما هو في **جزيرة ترينداد ومنطقة باكو** وسواحل **البحر الأسود .**



الشكل رقم (١) الوحدات السياسية في شبه الجزيرة العربية حتى ١٩٧٨ م .

وجميع هذه الآراء تؤكد أن النفط **« مركب معدني »** والذي يتميز بصعوبة احتراقه وذوبانه والنقد الأساسي لها جميعاً أن تكوين المركبات المعدنية لا تتم بكميات كبيرة كهذه التي نجدها في احتياطي مصائد النفط[٤] مهما كانت الظروف .

الأصل العضوي للنفط : على أثر تزايد اهتمام **« إنسان الانقلاب الصناعي »** بهذا السائل الباطني القابل للاشتعال وإقدامه منذ **١٨٥٩ م** (تقريباً) ، على حفر آبار جوفية عميقة للحصول على النفط وتكونت لهذا الغرض أمهات شركات النفط العالمية الحالية التي امتلكت المعامل والمختبرات للبحث في أصل النفط ونشأته ومركباته الكيماوية لضمان وسهولة استعمالاته واقتصاديات تجارته ، ومن أهم نتائج أبحاث هذه الشركات استحداث نظريات علمية أو آراء جديدة حول أصل ونشأة خام النفط وتؤكد على (أصله العضوي البحري) سواء **الحيواني** (الدياتوم والجرابوتليان) ، **والنباتي** (الطحالب) ، أو **الحيواني البحري** البحت ، سنعرض لهاتين النظريتين فيما يلي :

النظرية الأولى

تتحمس للأصل الحيواني والنباتي للنفط والتي كانت على شكل ملايين الحيوانات والمخلوقات النباتية البحرية التي كانت تعيش في بحار جيولوجية مدارية ضحلة العمق ترسبت وتحللت بقاياها الدهنية ببطء شديد ، ثم ترسبت فوقها التكوينات الصخرية الرسوبية البحرية والقارية ، جاءت مكوناتها مع مياه الأنهار والأودية والمسيلات المائية والتيارات البحرية والتي اتخذت شكل **الصخور الطباقية** ذات السمك الهائل عبر ملايين السنين من عمر الأرض الجيولوجي تتميز بها بعض عصور الأزمنة الجيولوجية أهمها **عصور الكاينزوي الثلاثي** (سينوزوي) والميزوزوي ، وقد ظهر في هذه الصخور الطباقية حفريات مخلوقات النيمولايت **(الصورة رقم - ١)** بأعداد هائلة ، يلي هذه في الأهمية تكوينات ترسيبات **عصور الباليوزوي** (زمن الحياة الأولى) .

وقد ينتج عن تلك التكوينات بشكلها وتركيبها الكيماوي ضغط شديد وحرارة عالية ، كما تعاقبت عليها أو مناطقها العديد من حركات الأرض التكونية والبلوطونية الالتوائية والانكسارات زادت من الضغوط والحرارة الواقعة عليها والمحيطة بها ولينتج عنها تفاعل كيماوي وميكانيكي من أهم مظاهره خروج غازا الأوكسجين والنيتروجين من تلك التكوينات ولتكتسب بقاياها الصفات الايدروكربونية السائلة ونشوء غاز جديد هو **الميثان** القابل للاشتعال ، مع أهمية ذكر أن هذا الرأي يأخذ بالمساهمة الجزئية لحيوانات ونباتات اليابسة التي كانت تجاور تلك البحار الجيولوجية عن طريق حملها بواسطة أنواع **المسيلات المائية** التي كانت تنتهي إلى تلك البحار ، ويسمى السائل الايدروكربوني هذا **« الكيروجين »** Kergen الذي يتابع بمرور الزمن عمليات استكمال نضجه خلال بقائه في **« صخور المصدر »** ، أو أثناء انتقاله طويلاً أو قصيراً سريعاً أو بطيئاً من مواقع جديدة له تسمى Reservoir rock ، وقد ثبت أن مواد الأسفلت من أقدم مكونات خام النفط يليها الزيت الثقيل وأخيراً المكونات الخفيفة والغازات المصاحبة ، ويذكرنا هذا بأنواع الفحم الحجري المربوطة بتمايز نضج أصلها في مواقعها المختلفة وكثرة أو قلة الشوائب فيها . ومع العمر الجيولوجي الطويل تسربت تكوينات خام النفط الايدروكربونية والغازات المرافقة أو المذابة في مساحات الصخور الطباقية المسامية الرملية والجيرية والدولوميت الواقعة أسفل منها أو في أعلاها أو المجاورة لجانبها باتجاه الانحدار العام مع استمرارها في النضوج الكيماوي العضوي بالتحول إلى إتمام مفهوم خام النفط ، ويجري الانسان المعاصر ويقطف ثمار عطاءات الطبيعة المتعدد في خبايا طبقات الغلاف الصخري لأرضه[٥] .

النظرية الثانية

تؤكد الأصل العضوي للنفط فتقصره فقط على البقايا الحيوانية البحرية التي كانت تعيش بكثافات عددية عالية في مياه البحار الجيولوجية الضحلة أو غير الضحلة المدارية أو المعتدلة أو الباردة والتي مرت بنفس الترسيب والضغط والحرارة والالتواءات والانكسارات وبالتالي التحلل والتفكك والتفاعل الكيماوي العضوي وتكوين **« الكيروجين »** وللتأكد على صحة هذا الرأي وسلامته وتحايده للنقد نعرض للمسلمات المؤيدة التالية له :

١ - أن حقول النفط التي تعرف عليها الإنسان تنتشر وتتوزع في مواقع بحرية معاصرة

تقع في العروض الفلكية العليا (حقـول : **الاسـكا ، سـخالين ، بحـر الشمال ، البرتا ..**) ، والعروض الوسطى (حقول : **فنزويلا وترينداد والجابون وكابندا وسومطرة وشبه الجزيرة العربية**) ، هي مواقع بحرية مختلفة في أعماقها وفي عمق آبار النفط فيها .

٢ ـ أن الطبقة الصخرية التي تغطي الطبقة الجيولوجية الحاملة للنفـط أو الـطبقة الجيولوجية المجاورة لها غنية بالحفريات الحيوانية البحرية .

٣ ـ أن الرائحة الكريهة التي تصاحب سائل النفط وغازه (**الميثان**) تذكرنا بـرائحة البروتينات الحيوانية المتعفنة مما يستبعد أصله النباتي البري أو البحري هذا بـالرغم مـن دور مركبات الكبريت العضوية في رداءة رائحته .

٤ ـ أن عدد النباتات البحرية مهما تجمعت وترسبت بقاياها لن تصل تجمعهاتها إذا ما تحللت إلى كميات « الكيروجين » الهائلة التي تتجمع في حقول النفط ومصائده الحالية .

٥ ـ أن الحيوانات أو النباتات البرية إذا ما ماتت فلن يتجمع منها أعداد كبيرة تخلف تكوينات ايدروكربونية بكمياتها الضخمة التي تحويها الآن مصائد النفط الحالية .

العوامل التي تؤثر في تكوين النفط وأنواعه

لقد ثبت للباحثين المعاصرين أن زيت النفط (العضوي الأصل) يصل إليهم بـأنواعه المختلفة كنتيجة تفاعل وتركيب عدة عوامل طبيعية أمكن التعـرف على بعضهـا بينما هنـاك احتمالات لوجود عوامل لم يتعرف عليه بعد :

١ ـ وجود مياه بحرية (جيولوجية) غنية بحياتها الحيوانية والنباتية البحرية .

٢ ـ وجود مصادر للترسيبات الصخرية البحرية أو القارية البحرية لتكوين الـطبقات الحاملة « للكيروجين » بواسطة مساحاتها والطبقات الأسفل منها المانعة لتسربه بسبب نـدرة مساحاتها ومحدثة مع ما هو فوقها من الطبقات الصخرية الثقل والضـغط والحرارة الـلازمة لبيئة تكون النفط ونضجه والتي نسميها « **المصائد النفطية** » ، بينما تقوم الصخور النـارية (**الجرانيت**) إذا وجدت مقام الصخور المكونة لقاعدة المصيدة بـدلاً مـن الصـخور غـير المسامية (**الشكل رقم ـ ٢**) .

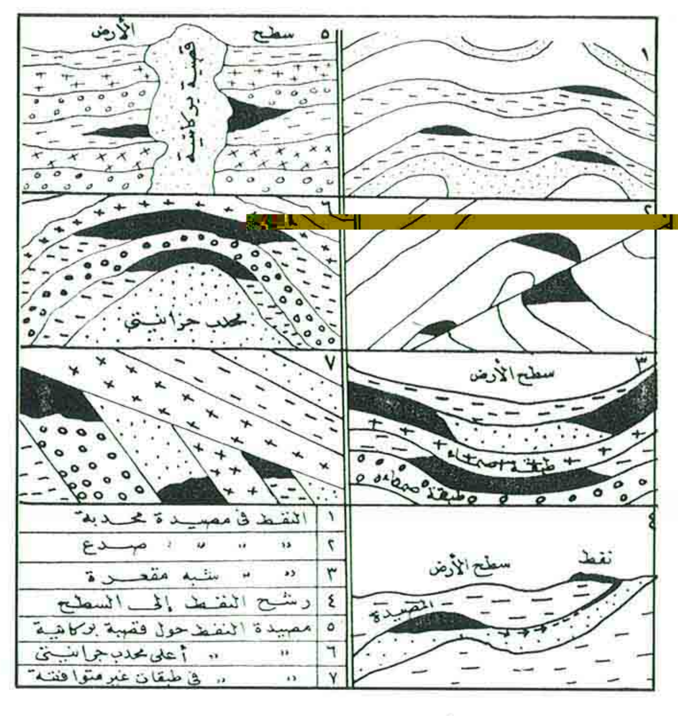
٣ ـ توفر العمر الجيولوجي الكافي لنضوج سائل الـكيروجين الـذي لم يمـكن التعـرف على سنوات ذلك العمر حتى الآن ، ونظراً لتمايز هذا العمر من حقل لآخـر ظهـرت عـدة مجموعات من خام النفط متمايزة من حيث نضجها وبالتالي من حيث أنواع ومشتقاتها .

٤ ـ الأحداث الجيومورفية التكونية أو البلوطونية أو الخـارجية الـتي تتعـرض لهـا الصخور الحاملة للنفط ذاتها أو الصخور المجاورة والتي يتسبب بعضها في تسرب الماء الجـوفي أو السطحي إليها وما تسببه هذه المياه وما تحمله من أملاح أو كبريت أو غـازات تختلـط بزيت النفط مكونة الشوائب في النفط ، ومن مسببات هجرة أو انتقال خام النفط من مـوقع لآخر حدوث انكسارات وشقوق (**الشكل رقم ـ ٢**) ، تكوينة تصيب الصخور الحاملة للنفط أو المجاورة لها يستغلها الزيت في النفاذ والتسرب إلى مواقع جديدة .

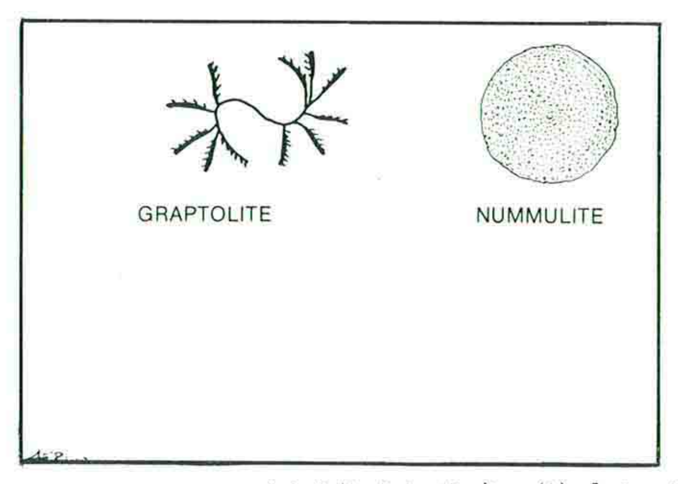
وبالرغم من التأكيد على (أصله العضوي) فقد تعـددت تسـمياته بـالأفرنجية عنـد الجغرافيين والاقتصاديين والكيماويين كالآتي : Meniral oil, Rockoil, Earth oil .

التكوينات الجيولوجية الحاملة للنفط

على أساس تعاملنا مع النظرية العضوية لأصل خام النفط فقد تأكد بموجبها تكوينه في المناطق البحرية التي توافرت فيها العوامل الحيوية والصخرية الجيومورفية الأربعـة السـابقة التي تتكفل بالعملية الهيدروكربونية التي ينتج عنها ذلك السائل متسرباً في مسامات وشقوق الصخور الواقعة إلى أسفل أو أعلى منها خلال مدد متفاوتة من موقع لآخر وحـتى تنتهي في انتقالها هذا إلى ما يسمى عند المهتمين بالنفط بصخور المخزن Reservoir rock وهـي نفسهـا تصبح فيما بعد **منطقة الحقل المنتجة للنفط** Oil fiel أو **منطقة العطاء** Pay zone أو **مصيدة الزيت** Oil Trap ذات السمك والمساحة المختلفة وموقعها المختلف مـن سـطح الأرض (عمق آبارها) وبالتالي في احتياطها النفطي والغاز الطبيعي ، وهذه جميعاً بتسمياتها المختلفة واقعة ضمن مفهوم الصخور الرسوبية البحرية الطباقية أو المائلة أو المحدبة أو المقعرة (**الشكل رقم ـ ٢**) ، التي كانت مناطقها مسرحاً لإرسابات البحار الجيولوجية ومخلفات



الشكل رقم (٢) تعدد أنواع مصائد النفط.



الصورة رقم (١) حيواني النوموليت والجراتبوليت

«المصدر : د . حسين صادق - الجيولوجيا»

حيوياتها المجاورة لها أحياناً والبعيدة أحياناً ، حيث ثبت أن عدداً من مصائد النفط ليست في موقعها الطبيعي ، بل قدم تكوينات نفطها إليها وهي ناضجة أو استكملت فيهـا نضـجها ، ويطلق على هذه الطبقات الصخرية الحاملة للنفط في أقطار شبه الجزيرة العربية أسماء مختلفة كطبقة العرب والهاردكة .... أو حروف أبجدية .... أو أن تعطى أسماء تفصيلية ودقيقة بالنسبة لتكوينات العصور الجيولوجية كأن تسمى بصـخور الجـوارسي الأعلى أو الأوسـط (بالتفصيل في عصور الميزوزوي) .

وعليه فإن البحث عن مصائد النفط في أيامنا هـذه مقصـور على تـكوينات العصـور الجيولوجية التي تميزت بوجود البحار الغنية بحياة حيوانية بحرية كثيفة ونشاط إرسابي سميـك ومتنوع ، بمعنى آخر إن أعمال البحث عن النفط وأطماع القائمين عليها تبتعد كثيراً عن مواقع « الكتل الصخرية القارية ومواقع الصخور النارية الظاهرة مباشرة على السـطح أو المنـاطق التي لم تكن مسرحاً لبحار ما زالت موجودة أو جفت » ، وإذا مـا وجـدت مصـائد نفـطية ضمن مفهوم أحد أنواع الصخور القارية والجرانيتية فإن زيتها يكون متسرباً إليها من صخور رسوبية مجاورة هي المصدر الأساسي له Source rock نتيجة وجود شقوق أو تهشم Cuttings

في الصخور النارية سمح باستيطان النفط في مناطق الشقوق والتهشم تلك ، أو أن توجد خلال تكوينات صخرية رسوبية بحرية مجاورة تماماً لتكوينات صخرية نارية ، وعموماً فهذا النوع من المصائد ذو حالات شاذة في وجودها ومحدودة في توزيعها الجغرافي العالمي وغير موجودة في أقطار شبه الجزيرة العربية حتى الآن ، إذاً فالغالبية من مصائد النفط في العالم وجميع مصائد النفط في شبه الجزيرة العربية تنتمي إلى صخور رسوبية بحرية تكونت في تلك البحار الجيولوجية التي ما زال بقايا بعضها موجوداً كالخليج العربي وبحر الشمال وخليج المكسيك .... أو البحار التي كانت تنشأ من طغيان البحار الجيولوجية على اليابسة المجاورة وتبق عليها ملايين السنين ثم تعود لتنحسر عن مواقعها ثم تعود وهكذا بفعل عوامل تكونية بطيئة رأسية أو أفقية تاركة وراءها آلافاً بل ملايين الكيلومترات المربعة المغطاة بالصخور الرسوبية البحرية وشبه البحرية لتضم إلى مفهوم اليابسة التي تغطيها تلك الصخور البحرية الأصل ، مثل مواقع حقول النفط الليبية والجزائرية والمملكة العربية السعودية وكاليفورنيا وبنسالفانيا .... أو أن تقوم عوامل الترسيب النهرية خاصة والمائية القارية عامة بردم مساحات من تلك البحار الجيولوجية مكونة طبقات صخرية شبه بحرية فوق تكويناتها الحيوية البحرية كالحوض الأدنى والأوسط من نهري دجلة والفرات ونهر السند ونهر الكنج .... وذلك خلال عصور الأزمنة الجيولوجية **(الشكل رقم ـ ٣)** ، الممتدة من **عصور الكمبري** (أوائل الباليوزوي) ، وحتى **عصر البليوسين** في أواخر الكاينوزوي الثلاثي (القسم الأول من السينوزوي) ، حيث توفرت للمخلفات الحيوية البحرية متطلبها من الزمن في كل عصر من هذه العصور أو أكثر والذي كان يتراوح عمر كل منها ما بين ١٣ ـ ٤٤٥ مليون سنة ، هذا بالإضافة إلى توفر العوامل التكونية والبلوطونية الأخرى اللازمة لصناعة خام النفط ونضوجه واحتجازه في مواقع حقوله وبحيراته الحالية . ومن الجدير بالذكر أن النوعين الأول والثاني من تلك الصخور (البحرية حالياً والبحرية الأصل والتي على اليابسة حالياً) ، هما مجال البحث الحالي عن النفط وإنتاجه الفعلي فيها .

أما العصور التالية للبليوسين والتي تدخل ضمن مفهوم الكاينزوي الرباعي **(البلاستوسين والهلوليوسين)** ، فلم يتوفر لكائنات بحارها ـ إن وجدت ـ الزمن والأسباب الطبيعية الأخرى الكافية لهيدروكربنها ، ورغم هذا التعميم في المميزات النفطية للصخور الرسوبية البحرية فقد تميز بعضها عن البعض الآخر في غناه النفطي ، بل في وجود أو عدم وجود النفط إذ تأتي الصخور الجيرية الدولوميتية Dolomitic والرملية على رأس الصخور الرسوبية البحرية أهمية وفي تكوين حقول النفط بينما يستحال وجود حقول النفط في الصخور الرسوبية البحرية الطينية أو الصلصالية ، كذلك وجد أن صخور بعض العصور غنية بالنفط في قطر أو إقليم بينما صخور نفس العصور لا وجود للنفط فيها بعد مجهودات مكثفة للمسح والتنقيب فيها عنه ، ففي بعض مناطق أمريكا الشمالية وجد نفطها مخزوناً في صخور عصور أوائل الپاليوزوي ، بينما وجد النفط في تكوينات عصور الكاينزوي الثلاثي في الجماهيرية الليبية ، وفي المملكة العربية السعودية وجد نفطها في صخور الميزوزوي .... وينطبق مفهوم هذه الحقيقة الجغرافية الطبيعية الاقتصادية على الصخور المنتجة للنفط في ست وحدات سياسية منتجة للنفط في شبه الجزيرة العربية[٦] من حيث اختلاف عمرها وتبعيتها الجيولوجية ، كما سيتضح من حقائق التطور الجيولوجي لأراضيها فيما يلي :

أولا : في حقبة ما قبل الكمبري

وهي الفترة التي تشمل على حقبتي البروتيروزوي والأركيوزوي ، كانت فيها معظم أراضي شبه الجزيرة العربية تقع ضمن مفهوم الكتل القارية المكونة من الصخور النارية والمتحولة الظاهرة على السطح متعرضة لعوامل التفتيت والتفكيك والنحت والارساب الظاهرية وفي باطنها لحركات التوائية وانكسارات وتشققات وتهشم . بمعنى أنها كانت محرومة من الطغيان البحري القديم وبالتالي من ارساباته الصخرية الطباقية ومن مخلفات حيوياته مصدر وأصل التكوينات النفطية ، مما يؤكد عدم وجود أي نوع من مصائد النفط في تكوينات هاتين الحقبتين الجيولوجيتين واسقاطها من حساب الباحثين عن النفط وشركاتهم ، وتنطبق هذه الحقيقة الجغرافية على جميع المناطق القارية القديمة في العالم[٧] .

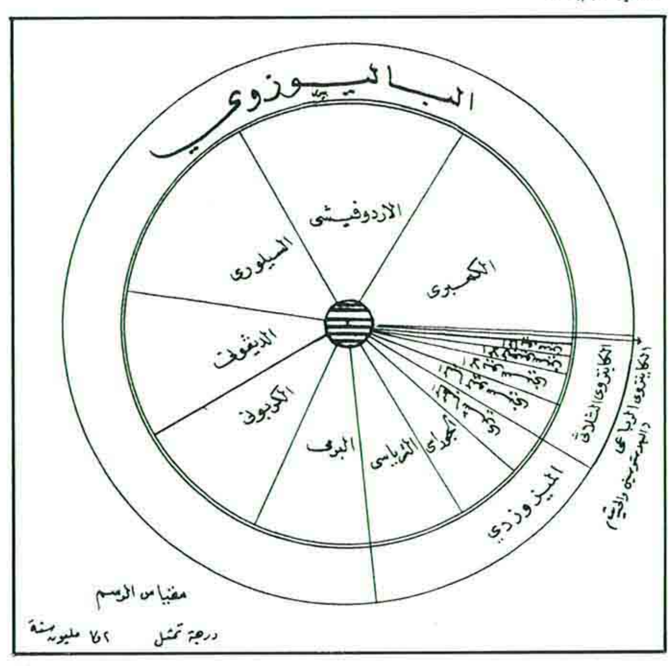
ثانياً : في حقبة الپاليوزوي

وفيها تبدأ العلاقة الواضحة بين اليابس والماء ممثلة في عمليات طغيان مياه البحر على اليابسة خلال ملايين السنين ولتبق عليها خلال عصر جيولوجي أو أكثر أو أقل ، ثم تعود فتنحسر عنها نتيجة عوامل تكونية[٨] تاركة إياها يابسة بثوب جديد من التكوينات الصخرية الرسوبية البحرية تحوم من حولها آمال الجيولوجيين والسيسمولوجيين الباحثين عن بحيرات ومصائد النفط . وبناء على تنوع تلك العلاقة بين اليابس والماء في شبه الجزيرة العربية خلال عصور حقبة الپاليوزوي **(الشكل رقم ـ ٤)** ، فقد قسمت هذه الحقبة الزمنية إلى ست عصور **(الكمبري ، الاردوفيشي ، السيلوري ، الديفوني الكربوني ثم البرمي)** ، متمايزة في نصيبها من عمر هذه الحقبة وفي نوع ترسيباتها ومكوناتها الجيولوجية وفي الآمال النفطية فيها كالآتي :

في عصر الكمبري

احتلت معظم مساحة شبه الجزيرة العربية حفرة كبيرة Geosyncline شغلت معظمها مياه بحر تثسي الذي اتخذ شكل بحر شبه مغلق ، وعليه فقد كانت تلك الحفرة البحرية مسرحاً نشيطاً للترسيبات الصخرية البحرية منها الصخور الرملية هذا خاصة في أراضي دولة الإمارات المتحدة وساحل الأحساء وأراضي دولة الكويت الحالية ، وقد أطلق على بعضها أسماء محلية منها **«طبقة ساك»** .

وقد ثبت أن البحر الكمبري هذا كان غنياً ومتنوعاً في حيوياته . وفيما يخص العصر الاردوفيشي فلم يظهر لتكويناته أي عينة في كافة أراضي شبه الجزيرة العربية إما لأنها كانت جزءاً من اليابسة لم تنعم بنشاط ترسيبي بحري أو أنها غمرت بالبحر الاردوفيشي وانحسر عنها تاركاً ترسيباته لعوامل التعرية الظاهرية لتزيلها وتخفي معالمها لتحير الجيولوجيين في تفسير غيابها .



الشكل رقم (٣) أزمنة وعصور الحياة الجيولوجية القديمة والوسطى والحديثة حسب السنوات التقديرية لعمر كل منها .

في العصر السيلوري

اتسعت الحفرة التي كان يشغلها البحر الكمبري بفعل عوامل باطنية وبالتالي اتساع البحر السيلوري عما كان عليه البحر الكمبري والذي انعكس على اتساع ترسيباته الصخرية البحرية على شكل طبقات من الطفل النقي والطفل الرملي والطبقات الرملية ، وتظهر بسمك مميز في **سلطنة عمان** (١٠٧٢ ـ ٢٠٠٠ م) ، ويطلق عليها اسم محلي في المملكة

العربية السعودية هو «**تابوك**»، وقد عجت مياه ذلك البحر بالحياة من مخلوقات المراجيات والجرابوتليات (**الصورة رقم - ١**)، خلفت لنا حفرياتها لتعكس أنواعها وكثافة عددها. وقد ثبت أن بحر تشي قد بدأ في الانحسار (التراجع) عن يابسة شبه الجزيرة العربية في أواخر السيلوري تجاوباً مع نشاط حركة باطنية رافعة لليابسة باتجاه الشرق والشمال، أو حركة معمقة لموقع في قاعه.

في العصر الديفوني

استمر بحر تشي في الرحيل البطيء عن اليابسة حارماً الأجزاء الغربية والوسطى من الترسيب البحري السميك بل عرضت بانسحابها تكوينات العصور السابقة لتفتيت ونحت ونقل العوامل الجيومورفية الخارجية حتى أزالت التكوينات الديفونية من على سطح معظم أراضي البحث (فيما عدا الأحساء والبحرين وقطر والمنطقة المتقاسمة والإمارات)، وتتكون التكوينات الديفونية من الطبقات الصخرية الجيرية والدولوميتية والرملية .... ويطلق عليها في المملكة العربية السعودية اسم تكوينات «**جوف**». وفيما يخص مخلفاته الحيوية فقد كانت على شكل حفريات لأسماك متنوعة والتي أكسبت بكثرتها هذا اسم عند بعض الجيولوجيين فيسموه «**عصر الأسماك**».

في العصر الكربوني

لم يترك بحره ترسيباته إلا في شرق أراضي شبه الجزيرة بدليل أنه استمر في التراجع نحو الشرق نظراً لاستمرار نشاط الحركة الواقعة لليابسة، وتتكون ترسيباته هذه من سحنات شاطئية.

في العصر البرمي

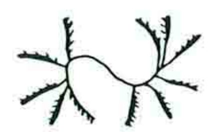
استمر البحر في الانحسار شرقاً وشمالا عن يابسة شبه الجزيرة ليؤكد لنا استمرار الحركات الواقعة لليابسة والتي توقفت في أواخر هذا العصر ليحدث العكس على شكل حركة خفض باطنية لليابسة أو حركة رفع لقاع البحر في الشرق ليتجاوب معها بحر تشي البرمي بالتوسع البطيء بمياهه نحو الغرب والجنوب، ولكن هذه الظاهرة الباطنية لم تستمر طويلاً إذ توقفت في نهاية هذا العصر. وعليه فإننا نجد أن البحر البرمي كان غير البحر الكربوني السابق له حين ترك لنا ترسيباته الصخرية البحرية بشكل خاص في شرق يابسة شبه الجزيرة وأسفل مياه الخليج العربي الحالية، وقد جاءت فوق الترسيبات الديفونية في مواقع وفوق الترسيبات الكمبرية في مواقع أخرى، وتتكون الترسيبات البرمية هنا من الصخور الجيرية غير النقية ومنها الدولوميت والطفل والحجر الرملي وحصى يطلق عليه في شبه الجزيرة اسم «**خف**». أما فيما يتعلق بحيويات هذا العصر فقد برز من بينها الزواحف، ونلاحظ أن تكويناته هي من الصخور الجيدة لتكون مصائد النفط.

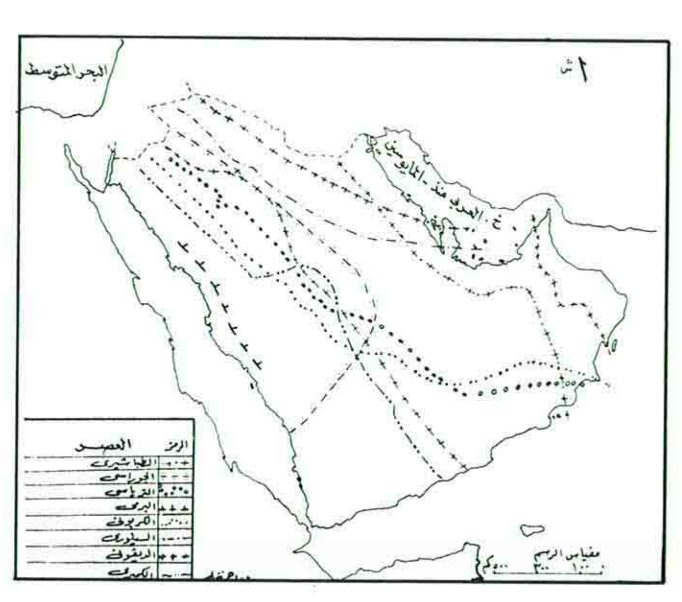
ثالثاً: في حقبة الميزوزوي

تمثل بعصورها الثلاثة (**الترياسي والجوراسي ثم الطباشيري**) حقبة الحياة الجيولوجية المتوسطة على سطح شبه الجزيرة العربية والتي زخرت بالأحداث الحيوية والجيومورفية انعكس على ضرورة تقسيمها إلى ثلاثة عصور (**الشكل رقم - ٤**)، متمايزة في عمرها وفي أحداثها الجيولوجية وتكويناتها الصخرية، ثم في نشاطها الحيوي ... ومن الجدير بالذكر هنا أن من أهم الأحداث الجيومورفية التي بدأت منذ أواسط هذا الزمن في غربي شبه الجزيرة العربية بدء تكون مظاهر أخدود البحر الأحمر الذي تعتبر حافته الشرقية جزءاً من المفهوم الجيولوجي لشبه الجزيرة العربية وأهم مظهر جيومورفولوجي فيها، كما أن بعض أجزائه ذات صلة بالنفط وشركاته حيث تقوم شركة «**تنكو**» بالتنقيب في عدة مناطق في سواحله ومياهه (**بالتفصيل في الجدول رقم - ١ وشكل رقم - ٦**).

العصر الترياسي

تميز بولادة **حركة هابطة** أسفل يابسة شبه الجزيرة أو **حركة رافعة** لقاع البحر تجاوبت معها مياه بحر تشي بالطغيان على اليابسة باتجاه الغرب والجنوب واستمرت حتى





الشكل رقم (٤) حدود مواقع بحار عصور حقبتي الباليوزوى والميزوزوى.

الترياسي الأسفل مرسبة لتكوينات بحرية من الصخور الرملية والطفل والجبس ورقات الانهدريت، وفي الترياسي الوسيط توقفت الحركة المسببة لطغيان المياه لتبدأ حركة معاكسة أوقفت تقدم المياه نحو الغرب وعودتها إلى الانحسار شرقاً وشمالاً حتى وصلت إلى أراضي شرق شبه الجزيرة العربية، والتي نعمت بترسيبات الترياسي الأعلى والأوسط والأدنى، وهي من الصخور الجيرية والطفل وقليل من الصخور الرملية وتكوينات من الجبس، كما تخلف عن انحساره أحواض مائية بحرية معزولة عن بعضها. ويطلق على تكويناته في جيولوجية المملكة العربية السعودية أسماء محلية «**سوادير، جيل، مينجور..**».

العصر الجوراسي

كانت الحركة الأرضية المسببة لانحسار مياه البحر نحو الشرق والشمال مستمرة حتى أواسط الجوراسي حين عادت الحركة المسببة لطغيان البحر إلى نشاطها وعودة مياه بحر تشي الجوراسية الوسيطة إلى امتدادها على اليابسة باتجاه الجنوب والغرب واستمرارها حتى أواخر هذا العصر الجيولوجي مشكلة بحراً جيولوجية عميقاً، فنتج عنه نشاط ترسيبي بحري على شكل تكوينات صخرية رسوبية طباقية من الجير والجير الطيني دقيق الحبيبات وصخور جيرية تفتيتية ومن الانهدريت، وفي آخرها صخور جيرية ورملية وقد ميز فيها بين أربعة أنماط من المتبخرات[٩] أطلق عليها اسم «**تكوينات الهيث**»، وقد سمي كل نمط منها بحرف أبجدي هي: أ، ب، جـ، د، وخير نموذج لها هي تكوينات حقل غوارة أو الفوار بأقسامه الخمسة: **حرض، شدقم، عين دار، العثمانية ثم حوية**.

ويعتبر النمط الرابع منها (د) أغناها عطاء في نفطه في كل من حقول المملكة العربية السعودية ودولتي قطر والبحرين ... كذلك تنضم إليها التكوينات المسماة «**عرب**» وتكوينات «**جوبيلا**» وتكوينات «**حنيفة**» وتكوينات «**جبل طوايق**» وتكوينات «**دروما**» وتكوينات «**مرات**»، ومعظم هذه التكوينات منتجة حالياً للنفط في أقطار شبه الجزيرة العربية عامة وفي المملكة العربية السعودية خاصة.

العصر الطباشيري

استمرت فيه الحركة المسببة لطغيان مياه البحر على اليابسة ، بل وتعمقهـا عما سبقها غرباً وجنوباً مخلفة عليها ترسيباتها البحرية الصخرية الطباقية المتنوعة التي استمرت في تكوينها حتى الفترة الوسيطة من الطباشيري ليعود اليابس بتكويناته السطحية إلى الظهور وذلك على أثر انحسار البحر الطباشيري نحو الشرق والشمال ، وفي أواخر العصر الطباشيري الوسيط عادت مياه البحر للطغيان على اليابسة لأي سبب تكوني واستمرت مياهه في مواقعها الجديدة حتى نهاية هذا العصر . ومن حيث أنواع ترسيباته فقد شملت تكوينات الجير الطباشيري والرمل الجيري العضوي والحجر الرملي والطفل والدولوميت التي تتميز بزيادة سمكها كلما اتجهت تكويناتها شرقاً نحو مركز عمق بحر تشي (الخليج العربي) ويطلق على هذه التكوينات أسماء محلية خاصة في المملكة العربية السعودية ، وهي « **سولاي ، يمامة ، بوايت ، بياض ، رمل سكاكا ، وسيع ، الروما** » . . . وفي هذا العصر ظهرت جزر أرخبيل البحرين والجزر الكويتية من على سطح بحر تشي . وفيما يتعلق بحيوياته البحرية فلم يتعرف على حياة بحرية خاصة به .

رابعاً : في السينوزويك الثلاثي

تمثل هذه الحقبة الجيولوجية القسم الأول والأكبر من زمن الحياة الحديثة على سطح الأرض والتي تسمى عند البعض « **الكاينزوي الثلاثي** » ونظراً لغناها بالأحداث الجيومورفية والتضاريسية وبالتالي في ارساباتها وحيويات بحارها ، فقد قسمت إلى عصور :

الباليوسين ، الايوسين ، الاليجيوسين ، والمايوسين ثم البليوسين (**الشكل رقم ـ ٥**) ، ومن أهم أحداثها استمرار تكوين أخدودي البحر الأحمر الذي تدخل بعض أجزاء من سواحله ضمن مناطق الباحثين عن النفط ، بل يقال إن شكله الحالي قد تبلور في هذه الحقبة الجيولوجية ، وبالرغم من التعميم في سرد أحداثها الجيولوجية إلا أنها اختلفت من فترة لأخرى والتي انعكست على ضرورة تقسيم تلك الحقبة إلى عصورها المذكورة :

عصر الباليوسين

فقد تراجع بحر تشي خلاله حتى قرب المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية وأراضي الإمارات وعُمان والكويت والمتقاسمة ، بمعنى أن هذه المناطق هي التي نعمت بترسيباته المسماة محلياً « **تكوينات أم الردومة** » من الدولوميت .

عصر الايوسين

فبالرغم من قصر عمره (**١٦ مليون سنة**) ، فقد تميز بأحداث جيومورفية وتضاريسية ، أهمها استمرار تراجع البحر الايوسيني نحو الشرق والشمال باتجاه انخفاض قاعه ، بينما تميزت مياهه بترددها نحو الغرب لفترات قصيرة . وفي أواخر هذا العصر ، ارتفع قاع الخليج العربي ليقل عمقه وتظهر عدد من الجزر وما يسمى « **الفشوت الرملية** » .

وعليه فإن تكوينات هذا العصر اقتصرت في توزيعها الجغرافي على مناطق قاع الخليج العربي وأقصى شرق شبه الجزيرة العربية ، وهي من الصخور الجيرية المنازل والانهدريت السميكة والجير الطباشيري والجبس ، ويطلق عليها أسماء جيولوجية محلية خاصة هي : « دولوميت الخبر ، طبقة الرس ، تكوينات الدمام ، أم الردومة » .

عصر الاليجيوسين

كان وجود بحر تشي فيه مقصوراً على يابسة شرق شبه الجزيرة وموقع مياه الخليج العربي الحالية وأقصى جنوب شبه الجزيرة العربية ، وهي المناطق التي احتكرت الترسيبات البحرية لهذا العصر ، وهي عبارة عن الحجر الجيري المسمى محلياً « **حجر العلات** » ، بينما تكويناته الأخرى لم يتعرف عليها ، لأن عوامل التعرية الخارجية قد سبقت الباحثين إليها .

عصر المايوسين

توقفت في أوله ووسطه الحركة التكوينية لرفع اليابسة لبيقى معظم شبه الجزيرة العربية ضمن مفهوم اليابسة فيما عدا أقصى شرق المملكة العربية السعودية وقطر والإمارات والكويت والمتقاسمة التي كانت تغطى ببحر تشي المايوسيني . وفي المايوسيني الأعلى عادت حركة الرفع لليابسة عامة ومن ضمنها أراضي شرق شبه الجزيرة العربية لتنحسر مياه البحر عن المزيد من الأراضي نحو الشرق والشمال متخلية عن ترسيبات وتكوينات المايوسينية البحرية لتظهر معراة للعوامل الجيومورفية الخارجية تنحت وتنقل لموادها التي تتكون من صخور الدلوميت والطباشير والجيرية الطينية الناعمة والطفل والصوان والغرين . . . ويطلق على هذه التكوينات تسميات جيولوجية محلية مثل « تكوينات الدمام ، الهاردكة الهفوف ، الخرج » .

عصر البلايوسين

وهو آخر عصور هذه الحقبة الجيولوجية من عمر شبه الجزيرة العربية ، كان عمره قصيراً نسبياً وكذلك نشاط بحره إذ اقتصر نشاطه الترسيبي على الموقع الحالي لمنخفض الخليج العربي والمدرجات اليابسة المجاورة له غرباً وجنوباً . . . . ولا تظهر هذه الترسيبات إلا ضمن مستخرجات حفر آبار حقول النفط البحرية في مياه إمارات ودول : الشارقة ، دبي ، أبو ظبي ، قطر ، البحرين[١٠] ، السعودية ، المتقاسمة ، وكذلك في الحقول البرية المجاورة للساحل مثل حقل : الدمام ، ودخان ، الوفرة ، البرقان[١١] .

النفط والصراع الدولي وشركاته

على أثر المميزات العديدة التي تأكد وجودها في خام النفط واستعماله كمحرك للآلات وكوقود في أعمال التدفئة وكخام صناعي . . . . وسهولة نقله واستعماله وتعدد مشتقاته . . . وغير ذلك من المميزات التقنية والاقتصادية التي قامت بموجبها وتألفت العديد من شركات النفط المحلية والعالمية في نشاطها للبحث والتنقيب واستخراج النفط وتوفرت لها وبتطور مستمر الإمكانات المالية والتكنولوجية والإدارية الضخمة ومن جنسيات متعددة خاصة منها **الأوروبية والأمريكية واليابانية** انطلقت بها من بلادها متسابقة متنافسة لتبحث عن اتفاقيات امتيازات التنقيب عن النفط في مختلف دول وأقاليم وقارات العالم الستة عن طريق عقدها لاتفاقات مع حكومات البلاد المستقلة أو مع المستعمرات التي كانت تتوزع بين حكومات : **بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وإيطاليا وألمانيا وهولندا وإسبانيا والبرتغال . . .** يحكمها ويسيرها في ذلك الصراع اتفاقيات سياسية واقتصادية معقودة بين الحكومات الرئيسية في العالم (بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والولايات المتحدة واليابان . .) ، بالإضافة إلى القدرات المتمايزة المالية والتنقيبية والتسويقية التي تتمتع بها الشركات خاصة الأمريكية منها التي كانت تجند كل هذه وتلك لضمان نجاحها في صراعها ومنافستها للشركات النفطية الأخرى . . . وكانت من أبرز مناطق الصراع بين الشركات النفطية ومن ورائها حكوماتها أقطار شبه الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام نظراً لأهمية موقعها الجغرافي الإقليمي والعالمي .

وتسابق دول المعسكرات السياسية للسيطرة على أكبر عدد من أقطارها ساعدها في ذلك ما كانت تعيشه شعوب الأمة العربية من انقسامات وضعف في إمكاناتها العسكرية والاقتصادية والحضارية ، ثم غنى أراضيها بالتكوينات الارسابية البحرية القديمة التي تحوم من حولها التوقعات النفطية ، ذلك لأن **معظم مساحة بحر تشي تقع والحمد لله ضمن مفهوم أراضي الوطن العربي** . ومن أبرز مظاهر صراع وتنافس الشركات على النفط في العراق وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية هي اتفاقية « **الخط الأحمر** » التي ينص أهم بنودها « لا يجوز لأي شركة من الشركات المساهمة في الشركة التركية للنفط »[١٢] أن تحصل منفردة على امتياز للتنقيب عن النفط واستغلاله يقع ضمن حدود / خط أحمر / رسم على خريطة الاتفاق المذكور » .

وبموجب النص الأساسي في هذه الاتفاقية أصبح لا بد من مشاركة هذه الشركات بجنسياتها المختلفة في أي اتفاق للبحث عن النفط أو أن تتنازل عن حقها باتفاق مسبق ،

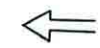
كذلك أصبحت أقطار شرق شبه الجزيرة والعراق والشام حكراً على هذه الشركات النفطية الأوروبية الغربية والأمريكية ، وبالرغم من ذلك اتصفت معظم عقودها النفطية بعد ذلك بالصراع الخفي والعلني بين هذه الشركات هذا خاصة في امتيازات نفط أقطار كل من البحرين والمملكة العربية السعودية وقطر التي كانت تفوز فيه دائماً الشركات الأمريكية يليها البريطانية فالهولندية فالفرنسية وأخيراً اليابانية ، وأوضح مثال على ذلك ما حدث في دولة البحرين ، حين أقدمت شركة النفط الإيرانية على شراء الامتياز ولكنها انسحبت مختارة لتبيعه إلى شركة نفط الخليج (الأمريكية) وسرعان ما اصطدمت باتفاقية الخط الأحمر كمساهمة في شركة نفط العراق مما اضطرها إلى بيع حق الامتياز ذاته إلى شركة أمريكية أخرى هي « **ستاندرد ـ أويل أف كاليفورنيا** » التي كانت خارج مفهوم اتفاقية الخط الأحمر ، فسارعت الحكومة البريطانية صاحبة حق حماية البحرين آنذاك بالاعتراض على عمل تلك الشركة إلا إذا منحت بريطانيا امتيازات واضحة ومرضية لها يُنصُ عليها في عقد الامتياز والتي سرعان ما ووفق عليها من قبل الشركة ، ومن أهمها أن تمنح الشركة جنسية إحدى دول الكومنولوث فكانت كندا ، وأن يكون العدد الأكبر من موظفي « **شركة نفط البحرين** » من الرعايا البريطانيين ومن دول الكومنولث ، وأن يحق للسلطات البريطانية في البحرين الاشراف والرقابة الإدارية وعلى الإنتاج .

ومن الجدير بالذكر أن تطور العلاقات الدولية فيما بعد الخمسينات من هذا القرن وسيادة قانون دولي هو (البقاء للأقوى والأصلح) !!! واستكمال جميع أقطار شبه الجزيرة لاستقلالها السياسي والاقتصادي وظهور المنظمات النفطية الإقليمية . . . . كل هذا أدى إلى الضرورة المسبقة لموافقة حكوماتها العربية من جديد على الامتيازات النفطية الجديدة وتعديلها للقديمة منها واختيارها للأصلح . . . بل إنها أخذت تطور نصيبها في حقوق الامتيازات النفطية في أقاليمها حتى تجرأ بعضها بتأميم كامل امتيازات النفط على يابسها أو مياهها . وتكوينها لوزارات ومؤسسات وشركات نفط متخصصة وبعضها طورت نصيبها في شركات النفط الأجنبية العاملة في إقليمها لتصل إلى ٦٠ ٪ (**الجدول رقم ـ ١**) ، وأمل بعضها قريب في استكمال سيطرتها عليها ، وأوضح مثال على الحالة الأولى ما اتبعته كل من دولتي الكويت وقطر ، بينما مثالنا الثاني ينطبق على جميع أقطار شبه الجزيرة الأخرى .

الجدول رقم ـ ١ ـ الوزارات والمؤسسات والشركات الوطنية والشركات الأجنبية[١٣]
العاملة في إنتاج نفط أقطار شبه الجزيرة العربية حتى ١٩٧٨ م[١٤]

القطر	الوزارة	المؤسسة أو الشركة	تبعيتها وسنوات امتيازها	منطقة امتيازها وعلاقتها بالإنتاج
دولة الكويت	وزارة المالية والنفط	شركة نفط الكويت ـ المحدودة ـ K.O.C.	١٩٣٤ ـ ٢٠٢٦ م . أمريكية / بريطانية (أممت في مارس / آذار ١٩٧٥ م) .	يابسة الكويت ومياهها الإقليمية ـ منتجة
		شركة شل الكويت	١٩٦١ ـ ٢٠٠٦ م . هولندية	١٥٠٠ ميل^2 خارج المياه الإقليمية
		الشركة الكويتية الإسبانية	١٩٦٨ ـ ٢٠٠٣ م . إسبانية	٩٢٧٠كم^2 من المياه البحرية من امتياز K.O.C.
		مؤسسة الكويت الوطنية	١٩٦٠ م . كويتية حكومية تشرف الآن على جميع أعمال K.O.C.	تكرير وتصنيع وتسويق النفط منتجة
المنطقة المتقاسمة	وزارتا النفط : السعودية / الكويتية	الشركة الأمريكية المستقلة للنفط AMINOIL	١٩٤٨ ـ ٢٢٠٨ م . أمريكية	نصيب الكويت من المنطقة المتقاسمة يابسها ومياهها منتجة .
		شركة جيتي للنفط GETTY	١٩٤٩ ـ ٢٠٠٩ م . أمريكية	نصيب السعودية من المنطقة المتقاسمة يابسها ومياهها منتجة
		الشركة العربية المحدودة للنفط (اليابانية)	١٩٥٧ ـ ٢٠٠٢ م . يابانية	المياه الإقليمية خارج ٦ أميال ، منتجة .
دولة البحرين	وزارة المالية والاقتصاد ـ الوطني	شركة نفط البحرين ـ المحدودة ـ بابكو . BA. P. CO.	١٩٢٥ ـ ٢٠٢٤ م . أمريكية الأصل . كندية الجنسية	يابسة ومياه البحرين ـ الإقليمية ، منتجة .
دولة قطر	وزارة المالية والنفط	شركة نفط قطر المحدودة Q.P.C (أممت في أكتوبر/تشرين الأول ١٩٧٦ م) وحلت محلها (الهيئة القطرية لإنتاج النفط في اليابسة) وتتبع المؤسسة القطرية العامة	١٩٣٥ ـ ٢٠١٠ م . أمريكية ، بريطانية ، هولندية ، فرنسية .	يابسة ومياه قطر الإقليمية ، منتجة .

القطر	الوزارة	المؤسسة أو الشركـة	تبعيتهـا وسنوات امتيازها	منطقة امتيازها وعلاقتها بالإنتاج
		شركة شل قطر / أممت وحلت محلها (الهيئة القطرية لإنتاج النفط البحري وتتبع المؤسسة القطرية العامة	١٩٥٢ ـ ٢٠٢٧ م . هولندية .	في مياه شمال شرق قطر بمساحة ٥٠٠٠ ـ ٢٦٠٠٠ كم٢ . منتجة
قطر ـ أبوظبي		شركة البندق	١٩٧٠ م ـ ؟ بريطانيا ، فرنسية ، يابانية .	حقل البندق فقط ـ منتجة .
		المؤسسة القطرية العامة ـ للبترول .	١٩٧٦ م ـ حكومية .	المسح والتنقيب والتسويق والتكرير ـ منتجة .
دولة الإمارات[١٥] العربية ـ أبوظبي	وزارة النفط ـ والمعادن	شركة نفط أبوظبي A.D.P.C.	١٩٣٩ ـ ٢٠١٤ م . بريطانية هولندية ، فرنسية وآخرون .	يابسة أبوظبي ومياهها بعرض ٣ أميال ـ منتجة .
		شركة نفط أبوظبي للمناطق المغمورة A.D.M.A.	١٩٥٣ ـ ٢٠١٨ م . بريطانية ويابانية وآخرون	مياه الجرف القاري ـ منتجة .
		شركة نفط أبوظبي الوطنية للحفر	١٩٧٣ م ـ حكومية	البحث والحفر عن النفط
		شركة أبوظبي للنفط A.D.O..CO.	١٩٦٧ ـ ٢٠١١ م . يابانية	ما مساحته ٤٤١٦ كم٢ ـ من مياه أبوظبي الإقليمية ـ منتجة .
أبوظبي ـ إيران		مجموعة أبو البوكوش	١٩٧٢ ـ ؟ فرنسية ، بريطانية وآخرون	تختص بحقل أبو البوكوش (ساسان) ـ منتجة .
أبوظبي		شركة نفط الشرق الأوسط M.E.O.C.	١٩٦٦ ـ ؟ يابانية (متسبوتشي) .	١٥٥٦٦ كم٢ من امتياز A.D.P.C.
		شركة فيلبس ـ اجيب	١٩٦٥ ـ ؟ أمريكية ، وفرنسية	٩٠٠٠ كم٢ من مناطق امتياز A.D.P.CP
		مجموعة أميرادا AMERADA	؟؟ أمريكية وآخرون	٣١٥٠ كم٢ من مناطق امتياز A.D.M.A
		شركة بترول أبوظبي الوطنية	١٩٧٥ ـ حكومية .	تخزين وتسويق النفط
		إلى جانب مؤسسة سننجدال SUNNINGDALE	؟ ؟ ؟	٢٨٢٠ كم٢ من مناطق ـ امتياز A.D.M.A
دبي		شركة دبي للمناطق ـ المغمورة D.P.C.	١٩٥٢ ـ ٢٠١٢ م . أمريكية .	الرصيف القاري / فيما عدا ٢ ميل الحافة باليابسة ـ منتجة .
		مجموعة تكساس	١٩٧٤ م ـ ؟ أمريكية .	٦٠٠٠ كم٢ من اليابسة والبحر .
الشارقة		مجموعة بتس BUTTES Gro.	١٩٦٩ م ـ ؟ أمريكية . وآخرون .	المياه البحرية وجزرها حتى ١٢ ميلاً من الشاطىء ـ منتجة .
		مجموعة كريستال Crystal Gro.	١٩٧٤ م ؟ ؟	٢٢٠٠ كم٢ على اليابسة .
		ريزيرف للزيت RESERVEAIL	١٩٧٤ م ؟ ؟	١٥٠٠ كم٢ من مياه خليج عمان .
سلطنة عمان	وزارة المالية والنفط	شركة عمان لتنمية ـ النفط P.D.O.	١٩٣٧ ـ ٢٠١٢ م . هولندية ـ فرنسية وآخرون	المقاطعة الشمالية ـ منتجة .
		شركة الشمس للنفط	١٩٧١ م ؟ كندية ، هولندية وآخرون .	١٣٠٠٠ كم٢ من المياه الإقليمية جنوب جزيرة مصيدة .



		شركة الف ـ سميتومو ELF SUMOTOMO	١٩٧٥ م ـ ؟ فرنسية .	٧٠٠٠ كم٢ من إقليم بتاتل .
		شركة ظفار للخدمات النفطية	١٩٥٣ ـ ٢٠٠٣ م . أمريكية	مقاطعة ظفار .
المملكة العربية السعودية	وزارة البترول والثروة المعدنية	شركة الزيت العربية / الأمريكية ARAMCO	١٩٣٣ ـ ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٥ م أمريكية .	معظم المنطقة الإدارية الشرقية وبعض المناطق البحرية المقابلة لها ـ منتجة .
		شركة تنكو TENNECO	١٩٦٥ م ـ ؟ حكومية ـ وآخرون .	٢٦٠٠٠ كم٢ من سواحل البحر الأحمر ـ ومياهها المقابلة .
		بترومين	١٩٦٢ م ـ ؟ حكومية	متابعة الاستكشاف ، حفر إنتاج تكرير تصنيع النفط والمعادن .
		الشركة العربية لخدمات النفط	١٩٧٦ م ـ ؟ حكومية .	كافة خدمات شركات النفط
		الشركة العربية للجيوفيزيقاء والمساحة (اركاس)	١٩٦٦ م ـ ؟ ٦٠ ٪ حكومية	مسح فقط
		شركة الحفر العربية	١٩٦٤ م ؟ ٥١ ٪ حكومية	حفر آبار النفط أو الغاز
		الشركة العربية للإنشاءات النفطية .	١٩٦٨ م ؟ ٥١ ٪ حكومية	الإنشاءات البحرية للنفط .

ويلاحظ على الجدول ما يلي :

(١) أن جميع أقطار شبه الجزيرة العربية لا زالت لها علاقات متمايزة بشركات النفط الأجنبية والتي تعمل في حدودها الإقليمية حتى الكويت وقطر .

(٢) أن بعض الأقطار قد استولت على بعض شركات النفط الأجنبية العاملة في حدودها واستبدلتها بشركات ومؤسسات نفط وطنية .

(٣) أن الشركات اليابانية بدأت تساهم بوضوح في أعمال النفط المختلفة في هذا الجزء من الوطن العربي هذا خاصة بعد الستينات **(الشكل رقم ـ ٦) .**

(٤) أن زيادة نفوذ الحكومات العربية على الشركات النفطية الأجنبية أخذ في التطور ففيما قبل ١٩٧٣ م ، كان نصيب أقطار شبه الجزيرة العربية من ملكية شركات النفط العاملة في إقليمها نحو ١٦,٧ ٪ والنسبة الباقية ملكية أجنبية (أمريكية وبريطانية وفرنسية وهولندية ثم يابانية حسب الترتيب) ، وفيما بعد سنة ١٩٧٣ م ، تطور النصيب العربي في ملكية الشركات العاملة في مجال نفطها سواء المنتجة أو غير المنتجة ليصبح نصيبها ما نسبته ٢٦ ٪ والنسبة الباقية أجنبية ، وفيما يخص نسبة نصيبها من الشركات النفطية المنتجة فعلاً فيما بعد سنة ١٩٧٣ م ، فقد ارتفعت كثيراً على أثر تطبيق مبدئي الملكية الكاملة في دولتي الكويت والـ ٦٠ ٪ في معظم الشركات في الأقطار الأخرى وليصبح إجمالي نسبة النصيب العربي في الشركات المنتجة فعلاً للنفط ٤٤,٥ ٪ **(الشكل رقم ـ ٧)** ، ويرجع ذلك إلى أن الحكومات النفطية في هذا الإقليم النفطي تقتدي ببعضها البعض في هذا المجال الوطني وفي غيره مما سيبشر بقرب استيلاء الحكومات العربية على كامل أعمال النفط المباشرة وغير المباشرة مما سينعكس على زيادة استراتيجية مكانتها الدولية في مجال إنتاج وتجارة النفط الدولية وبالتالي على رفعة مكانتها السياسية والاقتصادية في المحافل الدولية والإقليمية .

(٥) تتقاسم كل من حكومتي الكويت والمملكة العربية السعودية الـ ٢٥ ٪ من ملكية الشركات الثلاث العاملة في يابسة ومياه المنطقة المتقاسمة .

(٦) استمرار وجود عدد من الشركات في الجدول بالرغم من فشل محاولاتها في أعمال التنقيب وبالتالي في الإنتاج مثل : **الإسبانية في الكويت وشركة** A. D. O. VO. اليابانية في أبوظبي وشركة متسبوتشي في أبوظبي ومجموعة امبرادا . . وغيرها الكثير .

(٧) احتكار شركة آرامكو النسبي لموارد النفط في المملكة العربية السعودية في يابسها ومياهها الخليجية وكذلك الحال في دولة البحرين ، حيث تحتكر « بابكو » أعمال النفط فيها .

وقد زاد من شدة وقسوة صراع الشركات النفطية وحكوماتها للحصول على امتيازات نفطية في أقطار شبه الجزيرة العربية (بعد الخمسينات السابقة) حين تعددت وتأكدت المميزات الجغرافية الطبيعية والبشرية اللامنافسة التي تتمتع بها هذه الأقطار بين المناطق النفطية العالمية الأخرى ، وعلى رأس تلك المميزات تمتعها باحتياطي وبإنتاج وتسهيلات في الإنتاج وموقع جغرافي ومميزات اجتماعية ومالية أخرى عديدة نوضح لها بايجاز فيما يلي :

ففيما يخص الاحتياطي : يتصف إجماليه في هذه الأقطار بأنه دائم الزيادة في كميته **(الشكل رقم ـ ٨)** ، وذلك باكتشاف حقول جديدة أو ضم بلاد جديدة منتجة للنفط في هذا الإقليم ، ففي سنة ١٩٦٢ م ، كان إجمالي كمية احتياطي نفطها نحو ١٤١٠٠٠ مليون برميل أي ما نسبته ٧٩,٧ ٪ من الوطن العربي[١٦] و٤٧ ٪ من احتياطي العالم ، وفي ١٩٧٤ م ، بلغ إجمالي احتياطيها نحو ٣٠٠٠٠٦ مليون برميل أي ما يعادل ٤٢ ٪ من إجمالي احتياطي العالم[١٧] **(الجدول رقم ـ ٢)** ، وقد انعكس رقم الاحتياطي الضخم هذا إيجابياً على تطور اهتمام شركات النفط وحكوماتها بهذه الأقطار وتوطيد علاقاتها معها كذلك ضمن اعتداد هذه الأقطار بنفسها على مسرح إنتاج النفط العالمي على مدى عدد من السنوات متوسطها ٥٢ سنة ، يضاف إلى هذا ما تخبئه خبايا أرضها من حقول ستنضم إلى قائمة عشرات الحقول المعروفة الآن ، وأقرب مثال على ذلك حقول مقاطعة ظفار الجديدة وحقل زلي (الفتح) . . .

(الجدول رقم ـ ٢) ، تطور مقارن لاحتياطي النفط في أقطار شبه الجزيرة العربية وإجمالي احتياطي العالم والوطن العربي **(بالمليون برميل)** وسنوات استمرار الإنتاج حسب معدل ١٩٧٤ م [١٨] .

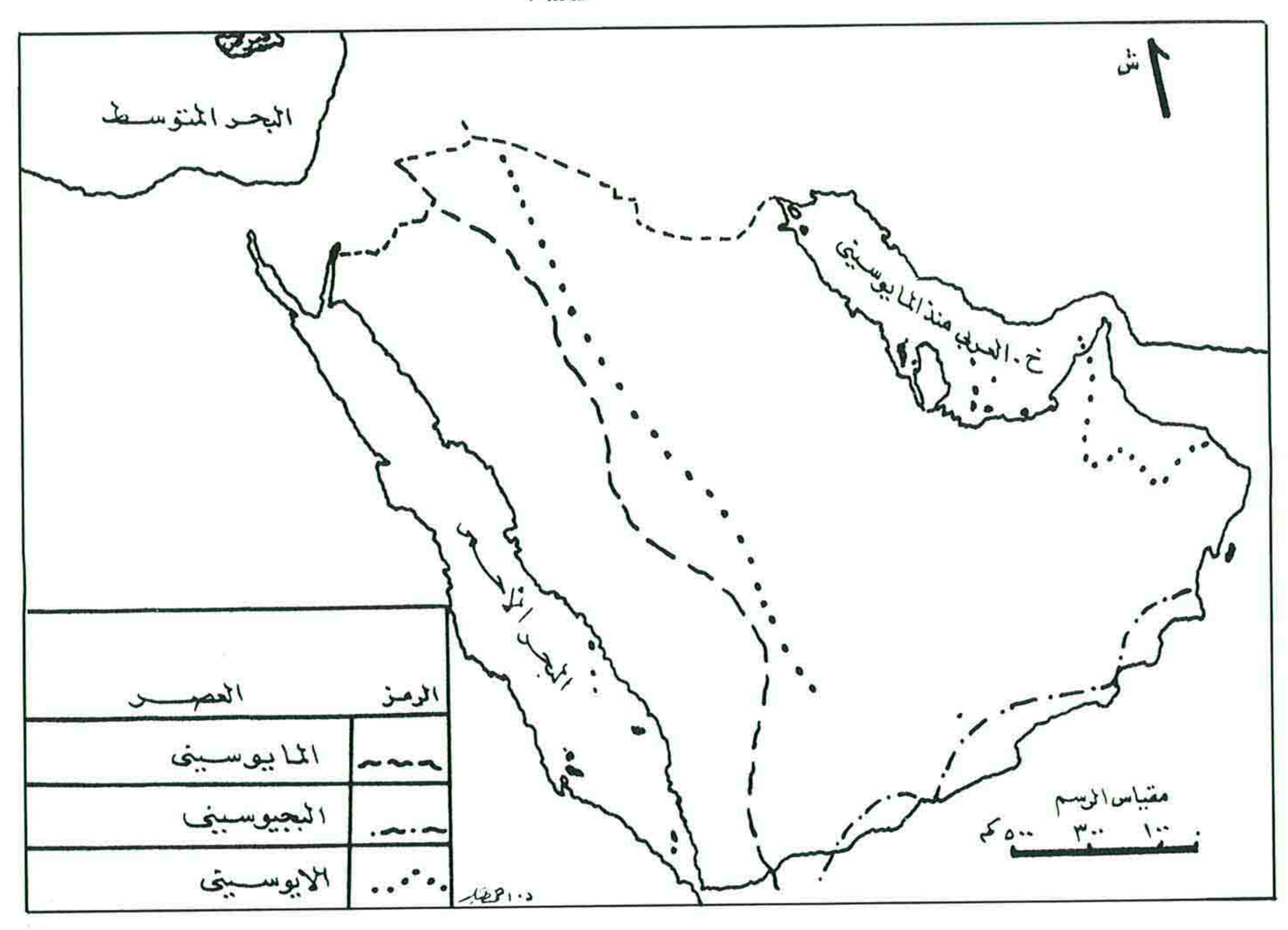
القطر	١٩٦٦	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦	سنوات الاستمرار بناء على معدل إنتاج ١٩٧٤ م	ملاحظات
المملكة العربية السعودية	٧٧٤٠٠	٧٧٥٠٠	١٧٣١٠٠	١٦٤٥٠٠	١٥١٨٠٠	٥٨	
دولة الكويت	٦٨٧٠٠	٧٥٠٠٠	٨١٤٠٠	٧٢٨٠٠	٧١٢٠٠	٥٠	
المنطقة المتقاسمة	١٣٠٠٠	١٦٠٠٠	—	١٧٣٠٠	٦٤٠٠	٨٧	
دولة الإمارات المتحدة	١٧٥٠٠	٢٢٣١٨	٣٣١٧٠	٣٣٤٢٠	٣٢٢٠٠	٩٤	
دولة قطر	٤٠٠٠	٧٠٠٠	٦٠٠٠	٦٠٠٠	٥٨٥٠	٣٢	
سلطنة عمان	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٦٠٠٠	٦٠٠٠	٥٩٠٠	٥٦	
دولة البحرين	٢٥٠	٤٥٥	٣٣٦	٤٠٣	٤١٢	١٢	
الوطن العربي	٢٠٧٥٦٠	٢٤٥١٨٣	—	٢٨٠٧٥٠	—	٥٣	غير معروف
العالم	٣٨٧٩٨٤	٤٢١٥١٧	٧١٥٠٠٠	٢١٥٦٩٧	٦٥٨٦٨٦	٣٤	

ويتضح من الجدول ما يلي :

(١) أن كمية الاحتياطي المقدرة ضخمة منذ الستينات وكانت الأولى بين الأقاليم النفطية في العالم والتي أكدت استمرار وتصاعد المنافسة بين شركات النفط العالمية وحكوماتها .

(٢) أن التغير بسيط نسبياً في أرقام الاحتياطي في القطر الواحد سواء كان ايجابياً أو سلبياً .

(٣) أن عدد سنوات الاستمرار (بناء على معدل إنتاج سنة ١٩٧٤ م) ، شديدة التفاوت من قطر لآخر فهي ١٢ سنة في البحرين و ٩٤ سنة في دولة الإمارات العربية المتحدة .



الشكل رقم (٥) حدود مواقع بحار عصور الكاينزوي الثلاثي في شبه الجزيرة العربية .

وفيما يخص كمية الإنتاج :

تتفوق أقطار شبه الجزيرة العربية الستة المنتجة للنفط بإجمالي إنتاج نفطها على أي إقليم جغرافي منتج للنفط في العالم بينما استهلاكها اليومي ضئيل[19] وبالتالي فائضها الكبير كأقطار نامية تساهم به بنصيب الأسد في التجارة الدولية لخام النفط أو مكرراته . ففي سنة ١٩٦٢م ، بلغ إجمالي إنتاج أربع أقطار منها (الكويت والمتقاسمة والمملكة العربية السعودية والبحرين ثم قطر) ١,٧٧٠,٨١٢,٠٠٠ برميل أي ما نسبته ٢٠ ٪ من إنتاج العالم ، وبعد ذلك التاريخ أخذ رقم الإنتاج هذا يتطور بتطور الاكتشافات النفطية في أقطاره التقليدية ثم بانضمام أقطار جديدة[20] كعُمان والشارقة ودبي **(الجدول رقم ـ ٣)** ، ليصل إجمال إنتاجها اليومي في سنة ١٩٧٥ إلى ١٢,٥ مليون برميل أي ما نسبته ١٢,٨ ٪ من إجمالي الإنتاج العالمي اليومي وهما إنتاج ونسبة لا مثيل لهما في مناطق إنتاج النفط العالمية الأخرى الذي يبلغ إجمالي إنتاجها اليومي في نفس السنة ٥٨ مليون برميل ويرتبط هذا بتوقعات الإنتاج في السنوات القادمة وضمان استمرارية أرقامه العملاقة إلا إذا حصلت نكسات في الأسواق العالمية للنفط أو حروب عالمية أو إقليمية .

الجدول رقم ـ ٣ ـ التطور المقارن لإنتاج النفط الخام في أقطار شبه الجزيرة العربية والعالم (بالألف برميل يومياً) في عدة سنوات في الفترة ما بين ١٩٣٨ ـ ١٩٧٧م ، وتوقعات الإنتاج في سنوات ١٩٧٨ و ١٩٧٩ و ١٩٨٠م[21] .

القطر	سنوات الإنتاج ١٩٣٨	١٩٤٧	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦م	ملاحظات
السعودية	١,٤	٢٤٦,٢	٩٥٣	٩٦٥	٩٨٦,٢	
الكويت	—	٤٤,٥	٩٥١,٦	١,٠٩٢	١,٠٩٣	
المتقاسمة	—	—	١٦,٣	٢٤,٣	٣٢	
دولة الإمارات	—	—	—	—	—	
قطر	—	—	١٠١	١١٥	١٢٥	لا يوجد
عُمان	—	—	—	—	—	
البحرين	٢٢,٧	٢٥,٨	٣٠,١	٣٠,١	٣٠	

القطر	١٩٦٤	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	السنوات التقديرية[22] ١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠م	ملاحظات
السعودية	٢٢٠٦	٤٧٦٨	٧٥٩٦	٨٤٨٠	٧٨٨٩,٨	١٠٨٩,٧	١٣٠٧,٦	١٥٦٩,١	١٨٨٢,٩	٢٣٥٩٦	
دولة الكويت	٢٣٦٥	٣٢٢٠	٣٠٢٠	٢٥٧٥	٢٠٧٨,٩	٣٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠	
المتقاسمة	٣٦٠	٥٦٥	٥٣٥	٥٤٥	٥٠٠	٥٠٠	٥٠٠	٥٠٠	٥٠٠	٥٠٠	
دولة الإمارات المتحدة	٢٨٢	١٢٠٢	١٥٢٥	١٦٧٨	٢٠٠٠	٢١٢٨	٢٢٦٨	٢٥٤٨	٢٨٥٣	٣١٩٦	
دولة قطر	٢١٥	٤٨٥	٥٧٠	٥٢٠	٥١٤	٥١١	٥٣٦	٥٦٣	٥٩١	٦٢١	
سلطنة عمان	—	٢٨٠	٢٩٥	٢٩٥	٣٤٢	—	—	—	—	—	
دولة البحرين	٠٥٧	٧٦	٦٨	٦٦	٦٣	٦٠	٦٠	٦٠	٦٠	٦٠	
العالم	—	٥٢٩٨٠	٥٧٨٤٥	٥٧٩٧٠	٥٤٠٤٢	—	—	—	—	—	غير معروف

ومن الجدول الإنتاجي السابق يتضح ما يأتي :

(١) أن الأقطار المنتجة كانت في سنة ١٩٣٨م ، اثنتان أصبحت في شبه الجزيرة العربية ومنذ سنة ١٩٦٥م ، ستة أقطار بما فيها المنطقة المتقاسمة .

(٢) ولقد انعكست زيادة عدد الأقطار المنتجة على زيادة إجمالي إنتاج شبه الجزيرة في النفط وارتفاع نصيبها من إجمالي الإنتاج العالمي للنفط ورفعة مكانتها الدولية هذا خاصة بعد بدء السبعينات السابقة .

(٣) أن التفاوت الإنتاجي واضح من قطر لآخر فهو على أقله في البحرين وعملاق في كل من المملكة العربية السعودية والكويت ودولة الإمارات مما يعكس الأهمية الاقتصادية بل والسياسية وفارقها من قطر لآخر في شبه الجزيرة العربية .

(٤) أن الإنتاج في القطر الواحد وبالتالي في إجمالي منطقة البحث يختلف من سنة لأخرى سواء في الزيادة أو النقصان ومرجع ذلك إلى عاملين هما السياسة الإنتاجية النفطية الحكومية أو الأسواق العالمية لاستغلال خام النفط .

وفيما يخص تسهيلات الإنتاج :

فقد كان لقرب مصائد النفط من سطح الأرض في هذه الأقطار أثره في خفض تكلفة أعمال التنقيب والإنتاج ، إذ يتراوح عمق البئر في أقطار شبه الجزيرة ما بين ٤٢٠٠ ـ ٩٩٥٠ قدم ، بينما يصل عمقها في الولايات المتحدة الأمريكية إلى / ١٨٠٠٠ قدم ، وفي الاتحاد السوفياتي إلى / ٢١٠٠٠ قدم ، كذلك تتميز حقولها بغنى إنتاجها وسرعة تدفق نفطها والذي ارتبط به انخفاض تكلفة الإنتاج إذا ما قورن بتكلفة إنتاج البرميل في أوروبا والأمريكتين التي تتصف معظم حقولها بضحالتها وفقر احتباطها وضعف تدفق نفطها ، فالنسبة بين تكلفة إنتاج البرميل الواحد في **الولايات المتحدة وشبه الجزيرة العربية** هي ١١/١٠٠ وفي **كندا** ٧/١٠٠ وفي **فنزويلا** ٤٦/١٠٠ لصالح تكلفة النفط في أقطار شبه الجزيرة العربية ، ويرتبط بغنى مصائد النفط هنا إمكانية حفر عدد أكبر من الآبار

وبالتالي الإنتاج الأكثر مما هو في الحقول الفقيرة الموجودة في أقطار نفطية خارج شبه الجزيرة العربية ، كذلك عدم الحاجة إلى وسائل الضخ الاصطناعية لإنتاج النفط في المملكة العربية السعودية ، والمنطقة المتقاسمة البحرية يخرج نفطها بالتدفق [٢٣] الطبيعي ، ومن المميزات الأخرى شهرة نفط هذه الأقطار بتنوع كثافاته وبالتالي تنوع مشتقاته : ففيه **البرافيني والنافتيني والبنزيني** .

بل إن بعضها اتخذ معياراً عالمياً للنفط مثل : **خام عربي خفيف ، خام عربي متوسط ، خام عربي ثقيل ، خام البرقان ، خام الرتاوي** .

وفيما يخص الموقع الجغرافي :

إن معظم حقول النفط في هذه الأقطار تتمتع بموقع جغرافي سهل وقريب من موانىء تصدير نفطها على الخليج العربي إذ يفصل بين «**ميناء رأس تنورة**» وأبعد الحقول العربية السعودية المستغلة حالياً وهما حقلان : المزيلج وأبو جفان **(الشكل رقم - ٩)** ، بنحو ٦٠٠ كم ، وهي أكبر مسافة فاصلة حتى الآن ، بينما بعض حقول المملكة العربية السعودية لا يبعد عنها سوى ٥٠ كم ، وفي الأقطار الأخرى تبعد حقولها عن موانىء تصديرها بمسافات متفاوتة ، فهي في **البحرين نحو ٥ كم ، وفي قطر** نحو ٨٠٠ كم ، وفي **البرقان** نحو ٢٤٠ كم . . بينما في **باكو في الاتحاد السوفياتي** نحو ٦٩٠٠ كم ، عن باطون ، وفي حاسي مسعود في **الجزائر** نحو ١٠,٥ ألف كم . . ولهذه الميزة فوائدها في خفض مصاريف وتكلفة نقل النفط ووسائله وسرعة وصوله ، ويضاف إلى هذه الحقيقة وجود عدد كبير من الحقول البحرية في هذه الأقطار **(الجدول رقم - ٤ - وشكل رقم - ٩)** ، والتي تقترب كثيراً من موانىء تصدير نفطها هذا خاص في حقول أقطار : المتقاسمة والمملكة العربية السعودية وأبوظبي وقطر / أبوظبي ، ويستثنى من هذه الميزة الجغرافية الطبيعية حقول بعيدة نسبياً في موقعها عن موانىء تصدير نفطها هذا خاصة جميع حقول عمان وحقول المملكة العربية السعودية : رملة وشيبة ، وكدن الشمالي وكدن الجنوبي وأبو جفان والمزيلج وجهام واللهابة حتى إن بعضها قد أجل استغلاله كنتيجة لتطرف موقعه (رملة وشيبة . .) .

الشكل رقم (٦) حدود مناطق امتيازات معظم شركات النفط العاملة الآن والمتوقعة (جدول رقم ١) .

الجدول رقم - ٤ - حقول النفط المنتجة وغير المنتجة في أقطار شبه الجزيرة العربية حتى ١٩٧٨م ، من حيث سنوات بدء الإنتاج في أقدمها ونوعها / البحري والقاري [٢٤] (—) غير موجود .

القطر	الحقول القارية	الحقول البحرية
دولة الكويت	الأحمدي ، البرقان ١٩٣٨م ، الروضتين صبرية ، بحرة ، المناقيش ، أم غدير ، مترية ، مقوع .	—
المنطقة المتقاسمة	الوفرة ١٩٥٣م ، فوارس الجنوبي أم غدير - الجنوبية .	الخفجي ١٩٦٠م ، الحوت ، دره ، لولو .
دولة البحرين	البحرين - أو عوالي ١٩٣٢م .	أبو سعفة ١٩٥٨م .
دولة قطر	دخان ١٩٣٩م .	العد الشرقي ١٩٦١م ، ميدان محزم بو الحنين ، البندق (مشارك مع أبوظبي) .
دولة الإمارات المتحدة أبوظبي	مربان ١٩٦٣م ، أبو حسا ، عصب ، بابة ، زرارا (مشارك مع السعودية) ، ساهل ، أبو جيدو ، سماح الدوم .	البندق (مشارك مع قطر) أم الشيف ١٩٦٢م ، مبرز ، زاكوم ساسان (مشارك مع إيران) .
دبي	—	فتح ١٩٦٦م .
الشارقة	—	مبروك ، جزيرة أبو موسى (مشارك مع إيران) .
وأم القوين		١٩٧٣م ، أبو الذهب (مشارك مع أم القوين) .
سلطنة عمان	ناتية ١٩٦٧م ، فهد ، بيال ، هواشه ، سايح دول ، رجب ، قهارير ، بيريا .	—
المملكة العربية السعودية	الدمام ١٩٣٨م ، المزاليج ، أبو جفان ، (حرض ، شدقم ، عين دار ، العثمانية ، حوية) ، خريص ، فزران ، بقيق ، الفاضلي ، اللهابة ، جريبيعات ، دبدبة أم قدير قرضي ، حرملية ، رملة ، شيبة ، كدن الشمالي ، كدن الجنوبي ، جهام ، قطيف (قاري وبحري) ، خرسانية ، فاضلي ، أبو حدرية ١٩٤٠م .	كران ، كرين ، منيفة ، لوحة ، محارة ، ظلوف ، مرجان ، سفانية ، بري ، ربيان .

ومن جدول رقم ـ ٤ ـ تتضح الحقائق التالية :

١ ـ أن جميع الأقطار والمتقاسمة لها حقول منتجة للنفط على اليابسة وفي مياه خليجها العربي فيما عدا دولة الكويت وعُمان .

٢ ـ أن الإنتاج النفطي من على اليابسة أكثر منه في قاع الخليج العربي يؤيد ذلك العدد الأكبر من الحقول البرية والتي سبقت البحرية في تاريخ الإنتاج .

٣ ـ أن عدد حقول النفط في زيادة مستمرة مرتبطة باستمرار عمليات التنقيب والكشف كما حدث أخيراً من اكتشاف حقلين للنفط في مقاطعة ظفار .

٤ ـ أنه بالرغم من قدم تاريخ إنتاج بعضها (البحرين في ١٩٣٢م ، البرقان في ١٩٣٤م ، الدمام في ١٩٣٨م ، دخان في ١٩٣٩م) ، إلا أنها حقول ما زالت حقول منتجة بل إن بعضها من حقول الدرجة الإنتاجية الأولى كالبرقان .

ويلحق بهذه الميزة القرب النسبي لمناطق إنتاجها من الأسواق الأوروبية عامة سواء من خلال خط أنابيب عبر البلاد العربية الحالي أو مشروع خط أنابيب عبر المملكة العربية السعودية [٢٥] أو ضمن حمولة ناقلات النفط العابرة لقناة السويس أو المارة برأس الرجاء الصالح كذلك قرب مناطق إنتاجها من أسواق النفط في الشرق الأقصى وجنوب شرقي آسيا والأوقيوناسية ، وأخيراً موقعها من أسواق النفط في الأمريكتين عبر حمولة الناقلات العملاقة .

المميزات الاجتماعية

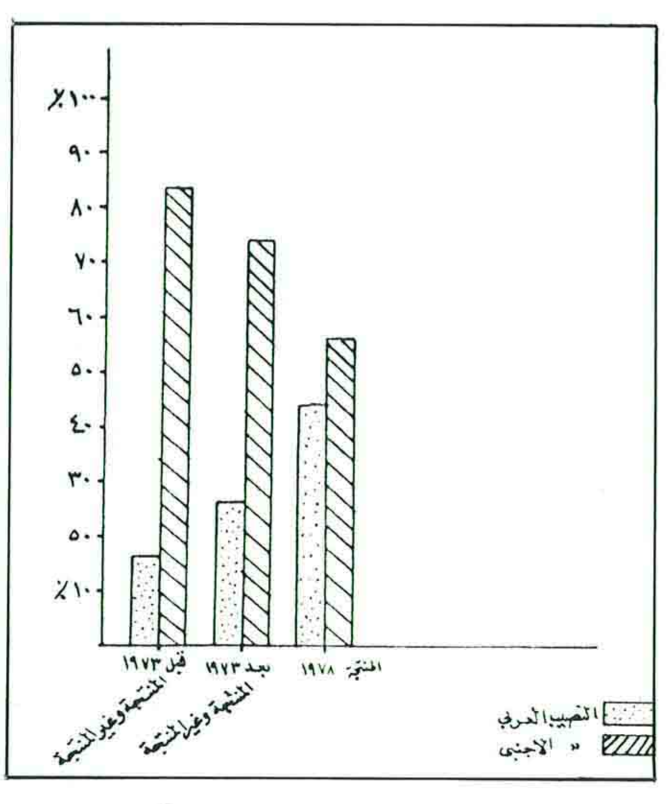
يقصد بها هنا توفر العمالة اللازمة لمعظم أعمال النفط وخاصة غير الفنية وبأجور رخيصة نسبياً وذلك سواء من أبناء هذه الأقطار أو من العرب والأجانب المستقدمين لتلك الأعمال وغيرها ، ومن فئة هذه المميزات قلة متطلبات هؤلاء العاملين في مجال الخدمات العامة **(السكن والعلاج والإجازات والملابس والمواصلات والتعليم . . .)** ، إذا ما قورنت بمتطلبات المستقدمين الأوروبيين واليابانيين والأمريكيين ، هذا بالإضافة إلى قوة تحملهم للعمل في الزمن والنوع .

المميزات المالية

فقد توفر لها من خلال بنود ومواد اتفاقيات الامتيازات المعقودة بين شركات النفط الأجنبية وحكومات هذه الأقطار أو من كان ينوب عنها من الحكومة البريطانية في فترة سلطانها على عدد من هذه الأقطار ، وتفسر المميزات المالية هذه بانخفاض نصيب الحكومات من إجمالي أرباح نفطها والعكس صحيح في نصيب تلك الشركات والذي بدأ بعدد إجمالي سنوي محدود من الروبيات الهندية أو الريالات أو الجنيهات الذهبية ، ثم تطور إلى نسبة من الأرباح بدأت بنحو ١٥ ٪ إلى ٢٥ ٪ إلى ٤٠ ٪ وأخيراً ومنذ سنة ١٩٧٣م ، أصبحت ٦٠ ٪ ولكن لا زال بعضها ٢٥ ٪ **(بالتفصيل في الجدول رقم ـ ١)** ، وذلك على أثر بدء وعي هذه الحكومات للضيم الواقع عليها من هذه الشركات بل ومن حكوماتها الأجنبية لترفع نصيبها في ملكياتها وبالتالي في أرباحها ولتصل إلى ٦٠ ٪ بل والتأميم . . . وبالرغم من ذلك فمميزات الشركات التي تنعكس على ضخامة أرباحها في هذا الإقليم النفطي لا زالت هنا كبيرة وجيدة لها نسبياً تتمتع بها عن مواقع أخرى لها أو فروعها خارج شبه الجزيرة العربية (أمبريكا اللاتينية ، جنوب شرقي آسيا ، إفريقيا الغربية) ، وعن شركات نفطية أخرى تعمل في أوروبا الغربية والجنوبية . . . يضاف إلى ذلك تمتعها بغياب الرقابة على تصدير أرباحها ورساميلها النقدية أو العقارية وحرية تعاملها مع جميع المصارف (ما عدا المصارف الإسرائيلية) والأسواق (ما عدا الأسواق الإسرائيلية) ، ثم إعفاء وارداتها من الضرائب الجمركية والرقابة إلا في بعض حالات الشذوذ .

تطور إنتاجها من النفط الخام

تعتبر ظاهرة إنتاج خام النفط وليدة ما يتوفر في أقطار شبه الجزيرة من عطاء وتسهيلات جغرافية نفطية طبيعية وبشرية أهمها وجود حقول النفط وعددها والتأكد من احتياطها الاقتصادي ومن موقعها من السطح ونوع خامها . . . ثم تسهيلات في الموقع

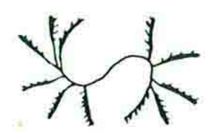


الشكل رقم (٧) تطور نصيب الحكومات في شركات النفط في أقطار شبه الجزيرة العربية .

الجغرافي ووسائل وطرق النقل والتنقل للنفط والعاملين فيه ، وتوفر الأسواق الوطنية والدولية والسياسية والاقتصادية للحكومات العربية هنا وما يتوفر لأعمال النفط المتعددة من عمالة وخبرات وطنية أو مستقدمة . . . والإمكانات المالية والتقنية المتوفرة للوزارات الوطنية ومؤسساتها النفطية وشركات النفط الأجنبية ، أما ظاهرة تطور كمية إجمالي الإنتاج للمنطقة أو على مستوى قطر واحد منها فهي نتيجة وجود العوامل الجغرافية السابقة أيضاً ، مع ضمان ظروف استمرار المحافظة عليها وتطويرها ، لتنعكس مظاهر تطويرها هذه على استمرارية تطور إنتاج خام النفط فيها **(الجدول رقم ـ ٣)** ، وضمانه طيلة السنوات المقدرة لها .

ولما كان من المستحيل أن تسير ظاهرة تحسين وتطوير تلك العوامل الجغرافية في جميع الأقطار معاً وفي آن واحد ، فقد وجد التمايز الواضح أو النسبي بين كمية الإنتاج من سنة لأخرى في القطر الواحد أو في إجمالي إنتاج منطقة البحث بحيث نجد أن قطراً كالبحرين كان الأول في الإنتاج منذ سنة ١٩٣٢م ، وحتى أواخر الثلاثينات السابقة لتحتل بعد ذلك نفس المكانة الكويت فالعربية السعودية ، والتي يقدر لها أن تبقى على رأس مجموعة أقطار شبه الجزيرة في كمية إنتاج نفطها ، يدعم هذا التأكيد أرقام احتياطيها العملاقة وسياسة حكومتها النفطية المنفتحة الجادة في توسيع أعمال المسح والتنقيب عن النفط كذلك تمتعها وأعمال النفط فيها بتسهيلات جغرافية طبيعية وبشرية عديدة في حدودها الإقليمية وخارجها أهمها تكليل أعمال التنقيب عن النفط في اليابسة والمياه بالنجاح في مناطق امتيازات شركة آرامكو واستمرارها في تطوير حقول النفط المنتجة الحالية واستغلال حقول النفط المؤجلة (كدن الشمالي ، وكدن الجنوبي ، شيبة ، الرملة . .) ، ويلحق بذلك استمرارها في تطوير أعمال نقل وتخزين وشحن النفط ونشاطها في مجال تكرير النفط على أرضه أو المتممة [٢٦] ، وينطبق هذا أيضاً على أقطار : دولة الإمارات العربية ودولة قطر وعمان التي توالي حرصها بواسطة وزاراتها المتخصصة ومؤسساتها النفطية الوطنية وشركات النفط الأجنبية على استمرار

تطوير مركزها الإنتاجي وموازنته بحاجة الأسواق المحلية والدولية للنفط مع وجود عنصر المنافسة العلنية أو الخفية فيما بين أقطار شبه الجزيرة في مجال الإنتاج والأسعار والتسويق ، هذا بالرغم من إنتمائها جميعاً إلى منظمتي **الأوابك** (فيما عدا عمان) **والأوبك** (فيما عدا عمان والبحرين) .

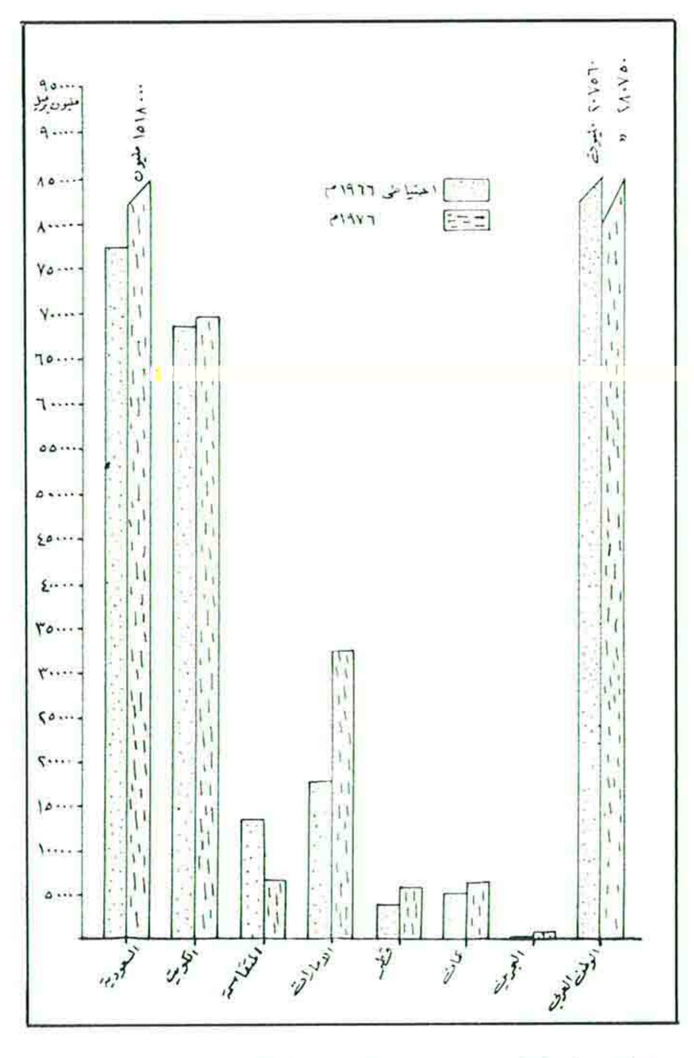


والخلاصة لهذه الدراسة الجغرافية الاقتصادية لهذا الإقليم النفطي الهام وهذا الجزء من الوطن العربي أن أراضي شرق وجنوب شرقي شبه الجزيرة العربية ، كانت مسرحاً لتردد العلاقة البرمائية خلال عمر جيولوجي طويل ابتداء من **العصر الكمبري** وحتى **عصر البلايوسين** وما بعده في **عصر الكاينزوي** الرباعي مثل عليها صراع للعلاقة بين يابسها من جهة وبين مياه بحر تشي القديم المجاور لها في الشمال والشرق بحيث كانت الحركات التكونية والبلوطونية البطيئة تقوم بدور طغيان ذلك البحر على اليابسة لفترة جيولوجية تستغرق عصراً كاملاً أو ثلثه أو أقل ، ترسبت خلالها تكوينات صخرية وحيوانية بحرية التي تأكد على أصلها لخام النفط وارتباطها بمواقع مصائده وبحيراته بحدود تلك التكوينات الصخرية البحرية في أكثر من عصر من العصور الجيولوجية المحصورة خلال ذلك العمر الجيولوجي للكرة الأرضية ، نخص منها ترسيبات عصور الجوراسي والطباشيري والباليوسين والأيوسين والمايوسين . . كذلك إن مناطق حقول النفط البحرية الحالية أو القارية كانت تمثل وما حولها أحواض أو حفر بحرية منخفضة عما يجاورها ترسبت وتجمعت فيها التكوينات البحرية بشكل خاص ومن فوقها الترسيبات الصخرية الطباقية ؛ وبعد تكوين تلك الطبقات تعود تلك المياه فتنحسر عن اليابسة خلال رحلة بطيئة نحو الشرق والشمال تستغرق عصراً جيولوجياً أو أقل أو أكثر معرضة بذلك تكوينات وترسيبات ذلك البحر الجيولوجي لأعمال ونشاط العوامل الجيومورفية الظاهرية فتنحتها تماماً وتخفي معالمها أو تبقى على قدر منها لتستقبل من فوقها ترسيبات البحار التالية ومن بينها تكوينات ومصائد نفطية فتحت بوجودها واستغلالها الشهرة الإنتاجية الحديثة والمعاصرة لأقطار هذا الإقليم النفطي مع آمال طموحة لكشوفات نفطية غنية في الأقطار غير النفطية التابعة لشبه الجزيرة العربية هذا خاصة في كل من جمهوريتي اليمن الشمالية والديمقراطية .

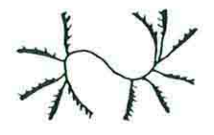
إن هذا الإقليم النفطي هو الثالث بين مناطق إنتاج النفط العربي من حيث تاريخ بدء إنتاجه النفطي إذ جاء ترتيبه بعد مصر (١٩١٢ م) ، والعراق (١٩٢٨) ، وفيه اكتشف النفط في سنة ١٩٣٢ م ، وفي دولة البحرين تلاها كل من المملكة العربية السعودية فالكويت فالمتقاسمة فقطر فالإمارات العربية المتحدة ، ثم عمان مع تمايز فيما بينها في كمية الإنتاج ونوعه وعدد حقوله ونوعها والفائض من إنتاجها الذي تدخل به التجارة الدولية للنفط وبالتالي ثقلها الدولي في عالم النفط ، كذلك ما تتمتع به من احتياطي منح لكل قطر عمر تقديري لاستمرار إنتاجها يتراوح ما بين ١٢ سنة في البحرين و ١٤ سنة في دولة الإمارات (أبوظبي) ، وفي إجمالي إنتاجها من النفط تمنح شبه الجزيرة العربية الأولوية العالمية اللامنافسة في إنتاجه وكذلك بين المجموعات العربية النفطية الأخرى هي :

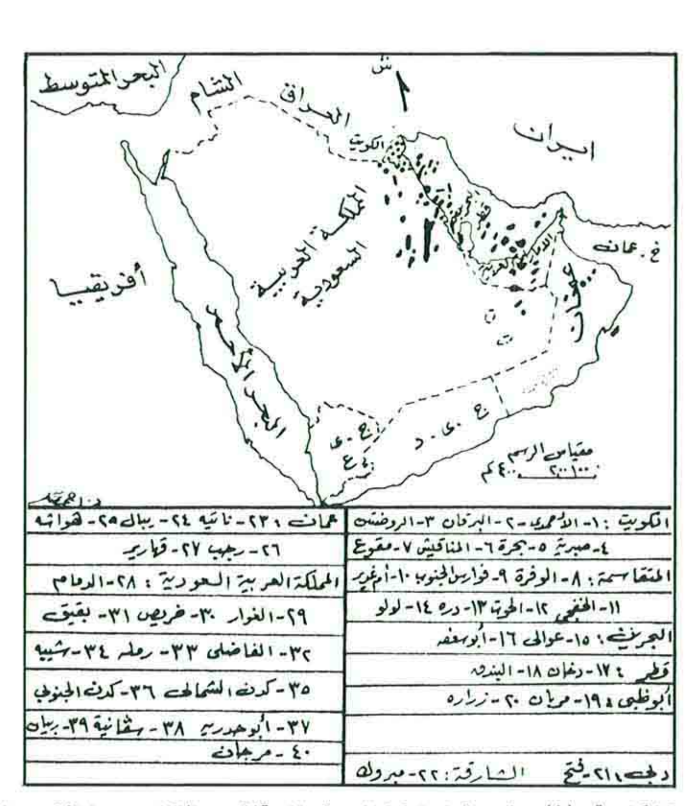
أقطار العراق وبلاد الشام ، أقطار شرق وشمالي شرق إفريقيا ، أقطار شمال وشمالي غرب إفريقيا وتأكيد هذه الأولوية (مع ثبوت الظروف النفطية المالية) على مدى خمسين سنة قادمة يدعمها احتياطيها الأول من نوعه بالإضافة إلى توقعات مضمونة لاكتشافات نفطية جديدة في كافة هذه الأقطار الستة والمتقاسمة أو انضمام أقطار إليها غير نفطية حالياً كاليمن الشمالي واليمن الديمقراطي وإمارات الفجيرة ورأس الخيمة وعجمان ، ومن أهم الحقائق النفطية في هذه الأقطار أنها في مجموعها تمثل رأي موحد في معظم مؤتمرات النفط العالمية والإقليمية حتى أصبحت ذات نفوذ اقتصادي وسياسي عربي وإسلامي وعالمي ، هذا خاصة في **منظمتي الأوابك والأوبك** وفي **رابطة العالم الإسلامي وجامعة الدول العربية** .

وبهذه الخلاصة وما سبقها من معلومات في متن صفحات هذه الدراسة يرجو الباحث أن يكون قد صنع بعض من حاجات المعرفة عن (الخريطة النفطية لأقطار شبه الجزيرة العربية) ، كما يرجو أن يتلقى أي نقد بناء لهذه الدراسة لعلها وغيرها تصلح من أخطائها . . . والله تعالى ولي التوفيق .



الشكل رقم (٨) تطور احتياطي النفط في أقطار شبه الجزيرة العربية في سنتي ١٩٦٦ ، ١٩٧٦)بالمليون برميل) .





الشكل رقم (٩) بعض حقول النفط المنتجة والمتوقفة عن الانتاج حتى ١٩٧٨ - «الجدول ٤».

قائمة المراجع والمصادر

تشمل هذه القائمة من المراجع والمصادر التي أستعين بها في صفحات البحث وأشكاله ورسوماته :

١ ـ د. أحمد شقلية (١٩٧٧م)، تطور تكرير النفط في الوطن العربي ـ طرابلس .

٢ ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (١٩٧٦م)، العدد الخامس، التطور الجيولوجي لأراضي وسط وشرق شبه الجزيرة العربية، د. أحمد شقلية ـ الكويت ـ ص ٢٠٥ ـ ١٢٦ .

٣ ـ د. حسين صادق . الجيولوجيا، القاهرة .

٤ ـ د. محمد عبده يماني (١٩٧٧م)، الجيولوجيا الاقتصادية، جدة، السعودية .

٥ ـ د. محمد عبد العزيز عجمية (١٩٦٤م)، الموارد الاقتصادية ، الإسكندرية .

٦ ـ د. محمد صبحي عبد الحكيم (١٩٦٦م) موارد الثروة الاقتصادية، الجزء الثاني، القاهرة .

٧ ـ د. محمد صبحي عبد الحكيم وزملائه (١٩٦٦م)، الموارد الاقتصادية في الوطن العربي، القاهرة .

٨ ـ د. [illegible]

1- EUROPA PUBLICATIONS (1977), THE Middle East, London .
2- J. MALCOIM WAGSTAFF & FELLOWS' (1976), The Middle East, London.
3- JOHN PERCIVAS (1976) Oil Wealth London.
4- PETROMIN (1968) , Progress, Report 1968, Riyadh.
5- SIR READER BULLARD (1961) The Middle East London.

الهوامش

(١) السائل الايدروكربوني خليط معقد من الهيدروجين والبرافين والكربون بنسب مختلفة من سائل ايدروكربوني آخر .

(٢) د. محمد عبده يماني ـ الجيولوجيا الاقتصادية والثروة المعدنية في المملكة العربية السعودية، جدة ـ ص ١٦٦ ـ ١٦٧ مع تعديل من الباحث .

(٣) يقصد بالشوائب النفطية تكوينات : الكبريت، النيتروجين، الفوسفور، الماء، الطين .

(٤) د. شفيق علي الخشن (١٩٦٥م)، ص ١٢١ .

(٥) لقد تأكد مفهوم الغلاف الصخري للأرض بأنه يشمل على النطاقات الثلاثة الخارجية أو المتصلة للكرة الأرضية وهي : السالسيما والسيال ثم السيما (من أعلى إلى أسفل) .

(٦) اعتبرت إمارات الشارقة وأم القوين ودبي وأبوظبي كمنتجة للنفط قطر واحد، لأنها تقع ضمن مفهوم دولة الإمارات العربية المتحدة .

(٧) كتلة استراليا، الدكن، البرازيل، لبرادور . . . الخ .

(٨) تعزى حركات طغيان المياه البحرية على اليابسة المجاورة إما إلى تعرض تلك اليابسة إلى حركة خفض تكوينية بطيئة تؤدي إلى انخفاضها إلى مستوى (نقطة المقارنة) أو أدنى منها ، أو أن يتعرض يابس قاع البحر المجاور لحركة رفع رأسية بطيئة ينتج عنها ارتفاع مستوى قاع ومياه البحر عن (نقطة المقارنة) وتطغى في كلتا الحالتين ومن أي كان سببها على اليابسة، ويحدث العكس في حالة انحسارها .

(٩) تكوينات كيماوية من مخلفات تبخر مسطحات مائية في الغالب تكون مقفلة أو خلجات في مناطق مدارية حيث ينشط البخر طيلة أيام السنة المناخية، ويغلب على المتبخرات تكوينات الأملاح وتتخذ الشكل الطباقي مرتبة حسب كثافتها وقابليتها للذوبان في مياه تلك المسطحات المائية، وأهم تكويناتها الجبس، والانهدريت، ملح الصوديوم .

(١٠) للبحرين حقل بحري واحد هو حقل (أبو سعفة) الذي كان مشاركاً مع المملكة العربية السعودية، ولكن المملكة تنازلت عن نصيبها في الحقل للبحرين كمساعدة مالية للأشقاء في دولة البحرين وذلك في أوائل سنة ١٩٧٨م .

(١١) بالتفصيل في الجدول رقم ـ ٤ ـ وشكل رقم ـ ٩ .

(١٢) أول شركة للنفط تأسست في سنة ١٩١١م، بالمشاركة بين شركات بريطانية (٧٥ ٪) وألمانية (٢٥ ٪)، وعلى أثر هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، حرمت من نصيبها لتحل محلها الشركات الأمريكية والفرنسية والهولندية وليتغير اسمها إلى شركة بترول العراق .I. P. C

(١٣) جميع الشركات الأجنبية الواردة في هذا الجدول توزع ملكيتها بنسبة ٤٠ ٪ لشركاء الشركة و ٦٠ ٪ للحكومات العربية فيما عدا شركات المنطقة المتقاسمة بحيث يكون للشركة ٧٥ ٪ وللحكومة ٢٥ ٪ .

(١٤) د. أحمد شقلية (١٩٧٧م)، تطور صناعة تكرير النفط في الوطن العربي، الجدول رقم ـ ١٦ ـ طرابلس مع تصرف من الباحث .

(١٥) هناك خمس شركات للنفط لها عقود امتياز في كل من عجمان، رأس الخيمة، والفجيرة لا داعي لذكرها لأنها لم تحظ حتى الآن بالإنتاج .

(١٦) د. محمد صبحي عبد الحكيم ص ٢٧٩، مع تصرف من الباحث .

(١٧) JOHN PERCIVAL (1975), Oil Wealth, London, P.14.

(١٨) د. أحمد شقلية (١٩٧٧م)، الجدول رقم ـ ٢٠ ـ طرابلس .

(١٩) فقد بلغ إجمالي الاستهلاك اليومي في الأقطار الستة سنة ١٩٧٥م، نحو ٤٧٠٢٢٠ مليون برميل، وفي نفس التاريخ بلغ إجمالي استهلاك الوطن العربي ٥,٧ مليون برميل .

(٢٠) أعلن في شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٧٨م، عن التأكد من وجود النفط بكميات اقتصادية في منطقة الصليف في المناطق المغمورة من البحر الأحمر أمام سواحل الجمهورية العربية اليمنية، حيث تقوم شركة شل بأعمال التنقيب، وقد قدر هذا القطر أن يدخل دنيا النفط في أواخر ١٩٧٨م .

(٢١) د. أحمد شقلية، الجدول رقم ـ ١٧ ـ طرابلس .

(٢٢) هذا فيما لو تبرمج وزارات النفط فيها عمليات الإنتاج وتربطه بارتباكات الأسواق العالمية للنفط .

(—) (1) SIR READER (1961), The Middle East, London, P. 545.

(٢٣) المملكة العربية السعودية ، وزارة البترول والثروة المعدنية (١٩٧٧م)، النشرة الإحصائية ١٩٧٦م، ص ٨ .

(٢٤) مع تصرف من الباحث .

(1) EUROPA PUBLICATIONS - The Middle East and North Africa 75 - 76, (1977), London P.73.

(٢٥) يجرى الآن مد خط أنابيب لنقل خام النفط باتساع ٤٨ بوصة يمتد ما بين حقول شرق المملكة العربية السعودية وميناء ينبع النفطي، قدرة نقله اليومية نحو ٢ مليون برميل، وقد قدر له أن ينتهي في ١٩٨٠م، وذلك لتسهيل نقل النفط العربي السعودي وتحاشي ناقلاته للمسافة البحرية الطويلة أو المضايقات الملاحية في باب المندب وغيره . . . الخ .

(٢٦) يقصد بها مشاريع إقامة مصافي النفط خارج حدودها على الأراضي العربية والإسلامية والأجنبية وتسمى (المصافي المتممة) مثل مشاريعها في لبنان والسودان وماليزيا وإسبانيا .



شعر : فتحي سعيد

عادتْ إلى أحضانها الشجره
مالتْ .. بها في الليلةِ العكره
ريحُ .. بسهم الموتِ مُنحدره ..

• • •

هالتْ .. فقلبي راجفٌ خائفْ
شبحُ الخريفِ .. ببابهِ واقفْ
عيناهُ سُمِّرتا على الهاتفْ
وانسلَّ صوتٌ لاهثٌ واجفْ
وقالها : في جملةٍ مُخْتصره .. !

• • •

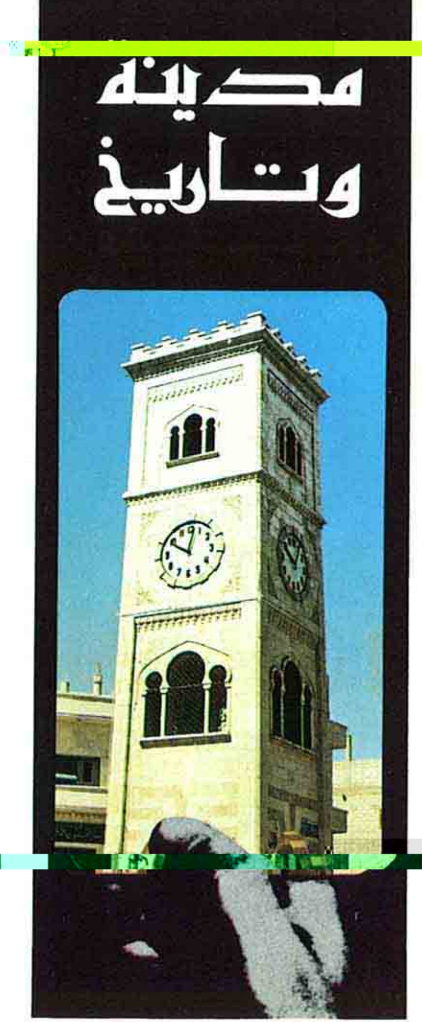
ركضتُ بين الدارِ والجارِ
طفلاً .. بغيرِ ثيابه عاري
يعدو غريباً .. بين أسوارِ
بمدينةٍ .. مجنونةِ النار ..
تعودي .. عواءَ الذئبةِ النميره . !

• • •

هبَّتْ طيورُ الحقل من وكرها
وشبَّت النحلةُ عن جذْرها
مغلوبةٌ مثلي .. على أمْرها
وأوْمأتْ للشمس في خِدْرها
فاربدَّ وجهُ القرية المُنتظِره . !

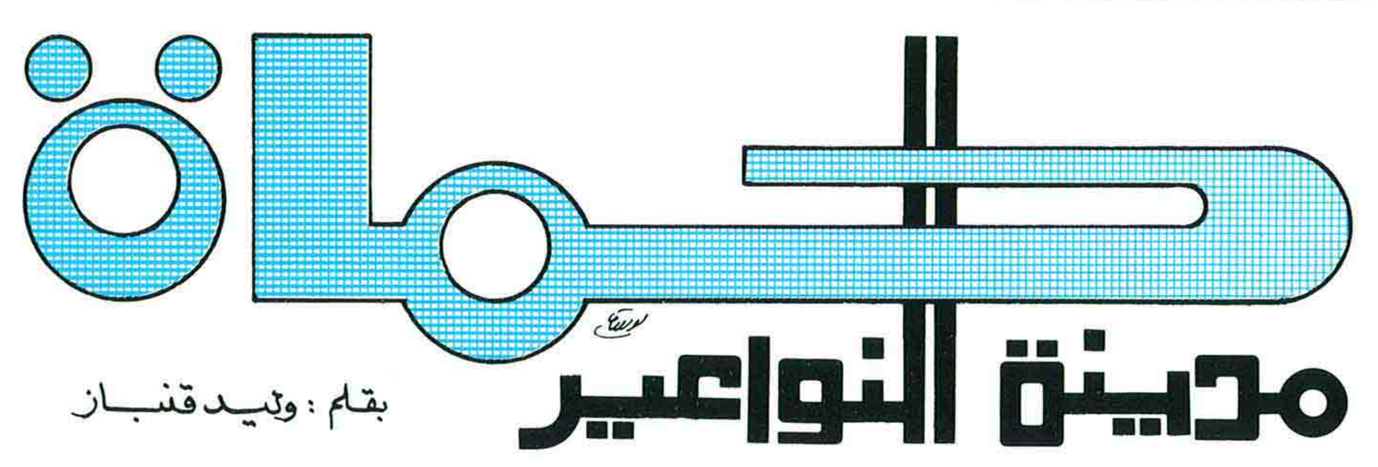
• • •

عادتْ إلى أحضانها الشجره
وجفَّ نهرُ الأعين المُنهمره ..
وعدتُ وحدي دمعةً مسْتتِره . !





★ ناعورة الباز الكيلانية وزاوية الشيخ عبد القادر الكيلاني ★

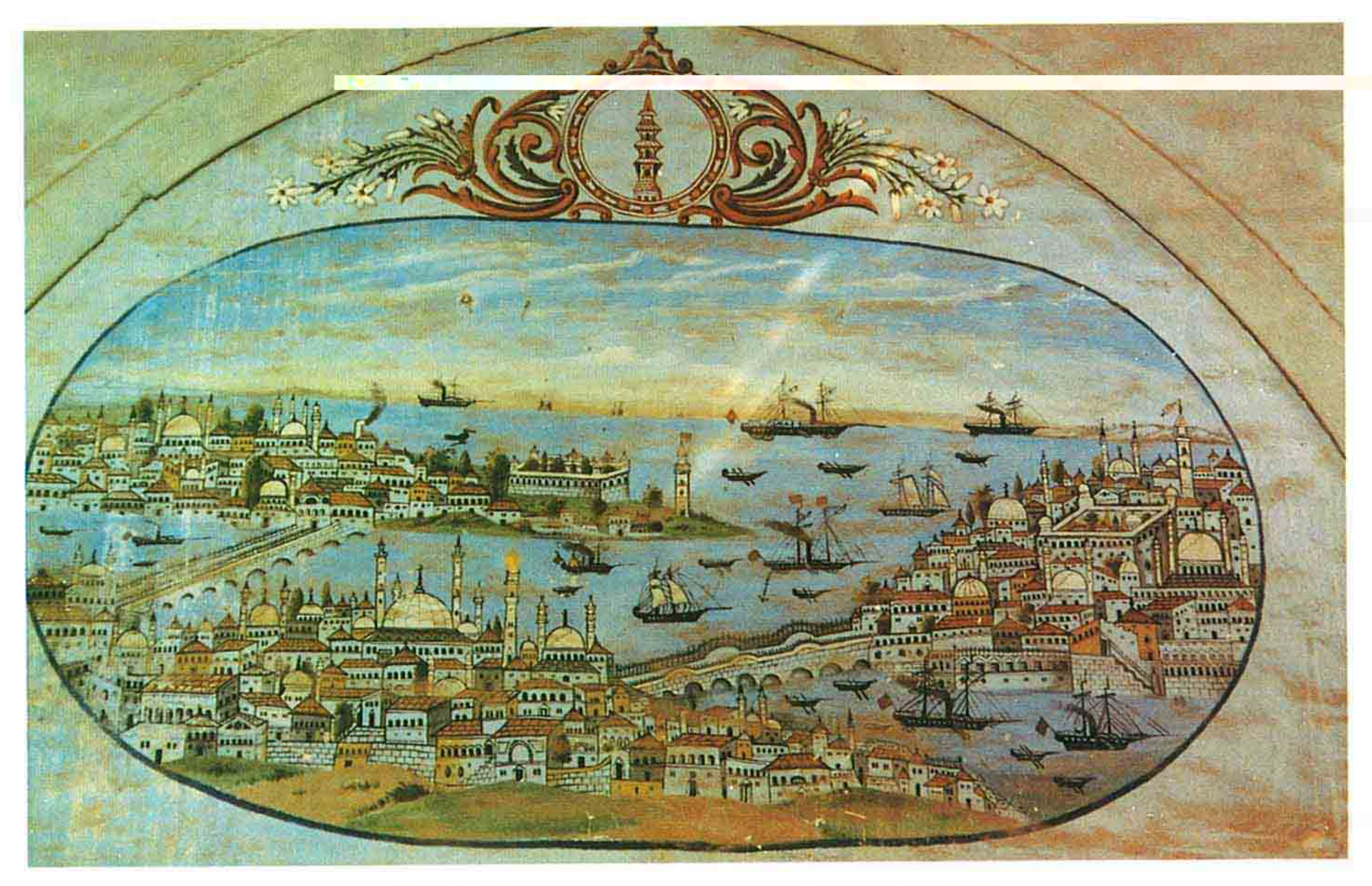


هذي حماة مدينة سحرية ... وأنا امرؤ بجمالها مسحور
يا ليت شعري ما أقول بوصفها ... وحماة شعر كلها وشعور

نعم تلك هي حماة .. المدينة الساحرة التي ذكرها الرحالة ابن سعيد الأندلسي في قوله :

« منذ خرجت من **جزيرة الأندلس** ، وطفت في بر العدوة ورأيت مدنها العظيمة **كمراكش وفاس وسلا وسبتة** ، ثم طفت في **إفريقيا** وما جاورها من **المغرب الأوسط** فرأيت **بجاية وتونس** ، ثم دخلت الديار المصرية فرأيت **الإسكندرية والقاهرة والفسطاط** ، ثم دخلت الشام **فرأيت دمشق وحلب** وما بينهما .. لم أر ما يشبه رونق الأندلس في مياهها وأشجارها إلا مدينة فاس بالمغرب الأقصى ومدينة دمشق بالشام ، **وفي حماة مسحة أندلسية** » .

ويقول **الرحالة مونمارشيه** صاحب « **الدليل الأزرق** » :



★ لوحة تمثل القسطنطينية في القرن الثامن عشر، مرسومة على جدار القاعة الكيلانية (قصر الطيارة) ★

«حماة لا يحتاج المتجول فيها إلى ركوب المركبة فضياع الوقت يكاد لا يذكر، ناهيك أن الماشي يتملى أكثر بمشاهدة الطرق والقصور والنواعير والمساجد والجسور والحمامات ...» .

قدمها ونشأتها

أثبتت التقارير التي رفعتها البعثات الأثرية من عربية وغربية، ولعل أهمها تلك الحفريات التي قامت بها **البعثة الأثرية الدانماركية** برئاسة العالم الأستاذ **«هارولد أتغولت»** . التي استمرت من عام (١٩٣٢) وحتى عام (١٩٣٨ م)، وجعلت همها التنقيب عن الطبقات المختلفة والعائدة لمختلف عصور المدينة .. فتوصلت إلى مكتشفات يعود تاريخها إلى **العصر النيوليتي**، أي إلى الألف الخامس قبل الميلاد **(العصر الحجري الحديث)**، على حين يرى باحثون آخرون بأن حماة كانت مرتعاً خصباً للإنسان الحجري القديم إذ اكتشف في **منطقة الشريعة** فك حيوان ضخم قام بدراسته **عالم المتحجرات الهولندي نورمان** فقدر عمره بـ (٧٥٠) ألف سنة، ناهيك أن هناك في سفح **منطقة المحطة** مغاور وأخاديد وحفراً سكنها الإنسان القديم .. القديم .

ومهما يكن من أمر فإن مرور نهر العاصي في منطقة حماة ووقوعها بين سلاسل من المرتفعات الجبلية هما اللذان جعلاها مكاناً للإنسان البدائي، ثم للإنسان المتحضر، والمستقر . وكان ذلك في **عهد الأموريين** الذين أرادوا مجابهة الغزوات المتلاحقة التي تتساقط عليها فاضطروا إلى بناء مدينتين إحداهما في الشمال وهي حماة والثانية في الجنوب وهي بعلبك، وذلك حوالي عام (٢١٠٠) قبل الميلاد .

أسماؤها

لحماة عدة أسماء قديمة وأخرى حديثة، فالكتب القديمة وما سجل على الأنصاب تعطينا أن **حماة تعني الحصن أو القلعة**، وفي اللغات الشرقية يسمى الحصن «حامات»، **وهناك من يقول بأن حماة اسم جاء للمدينة من اسم أول ملك آرامي حكمها ..** ثم تبدل اسمها إلى **«أبيفانيا»** وذلك في عام (٣٠١) قبل الميلاد نسبة إلى **الملك السلوقي أنطوخيوس أبيفانس الرابع .**

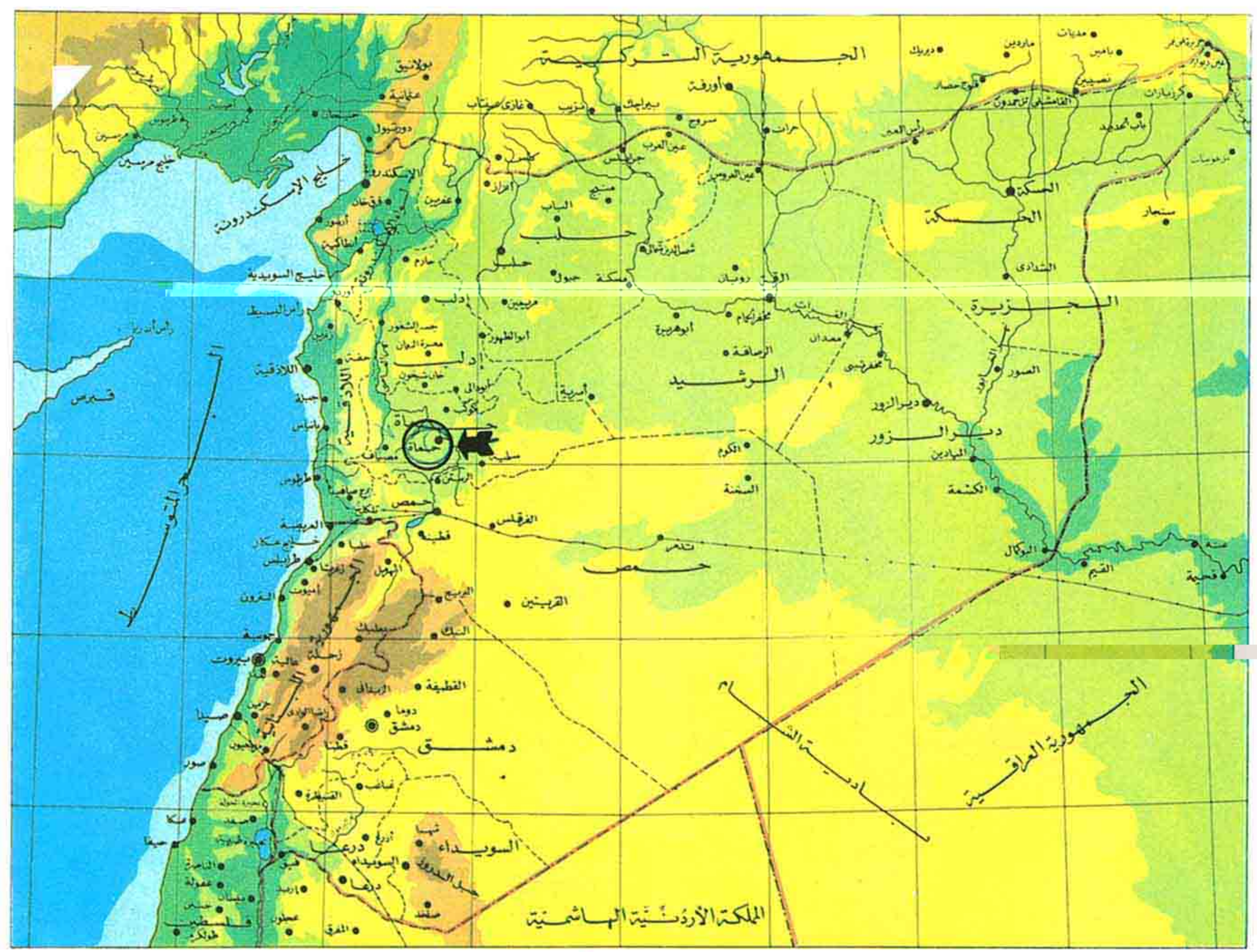
هذا في القديم، وفي العصر الحاضر تشتهر حماة باسمين آخرين هما :

● **مدينة أبي الفداء :** وأبو الفداء هو ملكها العالم المؤرخ المشهور وصاحب المختصر في أخبار البشر .

● **مدينة النواعير :** والنواعير دوائر خشبية تدور على نهر العاصي وترفع المياه إلى الأعالي وهي كثيرة في المدينة وضواحيها .

جغرافيتها

تقع حماة في **شمال سورية** ضمن خط العرض (٣٥,٠٧) شمالاً، وخط الطول (٣٦,٤٤) شرقاً، وهي تبعد شمالاً عن **دمشق** (٢١٠) كم، وعن **حمص** (٤٠) كم، وتبعد جنوباً عن **حلب** (١٦٥) كم، وعن **اللاذقية** غرباً (١٥٠)كم، ونهر العاصي الذي ينبع من سفوح جبال لبنان يمر بعد مدينة الرستن في واد عميق ضيق مكون من صخور كلسية قاسية ويستمر في ذلك ماراً بمدينة حماة حتى يجتاز **مدينة شيزر التاريخية**، وهذا الخانق هو الذي ساعد على بناء سدي الرستن ومحردة من جانب، ودعا الحمويين لابتكار النواعير من جانب آخر ...



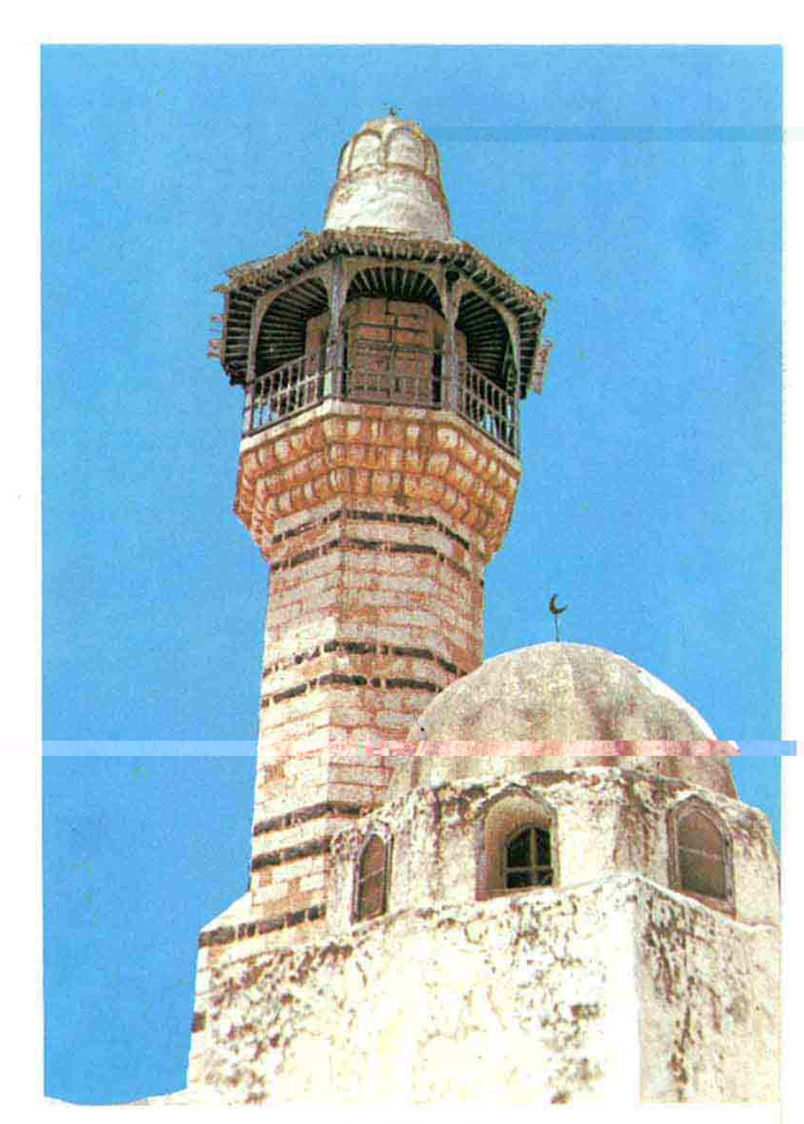
★ موقع حماة على خريطة سورية ★

وحماة تترامى على زنود وادي العاصي الذي يشطرها إلى قسمين الأول هو الحاضر ويقع شرقي العاصي وشماله ، والثاني هو السوق ويقع غربي العاصي وجنوبه ، كما أن بيوت المدينة تتناثر على ضفتي العاصي وتتسلق المرتفعات فإذا هناك مسافة تقارب الـ (١٥٠) م ، بين أخفض نقطة وأعلى منطقة . . . مع الاشارة إلى أن المدينة نفسها ترتفع وسطياً (٣٠٨) أمتار عن سطح البحر ، وهناك سلسلة من المرتفعات الجبلية تحيط بها ، خاصة في المناطق الشمالية والشرقية والجنوبية ، وفي وسطها تقوم القلعة التي لها أهمية أثرية بالغة لأنها تحتوي على آثار عصور ما قبل التاريخ ، بالإضافة إلى أنك ترى من ذروتها حماة القديمة وطبيعتها الغافية بكل ما فيها من فتنة وألق . . ويجدر بنا أن نذكر أن الشريط الأخضر الذي يواكب مسيرة العاصي في المدينة قد أخذ يتناقص ويتقلص ليحل محله العمران الحديث ، مما يحرمها ذلك الجمال الطبيعي الذي يهرع إليه سكانها الذين زاد عددهم على (٢٠٠) ألف نسمة مع نهاية عام (١٩٧٨ م) .

حماة عبر التاريخ

كم من قبائل حطت فيك عابرة
وأنت خالدة في مدرج الزمن
حتى إذا جاءك الإسلام مؤتلقاً
عانقته كعناق الروح للبدن

فلقد عرفت حماة في غابر العهود الإنسان الحجري ، ومع مرور الزمن توسعت وامتدت وأضحت ذات مركز هام جذب إليها الطامعين من كل حدب وصوب ، وقد دلت الحفريات التي تمت في قلعتها الأثرية على وجود أسس لبيوت مستطيلة الشكل يعود تاريخها إلى الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد . . . وإن من يقرأ سطور الآثار الحموية يقرأ التاريخ ويقف مندهشاً لكثرة الدول والحضارات التي تعاقبت عليها . . إذ أنها خضعت لحكم **العمالقة** وهم من قدماء العرب (أهل شمالي الحجاز) فترة من الزمن ، ثم هزمهم **الأموريون** في عام (٢٦٠٠) قبل الميلاد ، ثم جاءها **السومريون** ومن بعدهم **الأكاديون** حتى أواخر القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد ، وفي عام (٢٠٠٠) قبل الميلاد سيطر عليها **الحثيون** الذين تآخوا مع الأموريين وتفاهموا وحافظوا معاً على استقلالها فازدهرت ازدهاراً كبيراً ما لبث أن توقف في عام (١٧٥٠) قبل الميلاد ، لاجتياح **الهكسوس** لها بعد اجتياحهم مصر ، وبقت حماة خاضعة لهم حتى عام (١٥٨٠) قبل الميلاد ، ثم عادت إلى الازدهار ثانية واستمرت على ذلك حتى عام (١١٠٠) قبل الميلاد ، حيث استولى عليها **الآراميون** ، فتابعت تطورها وازدهارها ، وقد دلت المكتشفات العائدة لهذه الفترة في تنوعها وغزارتها على المدى الذي وصلت إليه حماة في تطورها الحضاري ، ثم خضعت المنطقة لغزوات **الآشوريين** بدءاً من عام (٨٥٤) قبل الميلاد ، ولم يستطيعوا اخضاعها والاستيلاء عليها إلا في عام (٧٢٠) قبل الميلاد ، حيث أعملوا فيها يد الحرق والهدم وأجبروا سكانها على الرحيل وتعرف هذه المعركة تاريخياً باسم **معركة قرقر الثانية** .. وحين تهاوت أركان الآشوريين على يد **الكلدانيين** اهتبل **فرعون مصر نخو الثاني بن بسماتيك** (٦٠٧) قبل الميلاد ، الفرصة فاستولى على سورية ومن ضمنها مدينة حماة ، لكن الكلدانيين أعادوها عام (٦٠٤) قبل الميلاد ، وحكمها **نبوخذ نصر** ، ثم انهار حكم الكلدانيين واستولى **كورش**



★ مسجد أبي الفداء ★

★ مئذنة الجامع الكبير الجديدة ★

الفارسي على ممتلكاتها كافة ومنها حماة بعد أن أعمل فيها يد الحرق ، وبعد اجتياز **الإسكندر المقدوني** الأناضول وتغلبه على الفرس بعد **معركة إيسوس** عام (٣٣١) قبل الميلاد ، دخلت حماة تحت نفوذه ، وبعد وفاته كانت من نصيب القائد **سلوكوس نيكاتور** عام (٣٠١) قبل الميلاد . . واستمرت تحت سيطرة خلفائه **الهلنستيين** فترة لا بأس بها استطاعت خلالها استعادة شيء من ازدهارها السابق .

وفي هذه الفترة تطورت الزراعة وفنون السقاية والري ، وتمكن سكان حماة من ابتكار أسلوب فريد في فن ضخ الماء من نهر العاصي ، بواسطة دواليب خشبية كبرى تدور بقوة تيار الماء أطلق عليها اسم « **النواعير** » ، وقد أصبحت من مميزات المدينة وما تزال حتى عصرنا الحاضر .

وتمر الأيام إلى أن كان عام (٦٤) قبل الميلاد ، حين دخلت حماة مع بقية المناطق تحت **الحكم الروماني** وظلت على هذه الحال إلى أن **أشرق نور الإسلام** على ربوعها .

ومن الجدير بالذكر أن **العرب في الجاهلية** عرفوا حماة وذكروها في بعض أشعارهم ، وها هوذا امرؤ القيس يعرج عليها وعلى شيزر حين قصد إمبراطور الروم طالباً المعونة ويقول :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما
نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا
تقطع أسباب اللبانة والهوى
عشية جاوزنا حماة فشيزرا

ومع عام (١٧ هـ) - (٦٣٨ م) ، تدفقت عليها جحافل **الفتح الإسلامي** وجيوشه ففتحت صلحاً على يد **الصحابي الجليل أبي عبيدة عامر بن الجراح** .

وقد جعل **الخلفاء الراشدون** حماة من أعمال جند حمص ، واستمرت كذلك في **عهد الأمويين** وحين انتقلت الخلافة إلى العباسيين عام (١٣٢ هـ) - (٧٥٠ م) ، أصاب بلاد الشام نوع من الفتور لانتقال مركز الحكم من دمشق إلى بغداد ، وأضحت بعيدة عن نظر الخلفاء الذين قل اكتراثهم بها ، وتركوا حكمها لعمالهم فتدهور شأنها .

وفي القرنين الثاني والثالث الهجريين اشتركت مع حمص في الفتن والحروب الأهلية الناجمة عن تأجج نار العصبيات بين **القيسيين واليمانيين** ، وقاست من **الطولونيين** مدة . . ثم دخلت في ظل حكم **سيف الدولة الحمداني** وتبعت مدينة حلب وذلك في منتصف القرن الرابع الهجري . . . وتوالى عليها الولاة والحكام



★ حي الكيلانية الأثري ★

فأصبحت مركزاً لولاية يتبعها عدد من المناطق والمدن المحيطة تختلف باختلاف الظروف والأحداث والولاة أنفسهم ، غير أنها حافظت على مكانتها كمركز للتبادل التجاري مع الداخل ، كما ازدادت أسواقها وتوسعت أحياؤها بشكل ملحوظ . . على أنها وصلت إلى ذروة العطاء والتقدم والعمران في عهد **الملك نور الدين محمود** ابن عماد الدين **زنكي** الذي حدث في زمنه زلزال عظيم عام (٥٥٢ هـ) - (١١٥٧ م) . . سمي بـ (**الزلزلة الحموية**) ، ونجم عنه خراب معظم أبنية المدينة وأسواقها وأحيائها ، فأعاد نور الدين بناء معظم ما تهدم كما أعاد بناء أسوار القلعة والمدينة وبنى فيها الجامع والمستشفى المعروفين باسمه .

ولقد اجتاحت **الجيوش الصليبية** خلال حملاتها العديدة مختلف مدن سورية وفلسطين ، غير أن حماة وقفت سداً منيعاً تجاه الغزاة الصليبيين فلم يستطيعوا دخولها .

وفي عام (٥٧٢ هـ) - (١١٧٧ م) ، استحوذ عليها **السلطان صلاح الدين الأيوبي** وقد ولى عليها ابن أخته «**تقي الدين عمر**» وأصبحت منذ ذلك التاريخ مركزاً لإمارة أيوبية ، وسادها استقرار وازدهار ملحوظان كما لعبت دوراً هاماً في تاريخ العصور الوسطى للمنطقة ، ومن أبرز من تولاها **الملك العالم والمؤرخ الجغرافي الشهير أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين علي بن محمود بن المنصور الأيوبي** ، وذلك في عام (٧١٠ هـ) - (١٣١٠ م) ، وقد خلدها في كتبه ومؤلفاته الكبيرة ، وبقي فيها إلى أن توفي عام (٧٣٢ هـ) - (١٣٣١ م) ، ودفن فيها ، وأصبحت تقترن باسمه وتعرف - كما قدمت - باسم «**مدينة أبي الفداء**» .

ودخلت حماة من بعد في حوزة **المماليك** فنالت في عهدهم حظاً موفوراً من العمران قضى على بعضه **هولاكو** في القرن السابع الهجري وعلى جله **تيمورلنك** في أوائل القرن التاسع الهجري . . . وفي عام (٩٢٢ هـ) - (١٥١٦ م) ، دخلت في **حكم العثمانيين** وصار يتولاها المتسلمون والولاة الذين يوظفهم ولاة طرابلس أو دمشق حسبما تكون حماة مرتبطة بهذه أو بتلك ، فنالها ما نال القطر السوري كله من الاهمال وسوء التدبير ، ففقدت أهميتها وتناقص عدد سكانها كما أصبحت في القرن الثامن عشر الميلادي تحت سيطرة البدو .

وحين تحررت البلاد السورية من الحكم العثماني نعمت حماة كشقيقاتها بالحرية ، لكن ذاك العهد لم يطل ، فدخلتها أرتال **الجيش الفرنسي** عام (١٩٢٠ م) ، وعانت خلال ستة وعشرين عاماً من الأهوال والويلات ما تشيب لهوله الولدان ، وكان لها في كل ثورة وكل انتفاضة وكل معركة الدور المشرف والعطاء السخي إذ قدمت عشرات الشهداء والتضحيات ووقف رجالها ونساؤها وقفة عملاقة ولعبوا دوراً هاماً في مقاومة الاحتلال ، حتى تم جلاء آخر جندي محتل عن البلاد في الساعة التاسعة من صباح الخامس عشر من نيسان عام (١٩٤٦ م) ، وجرى الاحتفال



★ ناعورة المأمورية ، أضخم نواعير حماة وشلالات العاصي ★

الرسمي صباح السابع عشر من شهر نيسان (١٩٤٦ م) ، بعيد **الجلاء** ، واعتبر عيداً رسمياً للجمهورية العربية السورية .. وسارت حماة من جديد مع أخواتها لتسطير صفحة جديدة ناصعة من صفحات الاستقلال الوطني والتقدم نحو السيادة والمجد والحرية .

سورها وأبوابها

بُني سور حماة الكبير في زمن **الإمبراطور انستاسيوس الأول** (٤٩١ ـ ٥١٨ م) ، وفي أول سنتين من حكمه ، لكنه تهدم بفعل الزلزلة الحموية من جانب وعاديات الزمن من جانب ثان ، وهجمات الغزاة وعمليات الهدم من جانب ثالث ، وأخيراً لم يبق منه الآن سوى أمتار معدودة في منطقة الشرفة وقد بُني بجواره مسجد واتخذ من حائط السور جداراً استنادياً له ، وهذه البقية مكونة من أحجار كبيرة تدعمها روابط من الأعمدة ، وهناك كتابة باقية .

ومن المعروف أن نور الدين محمود زنكي هو الذي جدد السور بعد زلزال عام (٥٥٢ هـ) ـ (١١٥٧ م) ، وكتب التاريخ تذكر أن لهذا السور **عشرة أبواب** هي : الغربي ـ المغار ـ النهر ـ القبلي ـ العميان ـ العدة ـ الجسر ـ حمص ـ النصر ـ النقفي . . .

وحين امتد عمران المدينة في حي السوق أقيمت **أربعة أبواب** جديدة هي : العرس ـ دمشق ـ طرابلس ـ البلد . . . على امتداد السور ، **والآن لم يبق من هذه الأبواب سوى أسمائها** ، فهناك أحياء **باب النهر وباب القبلي وباب الجسر وباب طرابلس ..** وليس فيها أي أثر للأبواب .. ولقد كان **باب البلد** آخر الأبواب حيث زالت معالمه في عام (١٩٦٠ م) .

أوابدها الأثرية

أنّى مشيت فللقصور طلاقة
أو أين سرت فللمساجد نور
وبكل مشذنة نداء خالد
يسمو به التهليل والتكبير



★ ناعورة الدهشة التاريخية ★

وتلك حقيقة ، فما من ركن في حماة أو زاوية أو منعطف إلا وتصافح نظراتك آبدة أثرية تتحدث عن الماضي والتاريخ بلسان طلق مبين ، فلقد خلفت الحضارات التي توالت على حماة آثاراً متعددة خالدة هي حلقة اتصال الماضي البعيد بالحاضر القريب ، وسلسلة تترابط فيها المدنيات منذ نشأتها الأولى حتى يومنا هذا .

ومن البدهي أنه لا يمكن سرد الأوابد جميعاً ، ولكن سنعمد إلى ذكر البارز منها موجزين غير مفصلين .

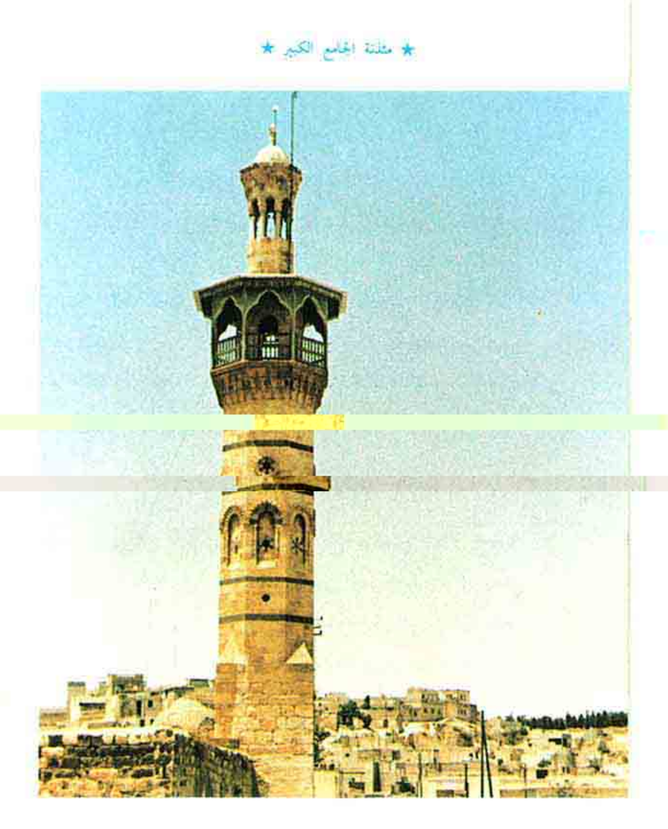
ا - المساجد والزوايا والتكايا

يتناثر في جنبات مدينة حماة / ٧٦ / مسجداً وزاوية وتكية بعضها يرقى إلى القرن الأول الهجري وبعضها الآخر وليد هذه الأيام ، ولعل **الجامع الكبير** يقف في مقدمتها ، وهو يقع في حي المدينة وفيه تظهر آثار ثلاث مدنيات كبرى متغايرة في اللغة والعنصر والدين وهي **اليونان والرومان والعرب المسلمون** ، فقد كان لليونانيين معبداً وثنياً ثم كاتدرائية كبرى للرومان البيزنطيين فجامعاً إسلامياً في عام (١٧ هـ) - (٦٣٨ م) ، ومن آثاره الكتابة اليونانية المسطرة باثني عشر سطراً على الجدار الغربي من الحرم **والمئذنة الجنوبية** بشكلها المربع وكتابتها الكوفية ، **والمئذنة الشمالية** بشكلها المثمن **وقبة بيت المال** (الخزنة) المشيدة على ثمانية أعمدة ذات تيجان يونانية ، وأهم المعالم فيه **المنبر الخشبي** المصنوع من قبل زين الدين كتبغا في سنة (٧٠١ هـ) - (١٣٠١ م) ، وهو آية في الروعة والجمال من حيث حفره ونقشه وتطعيمه بالصدف الدقيق الناصع المجزأ إلى أشكال هندسية دقيقة جداً . . وكذلك تابوتا ملكي حماة المنصور الثاني محمد (٦٩٣ هـ) - (١٢٩٤ م) وابنه المظفر الثالث محمود (٦٩٨ هـ) - (١٢٩٨ م) ، وهما مصنوعان من خشب الأبنوس والنافر الحفر بأشكاله الهندسية وزخارفه النباتية .

وثاني المساجد الأثرية هو **الجامع النوري** الذي شيد مع المستشفى القائم بجنوبه مقابل **حي الكيلانية** وعلى الضفة الغربية للعاصي من قبل نور الدين زنكي سنة (٥٥٧ هـ) - (١١٢٩ م) ، على أنقاض معبد وثني قديم ، ويحتوي حرمه على منبر أثري من الخشب المنقوش وتعد زخرفته آية في الروعة والإبداع ، وأما مئذنته السامقة فتتميز بشكلها المربع ، وتتناوب في بنائها مداميك الحجارة السوداء والبيضاء

★ ناعورة الظاهرية ★

★ مئذنة الجامع الكبير ★





★ قناطر نواعير البشريات ★

★ ناعورة المحمدية ★

★ مئذنة جامع النوري ★





★ منطقة باب النهر ★

محدثة أشكالا هندسية أخاذة ، وتأتي **قبابه الخمس** لتتمم روعة هذا الجامع فهي كبيرة ومختلفة في الشكل والحجم ، ويوجد على جداره الشمالي ثلاث كتابات أثرية هامة أولاها باليونانية وتشيد بعظمة سكان المدينة وابائهم وصلابتهم ضد المتسلطين الرومان ، والثانية بالعربية منقوشة ضمن لوحة مزخرفة بديعة فيها اسم الباني وتاريخ البناء ، والثالثة بالعربية أيضاً ، ويبدو أن **الجامع كان مركزاً تقام فيه الحلقات العلمية من قبل طلاب منقطعين للدرس ينفق عليهم من أوقاف المدينة .**

وثالث هذه المساجد هو **جامع أبي الفداء** في محلة **باب الجسر** وعلى الضفة الشمالية من نهر العاصي وفي موقع سياحي رائع جداً ، ولقد بناه الملك العالم أبو الفداء عام (٧٢٦ هـ) - (١٣٢٥ م) ، وتزين وجهة الحرم ومحرابه فسيفساء صدفية بأشكال زخرفية هندسية بديعة ، وهناك عضادة رخامية مزدوجة بين النافذتين الشرقيتين تتشابك في زواياها الأربع **أفاع ثمان** تشكل بالتفافها تضفيراً جميلاً رائعاً ، ولهذا أطلقت العامة على المسجد اسم **(جامع الحيات)** .. وفي صحن الجامع مئذنة ، وغرفة سقفها قبة مضلعة تضم بداخلها ضريح الملك العالم وباني المسجد أبي الفداء .

ومن المساجد التي تستحق الذكر «**جامع الحسنين**» الذي يقع تحت القلعة من الجنوب وقد بني في القرن الرابع الهجري ، ثم جرى تجديده من قبل نور الدين زنكي بعد حادثة الزلزلة الحموية ، وفيه **قبتان رائعتان** واحدة تعود إلى البناء القديم والثانية إلى عهد تجديده ، وفي الجانب الشرقي منه قبة تضم ضريحاً منسوباً للنبي يونس .

وأكتفي بهذه المساجد الأربعة لألقي نظرة على الزوايا وهي لا تتعدى أصابع اليدين ، وأرى أن أتحدث عن **الزاوية الكيلانية فهي أبرزها وأروعها** ، بل هي من معالم حماة الكبرى ، وتقع شرقي الجامع النوري على ضفة العاصي الشرقية ، وبجانبها **ناعورة الباز** (الكيلانية) نسبة للشيخ **عبد القادر الكيلاني** ، ولقد باشر ببنائها **سيف الدين يحيى الكيلاني** عام (٦٩٠ هـ) - (١٢٩٠ م) ، بجانب بيته وجعل بينهما باباً يؤمن له الدخول المباشر من بيته إلى المسجد لأداء الصلاة ، وتابع البناء من بعده **شمس الدين محمد** وولده **علاء الدين** .. وفي عام (١١١٨ هـ) - (١٧٠٥ م) ، طور طراز بنائها الشيخ **ياسين الكيلاني** فأضاف القسم الذي يقع فيه المنبر والمحراب ، وبدل قباب الزاوية بأن جعل قبة الوسط الكبيرة ترتكز على ثلاث قباب حولها ، وبهذا تمكن من الاستغناء عن الأعمدة في صحن المسجد . . . ولعل من الجدير بالذكر أن أساسات الزاوية ضمن مياه النهر ، ولقد لجأ العمال إلى وضع العديد من الأوتاد الخشبية والمساند المصنوعة من القش والتبن والأحجار الضخمة كسد يدفع مياه النهر عن الأسس المحفورة لكي تحمل هذا البناء الشامخ الضخم . . . وتتميز هذه الزاوية بالإضافة إلى قبابها بالنقوش والزخارف التي تتوزع على الواجهة الجنوبية والتي هي من الروعة والاتقان بموضع كبير .

وأرى لزاماً علي أن أعرج على **التكية الهدائية** لأعطي صورة عن معاهد العلم في مدينة حماة .. فقد أوقف البناء السيد **محمد أبو الهدى الصيادي** ووضع حجر الأساس عام (١٣٢٥ هـ) - (١٩٠٦ م) ، وبدأ البناء في العام نفسه ، وما يزال يضاف إليه منشآت جديدة في كل عام ويتميز بقبته السامقة والمرتكزة على أقواس حجرية أربعة ، وهي منحوتة من الداخل بشكل رائع ، أما المنبر والمحراب فهما من الرخام الأبيض المحفور الذي نقشت فيه زخارف وكتبت آيات من **القرآن الكريم** بخط ممتاز في واجهة المحراب .. والبناء مربع الشكل (٢٥ × ٢٥) م ، وفي شمال التكية باحة واسعة وضمنها **حديقة** وعلى جوانب هذه الباحة تتناثر غرف **معهد الروضة الهدائية الشرعي** ومهاجع النوم والمطعم والمطبخ وغرف الإدارة ، وهذا المعهد يضم (٢٤٠) طالباً لهذا العام يدرسون العلوم الشرعية والعربية على مدى خمس سنوات ينالون بعدها وثيقة النجاح التي تخولهم دخول الكليات التابعة لجامعة الأزهر في القاهرة ، **وإدارة المعهد تأمل أن تفتح جامعات المملكة العربية السعودية أبوابها أمام طلابه أسوة بالجامع الأزهر لمتابعة دراستهم وتخصصهم في العلوم الشرعية والعربية .**

ب - القصور

كانت في الماضي أكثر من أن تحصى ، ولقد أطنب الرحالة والمؤرخون في وصفها وتعداد أسمائها ، ولقد سلم لنا منها اثنان :

● أولهما : **قصر العظم** ، وقد بناه **أسعد باشا العظم** أثناء توليه متسلمية حماة عام (١١٥٣ هـ) - (١٧٤٠ م) ، وتابع البناء والتوسيع من بعده **نصوح باشا العظم** وابنه **أحمد مؤيد العظم** ، وأضاف إليه **الحمام (المؤيدية)** ، والحق به البناة البساتين الجميلة وأجروا الماء من **ناعورتي المأمورية والجعبرية** إلى كل ساحة من ساحاته الكبرى وإلى بحيراته الجميلة وبركه البديعة ، وتركه هؤلاء الثلاثة لأولادهم وأحفادهم فسكنوه حتى عام (١٣٣٩ هـ) - (١٩٢٠ م) ، إذ اشترته **جمعية دار العلم والتربية** وجعلت منه معهداً للدراسة تخرج فيه عبر نيف وثلاثين عاماً خيرة أبناء المدينة علماً وأخلاقاً وعقيدة ، وفي عام (١٣٧٦ هـ) - (١٩٥٦ م) ، تم استملاكه من قبل **المديرية العامة للآثار والمتاحف** وحول إلى **متحف إقليمي لمدينة حماة** وما يزال .. هذا القصر تحفة نادرة ونموذجاً صادقاً للطراز العربي في فن البناء وزخرفته ، فقد تجمع لبنائه كل مبدع وفنان فجاء آية في الروعة والجمال ، وفيه من ميزات الفن البنائي ما لا يوجد في غيره ، بالإضافة إلى أنه يقع في أجمل المواقع الأثرية والطبيعية من مدينة حماة ، ولعل أجمل ما في القصر قاعته الكبرى **(قاعة الذهب)** ، وهي من أجمل القاعات الأثرية إن لم تكن أجملها في الشرق العربي من حيث زخارفها ونواحي الإبداع فيها . . . فهنا تتجلى لطائف من النحت ودقائقه وخيوطه الزخرفية ، وهناك يتجلى أسلوب التناظر والتنوع جلياً سواء في الأبواب والنوافذ والكوى العلوية أو في رصف الرخام والحجارة الملونة .. وأما داخل القاعة فهو مثار الدهشة والاعجاب في العتبة والقبة والفسقية وفي الغرف الملحقة بها وفي **الشمسيات الجصية المخرمة الملونة** وكسوتها الخشبية الملونة الذهبية **وثرياتها وقناديلها الخشبية الفريدة وقبتها السامقة ومقرنصاتها ومتدلياتها الحجرية البديعة** وأسلوب التناظر والتنوع في بنائها .

● وثانيهما : **قصر الطيارة الكيلانية** وقد بناه الشيخ **ياسين الكيلاني** عام (١١٢٨ هـ) - (١٧١٦ م) ، وهو يعد من أجمل القصور التي شيدت في العهد العثماني ، وما تزال زخارفه ونقوشه ساحرة تأخذ بالألباب وتستولي على مجامع القلوب على الرغم من مرور فترة ليست قصيرة على إنشائه كقصر لاستقبال الضيوف .. ويتألف من عدة أقسام أبرزها الجناح الشمالي حيث قاعة استقبال كبرى وغرفة طعام وغرفة نوم ورواق أمامي ، وهذه القاعة هي أهم هذه الأقسام وأعظمها شأناً بواجهتها الخارجية البديعة والرصف البديع لأرض العتبة ، والفسقية المثمنة الشكل ، وسقفها وجدرانها المكسوة بالخشب والمطلية بالألوان والذهب والمزينة بأنواع الزخارف النباتية والهندسية والكتابية إلى جانب الكسوة الرخامية والقاشانية البديعة . . . وأما أبرز العناصر المعمارية في هذا القصر **فهي الأقواس** بأنواعها والأعمدة الرخامية والتيجان التي تتوج الأعمدة والدعائم ، وهناك قواعد الأعمدة .. والقاشاني والرخام المجزع والمزررات الرخامية والحجرية الملونة والحجر الأبلق والشمسيات الجصية والكسوة الخشبية والزخارف الخطية والنباتية . . . ولقد استملكت المديرية العامة للمتاحف والآثار هذا القصر ويجري العمل في أركانه لترميمه واظهاره بالمظهر اللائق .

ج - الخانات

وهي كثيرة عديدة في حنايا المدينة ، ونذكر منها اثنين :



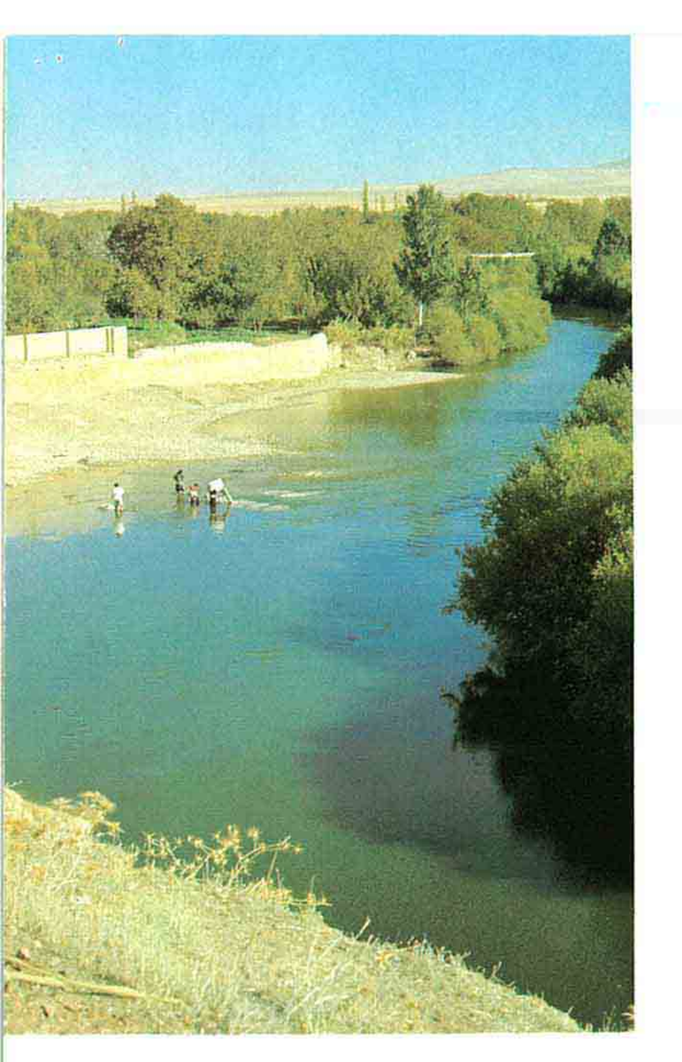
★ قصر العظم ، (متحف حماة) من الخارج والقبة السامقة ★

● الأول : **خان رستم باشا** ، الذي يعود تاريخ بنائه إلى عام (٩٦٤ هـ) - (١٥٥٦ م) ، وقد أمر ببنائه رستم باشا في زمن **السلطان سليمان الأول العثماني** ، وعرف هذا الخان فترة من الزمن **بخان العسكر** حينما كان يتخذ مقراً للجنود الخيالة في نهاية العهد العثماني وفي فترة الانتداب الفرنسي ، ويمتاز بمدخله الواسع وطراز بنائه الخاص ، وله باب كبير فيه كوة صغيرة تسمى **بالخوخة** ، وهي بويب لا يسمح بدخول الأشخاص إلا بصعوبة ، وينفتح الباب الكبير على بوابة واسعة تطل عليها من الجهتين عدة غرف للبواب والحرس والانتظار ، وتؤدي هذه البوابة إلى فناء فسيح جداً وفي وسطه بني مسجد تقام فيه الصلاة وحول الفناء غرف صغيرة متعددة . . . ولم يبق الخان على حاله القديمة بل أضيف إليه طابقان ثان وثالث . . وهو الآن مقر **لملجأ الأيتام الإسلامي** .

● والثاني : **خان أسعد باشا العظم** ، الذي يقع قرب باب البلد ، وقد بناه أسعد باشا العظم عام (١١٦٢ هـ) - (١٧٥١ م) ، لنوم المسافرين وعابري السبيل ، وأبرز ما فيه طراز بنائه ومدخله وفنائه الواسع ، ويعرف كذلك باسم خان العسكر إذ **اتخذته القوات الفرنسية ثكنة عسكرية داخل المدينة** ، وفي عام (١٩٤٦ م) ، جعل مقراً للثانوية الصناعية . . . وفي هذه الأيام تهدمت أقبيته وغرفه الداخلية الترابية فعمدت الأبنية المدرسية إلى بناء مجمع على أرضه الواسعة وأبقت على الواجهة الأثرية كمدخل لهذا المجمع .

د - النواعير

والنواعير من أبرز منشآت حماة السياحية فما من كتاب تاريخي أو سياحي تعرض



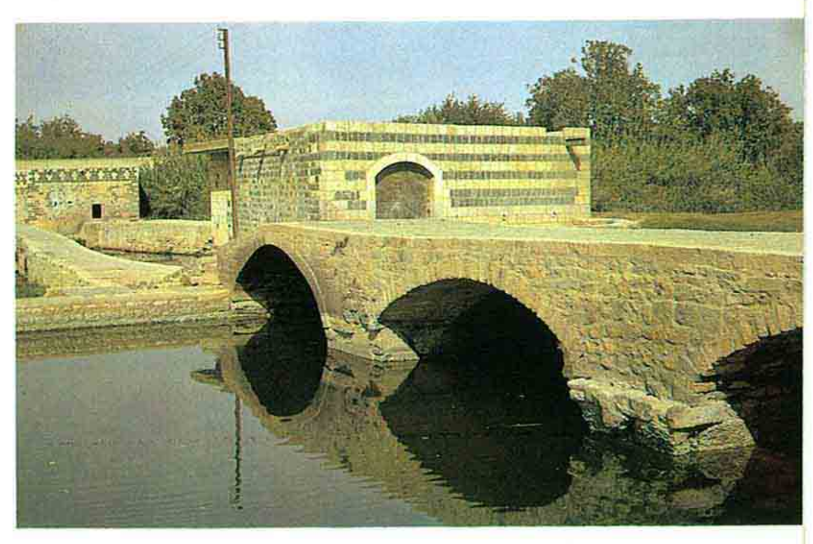
★ مدخل العاصي إلى حماة ★

★ ساعة حماة الحديثة ★





★ حماة منظر عام ★



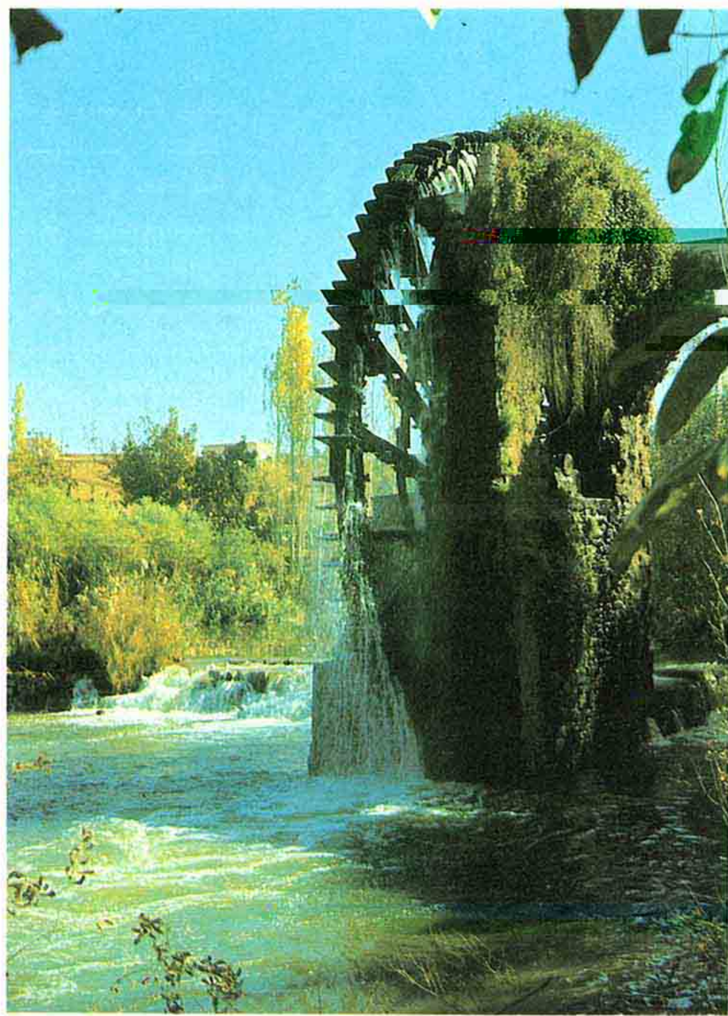
★ طاحونة باب النهر ★



★ شيخ
شعراء
حماة
الدكتور :
وجيه
بارودي ★



★ المؤرخ الجغرافي
العربي الكبير
عماد الدين
إسماعيل المؤيد
«أبو الفداء» ★



★ ناعورة على نهر العاصي ★



★ ناعورة المحمدية ★

لذكر حماة إلا وأطنب في وصف النواعير وجمالها ومواقعها ومنظرها الفريد .. **فابن بطوطة** يقول :

« تحفها البساتين والجنات ، عليها النواعير كالأفلاك الدائرات ، ويشقها النهر العظيم المسمى بالعاصي . . » .

والرحالة الأندلسي **ابن جبير** يقول :

« . . . حتى إذا جست خلالها ونقرت ظلالها أبصرت بشرقيها نهراً كبيراً تتسع في تدفقه أساليبه ، وتتناظر بشطيه دواليبه . . » .

أما **المؤرخ الكبير أبو الفداء** (ملك حماة) فيقول في تاريخه :

« . . . حماة من الشام مدينة أزلية وهي من أنزه البلاد الشامية .. وبها نواعير على العاصي تسقي أكثر بساتينها ، ويدخل منها الماء إلى كثير من دورها . . » .

ولكن .. ما هي النواعير التي اختصت بها حماة دون غيرها ؟!

إن النواعير آلات مائية دائرية ذات حركة دائمة ، وهي مكونة من أخشاب متنوعة في طولها وعرضها وحجمها ، وترتبط جميعاً بمحور خشبي ضخم سميك (من خشب الجوز) يسمى القلب وهو مرتكز على قاعدتين متوضعتين على قواعد حجرية قوية ثابتة .. وللناعورة في نهايتها أخشاب معترضة تلتقي مع تيار الماء الدافق فتتدافق بعضها وراء بعض فتدور الناعورة على قلبها باستمرار ، وتتناثر على أطرافها صناديق خشبية متلاصقة لها فوهات جانبية ، فحين تغطس في الماء تمتلىء به وحين يصبح الصندوق في الأعلى يتدفق منه الماء إلى حوض واسع ومنه يتسرب في قناة ذات قناطر متعددة ليسقي البساتين والحدائق حالياً ، **وفي الأمس القريب كانت حماة بمن فيها وما فيها تشرب من مياه النواعير .**

وعادة يقام على مجرى العاصي سد حجري أو خشبي يحجب الماء ويجعله يتدفق سريعا من فتحة خاصة بالناعورة فيلتقي بالفراشات (أخشاب الناعورة المعترضة) فتدور الناعورة .

أما اسمها فهو مشتق من نعيرها وهو صوتها ، وذاك مأخوذ من : نعرت الدابة إذا صوتت ، والنعير : صوت في أقصى الأنف ، وامرأة نعارة : صخابة ، وقيل للدولاب : ناعورة وناعور لنعيره ويجمع على نواعير وناعورات .

وتتراوح أقطار نواعير حماة بين /٥/ أمتار ، و/٢١/ متراً ، وعدد الصناديق التي ترفع بها الماء بين /٥٠/ و/١٢٠/ صندوقاً ، وأما عدد النواعير فهي /٧١/ **ناعورة قبل المدينة** وبعدها ، **و/١٥/ ناعورة بين حناياها ...** وهذه النواعير الخمس عشرة تتوزع خمس لوحات طبيعية نادرة الوجودة في العالم كله .

فاللوحة الأولى هي « **الأربع نواعير** » التي يقع مقصف حماة الكبير إلى جوارها ، فالكبرى : **البشرية** ، والوسطى : **البشرية الصغرى** ، والصغيرتان هما : **العثمانيتان ..** واللوحة الثانية تقع في وسط المدينة جانب ساحة أبي الفداء (ساحة العاصي) ، وتحتوي على ناعورتين من أروع نواعير حماة .. الأولى هي **الجسرية** والثانية هي **المأمورية (أهم نواعير حماة وأضخمها حجماً)** ، ويزيد اللوحة جمالا وفتنة وجود **حديقة أم الحسن** إلى شرقها ، **ومقصف**

الغزالة في جنوبها ، وكثرة **الجزر والشلالات** التي يشكلها نهر العاصي في هذه المنطقة الشاعرية ، ولقد وقف عشرات من كبار شعرائها قديماً وحديثاً أمامها معجبين ومنطلقين مع مشاعرهم وأحاسيسهم حتى إن أمير الشعراء **أحمد شوقي** صرح من أعماقه بعد رؤيتها « **ليت على النيل نواعير . .** » .

أما اللوحة الثالثة فهي **جسر بيت الشيخ** ، وهناك نقف أمام ثلاث نواعير تدعو للانبهار والدهشة والفتنة معاً ، الأولى كبيرة واسمها **الجعبرية** ، والثانية متوسطة واسمها **الطيارة** ، والثالثة كذلك واسمها **الباز الكيلانية** . . وتتميز هذه اللوحة من غيرها بما يحيط بها من أوابد تاريخية وآثار عريقة أبرزها : **متحف حماة (قصر آل العظم)** ، وزاوية الباز عبد القادر الكيلاني - وقصر الطيارة - وتلك البيوت القائمة على الضفة الشرقية للعاصي ومياهه تغسل سفوحها صباح مساء وكأنها البندقية (فينيسيا) في الشرق العربي .

واللوحة الرابعة تقع شمال قلعة حماة وفي محلة باب الجسر وتضم ثلاث نواعير هي : **الدوالك - الخضر - الدهشة . .** ويهمني منها جميعاً ناعورة الدهشة التي تعطي كمية هائلة من المياه رغم صغرها وهذا ناجم عن سرعتها في الدوران وكون صناديقها مزدوجة ، وهي إلى جانب هذا مشهورة تاريخياً لقربها من جامع أبي الفداء ، ولأن **السلطان الناصر قلاوون** أخذ تصميمها الكامل لفرط اعجابه بها ليقيم مثيلاً لها على النيل .

ونصل إلى اللوحة الخامسة والأخيرة ، وهي « **باب النهر** » ، حيث يأخذ نهر العاصي مداه في السير على هواه فإذا به يخلف جزراً هنا وشلالات هناك وغدراناً في ناحية وبركاً في زاوية . . ويشرف على ذلك كله ناعورتان الأولى هي **المحمدية** (أكبر نواعير حماة من حيث القطر والارتفاع) ، والثانية صغيرة واسمها « **القاف** » بحيث يبدو ذلك جميعه منظراً لا تمل العين من الاستغراق في جوانبه وجزئياته ولا سيما أن الخضرة تحيط به من كل أطرافه فتجعله صورة للطبيعة في عرسها الحالم ومهرجانها الرائع .

تلك هي النواعير التي فتنت كل من رآها وسمع أنينها وما تزال ، فهذا **(سوبرنهايم)** في « المعلمة الإسلامية » يقول :

« **إن فيما اقتبسه الصليبيون من بلاد الشام صنع النواعير أيضاً ، فأوجدوا في ألمانيا في واد صغير في فرانكفورت على مقربة من بايروت نواعير كالتي في حماة ما تزال دائرة** » . . . وأما قصة الشعر مع النواعير فهي ذات شجون ، فما من شاعر حموي أو عربي زار حماة إلا ونثر في رحابها بديع القول وجميل النظم ، ولقد كتبت عشرات المقالات بعنوان « **النواعير في الشعر العربي** » وما زلت أجد أمامي عشرات القصائد والمقطوعات وأرى أن أعطي هنا - حسب مقتضى الحال - شيئاً من هذا الفيض .

يقول ابن نباتة المصري :

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها
وأضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبي لأني فقدته
وأما دموعي فهي تجري على جسمي

والشاعر الخطيري يرى في الناعورة قصة الحب والبعد والألم ، فيقول :

رب ناعورة كأن حبيباً
فارقته ، فقد غدت لي تحكي
أبداً هكذا تئن بشجو
وعلى إلفها تدور وتبكي

والشيخ عبد الغني النابلسي يقول في أول زيارة له لمدينة النواعير :

هذي حماة التي ما مثلها بلد
لكل دان من الأهلين أو قاصي
ترق قلباً لأحوال الغريب بها
حتى نواعيرها تبكي على العاصي

تلك هي النواعير . . المحرك الدائم الذي لا يتوقف عن الدوران والعطاء ليلاً نهاراً ، والذي يهب كميات من المياه تفوق قدرة أي محرك آلي مهما تكن ، وعلى سبيل المثال ، فإن ناعورة المأمورية تحتوي في محيطها على / ١٢٠ / صندوقاً ، وسعة الصندوق الواحد / ٢٠ / لتراً ، وهي تدور في الحالة الطبيعية دورة كاملة كل / ٢٠ / ثانية ، ومعنى هذا أنها تعطي خلال الثواني العشرين / ٢٤٠٠ / لتر من الماء ، وخلال دقيقة واحدة / ٧٢٠٠ / لتر ، ويوجد دائماً فوق حوض الناعورة الأعلى / ١٨ / صندوقاً تقذف / ٣٦٠ / لتراً باستمرار . . فهل هناك مصدر للماء يأتي من آلة يفوق هذا العطاء دون نفط أو زيت أو كهرباء أو جهد بشري . . ؟!

أسواقها

تحفل كتب التاريخ بذكر أسواق حماة وتعدادها وتبيان ميزاتها ، وهي إن لم تكن عامرة كأسواق حلب ، فإنها كانت كأسواق حمص تحفل بشتى السلع والبضائع القيمة . . فلقد كان فيها في القرن العاشر (السادس عشر الميلادي) أسواق عديدة منها : (سوق البندرة - سوق الحطب - سوق العدل - سوق المنجدين - سوق النجارين - سوق الأساكفة - سوق التجار - سوق الدباغين) . . ولقد بلغ عدد الأسواق في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) **أكثر من خمسين سوقاً** ، وكانت تتألف من قسمين : **أسواق صناعية ، وأسواق تجارية** على مكانة من الازدهار كبيرة .

على أن سوق المنصورية **(سوق الطويل حالياً)** يأتي في مقدمة هذه الأسواق ، وهو **يقع الآن في منتصف المدينة** ، ويمتد من نهاية محلة الدباغة حتى محلة الموقف ، وتتناثر على جانبيه عشرات الحوانيت المتلاصقة ، وتتفرع عنه أسواق فرعية صغيرة ، وفي هذا السوق مختلف البضائع والسلع . . . بالإضافة إلى ثلاثة مساجد وعدد من الخانات . . . **وهذا السوق أنشأه ملك حماة المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر الأيوبي** المتوفى عام (٦١٧ هـ - ١٢٢٠ م) ، ورتب فيه الباعة فجعل أصحاب كل حرفة في جهة ، ولقد أزيل سقفه الذي كان معقوداً في مطالع القرن العشرين واستبدل به سقف من معدن التوتياء جعل أعلى من القديم وذا نوافذ لجريان الهواء ودخول النور ، فضاع بذلك الأثر الذي يبحث عنه الدارسون والسائحون على الرغم من نمط السقف الجديد الذي يلفت الأنظار ويماثل سقف سوق الحميدية في دمشق .

وهناك سوق آخر شعبي يقام في يوم الخميس ومنه أخذ اسمه **(سوق الخميس)** ، وهو على غرار الأسواق العربية القديمة ، حيث تعرض فيه مختلفة أنواع السلع والبضائع والأطعمة وما إلى ذلك على الأرض أو على قطع خشبية أو قطع قماش ، ويستقطب آلافاً من أبناء المدينة وريفها . . ولقد تبدل مكانه كثيراً تبعاً لتطور العمران في المدينة ، وحالياً استقر في محلة باب طرابلس بجانب **سوق الهال** .

حماماتها وآبارها

تضم حماة عدة **حمامات أثرية قديمة** ، ومن أبرزها : **حمام الأسعدية ، وحمام الدرويشية ، وحمام السلطان ، وحمام المؤيدية . . .** وفيها جميعاً نرى

النقوش البديعة والقباب العالية المثقبة لدخول النور والمقاصير الواسعة والرخام الملون . . . والصور التزيينية والبرك الجميلة بنوافيرها اللطيفة ، وأما **الآبار** فكثيرة . . كثيرة ، وأهمها **البئر الارتوازية** التي تقع في أقصى المدينة من الشرق في بقعة تدعى « **المصيبطة** » المتميزة بهوائها النقي ومناخها الجيد وارتفاعها ، حيث تشرف على المدينة وبساتينها بكاملها ، وقد عدت هذه البئر محطة مائية علاجية من الطراز الأول ، وقد ثبتت فائدتها الطبية لعدة أمراض بعد تحليل مياهها في أكبر الجامعات العالمية ، وبعد أن لمس مرتادوها فوائدها الصحية . . ولهذا فقد عمد المسؤولون إلى تمديد صنابير المياه ، وأقيم بجوارها عدة مقاهٍ ومقاصف .

الأدب والفكر والفن

لا أعدو الحقيقة إذا قلت إن حماة كانت وما زالت مشعلاً للأدب والعلم والفكر والفن ، ففي جامع القان بمحلة الباشورة نظم **ابن مالك** (محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي ـ ٦٧٢ هـ) ، الفيته في النحو وهي أشهر من أن تعرف . . وفي جامع الدهشة صنف **أحمد بن محمد الفيومي** المتوفى سنة (٧٧٠ هـ) ـ (١٣٦٨ م) ، معجمه الشهير (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي) ، وهو شرح لغوي للألفاظ الفقهية ، وصار معجماً دراسياً لاختصاره وجمعه وسهولة البحث فيه .

ومن رجالاتها العالم المؤرخ السلطان الملك المؤيد **أبو الفداء** عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن المنصور الأيوبي) الذي ولد بدمشق عام (٦٧٢ هـ) ـ (١٢٧٣ م) ، وتأدب على علماء عصره فبرع في العلوم اللسانية والدينية والفقه والتاريخ والجغرافيا والطب والأدب والشعر وعلم الهيئة . . . وكان بطلاً مقداماً ، وقد حكم حماة وما حولها مدة /٢٢/ عاماً ، وتوفي فيها عام (٧٣٢ هـ) ـ (١٣٣١ م) ، ودفن في مسجده الذي أمر ببنائه قبل وفاته بخمس سنوات . . . تاركاً لنا كتباً ومصنفات نفيسة هي من المراجع التاريخية والجغرافية الهامة وأبرزها : « المختصر في أخبار البشر في التاريخ » و« تقويم البلدان في الجغرافيا » .

ويؤكد المؤرخون على أن أبا الفداء قد أعاد سيرة العظماء من العصرين الأموي والعباسي حين جمع في قصره عدداً كبيراً من الشعراء المتفوقين وقربهم منه وأغدق عليهم الأعطيات ، ومن أبرزهم : **ابن نباتة المصري ـ صفي الدين الحلي ـ الشهاب محمود ـ ابن مطروح** وغيرهم .

ولو استقرأنا التاريخ لأعطانا قائمة مجيدة من الأسماء اللامعة . . في مقدمتها : **ياقوت الحموي** (٦٢٦ هـ ـ ١٢٢٨ م) ، الأديب الموسوعي وصاحب كتابي « ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب » المعروف بمعجم الأدباء ، و« معجم البلدان » الموسوعة الجغرافية الضخمة ، **وتقي الدين بن حجة الحموي** (٨٣٧ هـ ـ ١٤٣٤ م) ، أحد أدباء عصره وشعرائه المرموقين وصاحب كتب : « خزانة الأدب » ، « ثمرات الأوراق » ، « كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام » ، « تأهيل الغريب » ، « قهوة الإنشاء » ، « جنى الجنتين » . . . وغيرها ، **وجمال الدين بن واصل الحموي** (٦٩٧ هـ ـ ١٢٩٨ م) ، صاحب تاريخ « مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » ، **وشرف الدين البارزي** (٧٣٨ هـ ـ ١٣٣٦ م) ، صاحب كتاب « البستان » وكتاب « روضات المحبين » . . . إلى جانب عدد كبير من العلماء والمصنفين الذين يشكلون رصيداً هاماً في تراثنا العربي الإسلامي .

وأما الشعراء فلهم حيز خاص وكبير ، وأذكر ما قاله العلامة **محمد كرد علي** لأمير الشعراء **أحمد شوقي** وهما في طريقهما إلى حماة : « **هذه المدينة التي سنصل إليها نصف أهلها شعراء** » ، وبعد أن جاس شوقي خلالها واستمتع بطبيعتها الخافية قال لكرد علي : « **عجيب ألا يكون نصف أهلها الآخر شعراء . . !!** » .

ولا بدع ـ والحال هكذا ـ أن نقرأ في شعرنا العربي مثل هذا القول :

قالوا حماة ، فقلت : صبح مشرق
يختال في جنباته العلماء
أنّى التفت فنبر أو ساحة
يرتادها الفصحاء والبلغاء
هي في الوجود قصيدة عربية
يزهو بها أبناؤها الشعراء

ولن أسرد أسماء **الشعراء** جميعهم ، فهم كثر . . كثر ، فمن القديم حسبي ذكر : **ابن قسيم ـ شرف الدين الأنصاري ـ محمد بن يوسف التلعفري ـ يحيى الخباز ـ أبو الصفاء الشاكر . . .** وفي العصر الحديث : **الشيخ محمد الهلالي ـ الشيخ حسن الرزق ـ بدر الدين الحامد ـ عمر يحيى ـ القاضي إبراهيم العظم . . .** ومن الأحياء : **الدكتور وجيه البارودي ـ القاضي عبد الرحمن عياش ـ وحيد عبود ـ محمد الحريري ـ سعيد قندقجي ـ عدنان قيطاز ـ محمد منذر لطفي ـ نديم عدي ـ محمود البارودي ـ غالب برازي ـ حسن المنجد ـ عبد الرحمن نعيمي ـ أكرم مسوح ـ أديب الكيزاوي ـ منذر شعار** (نزيل الكويت) ـ **الدكتور عارف قياسة وياسر الفتوي وعلي دمر وعبد الوهاب الشيخ وعبد القادر حداد** (نزلاء المملكة العربية السعودية) وغيرهم كثير .

وفي ميدان **القصة** نجد **نزار مؤيد العظم ـ وردان صباغ ـ نزار نجار ـ الدكتور موفق أبو طوق ـ عبد الهادي طبل . . .** على أن المرحوم **قدري العمر** يشكل اللبنة الأولى في بناء القصة الحموية ، وفي ميدان **الدراسات الأدبية والفكرية** نذكر : **سهيل عثمان ـ إحسان العظم ـ محمود الزعيم ـ عبد الرزاق الأصفر . .** وفي **الدراسات التاريخية : قدري الكيلاني وكامل شحادة وعبد الرزاق زقزوق . . .** وأما دنيا **الفن** فحسبنا أن نذكر في **فن الرسم سهيل أحدب وشريف الأورفلي ونشأت الزعبي وبسام صباغ وعبد السلام قطرميز والأخوة مخلص وعلي ومنير وماجد الصابوني** ، وفي دنيا **المسرح : عبد الرحيم الغزي ـ فؤاد سليم ـ وحيدر زقزوق ـ سمير الحكيم ـ عادل فوزي شكري ـ محمد شيخ الزور . .** وغيرهم .

المكتبات

زخرت مساجد حماة بآلاف الكتب من مطبوعة ومخطوطة ، وفي مقدمة المكتبات نذكر **مكتبة العالم المؤرخ نوري باشا الكيلاني** والتي كانت في جامع الشيخ إبراهيم وقدمها حفيده محمد نوري الكيلاني هدية إلى المركز الثقافي ، وفيها ما ينوف على **ثلاثمائة مخطوط من أنفس مخطوطات التراث العربي** ، وهناك **مكتبة دار العلم والتربية** الزاخرة بكتب ثمينة ومخطوطات نادرة ، وأما **مكتبة المركز الثقافي العربي** (المكتبة الوطنية سابقاً) ، فهي عبقة بالنفائس التي تربو على اثنين وعشرين ألف مجلد مطبوع عدا المخطوطات ، ولا يفوتني التنويه ببعض المكتبات الخاصة العامرة كمكتبة المؤرخ قدري الكيلاني والشاعر عمر يحيى .

الصناعات التقليدية

تتميز حماة بعدد من الصناعات التقليدية وفي مقدمتها : **الصايات والشراشف والمناشف والبشاكير وبرانس الحمام وأغطية الطاولات الحريرية والفراء والعقل والسجاد واللباد ...** وما إلى ذلك ، ومن أهم منتجاتها المحلية : **السمن الحموي** (الحديدي) ـ **اللبن العربي ـ القشدة ـ الزبدة ـ البيريت ـ حلاوة الجبن .. والمشمس الحموي** الذي شاع ذكره في كل مكان منذ القديم ، أشار إليه ابن بطوطة ، وذكره شيخ الربوة .

المتنزهات والبساتين

هي الفراديس من حسن ومن فتن
إذا مشيت بها أبصرتها ألقا
نهر وزهر وأغصان وفاكهة
تحار من أي لون تملأ الحدقا

وهذه الفراديس هي هبة نهر العاصي الذي تتميز ضفتاه بالخضرة اليانعة من منبعه إلى مصبه ، والتي تتيه سحراً وفتنة وجمالا في فصل الربيع خاصة ، فترى أغلب سكان المدينة في نُزُه وقد اصطحبوا مآكلهم فيمضون سحابة يومهم في أنس وطلاقة وبشر ، ولعل الأربع نواعير وحديقة أم الحسن وموقع باب النهر والقلعة ومرتفع البرتاوي وبساتين الأعوجيات وزور الدفاعي وزور أرزة هي من أجمل هذه اللوحات الطبيعية التي ما تزال يد الإنسان بعيدة عنها .

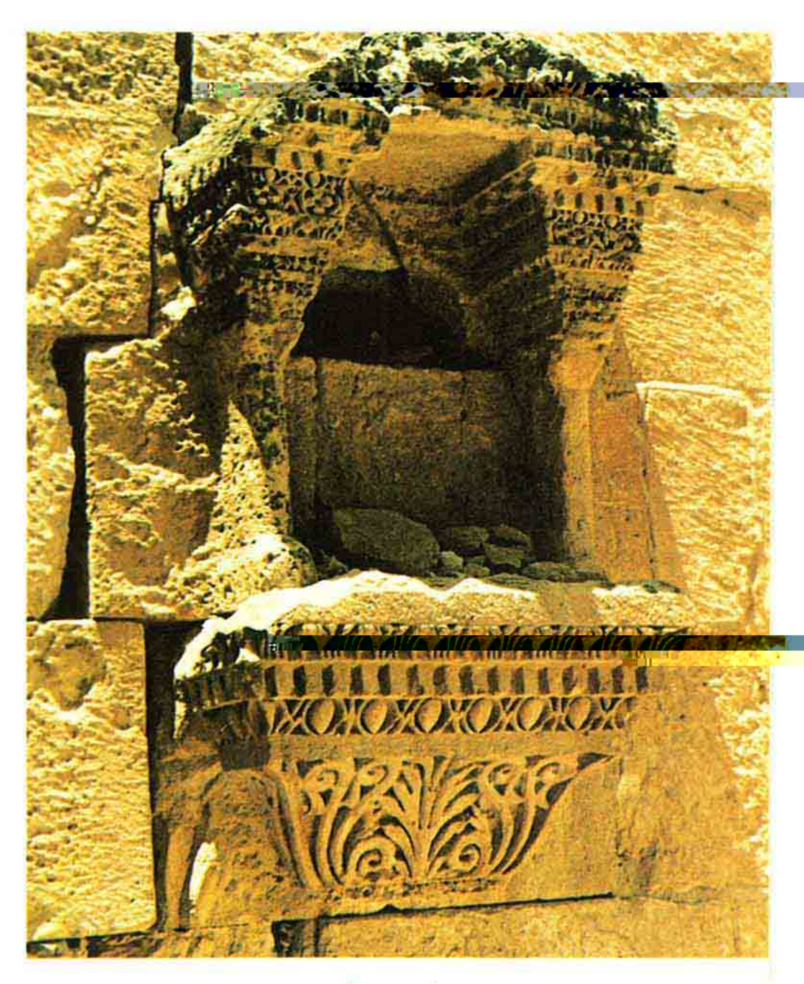
بين الماضي والحاضر

ولا يخطرن ببال أحد أن حماة هي تاريخ وحسب ، فإلى جانب الأثر والأبدة والقنطرة واللوحة ، هناك الساحات العامة الفسيحة **كساحة دار الحكومة** والتي تقف **الساعة الكبرى** في جنوبها وساحة أبي الفداء **(ساحة العاصي)** ، وهناك الأبنية الحديثة التي تعانق طوابقها عنان السماء ، والشوارع العريضة ذات الاتجاهين .. **والمسبح الدولي** ذو المقاييس الدولية والذي أخذت مصوراته عن دورة طوكيو الأولمبية لعام (١٩٦٤ م) ، ويتسع لـ / ٥٠٠ / سباح في الحالة النموذجية ويحوي **ثلاثة أحواض** : الأول المسبح الرئيسي ، والثاني : حوض الغطس ، والثالث : حوض الأطفال .. **والصالة الرياضية المغلقة** التي تحتوي على مدرجين وتتسع لحوالي / ٦٥٠٠ / متفرج وهي مجهزة بالملاعب الرياضية كافة ما عدا ملعب كرة القدم ... مع المعامل الحديثة الضخمة ذات الإنتاج الذي يضاهي المنتجات العالمية ، والتي تحيط بالمدينة من أطرافها كافة .. ومن أبرزها معامل : البورسلان ـ الاسمنت ـ الغزل الرفيع ـ صهر الخردة ـ الأنابيب المعدنية ـ غسيل الصوف ـ الإطارات ـ الخيوط القطنية .

وبعد ...

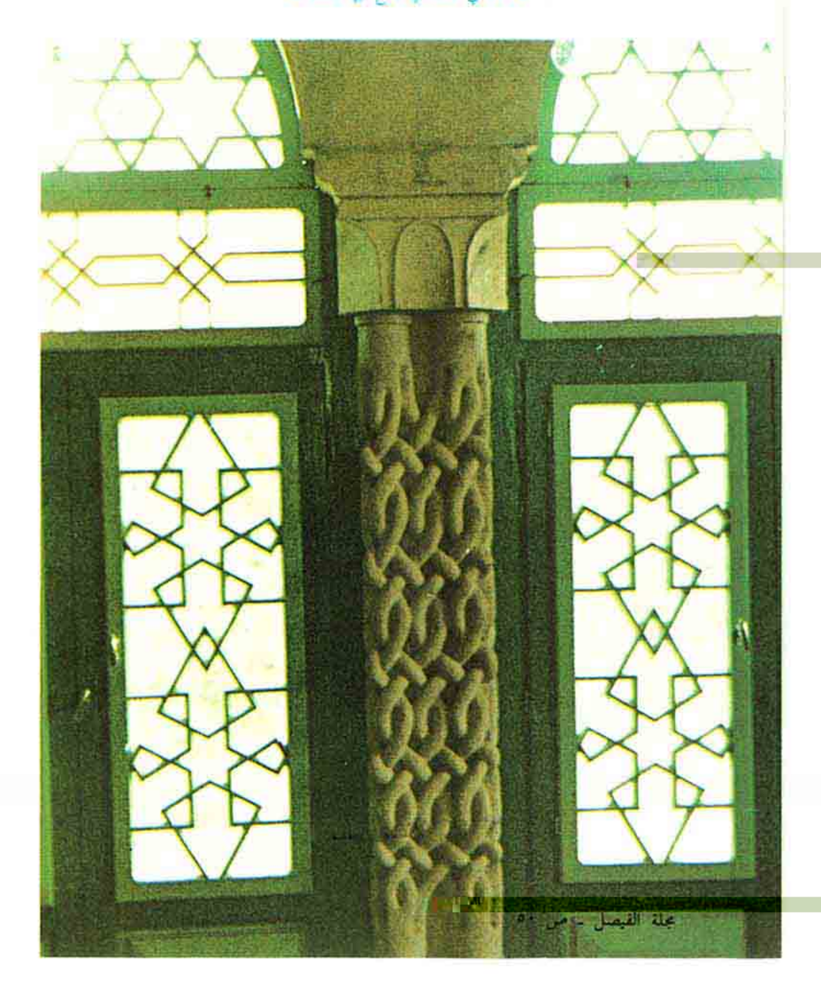
تلك كانت جولة عجلى في رحاب مدينة أبي الفداء بعاصيها الجميل في إنسيابه الهادىء المطمئن ، وحدائقها الغنّاء بزهورها ورياحينها ، وبساتينها الغافية بخضرتها ونضارتها ، ونواعيرها بروعتها وطابعها الفريد ، ومساجدها الأثرية بعراقتها وأصالتها ، وقصورها المترفة بزخارفها ونقوشها .





★ من الآثار البيزنطية في الجدار الشرقي من الجامع الكبير ★

★ الأفاعي الملتفة في جامع أبي الفداء ★





شعر :
عبد الملك عبد الرحيم

إذا ما ألمَّتْ بيَ الحادثاتُ — وخيَّم حولي ضبابُ الأسى
وصارَ الوجود كئيب الرؤى — فما عدتُ ألقَى به مؤنسا
ولاح لعيني السنى كالظلام — وصار الصباح كلونِ المسا
تدفق عبر دمائي الحنين
إليكِ .. إلى أنسك الرائقِ

إذا ما تجنى عليّ العدا — وبثوا بدربي كثيف الظُّلَمْ
لكي يوقفوا الركب عن سيره — حثيث الخطا نحو هام القمم
إذا بادروني بكيد وحقد — وأفئدة مثل صخر أصمّ
تدفق عبر دمائي الحنين
إليكِ .. إلى قلبك الخافقِ

إذا أظهر البِشْرَ بعض الأنام — وأعماقهم ظلمة دائمهْ
وأجرَوْا على الوجه شبه ابتسام — تراءى .. كأمسية غائمه
إذا أظهروا الود، رغم الذي — يكنون من أنفس قاتمه
تدفق عبر دمائي الحنين
إليك .. إلى حبك الصادق

إذا ما احتواني طريق الحياة — مليئاً بشتى صنوف الغِيَرْ
وأرهقني فيه عنف الكفاح — لنيل الأماني وجني الثمر
وأصبحتُ في لهفة للحنان — يخفف عني عناء السفر
تدفق عبر دمائي الحنين
إليك .. إلى عطفك الدافق

إذا ما تعالى ضجيج الوجود — وأصبح حولي مثل الدويّ
وأفزعني منه صوت مخيف — كَوقع الصواعق، طاغ عتيّ
وأصبحت في حاجة للهدوء — يفيض به نغم شاعريّ
تدفق عبر دمائي الحنين
إليك .. إلى همسك الشائق

هو العمر ضدّان: قفر جديبٌ — وروضٌ ندي الشذى والظلالْ
وإنك يا بهجة الروح عندي — ربيعٌ شهي الجنى والجمال
وإنك إيناس قلبي وعمري — وركنٌ إليه أشدّ الرحال
وفي كل حين أعيش الحنين
إليك .. إلى ركني الشاهق





حياة الطفل في البيت والمدرسة

بقلم: د. عبد الفتاح الديدي

المدخل

يقل التعريف في علم النفس المعاصر العربي بشخصية **چان بياجيه**، على ما يتمتع به من خصائص ومميزات، في أبواب علم النفس والتربية والتعلم والفلسفة ونظرية المعرفة. وفي الوقت الذي يشغل فيه **بياچيه** العالم كله بأبحاثه، قلما نجد اشارة عنه في كتبنا وأبحاثنا باللغة العربية.

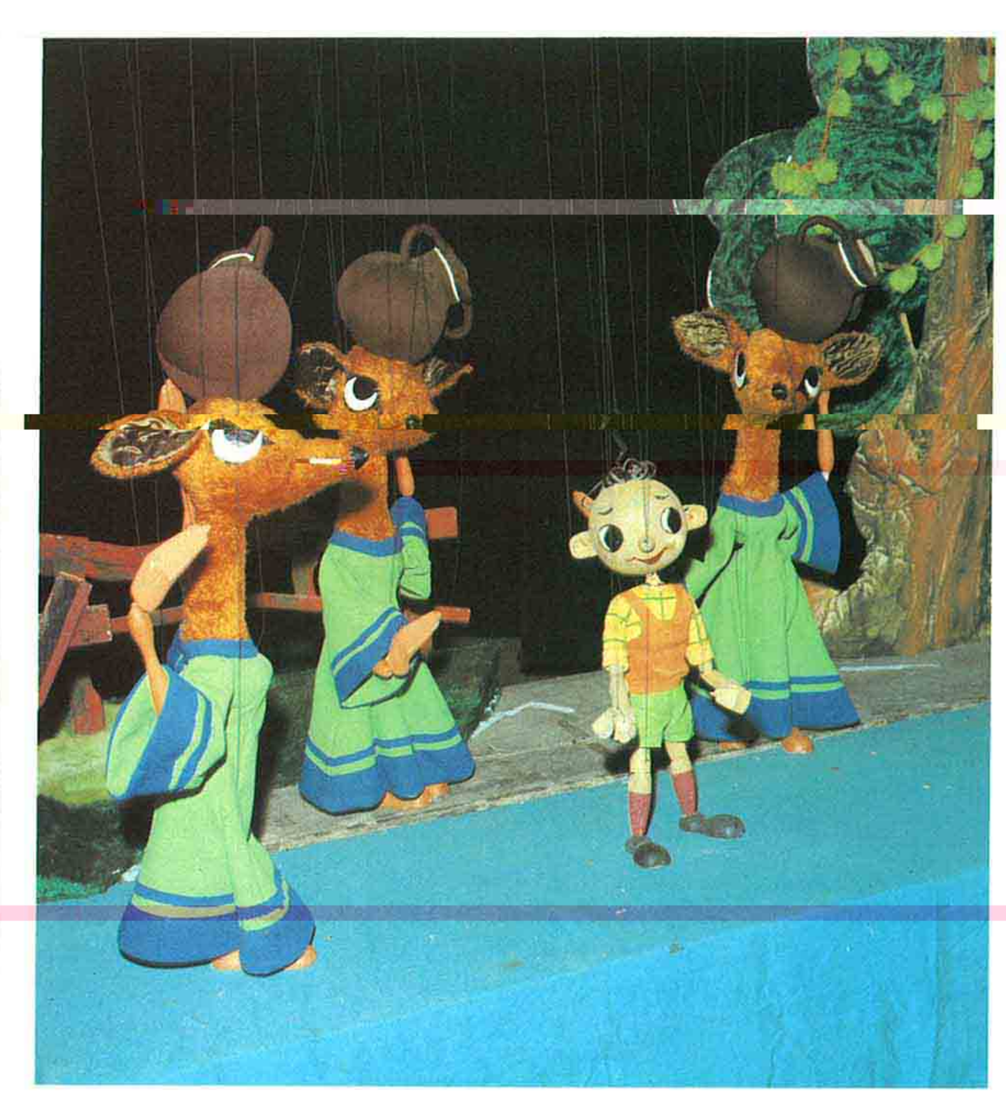
ولا ندري بماذا نعلل هذه الظاهرة، ولا يوجد في اللغة العربية سوى كتابي عن السلوك والإدراك في علم النفس الناسلي، وبعض أبحاث لي عنه في كتابي **عن القضايا المعاصرة في الفلسفة، والاتجاهات المعاصرة في الفلسفة**. وكتاب **للدكتورة فيولا فارس البيلاوي**، وهو مترجم وعنوانه **«چان بياچيه وسيكلوجية نمو الأطفال»**.

ويذهب البعض إلى أن السبب في ذلك صعوبة الثقافة الفرنسية وعدم انتشارها بين المفكرين العرب. ويذهب البعض الآخر إلى أن **چان بياچيه** صعب الفهم في منطقه الرمزي الذي يستخدمه في ابحاثه. ولكن **پول فريس**، وهو أحد أقطاب علم النفس المعاصرين في فرنسا يقول: **إنه لا يوجد علم نفس في مصر!** وپول فريس هو مؤلف كبير شارك بياچيه في وضع كتاب **أسس علم النفس العام**.

وقد ولد **چان بياچيه** في نوشاتل بسويسرا سنة ١٨٩٦م، وأظهر نبوغاً مبكراً في دراساته عن علوم الحيوان أي في سن السادسة عشرة، وحصل على ليسانس التاريخ الطبيعي في سن الواحدة والعشرين، كما حصل على درجة دكتور في العلوم في السنة التالية مباشرة عن رسالته حول موضوع «توزيع اللافقريات في جبال الألب».

ولم يلبث أن حلت اهتماماته النفسية والمعرفية الهامة محل اهتماماته بعلوم الحيوان. وتطور في وظائفه الأكاديمية إلى أن أصبح **أستاذ علم النفس وفلسفة العلوم، ثم أستاذ علم النفس الناسلي بجامعة لوزان**، إلى أن انتقل إلى **السوربون** سنة ١٩٥٢م.

والنتائج التي أدت إليها نظريات علم النفس الناسلي في مجال التربية، لا تدع لنا فرصة لاغفالها





★ العالم الفرنسي
جان بياجيه ★

مهما تجاهلناها لأنها تواجهنا إن آجلاً أو عاجلاً . معظم كتب **بياجيه** مترجمة في انجلترا وأمريكا [illegible] **مفهوم العدد عند الطفل ، ومفهوم السببية الطبيعية عند الطفل ، ومفهوم الزمان عند الطفل ، ومفهوم الحركة والسرعة عند الطفل ، ومفهوم العالم عند الطفل ، وبناء الطفل للحقيقة والحكم والاستدلال عند الطفل ، واللغة والفكر عند الطفل ، والحكم الأخلاقي عند الطفل ، وأصل الذكاء عند الطفل ، وعلم نفس الذهن ونمو التفكر المنطقي من الطفولة إلى المراهقة .**

وقد بدأ **بياجيه** حياته العلمية في مجال علم النفس تلميذاً للأستاذ **كلاباريد** ، صاحب المفهوم الوظائفي لعلم نفس الطفل ، ثم استقل **بياجيه** بالاتجاه الناسلي في علم النفس والتربية ، وهو في الوقت الحاضر رئيس لمعهد **جان جاك روسو** في جنيف بسويسرا للمعرفة الناسلية . ونشرت المطابع آلاف الأبحاث العلمية تأكيداً وتعزيزاً لاتجاهاته ونظرياته في مجال التربية وعلم نفس الطفل .

مراحل النمو الذهني وخصائصها

ولفظة **انتليجانس** الأجنبية تعني أحياناً الذهن ، وأحياناً أخرى الذكاء ، وتترجم في العربية وفقاً للسياق الذي تستخدم فيه اللفظة حتى لا يحدث لبس في فهمها لأن الأوروبي ينتقل تلقائياً في معناها مباشرة وفقاً للسياق الذي يجري استخدامها فيه .

وأهم ما نبدأ بتأكيده عادة في علم النفس الناسلي ، هو مراحل النمو وتفريعاتها الجزئية ابتداء من ساعة الصفر ـ أي من ساعة الولادة ـ حتى سن الخامسة عشرة وما بعدها بقليل . وقد اختلف علماء النفس حول المراحل التي يقسمون حياة الطفل وفقاً لها . ولكن المراحل التي يحددها **بياجيه** مقترنة بالنمو الذهني والخصائص النفسية والمنطقية لكل مرحلة **ومن المؤكد أن أوثق تقسيم لمراحل النمو هو التقسيم النابع من معايير التطور الذهني لارتباطه المباشر بخاصية الذهن في الاستجابة والتداول والممارسة .**

ويحتوي كتاب السيدة **تيريز جوان ـ دنكان** [illegible] عن العلاقات الشيئية لدى الطفل على تحديدات دقيقة لمراحل النمو الذهني لدى الطفل ، وخصائصها النفسية الجزئية في كل مرحلة . وتضع **السيدة تيريز** هذه التقسيمات من لوحات دقيقة من صفحة واحدة ثلاثة ثلاثة أشهر بثلاثة أشهر في المرحلة الأولى حتى سن الثامنة ، ثم تتقدم من تحديدها بعد ذلك سنة بسنة حتى سن المراهقة وما بعده حتى الثامنة عشرة .

ويتفق علماء النفس جميعاً من كافة الاتجاهات على أن سن السادسة هو سن ظهور المنطق عند الطفل . ولذلك يحاول **بياجيه** أن يسمي ما قبل ذلك بسنوات ما قبل المنطق عند الطفل ، ويمكن أن نقول بصفة عامة إن بياجيه يقسم حياة الطفل حتى الخامسة عشرة وما بعدها إلى ثلاث مراحل رئيسية : **أولا** الرضيع حتى سن الثانية (٢٤ شهراً) ، **وثانياً** من سن الثانية حتى الحادية عشرة أو الثانية عشرة وهي سن المراهقة ، **ثالثاً** ما بعد الثانية عشرة حتى الخامسة عشرة وما بعدها . ويتوسطها طبعاً سن المنطق المحسوس في السادسة من العمر .

ولهذه المراحل تقسيم محدد من كتاب السيدة **ماري سايم** ، تحت عنوان **رؤية الطفل** (صفحات ١٢ ، ١٣ ، ١٤) ، ويدخل بين هذه المراحل التي ذكرناها مراحل فرعية بينية تتخلل هذا التقسيم **أهمها** في البروز انقسام المرحلة الثانية بين الثانية والثانية عشرة إلى مرحلتين كبيرتين مميزتين كما قلنا ، لأن سن السادسة وما حولها هو سن ظهور خاصية المنطق في التفكير أو الخاصية المنطقية أو ما نسميه بلغة بياجيه **خاصية الفاعلية** . وبالتالي يأتي تأكيد الفاعلية حول سن السادسة بمثابة تحديد لخاصية ما قبل الفاعلية أو ما قبل الفكر المنطقي التي تعم تفكير الطفل اعتباراً من سن الثانية .

فخاصية الفاعلية إذن مرحلة وسطى ، تظهر في سن السادسة وهي سمة المنطق المحسوس المركب من محسوسات التي يتميز بها النمو الذهني للطفل من هذا السن . وهناك مراحل فرعية أخرى كثيرة سوف يرد الكلام عنها بعد قليل . **ولكن المهم الآن التعرف على مراحل التحول الكبيرة في النمو الذهني الرئيسية وابراز المرحلة الفرعية قبل الفاعلية أو**

● كيف يتطور ذهن الطفل، ويواجه العالم الخارجي، وكيف تتطور تصورات الطفل وهو يرتقي سلم المعرفة، ويتبادل خبراته مع تزايد معارفه.

السابقة على ظهور المنطق لما لها من تأثير مباشر على مراحل التعليم الابتدائي.

وبصفة عامة يمكن القول إن موضوع هذا البحث سينحصر في سنوات من سن الثانية حتى سن السادسة في حياة الطفل قبل الفاعلية، ومدى تأثير امتثالات الطفل خلالها وكل ما يتمثله أثناءها على حياته في سنوات التعليم الابتدائي من السادسة إلى الثانية عشرة. وسننظر هنا في مؤثرات النصف الأول من المرحلة الوسطى (من ٢ إلى ١٢)، أي من الثانية إلى السادسة، وهي الفترة السابقة على المنطق المحسوس أو الفاعلية على النصف الثاني من هذه المرحلة، أي من السادسة إلى الثانية عشرة، **وهي فترة الفكر المنطقي أو الفكر الفاعلي.**

ويسبق سن الثانية المرحلة الحسية الحركية، ويلي سن الثانية عشرة مرحلة الأبنية الفاعلية التجريدية. فتسبق سن الثانية مرحلة الرضيع التي تنتهي بظهور الوظيفة الترميزية في سن الثانية في حين أن مرحلة الفاعلية التجريدية التي تلي سن الثانية عشرة تتميز بتجاوز الواقع وبتقبل الفروض والافتراضات وبتقدير خاص لمفهوم القلب **(أي وضع الشيء في عكس وضعه)**، وهو المفهوم الذي يلم به الطفل بصورة مبسطة في حوالي السابعة من عمره.

ويقترن سن الثانية عند ظهور الوظيفة الترميزية **(السيميوتيك)**، بظهور مرحلة الأنوية أو التمركز الذاتي في حين يقترن سن الثانية عشرة بظهور المراهقة.

ولذلك اعتدنا أن نقول في فلسفة التربية عند بياجيه، إن مرحلة ما قبل الفاعلية وما بعدها من الثانية عشرة تبدأ بفورة وتنتهي بفورة، والفورة الأولى هي التي تحدث في سن الثانية، والفورة الثانية هي التي تحدث في سن الثانية عشرة.

ولكن لماذا فورة ؟!

نسمي سن الثانية سن الفورة الأولى، لحدوث انشقاق عنيف بين ذات الطفل وعقله النامي وبين عالمه الخارجي. **فالطفل في المرحلة الحسية الحركية لا يظهر أي إحساس بذاته، كما لا يظهر أي إحساس بالحدود الفاصلة بين معطيات العالم الخارجي وعالمه الذاتي الباطني.** ولا ينتهي هذا الخلط بين معطيات العالم الداخلي الباطن والعالم الخارجي إلا في لحظة إمكان تأسيس الذات في مقابل ذوات الآخرين، وانتهاء فترة عدم التمييز بين الذاتي والموضوعي. وهذه في حد ذاتها فورة عارمة في حياة الطفل ولا يخفف من عنف الانشقاق الذي يحدث أثناءها سوى ظهور الأنوية أو التمركز الذاتي في تلك السن من حياة الطفل، مما يؤسس ما يشبه المظلة الواقية التي تخيم على هذا الانقسام الذاتي الشيئي. وهي نفس لحظة ظهور الوظيفة الترميزية والقدرة الذهنية الامتثالية. وهذا كله من شأنه أن يزحم حياة الطفل بما يجعلها حافلة بشتى الصعاب، فتقوم مظلة الأنوية بدورها في الحفاظ على تآزر الحركات. ويظل التركيز قائماً في الجسم نفسه بطريقة آلية، مما يسمح ببروز نرجسية مؤقتة **(بدون ظهور الأمر نارسيس نفسه)**. .

ظهور الأنوية في جسم الطفل

لقد كانت تتوالى قبل سن الثانية في مستويات مختلفة من الحسية الحركية بوادر التآزر التدريجي بين الأفعال، ولكن في سن الثانية لا يصبح كل فعل من الأفعال حركة معزولة قائمة بذاتها، وإنما تتحول الأفعال باطراد أسرع بواسطة تمثيلها المتصل **(الأسيميلاسيون)** إلى صور من التآزر الحركي فيما بينها، بحيث يتألف نوع من الارتباط بين الوسائل والغايات وهو ما يميز الذهن بالمعنى الصحيح ويجعل معناه مرتبطاً بما نطلق عليه اسم **الذكاء.**

وعندئذ فقط تصبح الذات مصدراً للأفعال وللمعارف ما دام تآزر فعلين يترتب على مبادرة تتجاوز التعاون المتشابك المباشر في ضروب السلوك البدائية بين الشيء الخارجي والجسم. وبناء عليه يحصل الشيء على صفة الاستمرار في حياة الطفل الجديدة لأن تآزر الحركات ينبني على تحريك الأشياء. وطالما بقي هذا التحريك خاضعاً للتآزر فإن جملة الانتقالات أو التحركات التي تتضح شيئاً فشيئاً بناء على هذه الواقعة، تؤدي إلى اسباغ خاصية الأوضاع المتكررة المحددة على الشيء الخارجي. وهكذا تصبح للشيء استمراريته الزمانية المكانية **(الزمكانية)**، التي تنبع منها علاقات السببية. وهذا يشبه الانقلاب العام في منظورات الطفل بحيث يتعرض أنوياً لاعتبار جسمه شيئاً بين الأشياء في عالم زماني مكاني سببي **(مبني على السببية)**، يصبح هو نفسه بداخله بمثابة جزء متكامل يتعلم فيه اتيان التصرفات الفعالة الايجابية.

مفهوم التمثيل (الاسيميلاسيون)

وهنا نتوقف لحظة للاشارة إلى الاختلاف بين ما نسميه **التمثيل والتداعي**، كما تصوره في العادة مدارس الترابطية أو السلوكية والانعكاسية **(ريفليكسولوجي)**، فمفهوم التداعي يشير هنالك إلى رابطة خارجية بين عناصر متداعية أو مترابطة في حين أن مفهوم التمثيل يستلزم مفهوم تكامل المعطيات الخارجية في بناء سابق أو تأسيس بناء جديد على هيئة أولية في شكل رسوم تخطيطية أو ما نسميه بالاسكيمات. أو بعبارة أخرى الترابط والتداعي في السلوكية وفي الانعكاسية وفي الترابطية علاقة برانية ظاهرة بين مجموعة من العناصر المتكاثفة في هيئة تداعيات. **أما التمثيل في علم النفس الناسلي، وهو علم النفس عند بياجيه، فهو مبني على تآزر المعطيات المتكاملة في أنساق بنيوية سابقة وفي أبنية جديدة لاحقة تأخذ شكل المجملات التخطيطية أو الاسكيمات التي تفرض خصائصها الوراثية أو المتوارثة على أبنيتها المستقبلية.**

فالتمثيل هو وسيلة الرضيع في المرحلة الحسية الحركية لاكتساب سلوك جديد أو لاستحواذ نماذج سلوكية أكثر فائدة. وتوجد عمليتان متكاملتان في حياة الرضيع وهما :

١ - **التمثيل** (أسيميلاسيون).

٢ - **والتعديل** (أكوموداسيون).

والتمثيل هو تطبيق نموذج سلوكي سابق على موقف مألوف أو على موقف جديد. وعندما يفلح الرضيع في اجتذاب التفات من حوله بالصراخ فيحملونه ويدللونه يكرر هذا السلوك. وإذا لم ينجح في جذب انتباه من حوله قام بتعديل طريقة البكاء أو اكتفى بتحريك الساقين تحريكاً قوياً أو بالسعال، أو أتى بأصوات أشبه بالغرغرة مع الاستعانة بأصابعه ليتقرب إلى من حوله وليثير عواطفهم نحوه. وعندئذ يكون الرضيع قد لجأ إلى تعديل نموذج السلوك السابق. **فالتعديل هو تغيير نموذج سلوك قائم لا يؤدي الغرض المطلوب منه في موقف جديد.**

وهذا يؤكد أن الرضيع خلال السنتين الأوليين يكتسب معرفته بالعالم الخارجي خلال أفعاله الخاصة وليس عن طريق تلقين أو تعليم من حوله. فهو يتابع الأشياء المتحركة والأشياء التي تصدر عنها أصوات والأشخاص الرائحين والغادين من حوله، والأجسام التي يصادفها أثناء زحفه على الأرض، والخطوط والأشكال التي تستلفت انتباهه. ويمارس أيضاً عمليات ملاحقة ومتابعة الأشياء كما يتعلم تآزر حركات العين واليد والساق من أجل الامساك بالشيء المطلوب وعوامل الوراثة ووجود الوالدين، والوالدة بالذات، حوله من شأنه التأثير على قدراته وإعداداها وصقلها. ولكن التلقين لا يفيد شيئاً في تعجيل المراحل التي يمر بها والمعارف التي يستقبها.

لماذا نسميها الناسلية ؟

وأتوقف هنا لحظة أخرى لأن هذه النقطة بالذات هي ما يميز الناسلية في حد ذاتها ويجعل اسمها مطابقاً لطبيعة تفسيرها. ولولا هذه النقطة المميزة لأمكن قبول اسم التكوينية على هذا العلم

إن الأفعال الذكية هي التكيف مع مواقف جديدة والذكاء هو القدرة على التوازن، وعلى الرغم من أن الذكاء يعين الطفل على التكيف مع مواقف جديدة فالمواقف نفسها ليست جديدة جدية كاملة.

النفسي الجديد. لولا خاصية الفاعلية المتماسكة المؤلفة من أنساق متوارثة إلى جانب الأبنية المستحدثة صورة اسكيمات تتفاعل طولا وعرضاً لأمكن الاكتفاء باسم التكوينية كما يجب أن يسميها الكثيرون. ولكن التكوينية قد يوصف بها علم نفس النمو وقد تطابق التأليف أو التوليف أو التشكيل أو الجينيز. أما الناسلية (**أو الجينيتيك**)، فليست نسبة إلى **جينيز**، وإنما نسبة إلى **الجينات أي الناسلات**. فضلاً عن أن جينيتيك اسم مستقل يوصف به علم الوراثة من حيث انتقال الخصائص في الناسلات أو الجينات وفاعليتها طولا وعرضاً كاسكيمات متآزرة تفرض نفسها بين أجيال من الخصائص والمزايا، **والنسبة إلى الجينيز هي جينيزيك وليس اسم الجينيتيك.**

والناسلية أو علم النفس الناسلي يكاد يكون سلوكياً ولا يخرج عن كونه سلوكياً لسببين واضحين:

●● **أولا**: الناسلية تعطي تفسيرات مبنية على استمرار التواصل بين مراحل عليا ومراحل سفلى، سواء كانت هذه المراحل مجتمعة في فرد واحد أو في أفراد متلاحقين من جيلين متتابعين أو أكثر. وبذلك تعبر الناسلية عن النمو الفكري من حيث هو عمليات وتعتبر هذه العمليات أفعالا جوانية تفرضها اسكيمات ذات معالم وملامح متتابعة ومتواصلة في حلقات مؤلفة من مراحل مختلفة أو من أجيال متلاحقة.

●● **ثانياً**: الناسلية سلوكية في منهجها لأنها تبحث عن القوانين التي يخضع لها التحقق الواعي في كل مرحلة وفي كل جيل. فالناسلية ذات منهج سلوكي موضوعي.

ولعل الخلط بين الناسلية والتكوينية ناشىء عن أن هذه الأخيرة تطلق أحياناً على مدارس سيكلوجية فسيولوجية تصف تطور الكيان النفسي والعضوي للإنسان.

ولكن المشكلة في الناسلية ليست مشكلة تكوين متطور، وإنما هي مشكلة اكتشاف عمليات تحكم الاسكيمات الباطنة في تواصل الحلقات الممتدة عبر أجيال من حياة عدد من الأشخاص أو عبر مراحل من حياة الشخص الواحدة الممتدة من مستويات عالية إلى مستويات دنيا في أطوار النمو الذهني وفي حلقات تواصله.

التآزر

وهنا ونحن نواجه **مشكلة الأنوية أو التمركز الذاتي عند الطفل** في سن الثانية، نشعر عموماً بأن تفكير الطفل يواجه في المرحلة الكبرى بين الفورتين: فورة سن الثانية وفورة سن ١١ - ١٢ سنة، عملية تقدم تلقائي من الواقعية إلى الموضوعية وكذلك من الواقعية إلى التناظر (**ريسيبروسيتي**)، ومن الواقعية إلى النسبية.

بطبيعة الحال نحن نعرف جميعاً كيف يبدأ الطفل الرضيع في أشهره الأولى في متابعة الحركة التي تبدأ بالهزات المتواصلة المصحوبة أحياناً بأصوات وبتكرار مشاهدة الرضيع للأشياء التي تهتز أو التي تصدر أصواتاً، نجده يتوقع دائماً بملامسة نفس هذه الأشياء مرة أخرى أن يسمع صوتاً أو أن يرى حركية معينة. ومن هذه الحركات الأولية البسيطة جداً يشرع الرضيع في بسط آليات هذه الحركات وتمثيل الشيء المرئي في رسمين تخطيطيين أو في اسكيمين في آن معاً، مما يخلق عنده أوليات ومبادىء التمثيل المتناظر. فمثلاً لو أصدر الشيء المهتز أو المتأرجح صوتاً لأصبح هذا الشيء مرة بعد مرة وتلقائياً شيئاً يرى أو شيئاً يسمع. وهذا يولد ما نعرفه هنا باسم التمثيل المتناظر الذي يؤدي إلى خلق رغبة لدى الرضيع من أجل تحريك وأرجحة أية لعبة انتظاراً للصوت أو للايقاع الحركي. **وفي هذه الحالة تبق الوسائل والغايات غير متمايزة نسبياً. ولكن في مرحلة تالية يحدد الرضيع هدفاً قبل بلوغه ويستخدم طرقاً مختلفة في التمثيل من أجل بلوغ ذلك الهدف مثل التحريك بالدفع والهز والجذب.**

ومهما تكن بدائية هذه العمليات فهي نموذج لما يحدث من بعد عند بناء ارتباطات جديد بعد السنة الأولى من عمره من التفريعات المستمدة من الأشياء نفسها أو من مجمل الأفعال التي يمارسها بالنسبة إلى الأشياء. وترتيب الوسائل والغايات مع التسليم بنظام تتابع الحركات التي ينبغي عليه أداؤها يصور خطوة جديدة بالنسبة إلى مجموعة الأفعال الشاملة التي تحفظ الوسائل والغايات في وسطها بلا تمايز. ولكن هذه الخطوة الجديدة أساسية في ايجاد علاقات النظام والتخلف اللازمة في كل تآزر. **ولكن لا ينبغي الخلط بين هذه الصور البدائية جداً للعلاقات وما ينشأ بناء عليها فيما بعد من العلاقات الواعية.**

ولكن المهم هو أننا نرى اعتباراً من مستوى الحسية الحركية للرضيع التمايز الناشىء بين الذات والموضوع. وهذا التمايز يتحدد دفعة واحدة بتكوين التآزرات وتمييز نوعين أحدهما من الآخر. **فهناك أولا التآزرات التي تربط فيما بينها أفعال الذات، وهناك ثانياً من ناحية أخرى التآزرات التي تتعلق بالأحداث التي تنشأ بين الأشياء بعضها بعضاً.**

والتآزرات الأولى تتألف من تجميع أو فصل عدد من الأفعال الذاتية بحيث تنتظم أو تختلف أو تتجاوب وتؤلف الأشكال الأولى من التآزرات العامة التي تكمن في أساس الأبنية المنطقية الرياضية التي ستتوفر فيما بعد للطفل كطالب بالمدرسة الابتدائية. أما التآزرات الثانية فتسبغ على الأشياء تنظيماً زمانياً مكانياً (**زمكانياً**)، حركياً مماثلاً لتنظيم الوقائع ويمثل مجموعها مطلع ما نسميه بأبنية السببية التي تكون قد وضحت مظاهرها الحسية الحركية. أما الأفعال الذاتية بالنسبة إلى الأشياء الخارجية فتأخذ بنصيب من السببية بقدر ما تؤثر مادياً في تعديل الأشياء نفسها أو تعديل ترتيبها. وهذه هي نواة الفكر قبل المنطقي.

وهنا في هذه المرحلة يستطيع الرضيع أن يستخدم العصا في دفع شيء تحت سرير أو في غير متناول يده. ويمكن أن يستعيد الظروف الزمانية لاستعادة (العروس) أو اللعبة. فمثلاً إذا رأى الطفل في سن ١٨ شهراً لعبة فوق (الدولاب) طلبها. ثم لو عاد إلى نفس البيت بعد فترة دخل نفس الغرفة بحثاً عن اللعبة فوق (الدولاب). وإذا لم يجدها جذب شخصاً قريباً من ملابسه وأشار بالصوت واليد إلى موقع ما كان قد رآه هنا من قبل كطلب للعبة أو للعروس.

وفي نهاية السنة الثانية تكون قد تميزت تآزرات الذات وتآزرات الوقائع الخارجية ويبدأ الطفل يدرك ذاته وما ليس بذاته. ولكن هذا الانقسام العنيف لدى الطفل تظلله مرحلة الأنوية التي تمتد أحياناً حتى سن الرابعة أو الخامسة، فتخفف من غلواء الانقسام والانفصال بين ذاته وما ليس من ذاته.

الفكر قبل الفاعلي

وتبدأ بعد سن الثانية المرحلة الأولى من مرحلتي الفكر قبل الفاعلي. وهي تمتد حتى سن الخامسة. أما المرحلة الثانية من الفكر قبل الفاعلي فتمتد من الخامسة إلى السابعة، وبعد السابعة تظهر المرحلة الفاعلية وتنقسم بدورها إلى مرحلتين من السابعة إلى التاسعة ومن التاسعة إلى الحادية عشرة أو الثانية عشرة.

الآن لكي تتحدد لنا الأمور سنقول إن ثمة مرحلة واحدة ممتدة من سن الثانية حتى سن الثانية عشرة. ولكن هذه المرحلة تعتبر كلها عملية تقدم تلقائي من الواقعية إلى كل من الموضوعية والتناظر والنسبية. وهي تنقسم بدورها إلى مرحلتين قبل فاعليتين ومرحلتين فاعليتين.

وقبل الفاعلية هي سنوات ٣، ٤ كفترة أولى.

وسنوات ٥، ٦ كفترة ثانية.

أما سنوات الفاعلية العينية فهي سنوات ٧، ٨ كفترة أولى.

وكذلك سنوات ٩، ١٠ كفترة ثانية.

ونريد أن نشرح هنا كيف يتطور أولا ذهن الطفل ويواجه الواقع الخارجي،

●●● إن الهدف الأساسي من التربية ومن تنشئة الأطفال، هو تنمية فكرهم المنطقي ، وبلوغ درجة الفكر المجرد يمثل أرفع درجة من التقدم في تطور الإنسان.

وثانياً كيف تتطور تصورات الطفل وهو يرتقي سلم المعرفة ويتبادل خبراته مع تزايد معارفه .

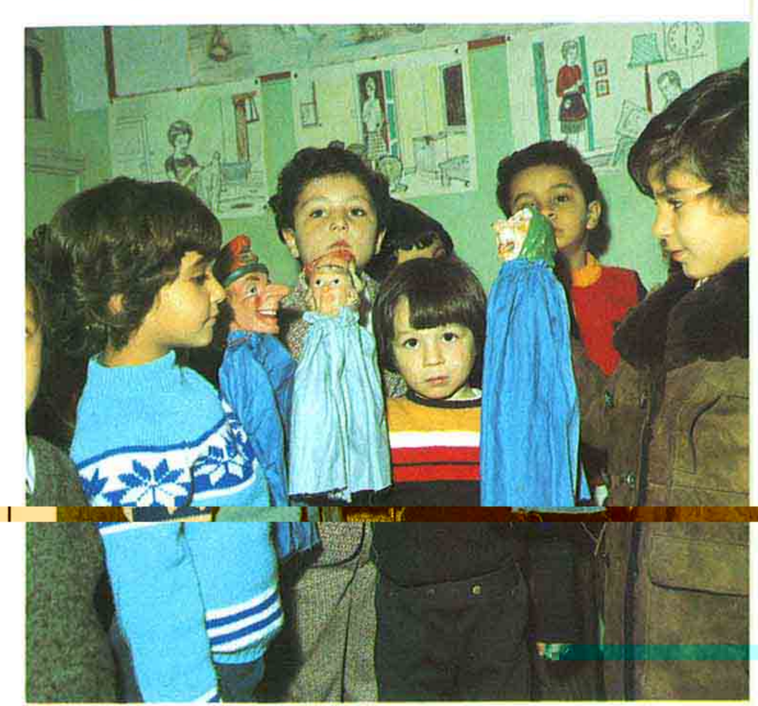
ففي السنة الثالثة من حياة الطفل تظهر أفعال بدائية غير متآزرة فيا بينها ولا تتحقق اسكيمات الذهن الحسي الحركي في شكل تصورات خاصة ، ولا يتحقق وجود الفكر بعد . ولا يصبح الفكر حقيقة مقررة إلا باقتراب سن الرابعة ونهايته بالذات أي في مقتبل الخامسة . ويتأخر ظهور الفكر على هذا النحو لعدم استكمال أجهزة الترميز واللغة . ويتقدم الطفل في استخدام اللغة واستعمال الرموز والصور العقلية بتغير الموقف بأكمله بشكل ملحوظ . **وتدريجياً يحل محل الأفعال البدائية نوع جديد من الأفعال التي يتم استبطانها وتتحول شيئاً فشيئاً إلى ما يشبه التصورات .**

فالتصورات لا تتحقق إلا بالامتثالات (**ريبريزانتاسيون**) ، واللغة ، ويفترض استبطان الأفعال إنشاء مستوى أعلى من الدرجات وقدرة على تفهم سلسلة من الأفعال المستحدثة التي لا تقبل النكوص إلى مستوى سابق متخلف . وقد أجرى **سخيمينسكا** Szeminska عدداً من التجارب على أطفال سن ٤ ، ٥ سنوات ، وأظهر أن هؤلاء الأطفال يستطيعون الذهاب إلى المدرسة والعودة منها بمفردهم ولكنهم لا يستطيعون استعادة امتثال الطريق بواسطة أدوات وأحجام وأشياء مادية تحدد ملامح البيوت أو ما يوجد في الطريق .

الذهن والذكاء

ويمكن أن نشير هنا إلى أننا آثرنا ترجمة لفظة (انتليجانس) ، **بالذهن** ، ونفضل أحياناً ترجمتها **بالذكاء** وفقاً للسياق . إذ يستمر سياق الذهن عند الطفل ممثلاً في الأفعال البدائية غير المتآزرة ، وفي مستوى الأفعال المتآزرة الخاضعة للاسكيمات . ويستمر الذهن قبل ظهور الفكر وأثناءه وبعد ظهوره . ولذلك يحسن استخدام الذهن كترجمة للفظة (**انتليجانس**) التي تعني الاثنين معاً في اللغة الأجنبية (**الذهن والذكاء**) ، اللهم إلا في الحالات التي يشار بها مباشرة إلى الذكاء .

وقد آثر **بياجيه** سنة ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ م ، قبل مغادرته التعليم بجامعة جنيف ، أن يجعل محاضراته الختامية عن الذهن والذكاء ، وتساءل **بياجيه** ، في المحاضرة الأولى عما يعنيه بهذا اللفظ ، وقال إن الأفعال الذكية هي التكيف مع مواقف جديدة . الذكاء عنده هو القدرة على التوازن . وعلى الرغم من أن الذكاء يعيننا على التكيف مع مواقف جديدة فالمواقف نفسها ليست دائماً جديدة جدية كاملة . **وفي العادة نقبل على فهم المواقف الجديدة بعبارات خاصة من معارفنا السابقة التي نفرضها عليها .**



وقال إن ثمة نوعين من الذكاء أو من أفعال الذكاء :

- **أولا فهم الموقف .**
- **ثانياً اختراع الحل المبني على فهمنا للموقف .**

ومعنى هذا أن فهمنا للموقف جزء من تكيفنا معه . وكيف نفهم الموقف؟ أو بمعنى أشمل كيف نفهم الموقف في المحيط الذي نعيش فيه ؟ إننا ندرك الموقف بتمثيله وضمه إلى معرفتنا التي سبق أن ألفناها وفرضناها على الموقف . ولا يمكن رؤية موقف ما (**كما هو في حد ذاته**) ، أو (**من حيث هو قائم**) ، أو (**بما هو عليه**) في الواقع الخارجي . إننا نستطيع أن نفهم الموقف بتمثيله وضمه إلى معرفتنا السابقة .

والمعرفة التي نصحبها كل مرة إزاء الموقف الجديد ، هي ما يسميه **بياجيه** بالأبنية لأن المعرفة تقوم دائماً على الأبنية وتنتظم بشكل ما في كل مستويات العمر . وهناك المثل المشهور الذي يضربه **بياجيه** عادة ، وهو أننا نفكر وكذلك يفعل الطفل . ولكن الطفل يفكر بأجهزة وأبنية مختلفة عن أجهزة وأبنية الرجل البالغ . وهذا يحدث تماماً كما هو الحال في التنفس لدى الإنسان ولدى الأسماك . فالأسماك تتنفس والإنسان يتنفس ولكن التنفس في الحالتين لا يتحقق بنفس الأجهزة . والطفل يفكر والرجل البالغ يفكر ولكن بأجهزة مختلفة عن الأجهزة التي يستعملها الطفل في تفكيره .

ويبدأ تنظيم المعرفة في الوجود في سن سنتين داخل اطار الفكر ، ولكن الفكر لا يكون عندئذ قد تحقق إلا في شكل أبنية مجتزأة . وكلما تقدم العمر يؤسس الطفل أبنية أكثر تمحيصاً وقدراً حتى يتحقق له جهاز اللغة في الثالثة والنصف ، وجهاز الفكر قرابة الرابعة والنصف ، وفي العادة يختلف محيط الطفل في سن الرابعة عن محيطنا نحن البالغين حتى لو عشنا في نفس الظروف المادية والطبيعية . وبسبب كل ذلك أننا لا نفهم الحقيقة ولا نلمس الواقع الخارجي إلا بتمثيله في أبنية أعددناها لأنفسنا من قبل . **وبعبارة أخرى تتحدد طبيعة احتكاكنا بالوسط الذي نعيش فيه عن طريق أبنيتنا المعرفية .**

ومثال ذلك أن البالغ يستطيع أن يدرك إذا وقف متحدثاً في جمهور من المستمعين عدداً من العناصر التي لا يمكن أن يستوعبها طفل في الرابعة من عمره في نفس الموقف أمام نفس المؤثر الخارجي . وكذلك تتماثل الرؤية في شبكية العين لدى طفل السنة الثانية ، ولدى طفل سن الرابعة ، ولكن الابلاغ أو المعلومات في كلتا الحالتين لا يكون واحداً . **وبعبارة أخرى يمكن القول بأن الابلاغ أو المعلومات شيء والمعنى شيء آخر .** وإذا استقبلتها البنية العضوية فهما لا يتحدان ولا يتحددان إلا على ضوء الأبنية التي يواجه الشخص الموقف بها . وأهم ما نشير إليه هنا هو أن الطريقة التي يحوّل بها طفل سن الرابعة الوقائع الخارجية أو المؤثر الخارجي في الوسط المحيط به هي طريقة أكثر جموداً واستاتيكية وأنوية وتشويهاً من الطريقة التي يدرك بها البالغ نفس المؤثر الخارجي وطريقتنا كبالغين أكثر تجاوباً واتفاقاً مع الواقع الخارجي لأن أبنيتنا المنطقية الرياضية أكثر تأصيلاً وتمحيصاً .

المرحلة الفاعلية

وهي المرحلة التي يظهر فيها المنطق المحسوس في حياة الطفل بعد سن السابعة . وهنا تتم الأفعال التصورية عند الطفل على مستوى العمليات كتحولات عكسية . ويرجع ذلك إلى حدوث تقدم ملحوظ في التآزر الذي هو أخص ما يميز العمليات بحكم تكوينها المستمر للأبنية . ومهما يكن أمر خصائص هذه المرحلة فهي لا تحدث فجأة ولا تظهر بدون مقدمات ، وإنما تترتب شيئاً فشيئاً على المكونات السابقة التي تكلمنا عنها . ويمكننا أن نشير هنا إلى **أمرين :**

● **أولا :** أن مرحلة الفاعلية تتطلب التعلم السريع لسرعة تكوين الأبنية ولظهور الأفعال التصورية كتحولات انعكاسية .

● **ثانياً** : البدايات المطلقة والنهايات المطلقة لا وجود لها في علم النفس التناسلي ، حتى لحظة الولادة نفسها فهي سلسلة جديدة من عمليات مرحلة مختلفة عن مرحلة سابقة تخضع لاسكيات مسبقة وتخضع لغائية جديدة .

وكل ما يمكن قوله هنا هو أن هذه المرحلة تمثل مرحلة عبور من أنواع معينة للسلوك إلى أنواع أخرى من السلوك . ويمكننا القول بأن العبور هنا يصل إلى أنواع من السلوك المميز في شكل عمليات تختلف عن التنظيمات البسيطة فيما قبل السابعة ، لأنها لا تتقدم في هيئة تصحيح . لقد كان التصحيح هو الطابع المميز للتصرفات البسيطة قبل السابعة . ولكنه بعد السابعة لا يغني فتيلاً ويصبح استمراره معيباً ، لأن التكوين المعكوس قابل للتصور عند الطفل بعد السابعة ، ومن ثم عليه أن يتصرف بدون تكوين امتثالات كاذبة ويعود بعد ذلك لتصحيحها وإلا كان تعليمه خاطئاً ويستحيل التصحيح بعد ذلك من بعض الأحيان .

ولنأخذ مثال التسلسل العددي . إذا توفر لدينا ١٢ عصا مختلفة فيما بينها من حيث الطول مما يثير المقارنة في الحال بين أطوالها ، ووضعناها بين يدي أطفال سنجد أن أطفال قبل المرحلة الفاعلية يتقدمون في ترتيبها زوجياً أو ثلاثياً فيجمعون الطويلة والقصيرة ، أو الطويلة والمتوسط والطويلة ، ولكن دون إحداث الترتيب المتسلسل الموحد . أما في المرحلة التالية التي تتميز بالمنطق العيني فنجد الأطفال قادرين على تحقيق السلسلة المرتبة الصحيحة وإن كان ذلك يتم بالتحسس والتصحيح في بعض الأحيان والمراجعة . وهذه الطريقة تسمح للطفل بأن يبحث عن عنصر أساسي للموازنة بين الأكبر والأصغر . وهكذا تظهر عنده علاقة (س) ، بما يكبرها وما يصغرها .

وهذه العملية صورة مصغرة لما يحدث للطفل بعد ذلك في سن الثانية والتاسعة ، حيث تتألف الأبنية الفاعلية الحقيقية في اطار عمليات الاحتفاظ بالكميات والتسلسلات ومقارنة الأثقال .

ويمكن القول بأن الطفل في سن السابعة والثامنة ، يكون قادراً على ايجاد أبنية متعددة التلازم ، ومتعددة التضايف والجمع . فيمكن فهم المسلسلات ٢ ـ ٤ ـ ٦ ، ٣ ـ ٦ ـ ٩ ، ٥ ـ ١٠ ـ ١٥ .

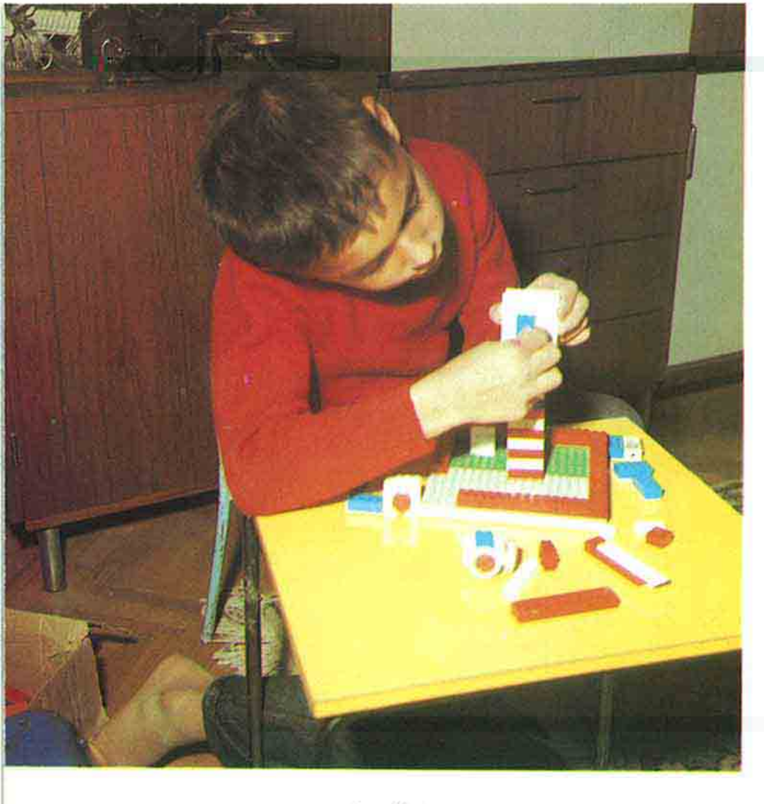
أثر المرحلة قبل الفاعلية على التلميذ الابتدائي

يشير **فلافيل** Flavell إلى الملامح العامة في كتابه عن **علم نفس النمو عند بياجيه** (ص ١٦٥) ، المؤلف سنة ١٩٦٣ م ، فيقول إن الفوارق المعرفية العامة بين أطفال ما قبل المدارس وأطفال المدارس تكمن أساساً في طابع التفكير الفاعلي العيني . فالطفل في سن المدارس يتحكم بدرجة أكبر في نسق معرفي متكامل ومتناسق يحاول أن ينظمه ويتداوله ويستفيد منه في احتكاكه بالعالم الخارجي . ويعطينا الطفل في هذه السن الانطباع الواضح بأنه يمتلك أرضية معرفية متينة ، ذات مظهر متآلف ومتصل ، فضلاً عن مرونته ، بحيث يمكنه أن يقيم أبنيته الحاضرة على أبنية سابقة ، وأن يشتق الأبنية الحاضرة من السابقة بدون انفصال أو وقوع في الارتباك والتناقض .

ومن الملاحظ أن اهتمام بياجيه بتعميق المعرفة والفهم لهذه المراحل ، قد زاد من فهم المعلمين جميعاً لحقيقة التجربة عند الطفل . وعلى الرغم من أن بياجيه قد تقدم بأبحاثه التربوية اعتباراً من سنة ١٩٣٠ م ، وأنه قد كان عضواً نشيطاً في إحدى لجان **اليونسكو** التربوية منذ سنة ١٩٥٠ م ، ونشر بحثاً جديداً عن علم التربية سنة ١٩٦٠ م ، فقد انحصرت جهوده في التعريف بطبيعة المعرفة وعلم نفس الطفل أكثر مما اهتم بتسجيل مظاهر التربية وحدها في حد ذاتها ومستقلة عما عداها . ولذلك فإن معرفة بياجيه من شأنها أن تغير سلوك المعلمين تغييراً جوهرياً ، بل وأن تدفعهم إلى تعديل مواقفهم حيال التلاميذ ، فمبادىء التعلم المستخلصة من معرفة النمو الذهني للطفل شيء له دلالته ويؤدي إلى التأثير الكبير على نظرية التربية وتصرفات رجال التربية . ومتابعة النمو الذهني في عمليات التعديل والتكيف والتمثيل ستكون مفيدة فائدة جمة في إحداث تغيير تربوي شامل .

فالطفل يتعلم مثلاً في حوالي سن الرابعة ، سواء في المنزل أو في الحضانات التي صار يتردد عليها ، أن الأكبر في الحجم أثقل وزناً . بل يتعلم الطفل في الرابعة أيضاً أشياء كثيرة من هذا القبيل منها أن الأكبر هو الأقوى ، مثل السحب ومثل الفيل ومثل أفراد المنزل الكبار . ويتعلم أيضاً أن الأكبر هو الأجدر بالاحترام والمهابة وتبدأ مظاهر الطبيعة في التأثر بهذا المنظور في مشاعره وانطباعاته وتكاد تصبح هذه قاعدة عامة . ثم يصل الطفل إلى المدرسة بهذا المفهوم أيضاً ، وهو أن الأكبر في الحجم أثقل في الوزن . ومهما كرر المعلم وأعاد أن الوزن غير مرتبط ارتباطاً اطرادياً بالحجم ، فالطفل يظل عموماً على انطباعه الخاطىء مهما فسروا له ذلك بالشرح .

ولكن الشيء المؤثر فعلاً في هذا المجال ، هو اعطاؤه الفرصة لمزاولة التجارب العديدة التي تبرهن له حساً ومنطقاً أن الحجم ليس عاملاً مؤثراً في الأوزان ، حتى يشرع في دراسة وموازنة الأثقال والأحجام بما يدفعه إلى الثقة في صيغة جديدة يؤلفها بنفسه في الموازنة بين حجم البالونة أو



★ الطفل والاختراع ★

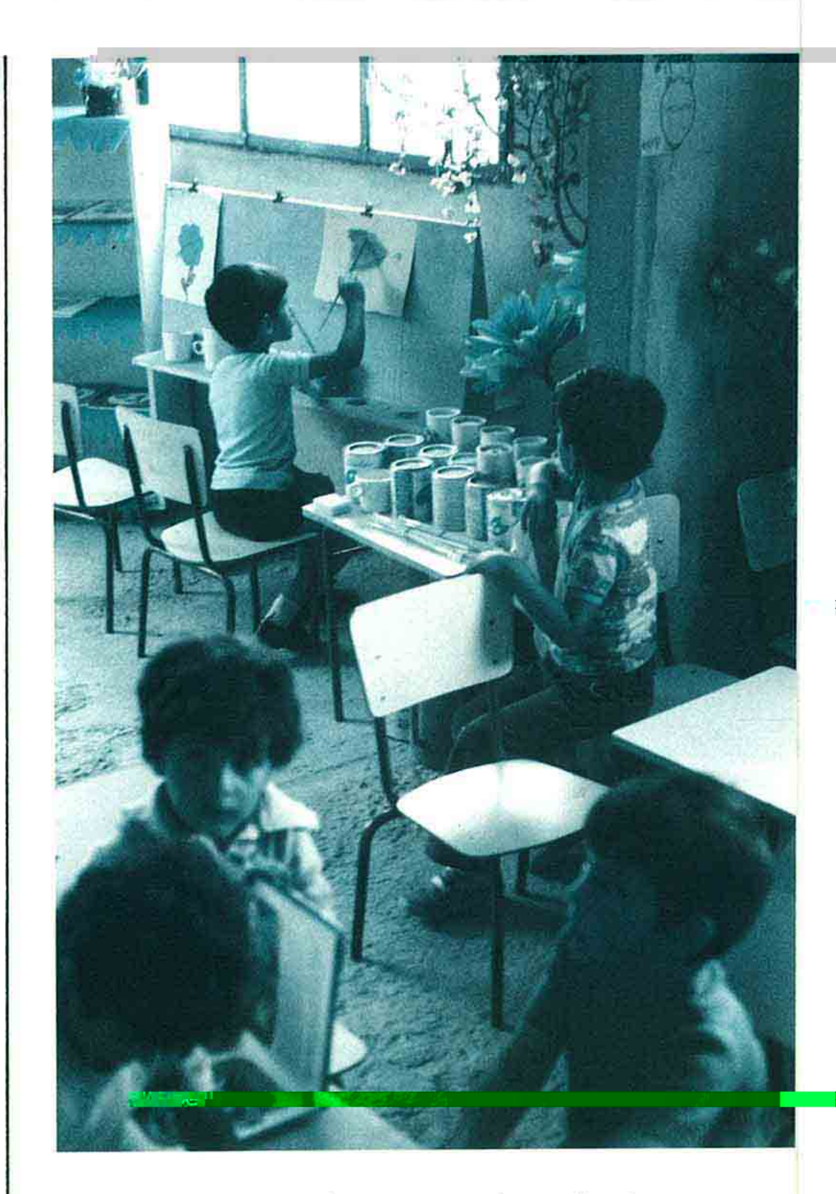
الكراس ووزنهما . وبهذه الطريقة يستطيع تلميذ المدرسة الابتدائية أن يشارك في تجميع ملاحظاته بنفسه مع زيادة اقتناعه باسكياته وبقيمة بحثه الشخصي عن المعارف العملية . **وفي هذه السن يكون تأثير بلوغه إلى الوقائع ومعرفته بعدد من الملاحظات ذا فاعلية كبرى في تحقيق شعوره بذاته .**

وعملية الجدولة والتصنيف التي يقوم بها الطفل في المرحلة قبل المدرسية وبعدها تستغرق وقتاً طويلاً وتحتاج إلى تجارب عديدة من أجل الالتئام والتوافق . وهذا يدعونا مرة أخرى إلى التذكرة **بأن الهدف الأساسي من التربية ومن تنشئة الأطفال هو تنمية فكرهم المنطقي . وبلوغ درجة الفكر المجرد ، يمثل أرفع درجة من التقدم في تطور الإنسان .** ولذلك نقول إن الطفل يشرع في تكوين أبنيته الذهنية والنفسية وتأليف جداوله ورسم مخططاته منذ وقت مبكر . ويلزمه عادة من أجل جدولة الشيء المرئي عدداً من السنوات يقضيها في الملامسة والممارسة وفي الاشتباك الحقيقي مع ذلك الشيء . **ولا يمكن استبعاد العامل الزمني من تاريخ النمو للطفل .** ولنأخذ مثلاً على ذلك تجربة الطفل للكمثرى . فالطفل لا يلبث في المرحلة الأولى كرضيع في المرحلة الحسية الحركية . لا يلبث الطفل أن ينظر إليها كأي شيء مجسم له كتلة ، إلا أنها تتميز قليلاً بأنها تحتاج إلى طريقة معينة في الامساك بها . **فهي تشبه أية كتلة أخرى ولكنها تحتاج إلى طريقة امساك خاصة . وتثير رائحتها وملمسها نشاطاً مختلفاً لديه .**

ويمكننا استعراض مئات التجارب التي يمسك الطفل الفاكهة بها ويحاول أثناءها تجميع عمليات التمثيل والمواءمة الضرورية ، حتى يتعرف عليها بالرؤية وبالإحساس وبالرائحة وبالذوق . ويحاول اكتساب القدرة على تمييزها مما عداها بالشكل البيضاوي واللون والرائحة والطراوة . ويحاول كذلك أن يتمثلها بالمحاكاة أو بالشكل وأن يدخلها في قائمة معينة من الأشكال التي يشاهدها ويتذوقها ، ثم يحاول بعد ذلك أن يدرك الصلة بينها وبين الشجرة والزارع الذي يملك الكثير منها والمناخ الذي تطيب فيه .

والواقع أن ملاحظات **بياجيه** حول تطور المعرفة عند الأطفال تعطينا فهماً كبيراً مميزاً لطبيعة التجارب المتتابعة في حياة الطفل قبل سن السادسة ، وتعيننا على الاقتراب من هدف التعليم المدرسي وتجعلنا نتناول أغراض التعليم ونتعرف على المسالك اللازمة لاكتشاف مستوى التفكير عند الطفل واستعداده للتعليم .

وفي السنتين الأوليين من حياة الطفل ، يكون التقليد مصدر التعلم الرئيسي . فالطفل يحاكي كل ما تمر بفطنته إن صح هذا التعبير . وهو يستخدم بدنه في تمثل الأشياء أو للتعبير عن صورته الذهنية للشيء بأفعاله . فإذا أعطيناه ملعقة أبدى حركة للأكل . وإذا أعطيناه نظارة قام بتقليد حركة القراءة ، وإذا أعطيناه ساعة ربطها حول ذراعه . وهذه الأفعال والمعاني تخصه وحده ومبنية



على ملاحظاته ، ولكنها توحي بأنه يملك صورة ذهنية لما يأتيه من الحركات والأفعال ، وأنه يربط بين تجارب من الحياة اليومية التي يراقبها بأفعاله الخاصة ، وكأنه يحاول ايجاد بطانة داخلية ذاتية من التصورات .

فالطفل في السنتين الأوليين يكتسب معرفته عن العالم خلال أفعاله وليس خلال تعليم والديه . ويتعلم متابعة الأشياء والزحف وراءها في المواقع المختلفة التي تمثل المكان ، وهو يتابع الحركة ممثلة في الأشياء المتحركة وفي حركات يديه نفسها وحركة الذهاب والاياب لكل من حوله ، وحركة الحشرات الزاحفة على الأرض (**مثل حرامي الحلة أو النمل الكبير**) ، ويمارس متابعة الأشياء المتحركة بجسمه ويتعلم ضبط بصره وتركيز عينيه ويديه بحثاً عن الشيء المطلوب . ولا يبدأ تأثير الأب أو الأم في التعلم إلا بعد سن ١٨ شهراً باستخدام اللغة . ويصبح هذا التأثير أكثر وضوحاً شيئاً فشيئاً .

والخطوة التالية لذلك هي أن يصبح قادراً على أن يضع شيئاً موضع شيء آخر أو أن يستبدل شيئاً بشيء . فهو يستخدم الأجسام المكعبة كسيارات ، ويجر المقاعد كالقطارات والأخشاب الطويلة كخيول ، ويعتبر اللعب من أنواع الطيور كأنها غذاء يؤكل . ويلتقط الأصوات المردده فتصبح امتثالات أيضاً بحيث تشير إلى التليفون أو الباب الخارجي أو صفير القطار وهو يغادر المحطة ، أو مواء القطة أو (كلاكس) السيارة ، ويستخدم لهذا كله أصواتاً مختصرة معبرة .

ويتطلع عندئذ إلى الاشتراك في المسرح الاجتماعي مع الأطفال الآخرين . فلا يكتفي بتقليد الأم في حركاتها في رعاية الأطفال الآخرين أو في إعداد وطهي الطعام أو اعطاء الأوامر والتنبيهات والتحذيرات إلى الأطفال ... بل يصبح هو نفسه بمثابة أم في قرارة تفكيره ، من حيث علاقاته نحو الأطفال الآخرين الذين يلاعبهم . وخلاصة موقف الأم هنا متعدد ، إما في استقبال الزيارات المنزلية أو في شرب فنجان القهوة أو الشاي ، أو في وداع الوالد على الباب وهو متجه إلى عمله خارج المنزل ، أو إعداد الأطفال للذهاب إلى المدرسة . **ونعتبر المسرح الاجتماعي هنا مرحلة فكرية واجتماعية متقدمة على مرحلة المحاكاة البسيطة لبعض الأفعال .**

والمشكلة الحقيقية التي تواجه التربية في المرحلة السابقة على الفاعلية وبالذات بعد سن السنتين هي مشكلة ايجاد التوافق بين الأبنية النفسية التي يمتلكها الطفل وبين الواقع الخارجي . **ومن المألوف طبعاً أن نقول إن هدف التربية الحديثة هو ايجاد حرية الطفل في ممارسة الحياة الواقعية وبناء هذا الواقع الخارجي .** وهذا تعبير دقيق يختلف عما اعتدنا قوله : **« التعليم عن طريق الفعل بالممارسة »** ، وهي كذلك شيء آخر سوى القدرة على تكوين عبارة سليمة أو الوصول إلى حل صحيح .

ليس هذا هو التعليم الذي تنشده مدرسة **بياجيه** ، بل التعلم من نظر **بياجيه** يتطلب الفهم والاستيعاب . ويتحتم تعليم الفرد كيف يتمثل المعرفة الجديدة إذا كانت صالحة للاستعمال وقابلة للاستخدام النافع المفيد . **فالمفروض تمثيل المعرفة أو تمثلها وادماجها في نسق لتكييفها حتى تتهيأ لتكون ذات معنى .**

وهنا في المرحلة التي تظهر فيها اللغة من الثانية حتى الثالثة والنصف ، وما بعدها يحسن أن ننبه إلى أن **بياجيه** يعطي أهمية في تكوين اللغة من أجل تقدم الفكر ، ولكن بدون اعتبار اللغة وحدها مصدر تكوين الفكر . بل مصدر تكوين الفكر حقيقة هو الأفعال الحسية الحركية السابقة على النطق والتي يؤديها الطفل قبل سن الثانية . فالطفل يقبل أولا على تداول الأشياء باليد ، ثم يحاول عن طريقها تحقيق رغباته . ويأتي بعد ذلك دور التناول والمعالجة مع الحرص على الشرح والتفسير وابلاغ الآخرين . ولذلك فاللغة تأتي لتكشف عن معرفته بالأشياء والأحداث والعلاقات فضلاً عن ردود أفعاله بالنسبة إلى كل ذلك .

وهذا الموقف يعارض طبعاً موقفاً تربوياً سابقاً كان يقرر أن الألفاظ هي كل شيء . ويكفي اعطاء الأشياء أسماءها ليصبح لدى الطفل أساس كل أدوات التفكير . **ولمعارضة هذا الاتجاه اللفظي بشدة ، ألح بياجيه على تأكيد أن التفكير المنطقي تفكير غير لغوي . وينشأ من محاكاة الطفل الرضيع للأفعال ومحاولة أدائها والسعي لمعالجة الأشياء وتداولها .**

ولا ينبغي أن نفهم من ذلك أن بياجيه ينكر أهمية الاحتكاك الاجتماعي وتحصيل اللغة . ولكن اللغة وحدها ليس لها أهمية أو قيمة في تنمية الذهن .

ولاثبات هذه النظرية والبرهنة عليها حاول **فارث** في كتابه عن **التفكير بدون لغة** (نيويورك سنة ١٩٦٦ م) ، أن يظهر أن الأطفال الصم يملكون نفس قدرات الأطفال الأسوياء عند اختبارهم في استخدام الرموز المنطقية ، في حين أن العميان يتأخرون عن الأسوياء في نفس الاختبار أربع سنوات على الأقل .

ومعنى هذا الموقف الجديد عند بياجيه ، أن أساس النمو في النشاط الذهني لدى الطفل الصغير ، هو التعرف على أهمية قدراته وإمكانياته كفرد مستوعب ايجابي ـ لا سلبي ـ لخبرات الآخرين ، وهو يدل في الوقت نفسه على ضرورة استبعاد دور المعلم كشارح وملقن للمعلومات . ويظهر هذا الموقف كذلك شكوكاً كثيرة حول الاستفادة من الترديدات اللفظية على المدى الطويل ، حيث يمكن فيما بعد أن تكشف لنا الاجابات اللفظية عند البالغين على جانب ضئيل من الاستيعاب التصوري .

وبطبيعة الحال نحن نلح بدورنا على التنبيه إلى اتجاهاتنا التربوية اللفظية السائدة في كل مستوياتنا والقائمة أصلاً على التحفيظ ، ولكنني أشير إلى استثناء مؤكد في الطريقة التربوية اللفظية ، وهو أنها صالحة بخاصة في حالتي التربية الدينية وتعلم اللغات ، لأن هذا التعلم يعتمد على طريقة التداعي في تثبيت العقيدة واستدعاء معاني الألفاظ الأجنبية . **ولذلك ففي هاتين الحالتين يلزم استبقاء الطريقة اللفظية بحكم قيام العقيدة على أساس ثابت وقيام الاستدعاء اللغوي الأجنبي على مبدأ الاقتران الذي يعد أحد القوانين الرئيسية في التداعي النفسي . ففي الحالة الأولى يلزم تكوين الضمير الديني لدى الأطفال لتثبيت العقيدة الصالحة ، وفي الحالة الثانية يلزم تأسيس قاعدة لتداعي الألفاظ تداعياً سريعاً .**

ويتلخص الموقف عموماً في أن العمليات العينية في نمو التفكير عند الطفل تجري خطوة بخطوة مع تحركه خارج إطار ما قبل الفاعلية من سن ٢ إلى ٧ سنوات . وفي العادة يخرج الطفل من مرحلة ما قبل الفاعلية في سن السابعة . وسن السبع سنوات هو العمر الذي يبلغ فيه الطفل مرحلة بر الأمان ، أي مرحلة الفاعلية الحقيقية ، وهي مرحلة ظهور الفكر المنطقي العيني المحسوس .



مؤلفات



المفقودة كلها



بقلم : أبو عبد الرحمن بن عقيل

يعتبر الإمام **ابن حزم** من أكثر علماء الإسلام تأليفاً ، وقد حصرتُ كتبه المطبوعة .. وكتبه التي لا تزال مخطوطة وأحصيت له كتباً وعد بتأليفها ومات قبل أن يؤلفها .. وأحصيت له كتباً تعددت أسماؤها ومسماها واحد .. وأحصيت له فصولاً من كتبه اعتبرها بعض الباحثين مؤلفات مستقلة وأحصيت كتباً نسبت له وليست من تأليفه .. وأحصيت له كتباً لا نزال نشك في وجودها .. وأحصيت له كتباً لا أدري : أهي المطبوعة أم المخطوطة أم لا تزال مفقودة وأحصيت كتباً لا أزال أشك في نسبتها لابن حزم .. وأحصيت له كتباً مات ولم يتمها .. سواء أكانت مفقودة أم موجودة . وأحصيت له كتباً لم يوجد إلا بعضها .

وهنا سأتناول مسرداً بكتبه المفقودة ، وأهم مصادري هنا كتاب سير النبلاء للذهبي ، ومسرد زودني به الشيخ محمد إبراهيم الكتاني وعمدته برنامج محمد بن عبد الملك القيسي ولم أطلع عليه بعد .. ورجائي من كل الباحثين المهتمين بابن حزم أن ينقبوا عن هوية الكتب المخطوطة المجهول مؤلفها ، فلعل بينها شيئاً من كتب ابن حزم هذه .

مصنفات ابن حزم المفقودة

(١) «مراتب العلماء وتواليفهم» : ذكره (الذهبي) بهذا الاسم : ضمن الأجزاء والكراريس وهو غير «**مراتب العلوم**» ، لأن الذهبي ذكرهما معاً .. ولأن الاسم مختلف اختلافاً يدل على اختلاف الموضوع . ومن المحتمل أن يكون كلام ابن حزم عن أهل الفتوى مأخوذاً من هذا الكتاب .

(٢) «**العتاب على (أبي مروان الخولاني)**» : ذكره الذهبي بهذا الاسم : في الكراريس والأجزاء .

(٣) «**الرد على (ابن الافليلي) في شرحه لديوان المتنبي**» : ذكره الذهبي بعنوان : «التعقب على (الإفليلي) في شرحه لديوان المتنبي» .. مع العلم أن (أبا محمد) مدح شرح (ابن الإفليلي)[١] ورد النباهي على رد أبي محمد[٢] وشرح ابن الإفليلي لا يزال مخطوطاً بـ (فاس) . وقد كتب عنه (محمد رضوان الداية) دراسة لا بأس بها[٣] .

(٤) «**الرسالة البلقاء : في الرد على (عبد الحق بن محمد الصقلي)**» : ذكره الذهبي بهذا الاسم وقال : إنه مجليد . هكذا في المخطوطة من السير .. وفي المطبوع (محمد عبد الحق) ، ولهذا حار سعيد الافغاني في كشف هوية هذا العلم . قال أبو عبد الرحمن : هو أبو محمد عبد الحق بن محمد بن هارون الصقلي السهمي (ـ ٤٦٦ هـ)[٤] .

(٥) «**بيان غلط (عثمان بن سعيد الأعور في المسند والمرسل)**» : ذكره الذهبي بهذا الاسم : ضمن الأجزاء والكراريس .

(٦) «ترتيب سؤالات (عثمان الدارمي) لـ (ابن معين)» : ذكره الذهبي بهذا الاسم : في الأجزاء والكراريس .

(٧) «**ذو القواعد**» : أحال إليه (أبو محمد) عند كلامه عن الشروط التي تعصم دماء أهل الذمة[٥] .. وأحال إليه : في الشروط المستثناة من حديث (كل شرط ليس في كتاب الله : فهو باطل)[٦] وموضوع هاتين الإحالتين : يوحي بأنه قواعد في الفقه الظاهري ، وقد سماه ـ في الإحالتين ـ (ذا القواعد) وسماه الذهبي : (در القواعد في فقه الظاهرية) .. وقال (ألف ورقة)[٧] والظاهر أن (در) تحريف لـ (ذو) .

(٨) «**الإملاء : في قواعد الفقه**» : ذكره الذهبي بهذا الاسم وقال : إنه ألف ورقة ويبدو : أنه غير (ذي القواعد) لأن الذهبي ذكرهما معاً .

(٩) **توازيخ : أعمامه ـ وأبيه ـ وأخواته ـ وبنيه ـ وبناته ـ مواليدهم وتاريخ من مات منهم في حياته.**

(١٠) «**كشف الالتباس : ما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس**» : ذكره (**أبو حيان**) في المتين .. بهذا الاسم .. وقال الذهبي في (**التذكرة**) : (لما بين) وسماه في السير : ما وقع بين الظاهرية وأصحاب القياس .. وذكره : في الأجزاء والكراريس .

(١١) «**الرد على أناجيل النصارى**» : ذكر الذهبي أن لـ (أبي محمد) تأليفاً (في الرد على أناجيل النصارى) وهو غير «إظهار التبديل» ؛ لأن (الذهبي) ذكرهما معاً .

(١٢) «**إظهار تبديل (اليهود) و(النصارى) : لـ (التوراة) و(الإنجيل) .. وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك : مما لا يحتمل التأويل**» : ذكره (**الحميدي**) بهذا الاسم وقال : وهذا مما سبق إليه . وقد اختصر الذهبي عنوانه في (السير) وهذا الكتاب مضمن في كتابه (الفصل) .

(١٣) كتاب «**اختصار كلام (جالينوس) . في الأمراض الحادة**» : ذكره الذهبي بهذا الاسم : نقلاً عن رسالة (أبي محمد) في الطب النبوي .

(١٤) كتاب «**في الأدوية المفردة**» : ذكره الذهبي بهذا الاسم : نقلاً عن رسالة (أبي محمد) في (الطب النبوي) .

(١٥) «**بلغة الحكيم**» : ذكره (الذهبي) بهذا الاسم : نقلاً عن رسالة (أبي محمد) في (الطب النبوي) .

(١٦) كتاب «**حد الطب**» : ذكره الذهبي بهذا الاسم : نقلاً عن رسالة (أبي محمد) في (الطب النبوي) .

(١٧) مقالة «**في شفاء الضد بالضد**» : ذكره الذهبي بهذا الاسم نقلاً عن رسالة (أبي محمد) في (الطب النبوي) .

(١٨) «**شرح فصول (بقراط)**» : ذكره الذهبي نقلاً عن رسالة (أبي محمد) في الطب النبوي .

(١٩) مقالة «**في النحل**» : ذكره الذهبي بهذا الاسم : نقلاً عن رسالة (أبي محمد) في (الطب النبوي) .

(٢٠) مقالة «**في المحاكمة بين التمر والزبيب**» : ذكره الذهبي بهذا الاسم : نقلاً عن رسالة (أبي محمد) في (الطب النبوي) .

(٢١) «**الترشيد في الرد على كتاب (الفريد) . لـ (ابن الرواندي) في اعتراضه على النبوات**» : ذكره الذهبي بهذا الاسم وقال : إنه مجلد .

(٢٢) «**التحقيق : في نقض كتاب (العلم الإلهي) . لمحمد بن زكريا الطبيب**» : ذكره (أبو محمد) بهذا العنوان في (الفصل)[٨] وأشار إلى أن له كتاباً مفرداً في نقض كتاب (العلم الإلهي)[٩] لـ «محمد بن زكريا الطبيب الرازي» وسماه الذهبي كتاب الرد على (ابن زكريا الرازي) وقال : إنه مئة ورقة .. وفي مخطوطة الرد على (الكندي) أثبت الناسخ على الورقة الأولى ـ خطأً ـ : «الرد على محمد بن زكريا الرازي المتطبب في كتابه المسمى بكتاب (العلم الإلهي)» .

(٢٣) «**الاستجلاب**» : ذكره الذهبي بهذا الاسم وقال : إنه مجلد .

(٢٤) رسالة التأكيد» : ذكره الذهبي بهذا الاسم ضمن الأجزاء والكراريس .

(٢٥) «**زجر الغاوي**» : ذكره الذهبي بهذا الاسم وقال : إنه جزآن ـ مع أنه ورد ضمن الأجزاء والكراريس .

(٢٦) «**رسالة المعارضة**» : ذكرها الذهبي بهذا الاسم ضمن الأجزاء والكراريس .

(٢٧) «**الضاد والظاء**» : ذكر (الذهبي) أن لـ (أبي محمد) كتاباً في (الضاد والظاء) . وذلك ضمن الأجزاء والكراريس . ورأيت في (الجذوة) نصوصاً ينقلها الحميدي عن شيخه (أبي محمد) أرجح أنه ينقلها ـ بالإجازة ـ عن هذا الكتاب .

(٢٨) «**بيان (الفصاحة والبلاغة) رسالة ـ في ذلك ـ لـ (ابن حفصون)**» : ذكرها الذهبي بهذا الاسم ضمن الأجزاء والكراريس .

(٢٩) «**مسألة : هل السواد لون أم لا؟**» : ذكره (الذهبي) بهذا الاسم : في الأجزاء والكراريس بلفظ (ألا) .

قال أبو عبد الرحمن : لعله من مواد (الفصل) حيث عقد فصلاً خاصاً عن (الألوان) وأغلبه عن (السواد) . وقد طبع هذا الفصل محققاً من قبل النادي الأدبي بالرياض .

(٣٠) «**الرسالة اللازمة لأولي الأمر**» : ذكرها (الذهبي) بهذا الاسم ضمن الأجزاء والكراريس .

(٣١) «**اليقين : في النقض على الملحدين : المحتجبين عن إبليس اللعين وسائر الكافرين**» : ذكره (أبو محمد) بهذا الاسم وقال : إنه رد على رجل من (الأشعريين) ـ من كبارهم ـ من أهل (القيروان) اسمه (عطاف بن دوناس) ألف كتاباً لنصر مقالة من يقول : إن إبليس لم يكفر بمعصية الله : في ترك السجود ولا بقوله عن (آدم) أنا خير منه .. وإنما كفر بجحد لله ـ تعالى ـ كان في قلبه[١٠] وسماه الذهبي : (اليقين في نقض تمويه المعتذرين عن إبليس وسائر المشركين) .. وقال إنه مجلد .

(٣٢) «الرد على من اعترض على (الفصل)» : ذكره (الذهبي) بهذا الاسم وقال : إنه مجلد .

(٣٣) كتاب : «**التبيين : في : هل علم (المصطفى) أعيان المنافقين؟؟**» : ذكره (الذهبي) بهذا الاسم وقال : إنه في ثلاث مجلدات .. هكذا

جاء بمخطوط السير . . أما الجزء الذي طبعه سعيد الأفغاني فقد ورد العنوان هكذا (في هد علم) . . وهو تحريف .

(٣٤) « **الرسالة (الصمادحية) : في الوعد والوعيد** » : ذكرها الذهبي بهذا الاسم ١ . . وفي مخطوطة (شهيد علي) بآخر (مراتب العلوم) (وسيتلوها رسالة . . الوعد والوعيد وبيان الحق في ذلك . . من السنن والقرآن) . . إلى الأمير (أبي الاحوص معن بن محمد التجيبي) صاحب (. . . . .) رحمه الله ، وحرسها . . إلا أن الرسالة لم ترد في هذا المخطوط .

(٣٥) « **من ترك الصلاة عمداً** » : ذكره الذهبي بهذا الاسم : ضمن الأجزاء والكراريس . . وقد وجه (العتقي) سؤالا إلى (أبي محمد) حول قوله : (إن تارك الصلاة عمداً حتى يخرج وقتها لا قضاء عليه فيما قد خرج من وقتها) . . فقال أبو محمد : نعم وهو الحق الراجح الذي لا يحل خلافه . ولنا ـ في هذه المسألة ـ كتاب مفرد مشهور[١١] ولقد رد (أبو عمر بن عبد البر) على أبي محمد في هذه المسألة وعنف في كتاب (الاستذكار) والنصوص التي أوردها (أبو عمر) من كلام (أبي محمد) مقاربة لكلام (أبي محمد) في كتابه .

إلا أنني أستبعد أن يكون رد (أبي عمر) على ما جاء بـ (المحلى) لأن تأليف (الاستذكار) قبل (المحلى) . والراجح أن رد (أبي عمر) إما على ما جاء بـ (الإيصال) وإما على هذا الكتاب الذي أفرده (أبو محمد) عن هذه المسألة . . وقال العراقي : وبالغ (ابن حزم) في كتاب له سماه (الإعراب) فادعى فيه الإجماع : على أنها لا تقضى . . وناقضه (ابن عبد البر) في الاستذكار أ هـ[١٢] .

قال أبو عبد الرحمن : المسألة وردت عرضاً في (الإعراب) حسب منهجه فيه ـ أما رد (ابن عبد البر) : فعلى نصوص لابن حزم أوعب مما جاء بـ (الإعراب) .

وقد ناقش (أبا محمد) في هذه المسألة المقلد المتعالم (ابن العربي) فيما سماه بـ (العواصم) وهو من (البلاغم) . . كما أن الإمام الفاضل ابن الجوزية : استوعب هذه المسألة في كتاب (الصلاة) .

(٣٦) « **قسمة الخمس . . في الرد على (إسماعيل القاضي)** » : هكذا ذكره (الذهبي) وقال إنه مجلد . . وذكر (أبو محمد) كتاب (الخمس) لـ (إسماعيل بن اسحق) فقال : (وهو كتاب مشهور معلوم ولنا عليه فيه رد هتكنا عواره فيه وفضحناه ـ بحول الله وقوته)[١٣] .

قال أبو عبد الرحمن : ربما ألفه (أبو محمد) يوم كان شافعياً لأن كتاب (إسماعيل) رد على (الشافعي) .

(٣٧) « **قصر الصلاة** » : ذكره الذهبي بهذا العنوان في رسائل (أبي محمد) الصغار .

(٣٨) « **الفرائض** » : ذكره الذهبي بهذا الاسم وقال : إنه مجلد .

(٣٩) « **التصفح في الفقه** » : ذكره الذهبي بهذا الاسم وقال : إنه مجلد .

(٤٠) « **مختصر (الموضح)** » : ذكره الذهبي بهذا الاسم وقال إنه مجلد . . والموضح لـ (أبي الحسن المغلس) الظاهري .

(٤١) « الجامع : في صحيح الأحاديث : باختصار الأسانيد والاقتصار على أصحها واجتلاب : أكمل ألفاظها وأصح معانيها » : أقدم من ذكره بهذا الاسم **(ابن حيان)** في (المتين) . . وذكره الذهبي بعنوان (الجامع في صحيح الحديث بلا أسانيد) . وعده في كتب (أبي محمد) الكبار . . وقد ذكرت في كتب ابن حزم المطبوعة رواية (محمد بن علي الشافعي) لـ (الجامع) فإذا كان المقصود به هذا الكتاب : فمعنى هذا أنه : موجود في القرن العاشر . . وقال ابن حزم (المحلى ١١ / ٣٧٩) : سيقع الكلام في ذلك متقصى في كتاب الإيمان من (الجامع) إن شاء الله عز وجل . قال أبو عبد الرحمن : ربما كان يعني هذا الكتاب وربما كان يعني كتاب الإيصال وأنه وصفه بالجامع . . لأنه شرح لكتابه الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام .

(٤٢) « **مختصر في علل الحديث** » : ذكره الذهبي بهذا الاسم وقال : إنه مجلد .

(٤٣) « **رسالة : في الطب النبوي** » : ويبدو : أنه اطلع عليها ، لأنه استخرج منها رسائل لابن حزم .

(٤٤) « **مقالة السعادة** » : ذكرها الذهبي بهذا الاسم .

(٤٥) « **رسالة : في أن القرآن ليس من نوع بلاغة الناس** » : قال (أبو محمد) في الفصل : (فصح أن القرآن خارج عن نوع بلاغة المخلوقين ، ولنا في هذا رسالة مستقصاة كتبنا بها إلى **(أبي عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد) أهـ . . ووعد أبو محمد : بأنه سيذكر منها في (الفصل) ما فيه كفاية في كلامه مع المعتزلة والأشعرية في خلق القرآن**[١٤] .

(٥٠) « **القراءات** » : أشار إليه (أبو محمد) في (المحلى) وهو غير الرسالة المطبوعة مع (جوامع السيرة) لأن تلك في عدد القراءات المتواترة : يذكر أصحابها دون ذكر لنماذج هذه القراءات . . وهذه ـ كما يبدو ـ من نقل ابن حزم عنها في المحلى[١٥] ذكر لنماذج هذه القراءات أو حصر لها .

(٤٧) « **كتاب : تفسير (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا)** » .

(٤٨) « **رسالة في آية : ﴿ فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك ﴾** » .

(٤٩) « **تسمية شيوخ (مالك)** . . » : ذكره الذهبي بهذا الاسم ضمن الأجزاء والكراريس .

(٥٠) « **شيء في العروض** » : أشار إليه الذهبي في الأجزاء والكراريس .

(٥١) « **رسالة في : معنى الفقه والزهد** » : ذكرها الذهبي بهذا الاسم ضمن الأجزاء والكراريس .

(٥٢) « **الإظهار لما شنع به على « الظاهرية** » : ذكره الذهبي في الأجزاء والكراريس .

(٥٣) « **أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس** » : قال الحميدي : هكذا أخبرنا أبو محمد فيما جمعه من ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس (الجذوة) ١٧٨ . . وقد استفاد منه الحميدي استفادة كبيرة في أول كتابه الجذوة .

(٥٤) « **تسمية الشعراء الوافدين على أبي عامر (المنصور بن أبي عامر)** » : ذكره الذهبي بهذا الاسم في الأجزاء والكراريس .

(٥٥) « **غزوات المنصور بن أبي عامر** » : ذكره الذهبي بهذا الاسم في الأجزاء والكراريس .

(٥٦) « **الفضائح** » : أشار إليه ياقوت ونص على أن أبا محمد ذكر فيه بعض فضائح البربر . . « معجم البلدان ج ١ ص ٣٦٩ » .

(٥٧) « **كتاب مراتب الديانة** » .

(٥٨) « **إجازته لتلميذه شريح** » : ذكره ابن الأبار في التكملة .

(٥٩) « **إجازته للحسين بن عبد الرحيم** » : ذكره ابن الأبار .

(٦٠) « **كتاب السياسة** » : أشار إليه أبو محمد في كتابه (التقريب)

ص ١٨١ .. وقال **الدكتور إحسان عباس** بآخر كتاب التقريب ص ٢١١ : (لعله هو المذكور في المصادر باسم كتاب الإمامة والسياسة في قسم سير الخلفاء، ومراتبها والندب إلى الواجب منها)[١٦] . قال أبو عبد الرحمن : ليس هذا ببعيد لأن النصوص التي جمعها **الشيخ محمد إبراهيم الكتاني** ـ من هذا الكتاب ـ توحي بأن البحث عن مراتب الأحكام التكليفية .. لسياسة الخلفاء .. وهذا ما يدل عليه عنوان الكتاب الذي ذكره ابن بسام وأشار إليه إحسان عباس آنفاً .. وقد جمع الكتاني نتفاً من هذا الكتاب عن **رسائل ابن عباد الصري** وعن الشهب اللامعة **لابن رضوان ..** وعن بدائع السلك لابن الأزرق .. إلا أن ما نقله عن ابن عباد موجود في مداواة النفوس لابن حزم .. وإذن فليس هو من السياسة .

(٦١) **«الإملاء في شرح الموطأ»** : ذكره الذهبي بهذا العنوان وقال إنه ألف ورقة ولعله هو الذي أشار إليه **ابن حيان وعياض** عندما قالا إن لأبي محمد كتاباً في شرح الموطأ والكلام على مسائله .. والظاهر أنه من أوائل تأليفه في الفقه قبل أن يتمذهب **للشافعي** وقد نفعه هذا الشرح في الإحاطة بأقوال المالكية وإحصاء ما في الموطأ من مسائل وروايات .. وقد ذكر أبو محمد تفسيره للموطأ في كتابه (الأصول والفروع) . انظر رسائل ابن حزم ورقة ٣١/أ التي طبع إحسان عباس بعضها عن مجموعة شهيد علي الخطية .

(٦٢) **«جزء في فضل العلم وأهله»** .. ذكره الذهبي .

(٦٣) **«كتاب المرطار في اللهو والدعابة»** .

(٦٤) **«مهم السنن»** .

(٦٥) **«أجوبة على صحيح البخاري»** : ذكر هذا الكتاب كل من **ابن حجر العسقلاني** في فتح الباري (١٧/١) **وحاجي خليفة** في (كشف الظنون ٥٤٥/٢) . قال أبو عبد الرحمن : وقد قام الشيخ **محمد المنتصر الكتاني** بجمع نتف من هذا الكتاب التقطها من (فتح الباري) ونشرها في إحدى المجلات .. ولعل الجمل التي نقلها الذهبي في سير النبلاء عن تراجم أبواب صحيح البخاري مأخوذة من هذا الكتاب .

(٦٦) **«أسماء الله»** : نقل عن **أبي حامد الغزالي** أنه وجد في أسماء الله كتاباً لابن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه .. هكذا نقل عنه **الذهبي** في السير .. وفي لسان الميزان لابن حجر : أن أبا حامد وجد لابن حزم كلاماً في الأسماء .. ونقل ذلك عن كتاب أبي حامد .. «شرح الأسماء الحسنى» .. فإما أن يكون لابن حزم كتاب في الأسماء ـ كما قال الذهبي ـ وتكون كلمة (كلام) في لسان الميزان تحريفاً للكتاب ، والمعروف أن طبعة اللسان مليئة بالتصحيف والتحريف ، وإما أن يكون ما ورد في اللسان غير محرف ويكون **الغزالي** اطلع على كلام لابن حزم في أحد كتبه .. وقد أحال ابن حزم في الجزء الأول من المحلى إلى كتابه الخصال حول بحث له عن أحاديث أسماء الله .

(٦٧) **«كتاب الصادع والرادع في الرد على من كفر أهل التأويل من فرق المسلمين والرد على من قال بالتقليد»** : ذكره أبو حيان في المتين .. وكلمة (في الرد) زيادة من تذكرة الحفاظ للذهبي .. واختصره الذهبي في السير وسماه «الرد على من كفر المتأولين من المسلمين» .. وقال : إنه مجلد .

أما الشيخ محمد إبراهيم الكتاني فقد اعتبر جملة (الصادع والرادع .. الخ) عنوان كتاب كما اعتبر جملة (الرد على من قال بالتقليد) عنوان كتاب آخر .

قال أبو عبد الرحمن : الظاهر أنه كتاب واحد لأن الذهبي أورد العنوان كاملاً في التذكرة ومختصراً في السير . وهذا مكان الالتباس فلو كان العنوان لكتابين لفصل بينهما .

(٦٨) **«فهرسة ابن حزم»** : رواه ابن خير عن شريح بن محمد عن ابن حزم وهو نفسه كتاب البرنامج الذي ذكره عقيل بن عطيه القضاعي .. (انظر مراتب الجزاء للحميدي ص ٩ بتحقيقي) .

(٦٩) **«الخصال (وهو متن الإيصال)»** : والمؤرخون لا يذكرونه إلا مدمجاً في عنوان الشرح (الإيصال) ذكره أبو محمد بهذا العنوان في النبذ ص ٢٤ ، أما الذهبي ـ في سير النبلاء ـ فقد ذكره بعد الإيصال بعنوان : (الإيصال الحافظ لجمع شرائع الإسلام) . وقال إنه مجلدان .. فالظاهر أنه أراد الخصال ، وأن الإيصال مجرد تحريف من ناسخ الأصل أو وهم من الذهبي . ولقد رأيت **(آنخل جنثالث بالنثيا)** يقول عن الخصال : (وهذه الملاحظات الشخصية النافذة على الرجال وأخلاقهم التي يبديها في كتاب الخصال) .. ويقول نقلاً عن **آسين بلاثيوس :** (الخصال الجامعة لمحصل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام) الذي ضاع والذي يغلب على الظن أنه شرح لأصول المذهب المالكي ونقد له ومجادلة للمالكيين) .. ويقول **(غارسيا غومس) :** (تبرز اعترافاته التي ضمنها كتاب «الخصال» .. وهو كتاب فيه عمق وعنف . قال أبو عبد الرحمن : كل هذا تخمين من هؤلاء المستشرقين لأنهم يتكلمون عن كتاب مفقود وتخمينهم بعيد عما يتبادر للذهن فأي عنف في متن فقه على أبواب الحديث والفقه ؟ .. ولو كان هذا الكلام عن الإيصال لكان محتملاً .. ثم أي اعترافات في كتاب فقه الحديث ؟ .. إنما كانت اعترافاته في **طوق الحمامة** .. والمداواة .... وأي ملاحظات ناقدة على الرجال وأخلاقهم ؟ إنما نقده للرجال كنقده لهم في المحلى .. وهو عالة على كتاب **الساجي** في هذا الفن .. وفي الكتاب شرح لأصول المذهب المالكي بلا ريب .. كما فيه شرح لأصول المذاهب الحنفي والشافعي ـ لأنه كالمحلى : رد على فقهاء هذه المذاهب .. ولكنه جار على أصول أهل الظاهر ومذهبهم .. لأنه ألفه وهو ظاهري .. ويبدو أن غارسيا غومس يريد الخصال التي ذكرها أبو محمد في كتابه المطبوع التلخيص .. إلا أن هذه الخصال فصل من كتاب وليست كتاباً .

(٧٠) **«الانصاف»** : عزا إليه ابن حجر في ترجمته لوبرة الكلبي ويبدو من هذا العزو أن هذا الكتاب في علم الرجال (انظر حاشية أحمد شاكر على الأحكام ١٦١/٧ وانظر لسان الميزان ٢١٧/٦) .

(٧١) **«مختصر كتاب الساجي .. في الرجال»** : قال الذهبي : إن أبا محمد فيما حكاه **(ابن القطان)** كان وقع إليه كتاب (الساجي) في (الرجال) فاختصره ورتبه على الحروف[١٧] . قال أبو عبد الرحمن : وقد ذكر **السخاوي** أن أبا محمد ألف كتاباً في الجرح[١٨] فلعله يريد هذا الكتاب .

(٧٢) **«الحدود»** : نقل عن ابن حجر ما يتعلق بتاريخ حياة **عروة بن الزبير** (التهذيب ١٨٥/٧) .

(٧٣) **«نسب البربر»** : ذكره الذهبي بهذا الاسم وقال إنه مجلد .

(٧٤) **«كتاب المرطار في اللهو والدعابة»** .

(٧٥) **«ترتيب مسند بقي بن مخلد»** .

(٧٦) جزء في **أوهام الصحيحين** .

(٧٧) **«كتاب اختلاف الفقهاء الخمسة : مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وداوود»** : ذكر الذهبي ضمن كتبه الكبيرة .



(١) البغية ١٩٩ .
(٢) الصلة ٢٧٤/١ .
(٣) راجع النقد الأدبي في الأندلس ص ٩٤ ـ ١١٦ .
(٤) انظر ترتيب المدارك ٤/ ٧٧٤ ـ ٧٧٦ .
(٥) الإحكام ٥٧/٣ .
(٦) الإحكام ٣١/٥ .
(٧) هكذا في النسخة الخطية من سير النبلاء، أما المطبوع فقد سقط منه اسم هذا الكتاب .
(٨) الفصل ١٤٤/٥ ط صبح .
(٩) الفصل ٤/١ و٢٨ ط صبح .
(١٠) الفصل ٤٨/٥ ط صبح و١٥٠/٣ ط صبح و٢٠٦/٣ ط علاء .
(١١) المجموعة الثانية من رسائل ابن حزم التي نشرها الدكتور إحسان عباس ، ص ١٠٣ .
(١٢) طرح التثريب ١٤٩/٢ ـ ١٥٠ .
(١٣) الإحكام ١٠/٣ .
(١٤) الفصل ١٠٧/١ ط ع و٨٥/١ ط ص .
(١٥) ٢٥٣/٣ ـ ٢٥٤م ٣٦٦ .
(١٦) الذخيرة ج١ ص ١٤٣ .
(١٧) ميزان الاعتدال ٩٠/٣ في ترجمة (خالد بن عكرمة) .
(١٨) الاعلان ص ٣٤٨ .

صورة من الرحلات العلمية للتونسيين في العهد الحفصي

بقلم : د . محمد الحبيب الهيلة

إن المتتبع لكتب تراجم العلماء التونسيين في **العهد الحفصي** والمتصفح للدراسات القليلة التي تناولت جوانب من **الحركة الثقافية في تونس** خلال هذه الفترة ، يلاحظ مظهراً يكاد يكون غالباً على أهل العلم والمعرفة في القرنين السابع والثامن الهجريين ، وهذا المظهر هو تشبثهم بالرحلة إلى **البلاد المشرقية** وشيوعها بينهم ، حتى أنك لا تجد إلا القليل منهم خلت حياته من رحلة علمية ربطت بينه وبين العلماء المشارقة .

فقد رحل الفقيه ابن البراء والشاعر ابن الخباز المهدوي وابن الشباط التوزري وعبد الرحمن بن نفيس وابن أبي الدنيا الطرابلسي وابن زيتون التونسي وعبد الرحمن الدباغ القيرواني وابن جماعة الهواري وابن راشد القفصي وركن الدين بن القوبيع وأبو الحسن المنتصر وغيرهم كثير من أبناء هذه الطبقة والطبقة الموالية التي منها **ابن خلدون وابن عرفة .**

ومن بين هذه الجماعات المتوافدة على المشرق رجل لم تتحدث عنه المصادر بما يشفي الصدر ولم تترجمه إلا بما قصر من الترجمات التي لم توف بالغرض ولم تعرفنا إلا بما كان موجزاً من المعلومات عنه ، وهذا الرحالة هو **ابن جابر الوادي آشي** الذي لم نتمكن من التعرف على أهمية شخصيته واتساع رحلته ووفرة علمه واتصالاته إلا بما وجدناه مفصلاً في برنامج مشيخته من المعلومات التي وجدنا ما يطابقها في كتب التراجم والتاريخ .

فمن هو ابن جابر الوادي آشي؟ وما هي أهمية رحلاته التي اتجهت إلى المشرق والمغرب؟



نشأته .. وتعليمه

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن جابر بن محمد القيسي الوادي آشي الأصل، التونسي المولد.

هاجر والده من **الأندلس** ونزل تونس فاستوطنها ورحل إلى المشرق في شبابه الباكر ليتصل بكبراء علمائه في **بغداد والموصل ودمشق والإسكندرية**. ثم عاد إلى تونس في ثلاثينيات القرن السابع الهجري ليستقر بها، فيولد له ابنه محمد مترجمنا سنة ٦٧٣ هـ، على أغلب الروايات.

ولد أبو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي في عهد بلغت فيه العاصمة التونسية ذروة في مجدها الثقافي فجمعت العديد من العلماء والأدباء وآوت الكثير من مهاجره الأندلسيين بعد **سقوط إشبيلية** وما والاها من المدن والأمصار التي تشتت شملها أمام صدمات حروب الاسترداد.

تلقى ابن جابر الوادي آشي ثقافته الأساسية بتونس على ثلاثة أصناف من الشيوخ:

١) التونسيون **كأبي العباس البطرني وأبي عبد الله محمد بن عبد النور وأبي موسى بن هارون وأبي اسحاق بن عبد الرفيع الربعي وأبي زيد عبد الرحمن الدباغ القيرواني** صاحب معالم الإيمان **وأبي القاسم اللبيدي وأبي الحسن علي التجاني** وغيرهم.

٢) الأندلسيون المقيمون بتونس كوالده **جابر الوادي آشي وأبي جعفر اللبلي وأبي العباس بن الغماز البلنسي وأبي محمد عبد الله بن هارون القرطبي**.

٣) الأندلسيون أو المغاربة الواردون على تونس في طريق الحج كالأستاذ أبي القاسم خلف بن عبد العزيز الغافقي كاتب الإمارة العزفية بسبتة **وأبي العباس الغبريني** فقيه بجاية وقاضيها وصاحب كتاب عنوان الدراية.

فكان الطابع الغالب على ما اختاره من الدروس التي تلقاها عليهم **علوم الحديث وكتبه والقرآن الكريم قراءة وتفسيراً واللغة نحواً وأدباً**، ولم يجمع من كتب **الفقه** إلا ما كان كافياً لما يتزود به المثقف من العلوم التي ليست من اختصاصه.

وفي عهد شبابه وتعلمه تلقت تونس جماعة متعددة من الرحالة المغاربة الأندلسيين في الورود والصدور. وكان من أشهرهم مؤلفو الرحلات **كالعبدري الحاحي** صاحب الرحلة المشرقية **والقاسم بن يوسف التجيبي** صاحب الرحلة المسماة بمستفاد الرحلة والاغتراب **وابن رشيد الفهري** صاحب الرحلة المسماة بملء الغيبة بما جمع بطول الغيبة وغيرهم ممن كتبوا رحلاتهم في معاجم أو فهارس أو مشيخات أو برامج، وهؤلاء لا يكادون يدخلون تحت حصر.

رحلته الأولى

ولما اجتاز ابن جابر الوادي آشي من عمره الأربعين أي في سنة ٧٢١ هـ، شرع في رحلته الأولى إلى المشرق تلك الرحلة التي قادته إلى الإسكندرية والقاهرة ثم **بيت المقدس والخليل ودمشق** ثم **مكة والمدينة** وأخذ في كل مركز من هذه المراكز يجمع الروايات ويكثر من الحمل والسماع، فجمع الكثير من الإجازات، وما كان يكتفي بلقاء أكابر أعلام المعرفة في كل بلد يدخله وإنما كان لا يألو جهداً في تتبع أهل الاختصاص في كل معارف عصره فكان يتلق في هذه المراكز على العديد من علمائها ومحدثيها.

فبالإسكندرية أخذ عن أبي الحسن الغرّافي وهو من مشاهير المحدثين المصريين - وقد تتلمذ عليه جل المغاربة والأفارقة المارين إلى الحج - وأخذ عن ابن جماعة الاسكندري وعبد الواحد بن المنير.

وفي **القاهرة** تنقل بين مختلف المدارس ومعاهد العلم كالمدرسة المنصورية وخانقاه سعيد السعداء وأخذ عن عبد الكريم الحلبي وابن الصلاح ولازم أثير الدين بن حيان الأندلسي الذي درس عليه ثمانية من كتب اللغة والنحو والأدب والأشعار.

وفي **الشام** وفي بلد **الخليل** أخذ عن **إبراهيم الجعبري** وقرأ عليه اثني عشر كتاباً من تأليف هذا الشيخ ثم تنقل بين دور الحديث بالقدس ودمشق، فهو بين **دار الحديث الصدرية ودار الحديث الأشرفية ودار الحديث بالمدرسة الظاهرية ودار الحديث النورية والمدرسة الصالحية** وغيرها من مراكز المعرفة.

وكانت قائمة الشيوخ الشاميين الذين أخذ عنهم هامة وثرية من أشهر أفرادها **الحافظ ابن عساكر الدمشقي وابن الشحنة وأبو بكر ويوسف المزيين**.

أما **بالحرمين الشريفين** فقد أخذ القراءات عن **عبد الله الدلاصي** وأخذ الحديث عن **الرضي الطبري المكي**.

وعاد إلى وطنه تونس ليجلس بها مدرساً فيجتمع حوله الطلبة آخذين عنه ما جمعه من رحلته هذه ويتخرج عليه أكابر علمائها كعبد الرحمن بن خلدون والإمام ابن عرفة وكثير من أبناء طبقتها.

ورحل إلى المغرب والأندلس فرافقه **تلميذه الإمام ابن مرزوق الخطيب** وكان يقرأ عليه في كثير من مراحل رحلته هذه سواء بمدينة **بجاية** أو بظاهر **قسنطينة** أو بظاهر المهدية أو بمنزل ابن مرزوق في **تلمسان**. أو بمدينة **فاس**. وواصل ابن جابر الوادي آشي رحلته إلى شمالي المغرب فدخل **طنجة** واجتاز إلى الأندلس فدخل **غرناطة**.

ويبدو أن أكثر اتصالاته العلمية ودروسه كانت بمدينتي فاس وغرناطة.

فقد أخذ عنه بفاس ثلة من كبار شيوخها الذين تولى بعضهم بعد

ذلك قضاء الجماعة بها وبغيرها من المدن المغربية كأبي عبد الله محمد بن أحمد القشتالي ومحمد بن يحيى الغساني البرجي وعبد الله بن محمد الزقندي ومحمد بن أحمد بن محمد الشريف الحسني السبتي وعلي بن أبي بكر بن السبع المكناسي ومحمد بن إبراهيم الصفار .

أما غرناطة فقد زارها سنة ٧٢٦ هـ ، فأخذ بها عنه وزيرها وكاتبها **لسان الدين بن الخطيب** ، ومحدثها وحافظها **فرج بن قاسم بن لب الغرناطي** ، وفقيهها وأديبها **أحمد بن علي المعروف بابن خاتمة** .

رحلته الثانية

ثم رجع إلى تونس ليقضي بعض السنوات في التدريس وليغادرها مرة أخرى إلى **رحلة ثانية للمشرق** بدأها سنة ٧٣٤ هـ ، وعاد فيها إلى المدن التي عرفها في رحلته السابقة لا للتعلم والسماع هذه المرة ولكن للتعليم والاسماع ليكون شيخاً يتلقى عليه الطلبة من المشارقة بمصر والشام . وكان من أشهر تلاميذه **الحافظ شمس الدين الذهبي** صاحب المؤلفات الشهيرة **والعلم البرزالي** صاحب الأسانيد العالية **ومحمد بن اللبان وإبراهيم الشامي المبرزان** في القراءات وغيرهم كثير .

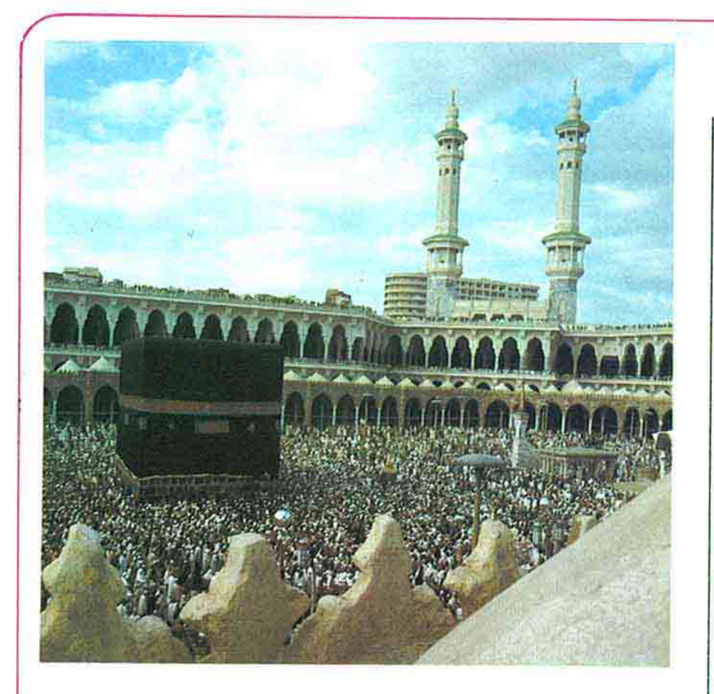
ثم قصد الحجاز ، فأقام بالحرمين مجاوراً سنين متطاولة فاتت العشرة أعوام كان فيها مدرساً للعديد من أمهات الكتب الحديثية والقراءات واللغة والنحو .

وكان من بين تلاميذه **الفقيه إبراهيم بن فرحون** صاحب كتاب « الديباج المذهب » الذي خصه فيه بترجمة واسعة وذكر أنه سمع عليه **الموطأ** برواية يحيى بن يحيى في **الحرم النبوي الشريف** سنة ٧٤٦ هـ ، وتحدث عنه فقال : « إنه أحد شيوخنا وشيخ كثير من أهل زماننا » .

ويعود إلى تونس سنة ٧٤٨ هـ ، ليجدها خاضعة للسلطان **أبي الحسن المريني** الذي وفد عليها بجيوشه وبالعديد من علماء المغرب فيعقد فيها مجالسه العلمية جامعاً بين أهل العلم من التونسيين والمغاربة مثيراً بينهم المناظرات الحادة والمناقشات المثمرة التي لا نشك في مشاركة ابن جابر الوادي آشي فيها نظراً إلى أنها جمعت الكثير من العلماء حتى من هم في درجة تلاميذه كابن عرفة في عهد شبابه .

وفي سنة ٧٤٩ هـ ، أصيبت الثقافة في المغرب العربي في الكثير من علمائها وجهابذتها الذين ماتوا في **الطاعون** الجارف فذهب بالعديد منهم كعبد المهيمن الحضرمي وابن الحباب ومحمد السكوني وابن عبد الستار وابن عبد السلام الهواري وابن عبد النور وأبو موسى بن الإمام ومحمد الأجمعي ومترجمنا محمد بن جابر الوادي آشي .





★ المسجد الحرام
بمكة المكرمة .. منهل العلم والعلماء ★

برنامج شيوخه ومروياته

مات ابن جابر الوادي آشي ولم يترك إلا تآليف قليلة بالنسبة لما كان يتمتع به من مكانة في المعرفة وكثرة رحلاته العلمية . فلم تذكر له المصادر غير كتاب في الحديث جمع فيه أربعين حديثاً سماها « الأربعون البلدانية » ، وترجمة **للقاضي عياض السبتي** صاحب كتاب الشفاء ، وأسانيد لكتب المالكية وبعض التعاليق المفيدة . وبرنامج في شيوخه ومروياته . وهي كتب لم تبق لنا الأيام منها غير **برنامج شيوخه** الذي وجدنا منه بعض نسخة قديمة في **المكتبة النورية بصفاقس** ونقلت إلى المكتبة الوطنية بتونس ونسخة كاملة وقديمة في **مكتبة الأسكوريال** وهي نسخة حسنة إلا أنه أدخل عليها اضطراب كثير عند تسفيرها .

ذكر ابن جابر الوادي آشي في برنامجه هذا ، شيوخه من تونسيين ومشارقة ومغاربة فبلغ عددهم ٢٧٠ شيخاً . وأورد في الجزء الثاني من هذا البرنامج الكتب التي درسها عليهم وأخذها عنهم . فبلغ عددها ٢٣٧ كتاباً .

وبرنامج الوادي آشي هذا من أهم الكتب التي تقدم لنا الصورة الواضحة الجلية للثقافة التونسية والحركة العلمية بإفريقية في العهد الحفصي ومدى ما أسهمت به النخبة من المثقفين التونسيين في مجال الحضارة الإسلامية في القرنين السابع والثامن الهجريين .

وأهميته هذه هي التي دفعتني إلى الاعتناء به وانجاز تحقيقه ضمن الأعمال التي يقوم بها مركز الدراسات الإسلامية التابع للكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين ، ولعل الحظ يهيىء لهذا العمل ظروف الطباعة والظهور والله الموفق للصواب .



رحلة مع: الخط العربي



التشكيل بالنقط

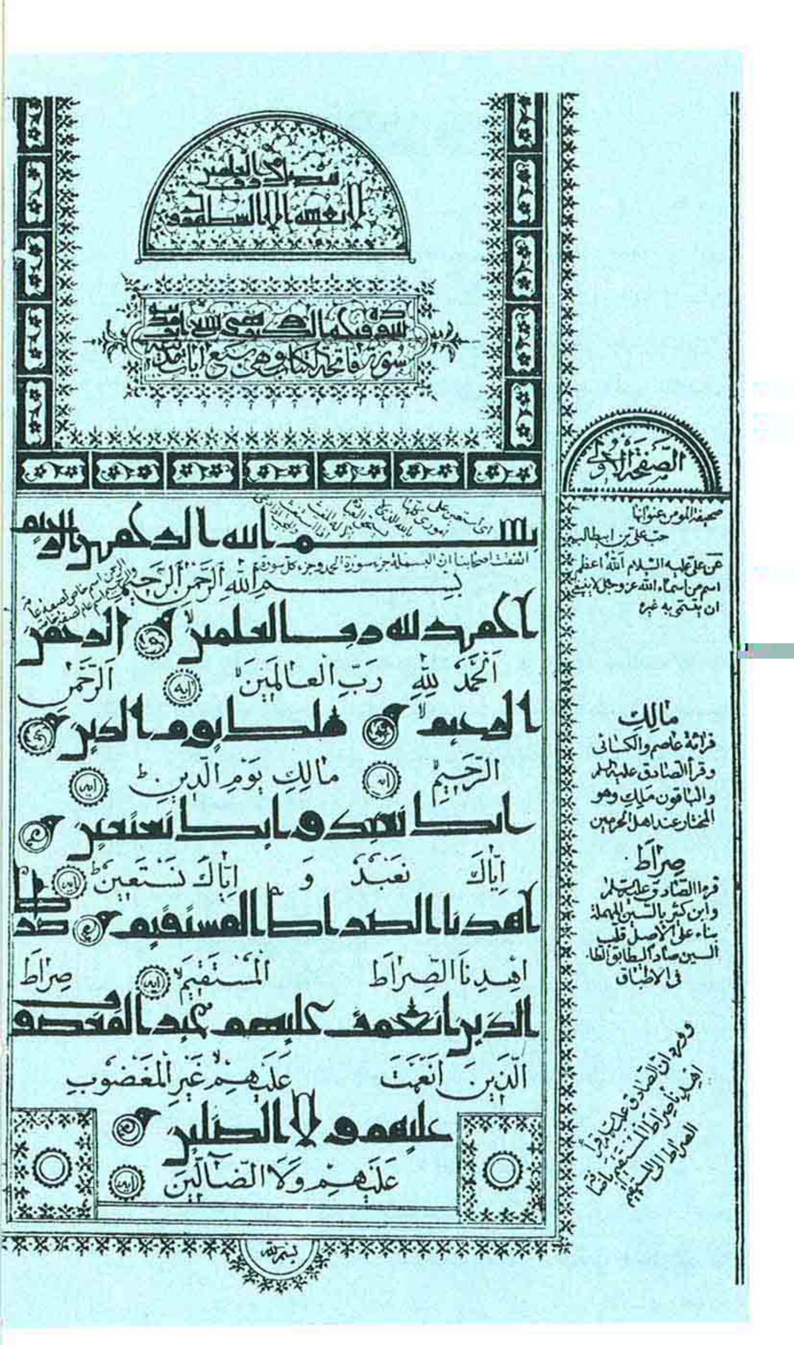
★ كان الخط العربي في البداية ، يُكتب بلا تشكيل . . وبلا نقط ، ثم تحول إلى التشكيل بالنقاط حيث كانت نقطة التشكيل بلون تختلف عن لون الحرف . والنقطة الملونة فوقه ، كانت تعني « **الفتحة** » أما الإشارة إلى **الكسرة** ، فكانت توضع **تحته** .. وإذا وضعت على **يسار الحرف** ، فإنها تعني **الضمة** .

وقد كان الخط « الكوفي » خالياً من **النقط** ، ثم جاء التنقيط للأحرف المتشابهة ، بمعنى : وضع نقطة واحدة **تحت** الـ « **باء** » و « نقطتين » **فوق** الـ « **تاء** » .. و « **ثلاث نقط** » **فوق** الـ « **ثاء** » .

أبجدية الحروف وترتيبها

قام بجمع الحروف المتشابهة كل من **يحيى بن يعمر من المغرب ، ونصر بن عاصم** من المشرق ، ثم وضعا هذه الحروف بجوار بعضها ، فاكتشفوا أن **الألف** لا شبيه لها ، فقررا وضعها في البداية ، ثم وجدا أن الحروف : ب ـ ت ـ ث ، متشابهة ، فوضعا التنقيط حسب الترتيب الأول ، فالثاني فالثالث ، ثم بعد ذلك قررا أن كل حرفين متشابهين ، يترك الحروف الأول بدون تنقيط على أن ينقط الثاني ، بمعنى : د ذ ـ ر ز ـ ع غ .

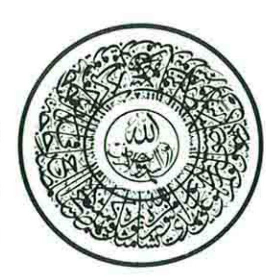
إلا أن مشكلة الـ « ف » والـ « ق » وكيفية معالجتها ، جعلت الخلاف يحتد بينهما ، فقد أصر « نصر بن عاصم » على أن **تنقط** الـ « **ف** » بنقطة واحدة . والـ « ق » بنقطتين ، ولكن « يحيى بن يعمر رفض هذه الفكرة . . وأصر هو الآخر على رأيه بترك الـ « ف » بدون تنقيط . . ووضع نقطة واحدة تحت الـ « ق » . . ولا يزال المغرب يستعمل هذه الطريقة في الكتابة حتى اليوم ★

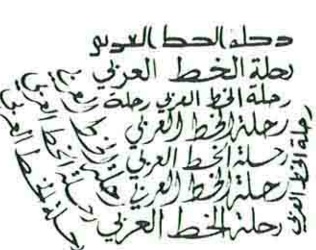


★ سورة فاتحة الكتاب من مصحف نادر مكتوب بالخط الكوفي ، كتبه زين الدين العابدين الشريف الصفوي .. وقد بدأ بكتابته عام ١٣١٢ هـ ، وانتهى منه عام ١٣٢٣ هـ .. كان ذلك في عهد مظفر شاه قجار في إيران ★

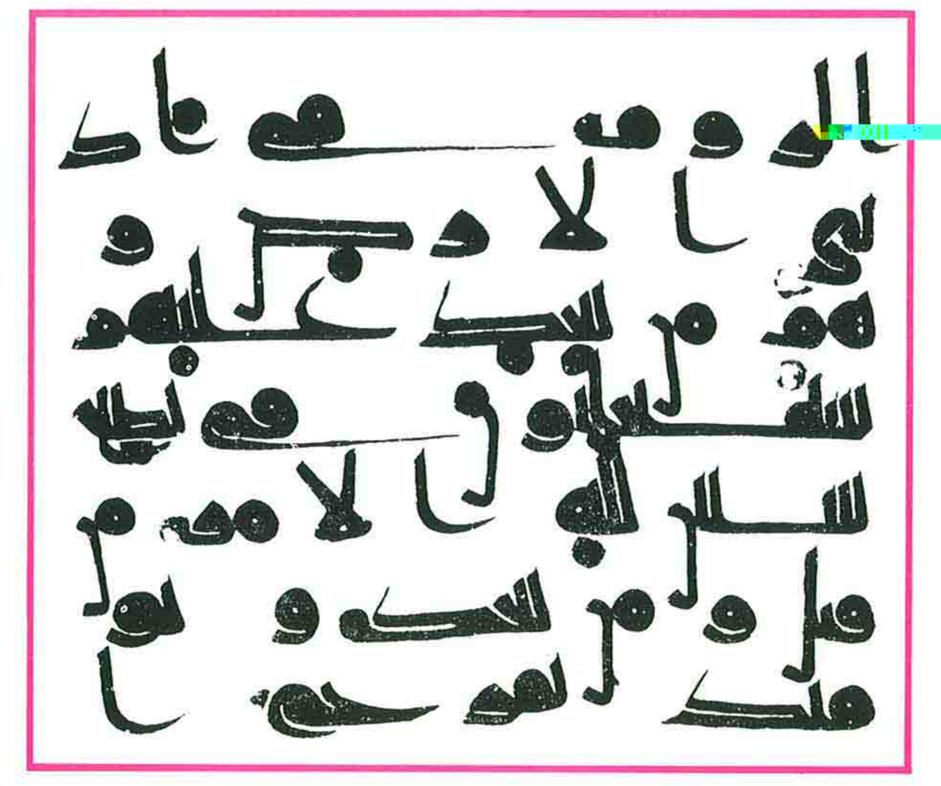




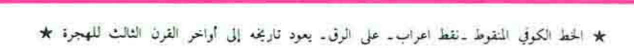




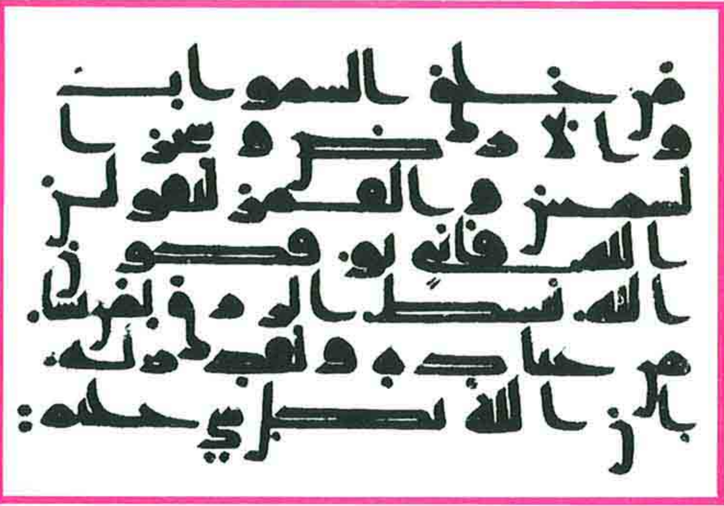




★ صفحة من مصحف بالخط الكوفي المنقوط، وهو من أواخر القرن الثاني الهجري ★



★ الخط الكوفي المنقوط ـ نقط اعراب ـ على الرق ـ يعود تاريخه إلى أواخر القرن الثالث للهجرة ★





★ الخط الكوفي « العراقي » المنقوط .. وهو صفحة من مصحف نادر من القرن الثاني للهجرة .. (المكتبة الوطنية في فيينا) ★

نظام الحسبة في الإسلام

بقلم : د. مصطفى الرافعي

الحسبة هي وظيفة مبتدعة في العصور الإسلامية وقد تطورت كثيراً فكانت بين سلطة القضاء وسلطة التنفيذ (**وأصل اللفظ اللغوي معناه الإحصاء العددي**) وتصريفه : حسب يحسب حسبة وحسباناً . وهو يدل أيضاً على حسن تدبير الأمور وحسن النظر فيها .

وتاريخ الحسبة في الإسلام يرجع إلى عهد الفاروق **عمر بن الخطاب** حين رآه الناس يضرب جمالا ويقول له : « **حملت جملك ما لا يطيق** » وحين رآه الناس أيضاً يضرب التجار إذا اجتمعوا في السوق حتى يبعدهم عن طريق المارة ، ويقول لهم : « **لا تقطعوا علينا سابلتنا** » .

ومن هذا يتضح أنه كان من واجب الخليفة أن يعاقب من يحيدون عن مبدأ الرفق بالحيوان ومن يتسببون في تعطيل حركة المرور . . وهذه الأعمال يقوم بها في عصرنا الحاضر جمعيات الرفق بالحيوان ورجال الشرطة .

كانت هذه الأعمال يقوم بها **الخليفة** في أول الأمر ثم صارت من واجب **القاضي** ولما كثرت وتنوعت عين للقيام بها موظف خاص سمي (**والي الحسبة**) وسماه المتأخرون (**المحتسب**) يعني : القائم على الأمور التي يتعلق بها النظام العام والذي يقضي في **الجنايات** التي تتطلب البت بسرعة مثل **قاضي الأمور المستعجلة** في أيامنا .

وفي بعض الأحيان كان القضاء والحسبة يسندان إلى رجل واحد مع ما بين العملين من التباين . فعمل القاضي مبني على التحقيق والأناة في الحكم وعمل المحتسب مبني على الشدة والسرعة في الفصل . وقد كتب في الحسبة كتّاب كثيرون كان هذا الذي ذكرناه منابعها وأصولها .

قال **ابن القيم** في كتابه « **الطرق الحكيمة** » : « وأما الحكم بين الناس فيما لا يتوقف على الدعوى فهو المسمى بالحسبة ، والمتولي له : « والي الحسبة » .

كان للمحتسب **نواب** يطوفون بالأسواق ، ويفتشون الفنادق العامة ، ويشرفون على « السقائين » للتحقق من تغطيتهم القرب ولبس السراويل .

كما كان للمحتسب وأعوانه أن يمنعوا بروز الحوانيت حتى لا تعوق نظام المرور ، وكان له أن يمنع الناس من حمل أو تحميل ما يزيد عن الطاقة ، وكان له أن يشرف على **نظافة الشوارع والأزقة** ، ويحكم بهدم **المباني المتداعية** ، وإزالة انقاضها **ومنع معلمي الكتاتيب من ضرب الأولاد ضرباً مبرحاً** ، كما كان له الكشف على صحة **الموازين والمكاييل** ، وذلك بواسطة فحص كل ميزان أو كيل في مكان يعرف باسم « **دار العيار** » ، أما مكان الحسبة فهو « **المسجد** » في أغلب العصور .

وقد تمتع المحتسب ـ عبر العصور ـ بنفوذ كبير وسلطة واسعة . ومما ذكره المقريزي : « أن المحتسب ضبط في أحد أسواق **القاهرة** في السادس عشر من شهر رمضان سنة ٧٤٣ هـ ، رجلاً يدعى **محمد بن خلف** ، عنده مخزن **حمام وزرازير** متغيرة الرائحة لها خمسون يوماً ، فكشف عنها فبلغت عدتها أربعة وثلاثين ألفاً ومئة وستة وتسعين طائراً ، من ذلك حمام ألف ومئة وستة وتسعون والباقي زرازير كلها متغيرة اللون ، فأدّبه وشهّره » .

ولما ارتقت الحسبة واتسع نظامها أصبح للمحتسب نواب يطوفون عنه في الشوارع والأسواق للإشراف عليها والمحافظة على **الآداب العامة** على حين كان المحتسب يجلس في المساجد ويشرف على أعمال نوابه .

ووظيفة المحتسب في العصر الحديث تتوزع بين سلطات مختلفة ، وحيثما تتبعنا هذه السلطات وجدنا للحسبة مكاناً فيها .

فهي في **السلطة الدينية** : تتمثل في **الواعظ** الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وتتمثل في **المؤذن وإمام المسجد** اللذين عليهما مراعاة الوقت وحساب الزمن وإقامة الفريضة .

وفي **وزارة التربية** تتمثل في مدير المدرسة ومفتشيها حيث يمنعون تطبيق العقوبات البدنية على الصغار خوف إصابتهم بأضرار أو عاهات .

وهي في **وزارة التموين** تتمثل في مراقبة الأسعار وعمل الخبز ، وفي مراقبة الموازين والمكاييل وأشباهها ليمتنع الغش والكسب الحرام وتطفيف الميزان .

وقد تتمثل في **مفتشي الرفق بالحيوان وفي جندي المرور** الذي يراعي حمولة الدواب والعربات والسفن لئلا يحدث الإيذاء أو التلف أو الكوارث التي تصيب الناس . كما تتمثل في مهندسي التنظيم المدني الذين يراقبون صلاح الطرقات للسير والمباني الآيلة للسقوط وأشغال الطرق والقعود في الأسواق ووضع الدكاكين .

شروط المحتسب

وقد كان من شروط المحتسب قديماً حين كان له سلطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر **أن يكون فقيهاً عالماً بالخلاف** أي : بالوجوه المختلفة للأحكام والآراء المتباينة فيها وهو ما نسميه اليوم : (**بالفقه المقارن**) حتى إذا صدر منه حكم لم يصدر عن هواه وتعصبه بل يترك للناس فسحة من التيسير .

ومن شروط المحتسب - قديماً وحديثاً - **أن يكون عاقلاً ، بصيراً ، معروفاً بالعدل وأن يكون ذا صرامة في الدين والحق .**

والمصدر الاشتراعي لهذه الوظيفة في الإسلام قول الله تعالى :

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ .

وهذا المبدأ وإن اتفق فيه المحتسب والمتطوع إلا أنهما يفترقان في هذه الأمور :

١ - أن عمل المحتسب متعين عليه بحكم الولاية ، أما المتطوع فعمله داخل في فروض الكفاية .

٢ - أن قيام المحتسب بعمله لا يحق له التشاغل عنه ، أما المتطوع فهو يؤديه فعلاً فيجوز له أن ينصرف عنه إلى غيره .

٣ - أنه في مكان الاستعداء به دون المتطوع .

٤ - أن عليه أن يجيب المستعدي به دون المتطوع فليس عليه حتماً أن يجيبه .

٥ - أن على المحتسب أن يبحث ويفحص عن المعروف الظاهر والمنكر الظاهر وليس للمتطوع البحث ولا الفحص .

٦ - أن في إمكان المحتسب ومن حقه أن يتخذ على عمله أعواناً يختارهم ليكون على عمله أقدر ، أما المتطوع فليس له أن يتخذ الأعوان والنصراء .

٧ - للمحتسب التعزير في المنكرات وليس له إقامة الحدود ، والتعزير تختلف فيه الأحكام بحسب الأحوال وهو من شأن السلطان يتولاه عنه المحتسب فيما كلف به من مراقبة وأعمال .

٨ - المحتسب يتناول أجراً من بيت المال أو من الدولة من الجهة التي تعنيه وليس للمتطوع هذا الأجر .

٩ - أن المحتسب له اجتهاده ورأيه فيما يتعلق بالعرف دون الشرع وذلك كتنظيم مقاعد الباعة في الأسواق ومقادير الأجنحة الخارجة من الدكاكين وليس هذا من شأن المتطوع بحال .

فهذه تسعة فروق أوردها **الماوردي والفراء** بين المحتسب والمتطوع مع ما بينهما من شبه في النظر للمعروف والمنكر .

المحتسب الديني

والحق أنه كان للمحتسب الديني شأن أي شأن في **الدولة الإسلامية** ، فقد كان له أن يأمر بالمعروف فيما يتعلق بحقوق الله وحقوق العباد .

وأهم **الحقوق الإلهية** تأدية الفرائض في أوقاتها ومراقبة العصاة والمتخلفين عن مثل الصوم والصلاة .

أما **حقوق العباد** فكل ما كان عاماً كالمرافق العامة والمعونات لمستحقيها ورعاية أسوار البلاد القديمة ومشارفها ومساجدها .

وكان عمل المحتسب أن يرفع أمر ذلك كله إلى **السلطان** لينظر فيه ويقوم بإصلاحه أو إنشائه لأنه أحق به وأقدر عليه .

وأما نظر المحتسب في الأمور الخاصة فكالحقوق إذا مطلت والديون إذا تأخرت ، وليس له أن يتجاوز حده إلى إيقاع العقوبات بالماطلين والمتأخرين عن أداء الديوان .

وكان للمحتسب كذلك أن ينهى عن المنكرات : ما كان منها في حق الله تعالى أو كان منها في حقوق العباد .

والأول يتناول المخالفات في **العبادات** وفعل المحظورات والخروج عن قوانين **المعاملات** . أما المتعلق بحقوق العباد ، فمثل التعدي على حقوق الجار ، ومن واجبات المحتسب مراعاة حال الأمانة والخيانة من الصاغة والحاكة والقصارين والصباغين ، وأن يتصدى لكل ما تفسد به النفوس وتخبث به الآداب .

الحسبة والقضاء

يقول **الماوردي :** إن الحسبة توافق القضاء من وجهين وتختلف عنه من وجهين وتزيد عليه من وجهين . أما موافقتها لأحكام القضاء فأحد الوجهين أنه يجوز الاستعداء إلى المحتسب كالقاضي ثم عليه أن يسمع دعوى المستعدي - أي المدعي على المدعى عليه - ولكن هذا ليس في عموم الدعاوى وإنما يكون في المنكر الظاهر الذي لا يحتاج إلى صدور حكم من القاضي بعد البينة والشهود وذلك مثل النظر في الكيل والميزان ومخالفة الأسعار والمطل في الدين الذي صدر به حكم من القاضي بالثبوت والقضاء .

والوجه الثاني أن له أن يتصرف حسبما يرى الحق في جانب المدعي أو المدعى عليه ويحكم به على الفور .

وأما مخالفتها لأحكام القضاء ، وقصورها عنها فأحد الوجهين أنه ليس للمحتسب أن يسمع الدعاوى الخارجة عن ظواهر المنكرات كالنظر مثلاً في **العقود والمعاملات** فليس له أن يتعرض للحكم فيها إلا أن يرد إليه ذلك بنص صريح في توليته ، وحين ذلك يجمع بين الحسبة والقضاء . . والوجه الثاني أن الحسبة مقصورة على الحقوق المعترف بها دون طلب البينة واليمين . وأما زيادتها على أحكام القضاء فأحد الوجهين أنه يجوز للمحتسب أن يحكم ابتداء فيما يراه من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر .

والثاني - وهو الأمر الهام في المحتسب - هو أن للناظر في الحسبة من السلطة والقوة في التنفيذ ما ليس للقاضي ، لأن الحسبة موضوعة للرهبة فلا يكون تولي المحتسب لها إلا بالمهابة والشدة من غير خرق ولا جور .

وخلاصة القول إن أمر المحتسب وأعوانه في الدولة الإسلامية أمر كان له شأن في سيرها وانتظام أمورها الدينية والدنيوية ، وقد تفرق اليوم سلطانه في الدولة الحديثة إلى عدد كبير من السلطات ، والدول تراعي في اختياره الشروط نفسها التي يختار عليها في العهود الإسلامية . فإذا روعيت هذه الشروط صلحت الأمور وانتظمت الأحوال .



ندوة الشهر

اشترك في الندوة

- د. أسعد عبده .... السعودية
- د. محمد الصياد .... مصر
- د. محمد الطائي .... العراق
- محمود شاكر .... سورية
- د. عبدالهادي التازي .... المغرب

التراث الجغرافي لعلماء المسلمين

إعداد : محمد مبارك

دعا الإسلام المسلمين إلى النظر في السموات والأرض ، وإلى تأمل الكون ، وظواهر الطبيعة وسقوط الأمطار ونمو الأعشاب والأشجار ، وتعاقب الليل والنهار ، وخسوف القمر وكسوف الشمس ، ودعا إلى السفر والارتحال والسياحة في الأرض وتأمل خلق الله واختلاف الألسنة ، ودعا إلى التدبر والتعقل لاكتشاف أسرار المخلوقات وتعظيم الخالق المصور سبحانه .

وعندما أخذ المسلمون بأسباب العلوم في القرون الأولى من الهجرة بدأوا بالترجمة ثم انتقلوا إلى الإبداع وتركوا تراثاً حافلاً بالمنجزات العلمية .

ودراسة تطور الفكر الجغرافي لدى علماء المسلمين في فترة ازدهار العلوم الإسلامية تعتبر حلقة هامة في تاريخ علم الجغرافية وتطور أفكاره الرئيسية ، وكانت الفتوح الإسلامية مصدراً خصباً لكثير من القصص الموضوعة عن انتشار القبائل العربية وأصولها والتصورات الجغرافية للعالم وقد أدى ذلك في صدر الإسلام إلى ظهور ما يسمى **بأدب الفضائل** أي محاسن البلاد والشعوب .

وقد ذكر المسعودي أن **عمر بن الخطاب** كتب إلى بعض الحكماء عندما فتح الله البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك من الأرض :

« إنا أناس عرب ، وقد فتح الله علينا البلاد ، ونريد أن نتبوأ الأرض ونسكن الأمصار فصف لي المدن وأهويتها ومساكنها وما يؤثره الترب والأهوية في سكانها » .

وقد كلف عمر بن الخطاب أيضاً قائده **سعد بن أبي وقاص** بعد معركة **القادسية** أن يصف له المواضع المجاورة لها ، وقد حفظ لنا **ياقوت** ذلك ، كما أن المؤرخين من **عصر المماليك** تركوا لنا وصف عمرو بن العاص لمصر .

واهتم **العصر الأموي** إلى جانب المعلومات الأولية عن الأمصار الإسلامية ، بتنظيم **بريد الدولة** وإعداد رسوم تخطيطية لها ، وتحديدها على الطبيعة بوضع أحجار على جانبيها لتوضيح المسافات وتطورت في **العصر العباسي** الجغرافية الفلكية ، والجغرافية الوصفية والرحلات .

وامتاز القرن الخامس الهجري « الحادي عشر الميلادي » بظهور عالم مسلم جليل هو **البيروني** ، وظهور جغرافي كبير في الأندلس هو **البكري** ، وجغرافي وكارتوجرافي في صقلية هو **الإدريسي** ، ولكل من هؤلاء الأعلام طابعه الخاص ، وكل منهم أثرى الجغرافية والكارتوجرافية ليس لدى المسلمين فحسب ، بل لدى المفكرين عامة ، إذ لم يقتصر أثرهم على بني ملتهم فقط ، بل شملت البشرية جمعاء ، فهم معالم مضيئة في طريق العلم .

وندوة هذا الشهر حين تطرق هذا الموضوع الهام إنما ترجو من ورائه ارجاع الحقائق إلى الأذهان .. حقائق دور علماء المسلمين في مجالات وفروع الجغرافية المختلفة واسهاماتهم في نشأة وتطوير العلوم الجغرافية حتى وصلت إلى ما وصلت إليه .

تطور المعرفة الجغرافية

في بداية الندوة تحدث الدكتور أسعد سليمان عبده الأمين العام لجامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية ، عن تطور المعرفة الجغرافية لدى علماء المسلمين من حيث المنطلق والمساهمات والغايات ، فقال :

« مسألة المعرفة الجغرافية عند المسلمين مسألة نرتبط بها برابطين قويين :

● الأول : أن تلك المعرفة جاءت من أجدادنا علماء المسلمين ، ومن ثم فنحن نرتبط بهذه المعرفة وبمن كتبوها لنا وخلّفوها لنا برابطة قوية وهي **رابطة العقيدة** ، فكان واجباً علينا أن نهتم بها وندرسها وننقحها وننشرها ونقدمها للجيل القادم في شكل واضح ونقي وشامل .

● أما الرابط الثاني بهذا التراث الجغرافي فهو **رابط الفكر** ، فنحن كطلاب معرفة نجد في هذا التراث الجغرافي كثيراً من العلم وكثيراً من الفكر ونحن نبحث عن المعرفة الحقيقة وفي هذا التراث الكثير مما نبحث عنه .

وقد بدأت المعرفة الجغرافية أو الفكر الجغرافي عند المسلمين بعد ظهور الإسلام وانتشاره وازدهار الحضارة الإسلامية ، ثم ضعفت مع ضعف الدولة الإسلامية ، ونحن الآن نعيش بإذن الله نهضة جديدة في العالم الإسلامي ، ونريد أن نبحث عن ذلك التراث الذي خلفه أسلافنا .

وربما كان من اللازم الوقوف على **نشأة المعرفة الجغرافية** ، فقد نشأت بشكل طبيعي لأن سيدنا **آدم عليه السلام** في البداية ، ثم بقية البشر الذين عمروا هذه الأرض ، فكان لا بد أن يبحثوا عن المأكل ، ويبحثوا عن المشرب ، وكان لا بد أن يبحثوا عن مكان يلجأون إليه هرباً من الحيوان المفترس ، أو أي شيء قد يلحق بهم الضرر . ولهذا **فالمعرفة الجغرافية كانت قد بدأت مع بداية الإنسان على هذه الأرض** ، ثم نمت بعد ذلك عندما بدأ الإنسان يرحل رحلات بعيدة ومنتظمة وهناك ما يثبت أن **قدماء المصريين والفينيقيين** وبقية الشعوب ذات الحضارات القديمة كانت تقوم برحلات في الجزر الذي كان معروفاً من العالم في ذلك الوقت .

بعد ذلك جاء **العهد اليوناني** بما جاء به من فكر ، وأحد جوانب هذا الفكر هو الجانب الجغرافي ، فظهرت أفكار جغرافية متقدمة جداً في ذلك العهد قبل ميلاد المسيح عليه السلام بحوالي ٥٠٠ سنة ، **وظهر من العلماء قبل ميلاد المسيح عليه السلام بحوالي ٢٠٠ سنة أو أكثر من يقول بكروية الأرض وقياس حجمها بقياس محيطي** . ولكن .... بعد ذلك بفترة .. هبط الفكر الجغرافي هبوطاً كبيراً ونسي الناس أفكار أولئك العلماء الكبار الذين ظهروا **في العهد اليوناني وفي العهد الروماني** ، ونسي الناس أن الأرض كروية ، وبدأوا يعتقدون أن الأرض مسطحة ، بل أنه أصبح التفكير في بعض النظريات المتعلقة بالأرض وبالمعرفة الجغرافية شيء محظور حتى جاء الإسلام ، ونزل القرآن ، وفيه كثير من الآيات التي تدعو الإنسان إلى النظر في هذه الأرض والنظر في السماء ، وتدبر الأكوان ، وبدأ المسلمون ينظرون إلى الأرض وما عليها بنظرة جديدة وبدأوا يرجعون إلى كتب اليونان القديمة ويحيونها من جديد ويستفيدون منها ثم لم يكتفوا بذلك وإنما قاموا بإضافة مساهمة كبيرة وجليلة إلى المعرفة الجغرافية ، ولا شك أن هناك علاقة وثيقة بين تقدم الفكر الجغرافي بعد ظهور الإسلام وبين الدين الإسلامي وبالذات القرآن الكريم .

وقد أبدع المسلمون في جغرافية المدن وجغرافية الأماكن ، كما نجد أحد الفروع التي أبدع فيها علماء المسلمين هي الجغرافيا الفلكية والرياضيات **فالبتاني** العالم المسلم المتوفي في بداية القرن الرابع الهجري نجده يذكر في ذلك الوقت أن الأرض مستديرة وأن مركزها في وسط الكون والهواء محيط بها من جميع الجهات ، ويذكر عبارات أخرى ، مثل أن الشمس إذا غابت في **أقصى الصين** كان أول طلوعها على أول الجزائر العامرة المذكورة أنها في **بحر أقيانس** الغربي وإذا غابت في هذه الجزائر صار أول طلوعها على أقصى عمران الصين وذلك نصف دائرة الأرض ، هذه العبارات عبرت عما نسميه « **دائرة الضوء** » ، وهذا يعتبر فكراً متقدماً جداً عن شكل الأرض والشمس . وعالم آخر مثل **البيروني** عرف عنه أنه أدق علماء المسلمين الجغرافيين في العهود السابقة ، له عدة كتب ومؤلفات جغرافية منها كتابه عن **الهند** ، وأبدع أيضاً في معرفة **خطوط الطول والعرض** ، فوضع جداولها وصحح وأضاف على الجداول التي وجدها عند الرومان واليونان ، وهذه الأفكار ممتازة جداً لأنه قبل ظهور الإسلام نسيت الأفكار الجغرافية الجيدة التي ظهرت .

ومما يدل أيضاً على اهتمام أولئك بالجغرافيا الفلكية ذلك العدد الكبير من **المراصد** الذي كان موجوداً في العالم الإسلامي ، مما يدل على اهتمامهم بهذا النوع من الأجهزة وتطويرهم له لقياس مواقع النجوم وبعض الأجرام السماوية . وهناك جوانب أخرى بحرية ، فهناك العالم البحار المشهور **أحمد بن ماجد** الذي كان على معرفة ممتازة بالطرق البحرية ، وألف عن قواعد الإبحار في البحر العربي وشرق إفريقيا ، وكتب كتابه عن قواعد علم البحار . ومن الدلائل على اهتمام علماء المسلمين بهذا الجانب من المعرفة البحرية تطويرهم **للبوصلة البحرية** واستخدامها بشكل أوسع وتطويرهم للخرائط بمختلف أنواعها » .

المنهج في البحث الجغرافي

ويحدثنا الدكتور محمد محمود العياد من جمهورية مصر العربية ، رئيس قسم البحوث والدراسات الجغرافية بمعهد البحوث والدراسات العربية ، وأمين عام الجمعية الجغرافية العربية عن منهج العلماء المسلمين في البحث الجغرافي واسهاماتهم في بناء صرح الجغرافية :

« الإنسان جغرافي بطبعه ، وحينما جاء الإسلام أضاف إلى الجغرافيا والمعرفة الجغرافية جانباً إنسانياً ، وقد أسهم العلماء المسلمون إسهاماً فعالا في تطوير الفكر الجغرافي **فالحج** وهو ركن من أركان الإسلام ، رحلة كانت تتطلب معرفة الطرق إلى **البيت الحرام** ، وما على هذه الطرق من موارد الماء ، وما بها من منازل القبائل وأماكن الراحة ، وكان تجمع المسلمين في الحج عاملاً له أهميته في زيادة التعارف بينهم وتبادل المعلومات عن أقطارهم . واتسعت رقعة الدولة الإسلامية وأصبح من الضروري الوقوف على أحوال البلاد التي فتحها الله على المسلمين ومعرفة الطرق التي تربط أجزاء الدولة المتباعدة ، والمسافات بين الأماكن بعضها وبعض ، فظهر لفيف من العلماء أولوا اهتمامهم بما سموه « **تقويم البلدان** » وكثرت في هذا الميدان كتبهم ومصنفاتهم . ومع اتساع الدولة اتصل المسلمون بالحضارات القديمة ، وكان علماؤهم من رجاحة العقل ورحابة الفكر بحيث أخذوا من هذه الحضارات ما وجدوه يتفق مع المنطق السليم ، ولا يتعارض مع الدين الحنيف .

والإسلام يدعو إلى التبصر في آيات الله وفي الآفاق ففيها أصدق دليل على وجوده وعظمته وقدرته :

﴿ إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين ﴾ .

﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ﴾ .

﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ .


★ د. أسعد عبده ★


★ د. محمود الصياد ★

هذه وأمثالها آيات يرددها **القرآن الكريم**، وكلها تدعو إلى النظر في الكون وما أودعه الله فيه من آيات، فلم يكن غريباً أن يهتم علماء المسلمين بالجغرافية، فهي ليست سوى دراسة الأرض، وما لها من مظاهر، وما فيها من بحار، وما يسقط عليها من مطر، وما ينمو فيها من نبات، وما يعيش عليها من أحياء.

وكانت الجغرافية الفلكية والرياضية هي أول الفروع التي استأثرت باهتمام العلماء المسلمين، فقد كان هذا هو شأن المدرسة القديمة التي نقلوا عنها، وترجموا الكثير من تراثها، ولكنهم أضافوا الجديد من عندهم إلى ما نقلوا، حتى صارت لهم في نهاية الأمر مدرسة إسلامية خاصة بهم وكان رواد هذا الميدان: **الخوارزمي، وسهراب، ويعقوب الكندي** وغيرهم. ثم ما لبثوا أن اتجهوا إلى الجغرافية الطبيعية فكتبوا فيها فصولا ممتعة وأثروا الفكر الجغرافي بإضافاتهم المبتكرة في شتى نواحيها، فكان لهم فضل السبق في وضع الأسس العلمية لدراستها، وكان مما يدعو إلى الاعجاب أن يدرك «**المقدسي**» أن نصف الكرة الجنوبي يتكون معظمه من الماء بعكس النصف الشمالي الذي يتركز فيه اليابس، وفهم **البيروني** حركة المد والجذر وربط بينها وبين أوجه القمر، وكان لا يستبعد أن يكون النصف الغربي من الكرة الأرضية معموراً كنصفها الشرقي وهذا قبل أن نكتشف الأمريكتين بعدة قرون.

وقامت دراسة علماء المسلمين للغلاف الجوي على أساسين هما: دراسة الظاهرات الجوية في إقليم بعينه، ودراسة التوزيع الجغرافي لمعدلات الأحوال الجوية.

وأدى تطور العلوم الإسلامية وتقدمها إلى ظهور مؤلفات جغرافية جيدة تتناول الجغرافية الإقليمية والاقتصادية والبشرية، وخرجوا على المنهج اليوناني في دراسة الجغرافية الإقليمية خاصة في القرن الرابع الهجري حينما ظهر **الاصطخري وابن حوقل والمقدسي، فطريقة الجغرافيين المسلمين في معالجة الجغرافية الإقليمية لمنطقة ما تتناول ناحيتين: الأرض، والناس.**

أما في ميدان **الجغرافية الاقتصادية**، فقد كان منهج العلماء المسلمين يقوم على الاهتمام بضوابط الإنتاج الاقتصادي فيتحدثون عن موارد المياه وشؤون الري وتوزيع الغلات الزراعية والثروة المعدنية والصناعات والتجارة.

وكان من بين الفروع التي عني بها الجغرافيون المسلمون جغرافية المدن، وربما كانوا هم أول من أرسى قواعد دراسة هذا الفرع من فروع الجغرافية، وكان منهجهم يهتم بالتركيز على أهمية الموقع الجغرافي للمدينة، وعلى سبيل المثال حاول **المسعودي** تفسير قيام المدن في مواضعها بالعوامل الجغرافية المحيطة بها، وناقش **ابن خلدون** عوامل قيام المدن وازدهارها وأسباب اضمحلالها بعد ذلك.

ولعمر الحق فإن منهج الجغرافيين المسلمين في دراسة المدن منهج علمي سليم للغاية، ولكن الذي يؤخذ عليه أنه قلما يوجه عناية كافية إلى عدد سكان هذه المدن، وإن حدث هذا، فهو يقدر عدد السكان بناء على عدد المساجد أو عدد الحمامات العامة الموجودة بالمدينة.

واضح أن المسلمين اهتموا بالجغرافية في شعبتيها الرئيسيتين، الطبيعية والبشرية، وكان لهم منهج علمي سليم ساعدهم على تفهم كثير من المشكلات وتفسير العديد من الظاهرات ولم يعتمد منهجهم في جمع المعلومات على مجرد السماع والنقل بل سلكوا السبيل الصحيح للبحث وهو التجربة والمشاهدة والملاحظة الدقيقة. فأجروا دراساتهم في الجغرافية الفلكية والرياضية في عدد كبير من المراصد أنشئت في شتى جهات الدولة الإسلامية، واستعان العلماء المسلمون في دراساتهم بالأجهزة العلمية التي اخترعوها أو نقلوها عن غيرهم.

وكانت **الخارطات الإسلامية** ترسم بحيث يكون الجنوب في أعلى الخارطة والشمال في أسفلها والشرق إلى يسارها والغرب إلى يمينها أي بعكس ما هو عليه الوضع في الخارطات الحديثة، ولعل السبب في ذلك أن **مكة المكرمة والمدينة المنورة** كانتا في جنوب العالم المعروف. وتمثل خارطات **الإدريسي** الأوج الذي بلغته صناعة رسم الخرائط في العصور الوسطى.

وكان من منهج علماء المسلمين **الأمانة في النقل**، فكثيراً ما أشاروا إلى الكتب التي نقلوا عنها، أو نقدوا ما ورد بها، وكانت هذه الأمانة العلمية هي التي عرفتنا بمؤلفات كثيرة ضاعت مع ما ضاع من تراثنا العظيم».

جغرافية المسالك والممالك

ومن الجمهورية العراقية شارك في الندوة الدكتور محمد حامد الطائي أستاذ الجغرافية بكلية الآداب بجامعة بغداد، فتحدث عن مفهوم جغرافية المسالك والممالك لدى العلماء المسلمين قائلا:

«إذا كان القرنان الثاني والثالث الهجريان قد شهدا **ظهور الجغرافية الفلكية** عند المسلمين، فإن القرن الرابع الهجري قد شهد تشكل **وظهور الجغرافية الوصفية**، كما شهد عصراً من **الرحلات** يقارن بحق بعصر **الكشوف الجغرافية** المعروف لدى الغرب.



★ أول خريطة للعالم رسمها الإدريسي في القرن السادس الهجري ★

وتتسم الجغرافية الوصفية لدى المسلمين بتعبير **المسالك والممالك** وهذا التعبير يرسم منهجاً وهدفاً للجغرافية ، فالمنهج يعتمد على الخريطة وتتبع الطرق والمسالك حيث أن هذا أمر لازم لدولة مترامية الأطراف تحتاج لأن ترتبط أجزاؤها بعضها ببعض ارتباطاً قوياً وحيث يحتل ديوان البريد مقاماً ملحوظاً بين دواوين الدولة ، وأما الممالك فيقصد بها الأقاليم الجغرافية الكبرى .

ويعتبر كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه أول مصنف في الجغرافية الوصفية في المدرسة الجغرافية الإسلامية وهو فارسي الأصل شغل وظيفة صاحب البريد بنواحي الجبال بإيران وقد أسهب في وصف **الطرق البحرية إلى الهند والصين** ووصف الطرق المؤدية من **بغداد** إلى **وسط آسيا** وإلى **بيزنطية** ، وإلى **الأندلس** ، كما أسهب في وصف طرق التجارة بين أوروبا **والشرق** عبر **أنطاكية** من ناحية **ومصر** من ناحية أخرى ، وفي غضون ذلك يتحدث عن **المحاصيل** المختلفة **وأنواع النبات والحيوان** .

وتظهر طريقة الاستقصاء في جمع المادة الجغرافية من مقدمة الجغرافي والمؤرخ « **أبو العباس أحمد بن يعقوب اليعقوبي** » لكتابه « البلدان » إذ يقول : « إني عنيت في عنفوان شبابي بعلم أخبار البلدان ومسافة ما بين كل بلد وبلد ، لأني سافرت حديث السن واتصلت أسفاري ودام تغرّبي ، فكنت كلما لقيت رجلاً من تلك البلدان سألته عن وطنه ومصره ، فإذا ذكر لي محل داره وموضع قراره سألته عن بلده وزرعه ما هو وساكنيه من هم من عرب أو عجم .. ودياناتهم ومقالاتهم .. » .

من هذا نرى أن المسلمين ـ كما افترى عليهم الكثيرون ـ ليسوا بناقلي حضارة ، بل أضافوا إلى ما سبقهم ، وكان لديهم الكثير من العوامل التي أدت إلى تطوير معارفهم الجغرافية .


★ د. محمد الطائي ★

ومن ناحية أخرى، فقد كان **لليونان** آلهة عديدة مثل : **إله الشمس، وإله القمر، وإله المطر..** الخ. وعندما جاء المسلمون كان من بين أيديهم **القرآن الكريم**، والقرآن مبدئياً قطع العلاقة نهائياً بين كل هذه الظواهر وبين الإنسان لأن هذه الظواهر خلقها الله سبحانه وتعالى مثلها خلق الإنسان، وهي مسخرة للإنسان ولا تصلح للعبادة، كما تشير الآيات القرآنية، لذلك عندما جاء الجغرافيون المسلمون كان يطلقون على الجغرافية ما يشهدون من دوافع دقيقة مخلصة لتوسيع المعرفة الجغرافية عند المسلمين لا لوضع النظريات، لأن القرآن الكريم أوضح هذه الأمور :

﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾.

فالقرآن الكريم حدد هذه المعلومات وهذه المصطلحات الراقية ووضع لها المفاهيم وبين أن الإنسان مخلوق مسخر له كل ما في الكون، وربط بين هذه الظواهر وبين النظام الذي وضعه لهذا الكون برمته بما فيه من ملايين الملايين من الكواكب والنجوم.


★ محمود شاكر ★

والقرآن الكريم بهذا الاعتبار شجب كافة الآراء والخرافات الموجودة في العقل البشري حول نظام الكون وحول الأرض، هذه هي الناحية الأساسية.

والناحية الثانية إن الإسلام دفع المسلمين إلى التوسع في المعرفة الجغرافية بقصد خدمة المسلمين أنفسهم وخدمة الحجاج والتعرف على المنازل وأماكن المياه وأوضاع المدن وأوضاع الناس، فنشأ ما أسلفنا ذكره **بجغرافية المسالك**، ثم كتبوا عن الشعوب التي تقع ضمن العالم الإسلامي فظهر أيضاً ما سمي **بجغرافية الممالك**.

والجغرافيون المسلمون عندما تجولوا نقلوا بأمانة، لذلك فالكتب الجغرافية التي وردتنا والتي تعد بالآلاف كلها تتصف بصفة الأمانة، ولكنها لا تتصف مع الأسف بالتمحيص.

وقد كلفت ذات مرة - عند تحضير الرسالة من قبل أستاذي بالوقوف على خمسة كتب لبعض الكتّاب المسلمين الذين كتبوا عن **شرق أوروبا**، فذهبت إلى **مكتبة الكونجرس** وهي على ما أعرف أضخم مكتبة في العالم، فسألت المختص بهذا الفرع فابتسم وقال لي كم من الآلاف من الكتب تريد، وأخذ بيدي إلى القسم المختص فوجدت هناك أكثر من ١٠,٠٠٠ كتاب من تأليف المسلمين عن شرق أوروبا.


★ د. عبد الهادي التازي ★

وقد أخذ تطور الفكر الجغرافي عند المسلمين شكله النهائي عندما بدأ ظهور ما يسمى بالمعاجم، وهذا الأسلوب من الكتابة غير طبيعة الكتابة الجغرافية القديمة والوسيطة واستمر حتى أوائل القرن

العشرين بما نسميها جغرافية المعاجم أو القواميس . فكان الكاتب المسلم يكتب من البلد مناخه وقونه وغلاته ومظاهره وعادات سكانه . . الخ . والجغرافي في أوروبا سار على هذا النمط إلى ما قبل ٧٥ سنة ، عندما بدأت الجغرافيا تدرس على أنها العلاقة بين الإنسان والبيئة وتحليل هذه العلاقة » .

المعرفة الفلكية

ومن سورية ، تحدث الأستاذ محمود شاكر المؤلف الجغرافي المعروف والحاصل على إجازة الآداب في الجغرافية من جامعة دمشق عن المعرفة الفلكية لدى علماء المسلمين ، فقال :

« كان من المهم جداً أن يعرف الإنسان المسلم **موقع القبلة** ، وأن يعرف **أوقات الصلاة** ليؤدي الفرائض ، وكانت دار الإسلام واحدة يتنقل فيها المسلم كيفما شاء لا يعترضه عارض ، وإذا نظرنا إلى **ابن بطوطة** عندما نقل أفكار العالم الإسلامي فإننا نشعر بالحسرة لحالنا اليوم ، فنحن الآن نجد أفكاراً متباينة في مجتمع يتكلم لغة واحدة ولا يعرف المشارقة عن بلاد المغاربة إلا القدر اليسير المماثل لما يعرفه المغاربة عن المشارقة .

وقد تعدى الفلكيون والجغرافيون المسلمون مرحلة الترجمة والاستيعاب إلى مرحلة التطبيق العملي لنظريات الإغريق فضبطوا دوائر العرض وخطوط الطول وعينوا مواقع عديدة من النقاط الرئيسية في العالم ، وكان ذلك خير تطبيق للجداول الفلكية إذ تمكنوا من رسم شبكة خطوط الطول والعرض وهي الأساس الأول للكارتوجرافيا « علم رسم الخرائط » .

ومن أول المصنفات العربية في الفلك ما تركه **أحمد بن محمد بن كثير الفرغاني** بعنوان « كتاب الحركات السماوية وجوامع علم النجوم » ، وقد أمضى **البتاني** الفلكي حياته يرصد النجوم بمرصد الدقة ، وكانت له ملاحظات جيدة عن الكسوف .

ولقد أشار **القرآن الكريم** إلى خصائص الزمن الفلكية ﴿ **وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى** ﴾ و ﴿ **الشمس والقمر بحسبان** ﴾ وقد جلّى القرآن الكريم أن عدد السنين وحسابها على سطح أرضنا مترتب على العلاقة بين الأرض والشمس أو بين الأرض والقمر وعلى الوحدة الزمنية التي يملأها النهار والليل حتى يعقبها شروق شمس يوم جديد ، قال تعالى : ﴿ **يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره** ﴾ ، ﴿ **هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب** ﴾ ، ﴿ **وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا** ﴾ ، ﴿ **فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ، ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾ . فالزمن حركة أو الحركة زمن ودورة الأرض حول نفسها أمام الشمس حركة لها زمن هو اليوم ، ودورة الأرض حول الشمس حركة لها زمن يترتب عليها وعلى ميل محور الأرض هو الفصول الأربعة التي تشغل العام ، كذلك للقمر دورة حول نفسه وأخرى حول الشمس وكل منها حركة فلكية لها زمنها » .

الرحلات لدى المسلمين

ويشارك في الندوة من المملكة المغربية الدكتور عبد الهادي التازي ، رئيس المعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط ، فيركز حديثه على الرحلات التي قام بها علماء المسلمين الأوائل وأثرها في تقدم وتثبيت المفاهيم الجغرافية ، ويقول :

« كانت الرحلة عنصراً قوياً في حياة المجتمع الإسلامي ، حيث أوصى **القرآن الكريم** المسلمين بالسعي في طلب الرزق ﴿ **وامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه** ﴾ ، وكانت الرحلات تتم لغايات عديدة منها :

١ ــ زيارة مهبط الوحي والأماكن المقدسة .

٢ ــ طلب العلم .

٣ ــ التجارة .

٤ ــ الرسل بين الملوك والأمراء والسلاطين .

٥ ــ المغامرة .

وكان لاتساع شبكة طرق المواصلات والأمن السائد أثره على أن يشدوا الرحال ويطوفوا في البلدان وكانوا يشعرون في أي بلد يحلون فيه كأنهم في بلدهم ، فالتجانس في العقيدة والدين بين أبناء تلك البلاد واللغة الواحدة كان خير زاد يمكن أن يتزود به المسافر .

وكثير من الرحلات الجغرافية الطويلة بدأت بالحج كرحلة **ابن بطوطة وابن سعيد المغربي** وغيرهما كثيرون ، كما غدا الارتحال في طلب العلم منذ القرن الأول للهجرة أشبه بالضرورة اللازمة لاكمال الدراسة والتعلم ، ففي طلب العلم رحل الناس من **الأندلس** إلى بخاري ، ومن **بغداد** إلى **قرطبة** ، ولعل من الأمثلة على ذلك الفقيه الأندلسي **أسعد الخير الأنصاري** المتوفي عام ٥٤١ هـ ، الذي نعت بالصيني لارتحاله إليها طلباً للعلم ، كما أورد مؤرخ الأندلس **المقري** أسماء ٢٨٠ شخصاً رحلوا إلى المشرق في طلب العلم وحده وليس لغرض التجارة أو الحج .

فكانت الرحلات تمثل مصدراً أساسياً للمعلومات الجغرافية ، ولا نكاد نصادف أي جغرافي عربي مسلم مرموق لم يكن قد اعتمد في كتاباته على رحلاته الشخصية ، ومن أهم هؤلاء :

اليعقوبي ، الاصطخري ، المسعودي ، ابن حوقل ، المقدسي ، الإدريسي ، ناصر خسرو ، سليمان التاجر ، وبزرك ابن شهريار الناخذاه ، ابن جبير ، أبو حامد الغرناطي ، الهروي ، علي بن سعيد المغربي ، محمد الصيدري ، ياقوت الحموي ، ابن بطوطة .

وابن بطوطة ولد في طنجة سنة ١٣٠٤ م ، وغادر موطنه وهو في عمر ٢٢ عاماً تقريباً ، بهدف الحج وعاد وعمره قد شارف الخمسين ، وهو **أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي** ، والواقع أن ابن بطوطة لم يقم برحلة واحدة ، بل بعدة رحلات حج فيها أكثر من مرة وقطع فيها معظم العالم المعروف في

عصره ، وقد زار **نجداً والحجاز والبحرين وعمان وحضرموت واليمن والعراق ومصر والشام والمغرب العربي وساحل إفريقيا الشرقي وبلاد فارس وبلاد الأناضول وأواسط آسيا وتركستان والحوض الأدنى لنهر الفولجا والهند وجزر الساحل الجنوبي الغربي للهند وجزر المديف وسرنديب «سيلان وسيرالانكا» والملايو وجنوب الصين** ، وربما تقدم إلى شمال **الصين والسودان** ، وكان كما يقول لا يسلك طريقاً سبق له أن سلكه من قبل ، وقد أطلقت عليه **جامعة كمبردج** (أمير الرحالة المسلمين) » .

تعليق

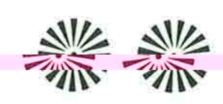
لعل من الحق القول إن جمع المعارف الجغرافية وتسجيلها كان في بداية ظهور الدولة الإسلامية من قبيل خدمة دولة تتسع حدودها وتضم إليها بلاداً وشعوباً غير عربية ، ومنذ ظهور الإسلام والصلة وثيقة بين الجغرافية والتجارة ، فالعالم الإسلامي كان رقعة متصلة ، وقد شجع ذلك على ظهور طرق القوافل تسعى عليها وتربط بين محطاتها سفينة الصحراء .

وقد استمدت الجغرافية الإسلامية مادتها عن طريق الملاحظة والاستخبار والنقل .

والجغرافيون المسلمون منحوا العالم أسنى العطاء وأجزل المكاسب العلمية ، وأفرزت معارفهم ضياء خالداً ، وعلماً نافعاً ، وخرائط رائدة ، ظلت نحو أربعمائة سنة هي المصدر لعلماء الغرب .

إننا نمتلك بالفعل تراثاً جغرافياً ذا قيمة كبيرة في تاريخ تطور الفكر الجغرافي ، وقد لفت هذا التراث اهتمام المستشرقين الغربيين منذ أواسط القرن الماضي ، والواقع الذي لا مرية فيه **إن التراث الجغرافي العربي الإسلامي قد ساهم مساهمة فعالة في اذكاء جذوة العلم الجغرافي خلال العصور الوسطى** ، وهي العصور التي تنحت خلالها أوروبا عن دورها الحضاري وطمست فيها العلوم ، ومنذ بداية القرن الثاني عشر الميلادي وربما قبل ذلك التاريخ ، أخذ محبو العلوم الجغرافية والرياضية والفلكية والفلسفية من الأوروبيين يقتبسون المعرفة من كتب العلماء المسلمين ، وحينما بدأت الجغرافية تستعيد أهميتها من جديد خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر ، وذلك بتنافس الدول في ميدان الكشوف الجغرافية ، لعبت الأفكار الجغرافية العربية والتراجم العربية لجغرافية الرومان واليونان دوراً مهماً في تهيئة الأرضية العلمية المناسبة لحركة الكشوف الجغرافية . كما أن الخرائط العربية البحرية ساهمت بدور فعال في تشجيع حركة الكشوف الجغرافية البحرية بما قدمته من معلومات ذات أهمية كبيرة عن البحار .

وبعد .. هي دعوة إلى تمحيص المؤلفات والتراث الجغرافي لعلماء المسلمين .. حتى تبطل الدعوى المغرضة والاعتقاد الحاقد بأن الجغرافية الإسلامية تخلو من الخصائص العلمية .. ويجب أن نهتم من جهة أخرى بتعليم جغرافية البلدان الإسلامية في مدارسنا ومعاهدنا العلمية حتى ينشأ الطالب المسلم ويشب وهو يعلم عن بلاده وعالمه الإسلامي أكثر مما هو حاصل الآن بمعرفته للعالم الغربي . كما يجب أن يهتم علماؤنا إلى جانب التأليف ، بالتحقيق والتمحيص في تراثنا الثري الضخم في مختلف فروع الجغرافية .



بعض المصطلحات الجغرافية في كتب الجغرافيين المسلمين

● **الدارات** : مفردها دارة ، وهي كل أرض واسعة بين جبلين . . ومن الرمل ما استدار منه .

● **الحرات** : مفردها حرة ، وهي الأرض كثيرة الحجارة ، أو ذات حجارة سود نخرة كأنها احترقت بالنار ، قال الأصمعي : الحرة هي الأرض التي ألبستها الحجارة السود ، فإن كان فيها نجوة الأحجار فهي الصخرة وجمعها صخر .

● **الجبل** : من سياق الآيات القرآنية جاء التعريف المعجمي لكلمة جبل بأنه كل وتد للأرض عظم وطال ، فإن انفرد فأكمة أو قنة .

● **الأودية** : واحدها واد ، وهو المنخفض الأرضي الممتد في أماكن السيول ، أي أن الوادي هو الأرض دون الماء ، والوادي عند ابن سيدة : منفرج ما بين الجبال والتلال والآكام ، وللوادي أوضاع ، كالمنعرج والمحنية والمعاطف ، ومن أسمائه ونعوته : الخندق والفال والتلعة والجواء .

● **الفلك** : من مصطلحاتهم فيه :

ا ـ منازل القمر أو نجوم الأخذ : وسميت بذلك لأخذ القمر كل ليلة منزلا .

ب ـ التمييز بين الكوكب والنجم ، فالكواكب ثابتة وغير ثابتة ، والثابتة منازل وبروج ومنازل القمر ثمانية وعشرون ، أما البروج فاثنا عشر برجاً .

جـ ـ وصف بعض الكواكب بأنها سيارة : القمر وعطارد والزهرة والشمس ، والمريخ والمشتري وزحل .

● **الأنواء أو المناخ** : النوء هو النجم إذا مال للمغيب ، والجمع أنواء ، ونوءان ، ويقال إن النوء هو سقوط نجم في المنازل ـ أي منازل القمر ـ في الغرب مع الفجر مع طلوع رقيبة ، وهو نجم آخر يقابله من ساعته في المشرق .

● **الرياح** : الريح في اللغة نسيم الهواء ، وحيثما وردت في القرآن الكريم في معرض العذاب كانت بلفظ الإفراد وحيث وردت في معرض الرحمة كانت بلفظ الجمع ، قال تعالى : ﴿ **إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم** ﴾ ، وقال جل شأنه : ﴿ **وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته** ﴾ .

والرياح عند العرب أربع من حيث الجهات التي تهب منها : الشمال والجنوب والصبا والدبور ، وهي الرياح الرئيسية طبقاً للجهات ، وهناك رياح فرعية وهي ما عرفت بالمتداخلة أو المتفرعة :

١ ـ إذا هبت بين الجنوب والدبور تسمى : **الداجن** ، أي جنوبية غربية .

٢ ـ إذا هبت بين الجنوب والقبول تسمى : **النكباء** ، أي جنوبية شرقية .

٣ ـ إذا هبت بين الشمال والدبور تسمى : **أذيب** ، أي شمالية غربية .

٤ ـ إذا هبت بين الشمال والقبول تسمى : **الحرجف** ، أي شمالية شرقية .

وحاول بعض اللغويين حصر صفات الرياح في ثلاثة أقسام :

١ ـ الرياح الباردة : الحرجف والصرصر والعرية والخازم والبليل والشفان والهلاب والنضيفة .

٢ ـ الرياح الحارة : السهام والهيف والبارح والسموم والحرور والمعمعان .

٣ ـ رياح غير حارة وغير باردة : وهي التي تفهم من السياق أو بالوصف .

● **السحاب** : في بحوث القدماء هو : الأجرام التي تحمل المطر بين السماء والأرض ، وهو بخار متصاعد من الأرض يرتفع من الطبقة الحارة إلى الطبقة الباردة ، فيثقل ويتكاثف ، ويتعقد ويصير سحاباً .

● **البرق** : هو من الظواهر التي تصاحب السحاب في تسياره غادياً وسارياً ، وعرف قديماً بأنه ضوء يُرى من جوانب السحاب ، ومن سماته الايشام وهو بدء البرق ، فإذا لمع لمعتين كان وليفاً ، وإذا تتابع اللمعان كان فحيلاً للمطر .

● **الرعد** : صوت هائل يُسمع من السحاب ومن ألفاظه : الرز والأزيز والأرزام والهزيم والقرقرة والقاصف والدوي .

● **المطر** : عند إلتقاء بخار يتصاعد من الأرض إلى طبقات الجو العليا ، فيتكاثف نتيجة للانخفاض الكبير في درجات الحرارة ، وهو الماء الذي يخلقه الله تعالى في السحاب ويسوقه إلى حيث يشاء .

● **البحر** : هو الماء المالح عند أبي عبيد ، وعند غيره : الماء الكثير من عذب أو مالح ، وقال الجغرافيون القدماء إن البحر يمتد كالقوارة وكالسابورة وكالطيلعان ، ومن أسماء البحر : القلمسي ، والدأماء ، والكافر ، وخضارة ، واليم ، وسامر ، والخنبل ، والمهرقان .

ومن صفاته : الهموم ، والعظم ، والغطمطم ، وغطامط ، وغطمطيط وغطوطم وهي كلها من مادة واحدة « الغطاء » عدا الهموم .

● **الملاحة : من المصطلحات التي استعارها الملاحون العرب من الملاحة الفارسية ، وسجلها الجغرافيون في رحلاتهم :**

١ ـ **البلبخ أو بلنك** : الحجرة في السفينة .

٢ ـ **البندر** : الميناء .

٣ ـ الدفتر : صحف تتضمن ارشادات في الملاحة .

٤ ـ **الديدبان** : الرقيب والطليقة في البحر .

٥ ـ **السنبوق** : نوع من السفن الشراعية .

وهناك ألفاظ أخرى تخصصت في مجال الملاحة البحرية العربية مثل :

١ ـ **أغزد** : السير في البحر المفتوح نحو المياه العميقة .

٢ ـ **باحة** : مساحة مائية واسعة .

٣ ـ **جزيرة البر** : شبه الجزيرة .

٤ ـ **بطن** : السير في اتجاه مغلق في البحر .

٥ ـ **سخت السفينة** : لصقت بالأرض أي جنحت .

ومن أسماء السفن :

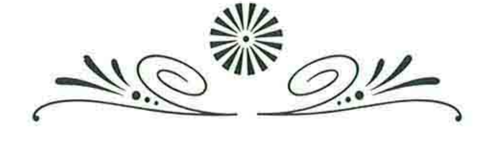
١ ـ **الخلية** : السفينة العظيمة الضخمة .

٢ ـ **القرقور** : السفينة المستطيلة .

٣ ـ **المقيدة والمقيرة** : السفينة المطلية بالقار .

٤ ـ **جفن والجمع أجفان** : المركب .

● **المد والجزر** : تعبير المد والجزر اصطلاح يعني مال البحر بالزيادة والنقصان ، وعند الجغرافيين القدامى المد هو مضي الماء في فيحته وسحته وسنن جريته ، أما الجزر ، فهو رجوع الماء على ضد سنن مضيّه وانكشاف ما مضى عليه في هيجه .





بقلم: الشاعر صلاح عبد الصبور

ما شكا أبو العلاء الآفة إلا لمحاً ، وغاية ما قاله عنها نثراً مما ينطوي على التشكي هو ذلك التعبير الكريم المترفع «**وأنا مستطيع بغيري**» ، أما في الشعر فقد كشف بعض بثه حين روى أن عاهته هي أول شجونه ، تتقدم في ذلك لزومة بيته ، وكون نفسه في جسمه الخبيث . ولا أريد بذلك أن أقرر أن هذين الخاطرين وحدهما هما كل ما روي لأبي العلاء من سوانح في هذا السبيل ، ولكن تجدر الإشارة إلى أن النبرة تختلف بلا شك بين هذين الخاطرين اللذين أشرت إليهما ، وبين قوله :

وبصير الأقوام مثلي أعمى
فهلموا في حندس نتلاطم

أو قوله :

أنا أعمى فكيف أهدي إلى النهج والناس كلهم عميان
والعصا للضرير خير من القائد فيه الفجور والعصيان

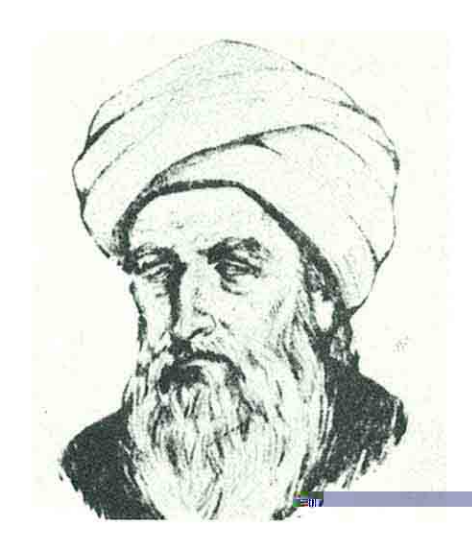
فإن أبا العلاء في هذه الأبيات وسواها لا يأسى لنفسه ، ولا يتحزن عليها ، ولكنه يتأمل في قصور الجنس البشري بعامة .

المتنبي .. والمعري

ولم يكن أبو العلاء على أي حال ممن يبالغون في التأسي على أنفسهم ، فقد كانت الكرامة عنده هي مناط شخصيته وملاك أمره في قوله وفعله .

وأبو العلاء ملمح فريد من ملامح التراث العربي . ولو أردنا إجمال خطى تطوره الفني لقلنا إنه نشأ كما ينشأ الشعراء ، حافظاً راوياً لعيون الشعر العربي مفتوناً كناشئة زمانه بذلك الشاعر الذي هبط أرض الشعر العربي كالزوبعة ، فملأ الدنيا وشغل الناس .

وأغلب ظني أن فتنة أبي العلاء **بالمتنبي** لم تكن بشاعريته وأسلوبه فحسب ، بل كانت بحياته القلقة العاصفة أيضاً «**كأن الريح تحته يصرفها يمناً أو شمالا**» . وربما كان معاصرو أبي العلاء يعرفون عن وقائع حياة **المتنبي** أكثر مما نعرف ، فقد كان العهد به قريباً ، وكانت أصداء فعاله ومواقفه ما زالت تتردد في نواحي **حلب** التي عاش فيها زمنا . وربما كان معاصرو أبي العلاء أيضاً لا يختلفون في نوازع **المتنبي**



★ المعري .. عاهته أول شجونه ★

الدينية والسياسية كما نختلف نحن الآن ، فننسبه حيناً إلى **العلوية** أو **القرمطية** أو غيرهما ، فلقد كانوا على الأرجح يدركون ما كان يعنيه **أبو الطيب** بقوله في رثاء جدته :

ولـو لم تـكوني بنـت أكرم والـد
لكان أباك الضخم كونـك لي أمـا

وكانوا يدركون - على الأرجح كذلك - من هم قومه أولئك الذين بهم فخر كل من نطق الضاد وغوث الجاني والطريد ، وكانوا يعرفون - ربما - ما ذلك « **الحق** » الذي يعنيه ويعقد العزم على طلبه في قوله :

سـأطلب حقي بـالقنا ومشايخ
كأنهم من طول مـا التثمـوا مـرد

كان **أبو الطيب** يريد أن يصنع من حياته مجداً من أمجاد الأفعال ، لا من أمجاد الأقوال ، وكان يتخذ المقال سبيلاً إلى التميز حتى ينفتح له باب الإمارة والملك ، وهو قد طلبها بالخروج والانتقاض على الدولة الكائنة في شبابه ، ثم طلبها بالتقرب إلى الدولة الكائنة في شيخوخته ، وكأنه قد طامنت الأيام من غلوائه ، وأقنعته كما تقنع معظم الطموحين أن الغايات تبرر الوسائل ، حتى لقد أصبح يرى أن أخلاق التسامح والرضا من خدعة الطبع اللئيم .

ولا شك أن **أبا العلاء** قد تأثر في شبابه لا بشعر **المتنبي** فحسب ، بل باندفاعة نفسه العاصفة . ومن ذلك الذي يقرأ **المتنبي** في شبابه ولا يقع في أسره ذوقاً وروحاً . إن **للمتنبي** فتنة كفتنة الحب الأول ، فهو يخيل لقارئه أن كل مطمح في الحياة دان قريب ما دامت لك القوة التي تجتوي العاطفة ، والبأس الذي ينكر العطف ، وما عطف أو عاطفة يسبغان على « **أهيل** » هذا الزمان وغيره من الأزمان ، إذا كان أعلمهم فدماً وأحزمهم وغداً وأكرمهم كلباً وأبصرهم أعمى وأسهدهم فهداً وأشجعهم قرداً (**وما زاد كاتب المقال في هذه الأوصاف القاسية كلها على المتنبي حرفاً واحداً**) !

وتطالعنا في صفحات « **سقط الزند** » أولى مجموعتي أبي العلاء أبيات كثيرة متنبية المنبع ، وما أخال إلا أن **أبا العلاء** كان ينكر ما فيها من استعلاء وإسراف لو رويت له في شيخوخته الحكيمة المتطامنة ، ولا نستشهد هنا بمطلعه المأثور « **ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل** » ، فذلك المطلع أشهر من أن نذكره ، ولنذكر أبياتاً أخرى له كثيرة ، فيها ما هو أكثر غلواً في الخيلاء من ذلك المطلع المحظوظ .

يقول أبو العلاء :

أفـوق البـدر يـوضع لي مهـاد
أم الجـوزاء تحـت يـدي وسـاد
قنعـت ، فخلـت أن البـدر دوني
وسـيان التقنـع والجهـاد

ويقول :

ورائي أمـام والأمـام وراء
إذا أنـا لم تـكبرني الـكبراء
بـأي لسـان ذامـني متجـاهل
عليَّ ، وخفـق الـريح فيَّ ثنـاء
تـكلم بـالقول المضـلل حـاسد
وكل كلام الحـاسدين هـراء
ومُذْ هو حتى يُحمـل النـطقُ عـن فـي
إليـه ، ويمشي بيننـا السـفراء
ومن قـال إن ابـن اللئيمـة شـاعر
ذوو الجهـل مـات الشعر والشـعراء
أتمشي القـوافي تحـت غـير لـوائنا
ونحـن على قـواها أمـراء
وأي عـظيم راب أهـل بـلادنا
فـإنا على تغـييره قـدراء
وما سـلبتنا العـز قـط قبيلـة
ولا بـات منـا فيهـم أسراء
ولا سـار في عـرض السماوة بـارق
وليس لـه مـن قـومنا خفـراء
ولسنا بفقـرى يـا طغـام إليـكم
وأنـتم إلى معـروفنا فقـراء

ولا شك أن الأبيات السالفة ستستوقف قارىء **أبي العلاء** الذي ألفه في مجموعته الشعرية الثانية « **اللزوميات** » .. وربما رأى فيها **المتنبي** أكثر مما يرى **أبا العلاء** . وما ظنك بشاعر يقول عن خصمه « **ابن اللئيمة** » . ويصف القوم الذين يبغضهم بالطغام ، وتلك كلمة مما أحب المتنبي أن يصف به الناس جميعاً ، وربما حلا لهذا القارىء الذي ألف **أبا العلاء** أن يرفع في وجه هذه الأبيات أبياته الجليلة المتواضعة :

يزورني الناس هذا أرضه يمن
من البلاد، وهذا داره الطبَسُ [1]

قالوا : سمعنا حديثاً عنك قلت لهم
لا يبعد الله إلا معشراً لَبَسوا [2]
يبغون مني معنى لست أحسنه
فإن صدقت، عرتهم أوجه عُبْس
ماذا تريدون، لا مال تيسر لي
فيستماح، ولا علم فيقتبس
أنا الشقي بأني لا أطيق لكم
معونة، وصروف الدهر تحتبس

بل ، لقد يحلو لهذا القارىء الآلف لشعر أبي العلاء في لزومياته أن يخرج من عالم الأبيات الأولى المقعقع إلى هذا النغم الواهن بما يشيع فيه من شعور مرهف منكسر وحزن هادىء ممتد .

* * *

متى أدرك هذا الشعور المرهف المنكسر ، وهذا الحزن الهادىء الممتد روح الشاعر ، فمال به عن ظل المتنبي إلى ظل نفسه ، وعكف عندئذ على هذه النفس يتأملها فيمعن في التأمل حتى تنكشف له ، فإذا هي نفس زاهدة متوحدة ، قانعة بجهدها في الوصول إلى حال من الصفاء والتنزه عن الغرض في القول وعن العرض من النعيم .

صور حياته

لقد نجم عن هذا الاختلاف في حال أبي العلاء النفسية تباين ذو ثلاث شعب بين صور حياته وبين منتصفها وآخرها .

● **تباين أسلوباه في الحياة ،** فتوقف عن الرحلة إلى المدن الإسلامية في **الشام** وغيره من الأقطار ، واعتكف في بيته إلا أن يزوره طلاب علمه .

● **وتباين أسلوبه الشعري ،** فأصبح هذا الأسلوب الذي نعرفه ، مليئاً بالمحسنات ، غنياً بالإحالات إلى الثقافة العربية الكلاسيكية من نحو وفقه وفلك وتاريخ . لم يعد أسلوبه تقليداً للمتنبي في جهارته وقوة موسيقاه ، بل أصبح استمداداً من ذاته بما فيها من ثراء لغوي وثقافي واسع ممتد .

● **وتباين عالمه الشعري ،** فأصبح الموت أو ما يدور قرب معنى الموت هو عالمه الأثير .

وهكذا كانت اللزوميات ثمرة هذا التحول الغريب .

المعري في بغداد

يقول لنا القدماء إن **أبا العلاء** ظل في **بغداد** سنة وتسعة أشهر ، ويختلفون في تقدير حفاوة بغداد به .

يقول **ابن القفطي** صاحب كتاب « **إنباه الرواة على أبناء النحاة** » :

« واشتهر ذكره ببغداد ، وقرىء عليه كتابه « سقط الزند » ، واجتمع **بالشريف الرضي والمرتضى ،** ولدى أبي أحمد ، وشهدا بفضله وفطنته وذكائه .

وحضر خزانة الكتب التي بيد **عبد السلام البصري ،** وعرض عليه أسماءها ، فلم يستغرب فيها شيئاً لم يره بدور العلم **بطرابلس** سوى ديوان « تيم اللات » فاستعاره منه !!

ومما ذكره القفطي نعرف أن أبا العلاء لقي الكرامة في بغداد ، وأن علماءها فطنوا إلى ذكائه وبديهته وفضله . بينما يحدثنا رواة آخرون عن موقف تعيس له في حضرة **الشريف المرتضى ،** لقي فيه ذلا ومهانة .

يقول **ياقوت الحموي** في كتابه « **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب** » :

« وكان أبو العلاء يتعصب للمتنبي ، ويزعم أنه أشعر المحدثين . . وكان المرتضى يبغض المتنبي ويتعصب عليه ، فجرى يوماً بحضرته ذكر

المتنبي ، فتنقصه المرتضى ، وجعل يتتبع عيوبه ، فقال المعري : لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله : « لك يا منازل في القلوب منازل » . لكفاه فضلاً ، فغضب المرتضى ، وأمر فسحب برجله ، وأخرج من مجلسه ، وقال لمن بحضرته : أتدرون أي شيء أراد هذا الأعمى بذكر هذه القصيدة ، فإن للمتنبي ما هو أجود منها لم يذكرها ؟ فقيل : النقيب السيد أعرف ، فقال أراد قوله في هذه القصيدة :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كامل »

وتنتهي قصة **ياقوت** ، ويغلب على الظن أن ياقوتاً سمعها فرواها ، وأنها من تزيد الرواة ومجالس المتظرفين ، لكي يحكوا بها عن ذكاء الرجلين : **أبي العلاء المعري والشريف المرتضى** . ولا يغيبن عن بالنا أن بين المعري وياقوت مئتي عام ، وأن مؤلفاً لم يشر إلى هذه القصة قبل ياقوت .

ومما يدحض هذه القصة دحضاً أن المعري لم يحفظ لبغداد حين غادرها إلا أجمل الذكريات ، وذلك واضح في رسالة له إلى خاله حين عودته من بغداد :

« ورعاية الله شاملة لمن عرفته ببغداد ، فلقد أفردوني بحسن المعاملة ، وأثنوا عليَّ في الغيبة ، وأكرموني دون النظراء والطبقة ، ولما آنسوا تشميري للرحيل ، وأحسوا بتأهبي للظعن ، أظهروا كسوف بال ، وقالوا من جميل كل مقال ، وتلفعوا من الأسف ببرد قشيب ، وذرفت عيون أشياخ شيب . . . الخ » .

بل إن أبا العلاء يأسى في غير موضع من شعره ورسائله على تركه بغداد ، فيقول في إحدى الرسائل :

« ولما فاتني المقام بحيث اخترت ، أجمعت على انفراد يجعلني كالظبي في الكناس ، ويقطع ما بيني وبين الناس ، إلا من وصلني الله به وصل الذراع باليد ، والليلة بالغد » .

لقد كانت الإقامة ببغداد هي مبتغاه ، وهو قد لقي فيها أبلغ التكريم وأوفاه ، **من الذي زاده عنها ؟**

ولماذا آثر الشاعر المنصرم الشباب العزلة أسلوب حياة ، والموت موضوع شعر ، حين عاد من بغداد إلى معرة النعمان ؟

* * *

يحدثنا أصحاب **المدرسة الشخصانية في الفلسفة** ، الذين يتمثلون في **مونييه** وتابعيه ، عما يسمونه **المنحنى النفسي** في حياة الأفراد البارزين .

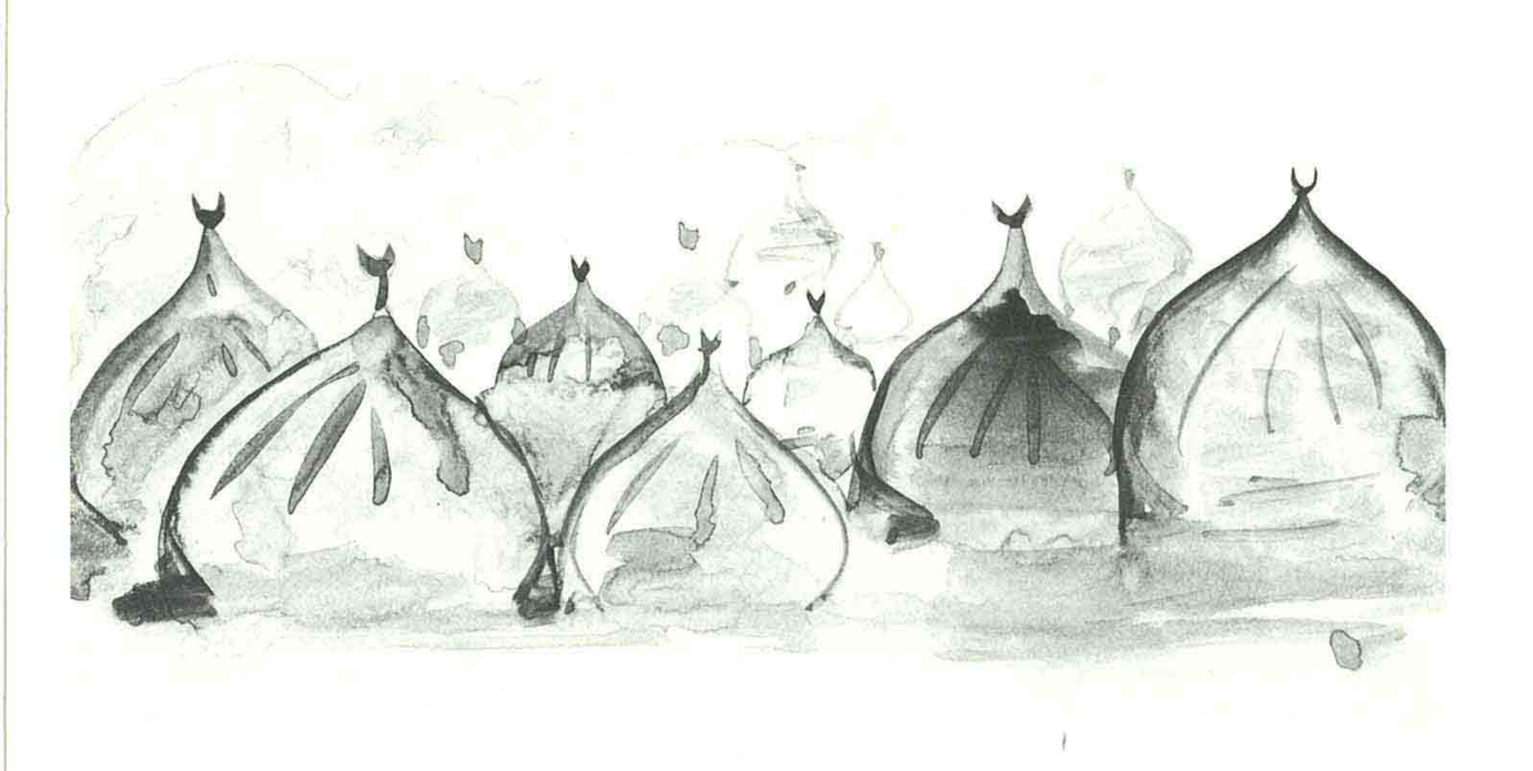
والمنحنى النفسي هو انتقال الشخص إثر تجربة حادة من نقيض إلى نقيض ، ومن ولع الحياة إلى زهد فيها أو من تكاسل إلى حمية ونشاط ، أو من تفاؤل مطلق إلى تشاؤم سابغ . ولو ضربنا مثلاً **ببوذا** كما تروي عنه الكتب لقلنا إنه كان أميراً منعماً لاهياً بنعيمه حتى فوجيء برؤية تصور الحياة في تجلياته كالفقر والمرض والشيخوخة إذ خرج يوماً من قصر أبيه . وكم من قصص في حياة الصوفيين المسلمين **كإبراهيم بن أدهم ، ورابعة العدوية** وغيرهما تدور في هذا المدار .

إن الحجب لتنكشف فجأة ، ويتجلى للإنسان طريق آخر غير طريقه ، يدعوه للسير فيه ، فكأن هذه التجربة الحادة العيانية أو العقلية تهز نفسه هزاً .

فما هي التجربة التي حولت أبا العلاء من رجل له في الدنيا نصيب إلى رجل زاهد في نصيبه من الدنيا ، ومن تلميذ مقلد للمتنبي في جهارته وعنفوانه إلى حكيم منكسر النفس خفيض الصوت . . ؟

* * *

ليست زيارة بغداد بذاتها هي الباعث على هذا التحول ، فهي بذاتها زيارة لمدينة مسلمة تتألق فيها الحضارة كزيارته **لطرابلس الشام** أو **حلب** . وقد تكون بغداد أجل شأناً وأحفل بالعلم من سواها من



الحواضر ، فهي عندئذ قصبة ملك الإسلام والمسلمين ، ولكن **أبا العلاء** نفسه ـ وقد عهدناه صادقاً ـ يحدثنا أنه لم يعرف فيها ما يزيد كثيراً عما عرفه .

وقد يقول قائل إن موت أمه حين وصل إلى الشام هو تجربته المصيرية . ولكن هل كان أبو العلاء ساذج النفس حتى لا يدرك أن الموت قدر لا يرد ، وبخاصة وقد كان في الأربعين ، وكانت أمه عندئذ على أرجح الفروض تقترب من الستين أو تجاوزها .

فأبو العلاء إذن حين قارب الأربعين لم يزدد علماً بشيء ، لا باللغة التي أتقنها ، ولا النحو الذي أحاط به ، ولا المذاهب الدينية والفلسفية التي تأمل فيها فأطال التأمل . والتجربة المصيرية التي غيرت حياته إذن ليست تجربة فكرية ، ولكنها تجربة شخصية .

وقراءة شعر أبي العلاء في اللزوميات تفتح لنا باب الظن واسعاً . ولنقرأ هذا البيت :

ظن الحياة عروساً خلقها حسن
وإنما هي غول خلقها شرس

ولنحاول أن نقر بقليل من التعديل :

ظن العروس حياة خلقها حسن
وإنما هي غول خلقها شرس

وعندئذ قد ينفتح لنا سبيل من القول ، نمضي معه في قراءة شعر **أبي العلاء عن المرأة** ، ونتوقف عند أبيات كثيرة لا تحصى يجعل الدنيا فيها عروساً . فهي تسوم زوجها ، وهو الإنسان بعامة ، سوم العذاب . وهي لا ترعى عهداً ولا تحفظ وداً ، وجميع قولها وفعلها كذب وخداع .

يقول **أبو العلاء** :

مهجتي ضد يحاربني
أنا مني فكيف أحترس
إنما دنياك غانية
لم يهنىء زوجها العرس

وأرجو أن تستعين بهذا النهج الإبدالي الذي اقترحناه لتقرأ البيت هكذا ، وإن خالفت العروض:

إنما الغانية مثل الدنيا
لم يهنىء زوجها العرس

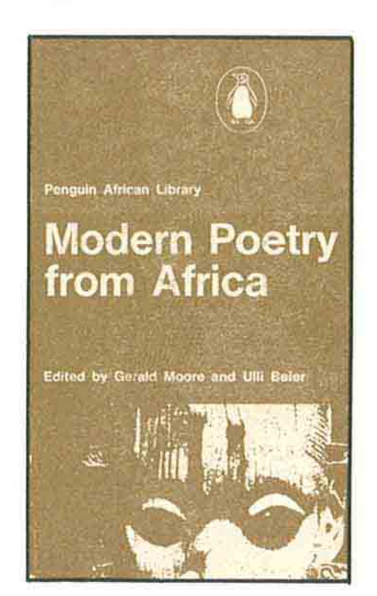
ويبدو لي عندئذ أن أبا العلاء عرف المرأة في بغداد عاشقاً ، وفكر في أن يتزوج ، ولكن بدت له أحوال آثر معها السلامة من كل ذلك ، ودخل في عزلته الشاملة ، ولنقرأ هذا البيت في ضوء ما افترضناه من قبل :

وزوجك أيها الدنيا تمنى
طلاقك قبل أن يقع المسيس

يبدو لنا أبا العلاء في حديثه عن المرأة في اللزوميات عاشقاً مهزوماً ، قنع من الدنيا بأدنى نصيب ، وقطع صلته بالحياة ، في توالدها وتكاثرها ، حين آثر أن لا يجني على أحد كما جنى أبوه عليه .

وحين يرفض الإنسان توالد الحياة وتكاثرها ، فكأنه يرفض الحياة جملة وفصيلاً .

رحلة في كتاب



شعر حديث من أفريقيا

جمع وتقديم :

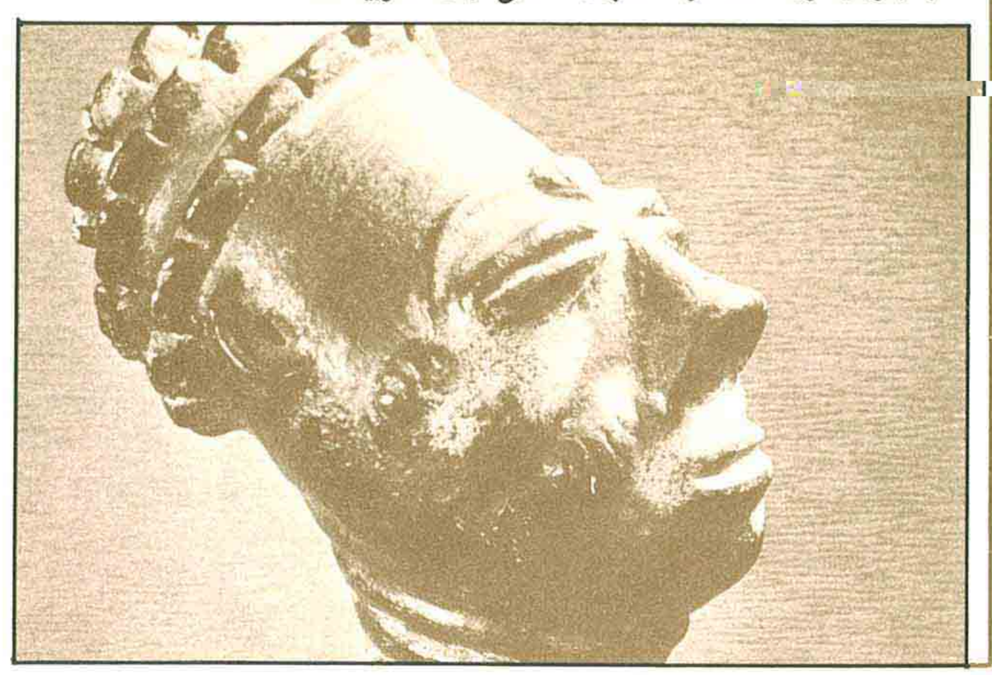
جيرالد مور

وأولي باير

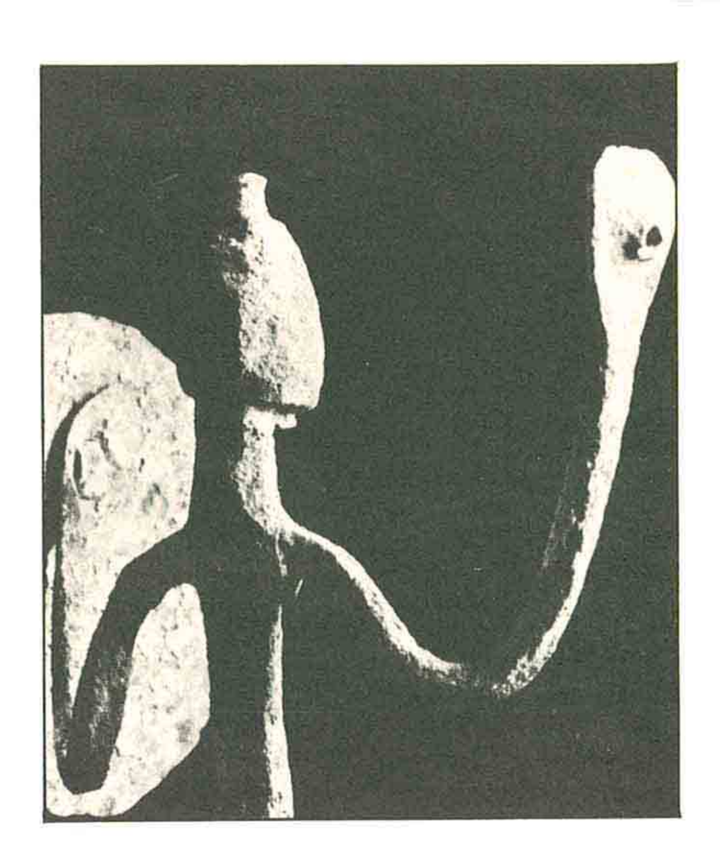
عرض وتحليل

علي شلش

★ ثمة وفرة هائلة في المؤلفات التي تعالج قضايا القارة الافريقية جنوب الصحراء، ولا سيما قضايا دولها المستقلة حديثاً، ولكن هذه الوفرة تكاد تنحصر في السياسة والاقتصاد والتاريخ. أما الأدب فيبدو أنه لا يزال موضوعاً فرعياً لا يحظى بهذا الاهتمام الشديد الذي تحظى به الموضوعات الأخرى السابقة. والواقع أن الأدب في هذه المنطقة الشاسعة من القارة خارج مجال لغتنا لن يحظى بما هو جدير به من اهتمام ما لم يتحرك الافريقيون أنفسهم -مبدعين ودارسين- لنشر التراث الافريقي- قديمه وحديثه- وتعريفنا به، حتى لا نظل على الدوام عالة على الأوروبيين والأميريكيين فيما نكتب أو نقرأ عن آداب إفريقيا وراء الصحراء الكبرى، خارج مجال العربية ★



إن الأدب في هذه المنطقة الشاسعة من القارة لن يحظى بما هو جدير به من اهتمام ما لم يتحرك الأفريقيون أنفسهم لنشر التراث الأفريقي وتعريف العالم به



حقاً، هناك بعض الجهود الإفريقية التي تبذل في هذا المجال، ولكننا نريد لهذه الجهود أن تنمو وتتسع، وأن تجد المساندة المادية، وبخاصة من الحكومات الجديدة التي يوجهها ساسة عرفوا القلم ومارسوا الكتابة قبل أن يعرفوا المناصب الرسمية. ونخص بالذكر هنا مجلة أدت خدمات جليلة في نشر التراث الإفريقي والتعريف به وهي: مجلة Prèsence Africaine التي تصدر في باريس بالفرنسية والإنجليزية منذ عام ١٩٤٧ م، وهي حالياً نصف شهرية، فضلاً عن المجهودات الفردية وعلى رأسها ما قام به **ليوبولد سنجور** شاعر السنغال ورئيس جمهوريتها، الذي نشر عدداً من الدراسات والمختارات للشعر والشعراء في إفريقيا جنوب الصحراء، وأهمها مجموعته التي قدم لها **جان بول سارتر**، وعنوانها: «**منتخب للشعر الزنجي والملاجاشي الجديد**». فعن طريق هذه الجهود وغيرها نلتقي بوجه القارة الحقيقي الذي غاب عنا طويلاً، نحن أبناء الشمال، نتيجة لعهود السيطرة الاستعمارية والفواصل المصطنعة.

وليس معنى ذلك أننا نعادي الجهود التي يبذلها المستفرقون الأوروبيون والأميريكيون، برغم ما يتخللها أحياناً من زيف وتجن. ولكننا نحب وقد عادت الأرض إلى أصحابها أن يرتفع الصوت الوطني في التعبير عن كل قضاياه بدلا من انصراف هذا التعبير -أو بعضه- إلى الصوت الأجنبي.

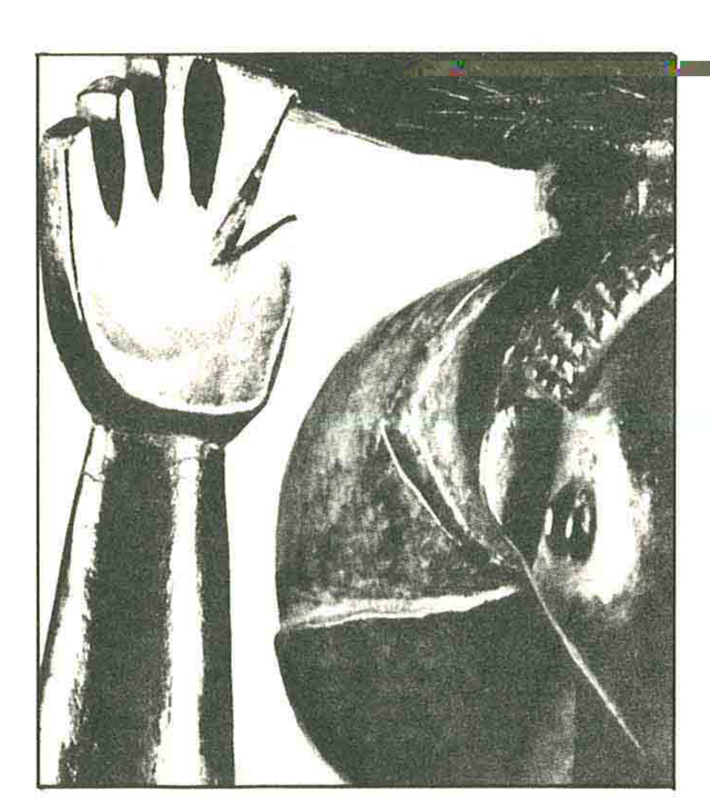
نقول ذلك تقديماً للحديث عن المجموعة الشعرية الجديدة: «**شعر حديث من إفريقيا**». وقد ظهرت ضمن «**المكتبة الافريقية**» التي تصدرها سلسلة بنجوين الإنجليزية، وتضم منتخبات أعدها وقدم لها **جيرالد مور، وأولي باير**، من أشعار ٢٩ شاعراً ينتمون لأربعة عشر قطراً إفريقياً، فيما وراء الصحراء الكبرى. وهي على الترتيب: **مدغشقر** (رابع جزيرة في العالم من حيث المساحة)، السنغال، جامبيا (وهي محمية بريطانية تطل على المحيط الاطلسي) **غانا، نيجيريا، الكونغو البلجيكي، الكونغو الفرنسي، جزر كاب فيرد** (١٤ جزيرة بركانية تطل على الساحل الغربي لإفريقيا) **ساوتوميه** (جزيرة بركانية صغيرة في خليج غينيا)، **انجولا، إفريقيا الجنوبية، نياسالاند، كينيا، موزمبيق.**

وأهمية هذه المجموعة ترجع في نظري إلى عاملين: أولهما أنها أول مجموعة تصدر في الإنجليزية مشتملة على منتخبات منتقاة من اللغات الأوروبية الثلاث التي فرضها المستعمرون على إفريقيا وهي: **الفرنسية والانجليزية والبرتغالية**. وثانيهما أن مقدماها وجامعاها من المستفرقين الأوروبيين المعروفين الذين بذلوا جهوداً كبيرة في محيط الدراسات الإفريقية، والأدبية والفنية منها بوجه خاص.. **فجيرالد مور** إنجليزي استهوته إفريقيا، فرحل إليها وعاش في نيجيريا مدرساً بمدارسها وجامعاتها. وهو عضو بهيئة تحرير مجلة (**أورفيوس الأسود**)، كما نشر في بلاده عدداً من الدراسات عن الأدب الإفريقي وكتّاب نيجيريا كان آخرها كتابه القيم: (**سبعة أدباء من إفريقيا**) الذي صدر عام ١٩٦٢ م[1]. أما أولي باير فألماني درس الأدب بإنجلترا ثم رحل إلى نيجيريا حيث يشارك زميله في التدريس بجامعة ابادان وفي تحرير مجلة (**أورفيوس الأسود**) ومن مؤلفاته: **شعر من يوروبا** (١٩٥٩ م)، **الفن في نيجيريا** (١٩٦٠ م)، **النحت في إفريقيا الغربية** (١٩٦٢ م).

وقد تصدرت المجموعة دراسة ذكية مركزة عن الشعر في هذه المناطق الشاسعة من القارة، انطلق فيها الكاتبان من نقطة لخصها صحفي وشاعر من جنوب إفريقيا -يدعى **لويس نكوسي**- في عبارة قال فيها:

«إن الوعي الافريقي لا يبدأ في الحقيقة حين يصدم المرء إذ يكتشف أنه أسود، وإنما حين يصدم أيضا إذ يكتشف أنه ليس أبيضاً».

إن الشعر الافريقي ليس موجودا فحسب، إنما هو من أكثر الأشعار مما يكتب اليوم في أي مكان في العالم - أصالة وقدرة على التحريك والإثارة



ويتتبع الكاتبان هذه الحقيقة فيجدا أنها شائعة بعيدة الأثر تجد صدى هائلاً في مواقف عديدة . فقد لجأت فرنسا في مستعمراتها إلى سياسة الدمج والتذويب وغرست في ذهن الفرنسي الإفريقي **- أو الافريقي المرغم على الفرنسة ،** إن صح التعبير- فكرة تأسيس مجتمع أبيض حضري ، يعد إعداداً تاماً للتغاضي عن لونه في سبيل أن يرتدي رداء الثقافة والأخلاق والسلوك ، الذي تفرضه المدنية الغربية . **فكل ما كان يبتغيه المستعمر هو أن ينسى الافريقي المدمج أنه أسود !**

غير أن هذه الفكرة لم تلبث أن لقيت إعراضاً وإنكاراً صارمين . بل لقد أحدثت رد فعل عنيف في مجال الفكر والشعر على وجه التخصيص ، فيما عرف باسم نزعة « **الزنوجة** » التي ظهرت بعد الحرب الأولى في كتابات المفكرين والشعراء الإفريقيين والكوبيين . وفي ذلك يقول **إيميه سيزير** شاعر جزر المارتينيك : « **إن السواد ليس غياباً وإنما هو رفض وإنكار** » . ولقد وجدت هذه النزعة أرضاً خصبة في باريس لدى جماعات المثقفين الإفريقيين الذين رحلوا للتزود بالثقافة والعلم . وطغت على كثير من شعر **سنجور ودافيد وبيراجو ديوب** وشعراء الكونغو وغيرهم ممن يفكرون ويكتبون بالفرنسية .

ومن ثمة يقول الكاتبان إنه : « **بدون شيء من فهمها - أي نزعة « الزنوجة » - في أهميتها التاريخية على الأقل ، يستحيل أن نرى أي شكل من الأشكال الشعرية للقارة طوال السنوات العشرين الماضية** » . ولقد سبق أن أوضح **ليوبولد سنجور** مفهوم هذه النزعة بقوله إنها تنحصر في إرادة الوحدة الزنجية الروحية ، وتجميع الزنوج تحت راية المطلب الجماعي ، لاسترداد كرامتهم الإنسانية عن طريق التسلح بمفهوم الحضارة العالمية ذات الأساس الإنساني الشامل ، ونبذ الفكرة العنصرية .

لكن كيف تحقق هذا في الشعر ؟

لقد شهدت باريس في العقد الرابع من هذا القرن نفراً من المثقفين الإفريقيين السود ، كان على رأسهم **إيميه سيزير وليون داماس وليوبولد سنجور** وهم الثلاثي الموهوب الذي حمل على كتفيه رسالة الشعر والزنوجة وكان **ليون داماس** شاعر غينيا الفرنسية أسبقهم إلى الظهور عام ١٩٣٧ م بديوانه « **الأصباغ** » الذي أحرقه الفرنسيون فيما بعد . ومنه :

« . . . أفلحت كراهيتي على هامش الثقافة ،
هامش النظريات ، هامش الكلام الفارغ ،
الذي حشوني به منذ مولدي ،
حتى بالرغم من أن كل ما في ،
كان يطمح في أن يكون زنجياً ،
على حين كانوا ينهبون وطني إفريقيا . . »

ثم ظهر **سيزير** بعد عامين وتبنى الدعوة إلى الزنوجة ، وعُدّ أمير شعرائها . أما **سنجور** فقد ظهر في تلك الأثناء « **بكفاية بيانية تبعث الشجن في نفس القارىء بدلا من أن تصدمه** » وقد تأثر الثلاثة بالشعراء الفرنسيين الرمزيين والسيرياليين ، لكنهم أضافوا إليهم بساطة التكنيك وكثافة الصور .

وفي شعر **سنجور** نلتقي بالزنوجة بأوسع معانيها . إذ نجد : طابع التخريب الذي لحق بإفريقيا القديمة وثقافتها على يدي أوروبا البيضاء ، وجفاف الغرب الحديث وحاجته إلى الصفات الإفريقية المكملة ، وجمال المرأة الإفريقية المزهو بنفسه ، والحب والفهم العميقين لكل ما هو عظيم وباق من مآثر الغرب ، بل



ليوبولد سنجور
شاعر السنغال ورئيس جمهوريتها
نشر عدداً من الدراسات عن الشعر والشعراء في افريقيا



جيرالد مور
قام بجمع مادة الكتاب

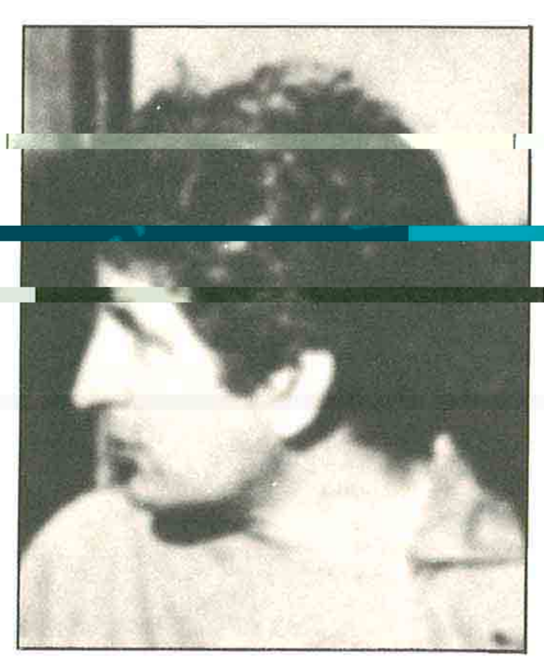
نجد أيضاً حاجة الشاعر نفسه إلى أن يعيش في كلتا الثقافتين ، أو ما عناه هو بنفسه حين طلب أن يكون **«مزيجاً ثقافياً مولداً»** .

وكثير من هذه الخصائص يظهر في شعر باقي الشعراء الذين يكتبون بالفرنسية في السنغال ومدغشقر والكونغو بقسميه .

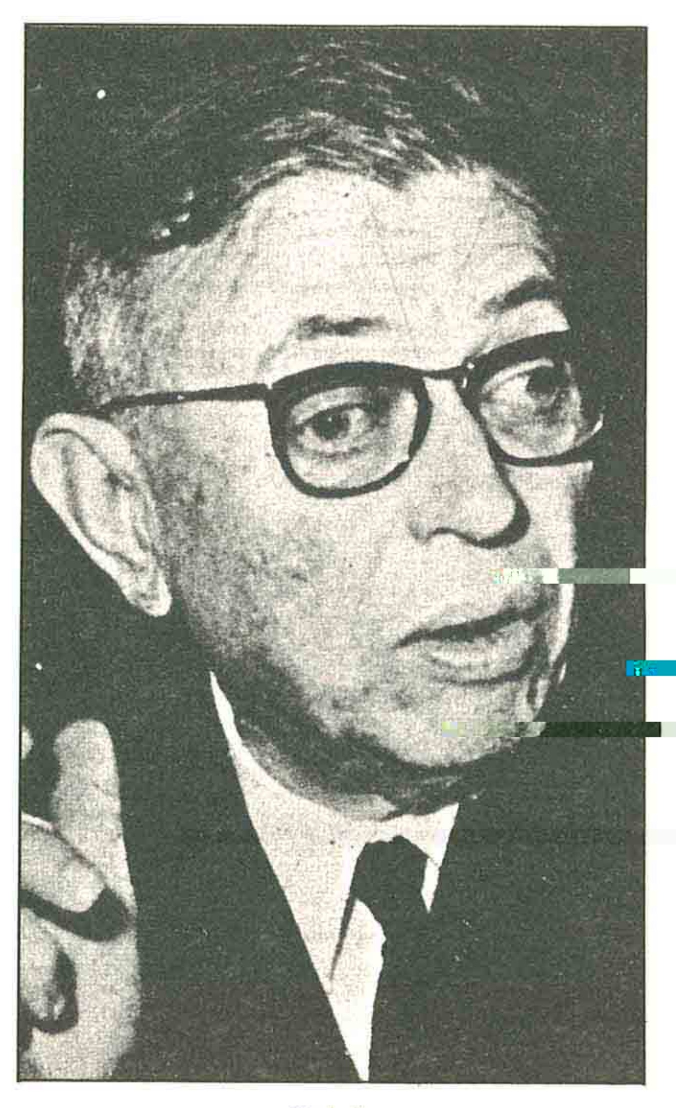
حتى إذا انتقلنا إلى الأقطار الإفريقية التي تتحدث باللغة الإنجليزية ، فإننا نصبح إزاء عالم آخر مختلف تماماً ، لا يعتد كثيراً بالزنوجة ، ولا يعاني منها ؛ وفي ذلك يقول **مفاليلي** القصصي الناقد من أقصى الجنوب :

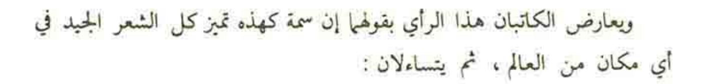
«في المجتمعات المتعددة الأجناس ... تكون الزنوجة لدينا مجرد بدعة ثقافية» ، ويعلل **مور وباير** ذلك بقولهما : **«لم تتبع بريطانيا قط سياسة الدمج الثقافي . إذ تتميز به بأنها لم يكن لها سياسة ثقافية على الإطلاق»** ومن ثم لم يكن هناك ما يستحق المقاومة والاعتراض عاطفياً وذهنياً ، على عكس ما حدث في إفريقيا الفرنسية . وبرغم تحمس الكاتبين وتورطهما في اعفاء بريطانيا من تهمة الافقار الثقافي للقارة ، فالواقع أن عدم اشتداد دعوة الزنوجة في المستعمرات الإنجليزية لا يرجع إلى سماحة بريطانيا في مجال الثقافة بمقدار ما يرجع إلى عوامل أخرى لعل من أهمها : **سطوة إرساليات التبشير الانجليزية والأمريكية** ، بالاضافة إلى سياسة بريطانيا ـ وأشدد هنا على وجود كلمة سياسة ـ نحو التوسع في التعليم الابتدائي والمتوسط بالقدر الذي يكفي لايجاد فئة من صغار الموظفين والكتبة فحسب . ولذلك فإن الكاتبين سرعان ما يبدو اضطراب حكمهما هذا حين يذكران أنه في الوقت الذي كان فيه سنجور وزملاؤه ينشرون أشعارهم في مجلات باريس الأدبية لم تكن غانا ونيجيريا تملكان من الشعر الجيد سوى القليل المتأثر بشعارات المبشرين وصلواتهم ، والقليل الآخر الذي ظهر فيما بعد في غانا وكينيا ونيجيريا داعياً إلى توظيف الشعر سياسياً واجتماعياً وإيقاظ الشعور بالقومية . ومن ذلك ما يقوله شاعر كينيا **جوموتيجا** عن التدنيس الذي لحق بالأرض الإفريقية من جراء زراعة المحاصيل الجديدة غير الإفريقية :

عاداتنا قبرت وامتهنت ،
وكومت جانباً ، كما يكوم العشب ،
الذي كان يتحرك فوقه الراقص
لتزرع بدلا منه المحاصيل الأجنبية .
ثم نمر نحن بعيوننا على الأرض ،



أولي باير





جان بول سارتر
قدم لاهم أعمال ليوبولد سنجور

خاضعين للأجنبي خضوع أراضينا .

وطبيعي أن يتأثر شعراء المستعمرات الإنجليزية بالتراث الإنجليزي كما تأثر زملاؤهم السابقون بالتراث الفرنسي ، ابتداء من **شكسبير** إلى **أزرا باوند وديلان توماس وأودن** من المحدثين . ومن أبرز هؤلاء الشعراء الذين يكتبون اليوم بالإنجليزية : **دي انانج ووليامز** في غانا ، **وولي شوينكا وأوكارا وفرانك ايجامو كويدي** في نيجيريا **ومازيس كوينيني** في جنوب إفريقيا .

ويثير الكاتبان بعد ذلك قضية « **الروح الجماعية** » في الشعر الإفريقي وهي سمة سبق أن أشار إليها **سنجور** ، ويستشهدان برأي للناقد الألماني **يانهاينزيان** يقول فيه :

« في الشعر الافريقي ... نجد أن التعبير يكون دائماً في خدمة المحتوى . وهو ليس مسألة تعبير عن الذات مطلقاً ، وإنما هو تعبير عن شيء .. بل إن الشاعر الافريقي لا ينشغل بطبيعته الداخلية وفرديته » .

ويعارض الكاتبان هذا الرأي بقولهما إن سمة كهذه تميز كل الشعر الجيد في أي مكان من العالم ، ثم يتساءلان :

« **ألا يخاطب كل الشعراء البشرية ؟** » ، ويضيفان بأن شعراء إفريقيا لا يلحون على جماعية الروح الإفريقية ، ولا يتحدثون في كل سطر عن كونهم سوداً مفاخرين بسوادهم ، وإنما على العكس نجد في إنتاجهم نضوجاً وثقة يجعلانها مظهراً له .

أما الشعر في إفريقيا البرتغالية فمن رأي الكاتبين أنه دون مستوى غيره من الشعر الإفريقي ، فهو لا يتعدى في مجموعه أن يكون صرخة حزن وضياع واضحة . ذلك لأن هذه الأقاليم لاتزال في حالة اجتماعية وسياسية تخطتها معظم أقطار إفريقيا الأخرى منذ سنوات عديدة . ومن بين هؤلاء **ألدودوا سبريتو سانتو** في ساوتوميه **واجوستينو نيتو** في انجولا **وخوسيه كرافرينا** في موزمبيق **واجوينا لدو فونيسكا** في الكاب فيرد .

حقاً .. لقد أبدى **جان بول سارتر** ـ قبل سنوات ـ رأيه في الشعر الإفريقي والزنوجة ، فقال إن الشعر الزنجي هو « **الشعر الحقيقي في عصرنا** »

وأن الزنوجة هي صوت لحظة تاريخية من نوع خاص ، سجلت انطلاق الجنس الأسود في التعبير عن انتفاضته على الحكم الأبيض . لكن **يان** يعارضه بقوله إن الشعر الإفريقي الجديد ليس جديداً على الاطلاق ، وإنما هو عود إلى التراث الصحيح المعتمد ، وأن الزنوجة ـ بغض النظر عن كونها لحظة تاريخية من نوع خاص ـ هي الأسلوب الذي ينبغي أن يكتب به كل الشعر الإفريقي .

ويعلق **مور وباير** على ذلك بقولهما إن **سارتر** كان على حق . في السنوات القليلة الماضية اتضحت الدلائل على أن ينبوع الزنوجة أخذ في النضوب وأن عصرها الذهبي كان إبان العقد الخامس وأوائل السادس ، أما بعد ذلك فلم يعد **سيزير وداماس وسنجور** منتجين ، وإنما خفتت أصواتهم ، وبالمثل لم ينشر **بيراجو ديوب** (الشاعر السنغالي) خلال عشرين عاماً سوى مجموعة هزيلة من الشعر ، ولقي **دافيد ديوب** (السنغال) مصرعه بعد حفنة من القصائد لا تدل على شيء كثير سوى الموهبة .

وفي الوقت ذاته انتقلت إمارة الشعر من شعراء السنغال إلى نيجيريا وغانا .

وفي ختام هذه الدراسة يرجو الكاتبان أن تقنع هذه المجموعة أشد المتشككين بأن الشعر الإفريقي ليس موجوداً فحسب ، وإنما هو من أكثر الأشعار ـ مما يكتب اليوم في أي مكان من العالم ـ أصالة وقدرة على التحريك والإثارة . »

ثم يأتي بعد ذلك دور النماذج الشعرية التي تربو على المئة قصيدة نقتطف منها ثلاث قصائد مختلفة من اللغات الثلاث الأوروبية وهي الفرنسية والإنجليزية والبرتغالية وأولها للشاعر **ليوبولد سنجور** وعنوانها :

الطوطم :

« لا بد أن أخفيه في أعمق أعماق شراييني ،
سلفي ذاك الذي ضرب مخبأه العاصف
بالبرق والرعد
حامي حماي الحيوان ، لابد أن أخفيه
حتى لا أحطم حدود العار :
فهو دمي المخلص الذي يطالبني بالوفاء

إذ يحمي زهوي العاري
من نفسي ومن تقريع الأجناس
الأسعد حظاً

ويلاحظ أن **الطوطم** هنا ذو دلالة كبيرة بالنسبة للشعوب الإفريقية فيما وراء الصحراء الكبرى ، فكل قبيلة تتخذ شعاراً أو رمزاً لها من الحيوان ، فكأن القصيدة في النهاية تعبير عن الاعتزاز بإفريقيا ومعتقداتها البدائية القديمة ، وتلك صفة من صفات النزعة الزنجية التي كان سنجور أحد عمدها .

أما ثانية هذه القصائد فهي للشاعر الكيني **جون مبيتي** الذي يكتب بالإنجليزية وعنوانها :

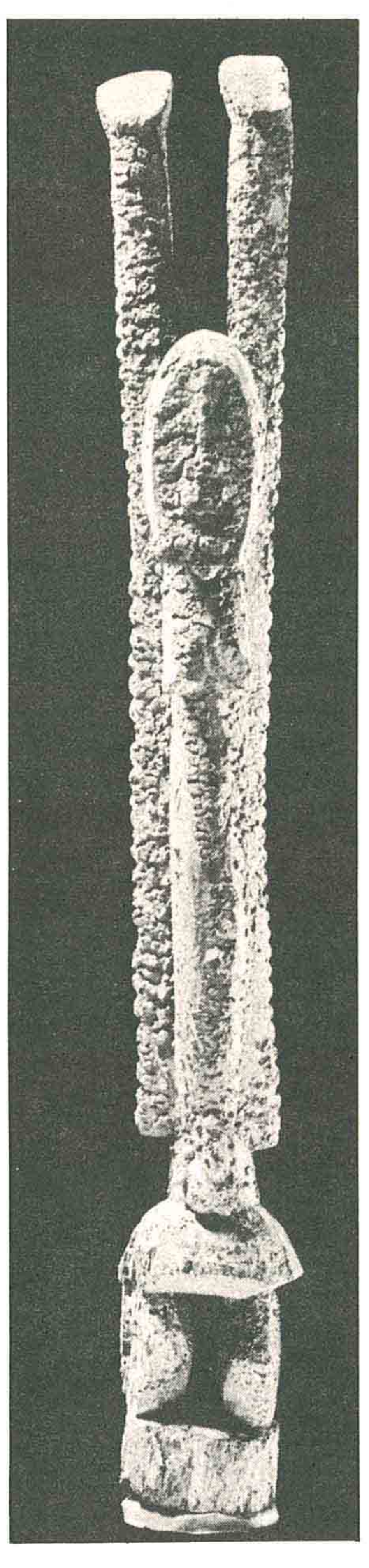
ناطحات سحاب نيويورك :

«كانت أشعة الشمس الصفراء الواهنة المبعثرة
تتسلل إلى الأنسجة الغائمة
فتغطيها بطبقة من الشمع الشفاف .
حتى إذا أنهت الأشعة المتعرجة النهار
سعلت مداخن نيويورك
المعجونة بالدخان
وهي تنظر إلى أسفل بأبراج محنية
ثم تقيأت دموعاً حزينة
من الدخان الأسود .

وأما القصيدة الأخيرة فهي للشاعر **أجوينا لدوفونيسكا** من جزر الكاب فيرد ، ويكتب بالبرتغالية ، وعنوان القصيدة :

حانة على البحر :

وميض بعيد
وفنار يبصق الضوء
في وجه الليل الأسود
كل شيء ملحي ومشتاق .
والرياح ومن خلفها الأمواج
تهز الحانة هزاً
والحانة سفينة راسية .



وفوق الهواء تتصاعد ألوان اليأس
على هيئة أورام كثيفة من الدخان
ـ أوه! إن البحار طمآن . . .

والوشم المنقوش على الجلد
ينبىء عن الألم والتظاهر بالشجاعة
اللذين تنضح بهما المغامرات في الموانىء .

رجال من كل جنس ،
رجال بلا وطن أو اسم
ـ مجرد رجال بحر
صوتهم ملح وريح
وعيونهم التي لا يغشاها السحاب
تنعكس عليها السفن

السأم والحنين يظهران
تلوكهما غلايين قديمة معمرة . . .
يظهران ثم يختفيان
مترنحين مع الضجر

أوراق اللعب والموائد والمقاعد ،
الزجاجات والأكواب والزجاجات
ووجه مدير الحانة
يثير قديم المعارك والثارات .
وكل شيء حافل بالنوم
وكل شيء حافل بالبحر!

هذه القصائد الثلاث ـ على قصرها ـ توضح لنا كثيراً من سمات الشعر الحديث في إفريقيا .

ولئن كنا نعيب على هذه المجموعة صدورها عن المفهوم الاستفراقي المتخلف الذي يعزل شمال القارة عن جنوبها عزلا تاماً ، ويعتبر إفريقيا هي الجزء الواقع جنوب الصحراء الكبرى ، ولئن كنا نعيب عليها أيضاً مرورها مرور الكرام على أثر الاستعمار البريطاني في الثقافة الافريقية ، إلا أنها تعد مع ذلك وثيقة هامة تدمغ كل متجن على الشعر في قارتنا ، وتؤكد في الوقت نفسه أنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان في هذه المناطق الشاسعة من القارة جنوب الصحراء الكبرى .. خارج مجال اللغة العربية .

موضوع خاص



الساعات و الزمن

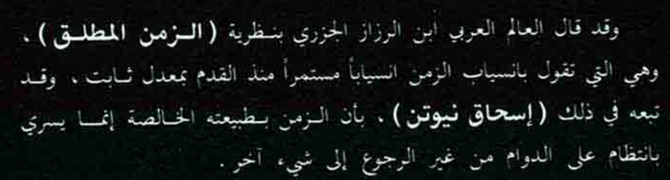


★ساعة منضدة قديمة غنية بالزخارف★

هنالك تعاريف عديدة للزمن ، فهو الفترة بين حادثة ما والتي تليها ، وهو لدى بعض الفلاسفة «**شعور**» ، فالنائم «لا يشعر» بالزمن ، كما يقولون ، وبعض اللحظات تمر على الإنسان وكأنها أيام طوال ، ولذلك قالوا : **(الزمن هو الشعور)** Time is conciousness .

و (أهل الكهف) الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم ناموا في كهفهم فترة زمنية طويلة ، قال تعالى : ﴿ **ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً** ﴾ (سورة الكهف ، الآية ٢٥) . فظنوا أنهم لبثوا يوماً أو بعض يوم في كهفهم . ومن هنا يبدو أن الشعور الإنساني ليس مقياساً صالحاً للزمن ، ولذلك كان على الإنسان أن يبحث عن وسيلة يقيس بها الزمن لا تتغير فتراتها مع حالات اليقظة أو النوم .

وقد كانت مشكلة قياس الزمن الشغل الشاغل للإنسان منذ القدم ، ولا شك في أن كل ما كان باستطاعته أن يفعله ، هو مراقبة تتابع الأيام وتعاقب الليل والنهار وحركة الشمس ومراحل القمر ، ومن ثم اكتشف حركات الكواكب السيارة والأجرام السماوية ، وأضحت هذه المعرفة ، شيئاً جوهرياً في حياته .



وقد قال العالم العربي ابن الرزاز الجزري بنظرية **(الـزمن المطلـق)** ، وهي التي تقول بانسياب الزمن انسياباً مستمراً منذ القدم بمعدل ثابت ، وقد تبعه في ذلك **(إسحاق نيوتن)** ، بأن الزمن بطبيعته الخالصة إنما يسري بانتظام على الدوام من غير الرجوع إلى شيء آخر .

ومن الناحية العلمية ، يمكننا القول **بأن الزمن هو أحد ثلاثة عناصر أساسية تستند إليها كافة القياسات** ، وهي : **الكتلة ، والبعد ، والزمن .**

ومهما تنوعت التعاريف وتعددت ، أو ازدادت دقة الآلات التي يقاس بها الزمن ، فإنه يبقى لغزاً لا يمكن للعقل البشري أن يدرك حقيقته أو أن يحل غموضه .

الزمن عند الإنسان البدائي

كيف شعر الإنسان بحاجته إلى قياس الزمن ؟

يقول المؤرخون بأن إنسان ما قبل التاريخ كان يؤقت نشاطاته اليومية اعتماداً على **شروق الشمس وغروبها** ، وعلى **ساعته البيولوجية الداخلية** ، أي تبعاً لحالة الجوع في معدته ، ولو تيسر لأحد سكان الكهوف في الزمان الغابر أن يحصل على أدق أنواع الساعات لما كان به حاجة إليها ، فقد كانت حياته بسيطة ، خالية من القيود والالتزامات ، فهو لا يستيقظ من نومه إلا عند شروق الشمس ولا يأوي إلى كهفه إلا عندما يخيم الظلام . يأكل عندما يجوع دون تحديد لأوقات وجباته اليومية ، ولم يكن يعنيه في قليل أو كثير أن يعرف الوقت أو في أية ساعة هو من ساعات النهار .

وأحس الإنسان بعض الحاجة لمعرفة الوقت ، عندما بدأ يعيش ضمن **مجموعة أو قبيلة** . وبعض القبائل التي ما زالت تعيش إلى يومنا هذا عيشة بدائية تعرف الوقت بمكان الشمس في قبة السماء ، **وتعرف بعض القبائل البدائية الوقت عن طريق ظلال الأشياء في النهار** . هذا فإن الأشجار وقمم الجبال تتخذ أدوات لمعرفة الوقت بما تعكسه من ظلال . **أما في الليل فإنها أي القبائل** البدائية ـ تحدد الوقت بالنظر إلى النجوم ، لأن دوران الأرض يجعل النجوم تبدو كأنها تتحرك في السماء ، كما تفعل الشمس بحركتها في قبة السماء .

لذلك كانت الشمس والقمر والنجوم ـ وهي الساعات الطبيعية أول الساعات التي استخدمها الإنسان .

الساعة الشمسية (المزولة)

ربما كانت **(المزولة)** أول أداة صنعها الإنسان لمعرفة الوقت ، وتدعى أحياناً **(الساعة الشمسية) أو (ساعة الظل)** ، ويرجع تاريخها إلى ٣٥٠٠ سنة ق . م ، وتتألف في أبسط أشكالها ، من عصا عمودية أو شاخص رأسي مغروس في الأرض . ويتحدد الزمن بتحديد طول الظل الساقط للعمود ، على الأرض أو على المستوى الأفقي ، وهكذا فإن المزولة تحدد الوقت بحركة الظل تبعاً لحركة الشمس الظاهرة .

ولم تكن المزولة الأولى تقسم النهار إلى أكثر من أربعة أقسام ، ولكن بتطور الزمن أصبح من المألوف أن يقسم الوقت فيما بين شروق الشمس وغروبها إلى اثني عشر جزءاً متساوياً ، أي اثني عشرة ساعة ، ويعتقد أن **الصينيين** هم أول من استخدمها حوالي سنة ٢٠٠٠ ق . م ، ثم نقلتها عنهم الشعوب الأخرى . وقد وجدت المزولة لدى **قدماء المصريين** ، ويبدو أن ظهور المزولة في القرن الثالث عشر ق . م ، قد ترافق مع ظهور **(المسلة الفرعونية)** ، التي يحتمل أن تكون قد استخدمت كمزولة . وقد طور قدماء المصريين المزولة فجعلوها آلة سهلة الحمل وجعلوها تتألف من قاعدة أفقية منبسطة وركبوا في أحد طرفيها قطعة مرتفعة . وتوجد على القاعدة ست تدريجات وضعت على خط يطابق الخط الواصل بين الشرق والغرب ، وتوجه القطعة المرتفعة نحو الشرق عند الشروق ، ونحو الغرب في فترة بعد الظهر . ويختلف ظل هذه القطعة المرتفعة ، الساقط على القاعدة باختلاف الوقت في النهار .

وقد أخذ **الإغريق** المزولة عن المصريين وصنعوا منها أنواعاً كثيرة ، من بينها طراز نصف دائري يسمح لظل العمود أن يسقط على سطح محدب ، ولم تلق هذه الساعة إقبالا عندما نقلت إلى **روما القديمة** ، إذ لم يرتح الرومان إلى فكرة قيام الحجر الأصم بتحديد موعد تناول طعامهم ، فقد كانوا يفضلون أن يأكلوا عند شعورهم بالجوع .

وكان للمزولة ثلاثة عيوب : أولا ، إنه لا يمكن استخدامها إلا نهاراً وعندما يكون الطقس صحواً . ثانياً ، يجب استخدامها في المكان الذي تم صنعها فيه حسب خط العرض . ثالثاً ، الوقت الذي تقيسه غير متساو لأن الأيام تختلف أطوالها باختلاف الفصول .

ومع ذلك فقد استخدمت المزولة على نطاق واسع ومنها ما كان يحمل



ويسمى **(مزولة الجيب)** . وعندما اخترعت الساعات المائية ومن ثم الميكانيكية ، فقد استخدمت المزولة لضبطها ، لا بل إن بعض تلك الساعات ، تحرياً للدقة ، كان مزوداً بمزولة .

الساعـات المائية

سعى الإنسان جاداً لاختراع وسيلة لقياس الزمن وضبط الوقت بعد غروب الشمس . فاستحدم **(الساعة المائية)** ليلاً ونهاراً ، وفي حالة الطقس الغائم . وهي قديمة قدم (المزاول) أو تكاد ، وكانت تستخدم في مصر القديمة وفي بلاد الإغريق منذ أكثر من ألفي سنة . وما تزال بعض الساعات موجودة إلى يومنا هذا ، ويعود تاريخها إلى ١٤٠٠ سنة ق . م .

والساعة المائية عبارة عن إناء يملأ بالماء ثم يتسرب منه الماء عن طريق ثقب صغير في قاعدته . وكانت هذه الأواني تختلف باختلاف فصول السنة حتى تصبح ساعة الصيف أطول من ساعة الشتاء .

وكانت التدريجات على الإناء من الداخل تشير إلى الزمن الذي انقضى . وكانت الساعات المائية من الأدوات المألوفة في بلاد الإغريق ، واستخدمها كثير من خطبائهم في تلك الأيام لتوقيت خطبهم . وقد وجدت ساعة مجوفة من قنينة من المعدن في قاعها ثقب ، فكانت تملأ بالماء الذي يتسرب من خلال الثقب ، فإذا نفذ الماء طلبوا من الخطيب أن يكف عن الخطابة . وهناك نوع آخر يشبه القدح العائم وفي أسفله ثقب يتسرب منه الماء إلى داخل القدح شيئاً فشيئاً حتى يمتلىء ويغوص في الماء . كما أن بعض الساعات المائية كان مزوداً بمزاول لتبين الوقت خلال النهار .

وبالطبع لم تكن هذه الساعات دقيقة نظراً لاختلاف ضغط السائل في إناء ممتلىء حتى حافته عنه في حالة نقص الماء إلى نصفه مثلاً ، كما أنها كثيراً ما كانت تفسد ، لا سيما حينما يتجمد ماؤها .

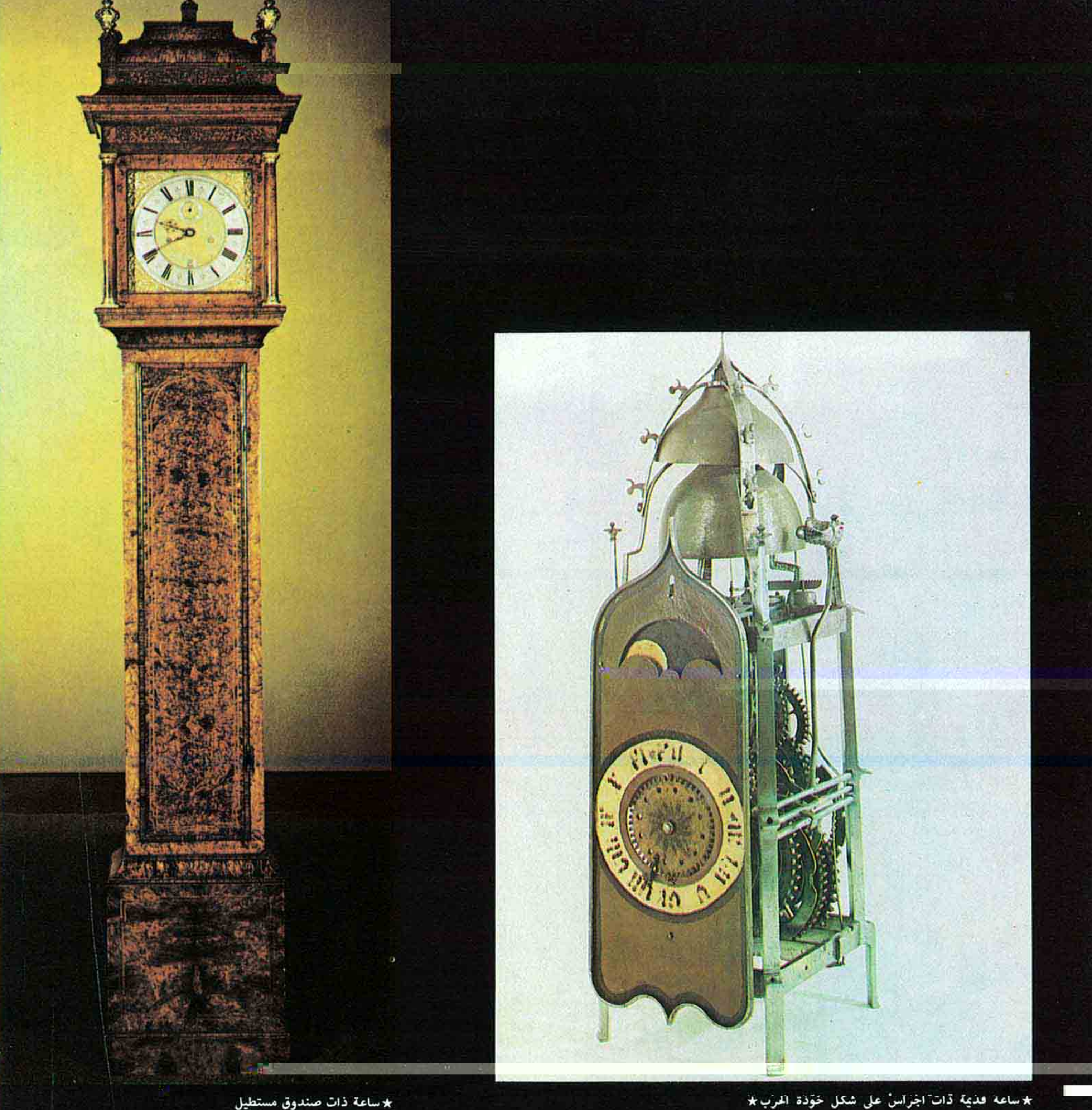
ومن بين الساعات التي استخدمها قدماء المصريين **(الساعات الزجاجية أو الرملية)** وسميت (بالساعة) لأن الرمل كان يستغرق ساعة من الزمن لينسكب من زجاجة إلى أخرى . **وكانت الساعات الرملية تشبه الساعات المائية كثيراً ، لكنها لم تتطور وتصبح ساعات تبين الوقت أو أية ساعة من ساعات اليوم إلا عندما قام العرب بتطويرها .** على أن الساعات الزجاجية الرملية الصغيرة ما زالت تستخدم أحياناً في أيامنا هذه لتحديد زمن المكالمات الهاتفية أو لتحديد الزمن اللازم لسلق البيض في المطبخ ، وتتألف من زجاجة صغيرة ذات اختناق في الوسط ، وتوضح بشكل عمودي بحيث يتدفق الرمل خلال الاختناق إلى الجزء الأسفل .

وقد استخدمت طرائق أخرى لقياس الوقت قبل اختراع الساعات المعروفة ، مثل الشموع المشتعلة ، والحبال المبللة بالزيت والمعقودة على مسافات منتظمة ، والمصابيح الزيتية .

الساعات عند العرب

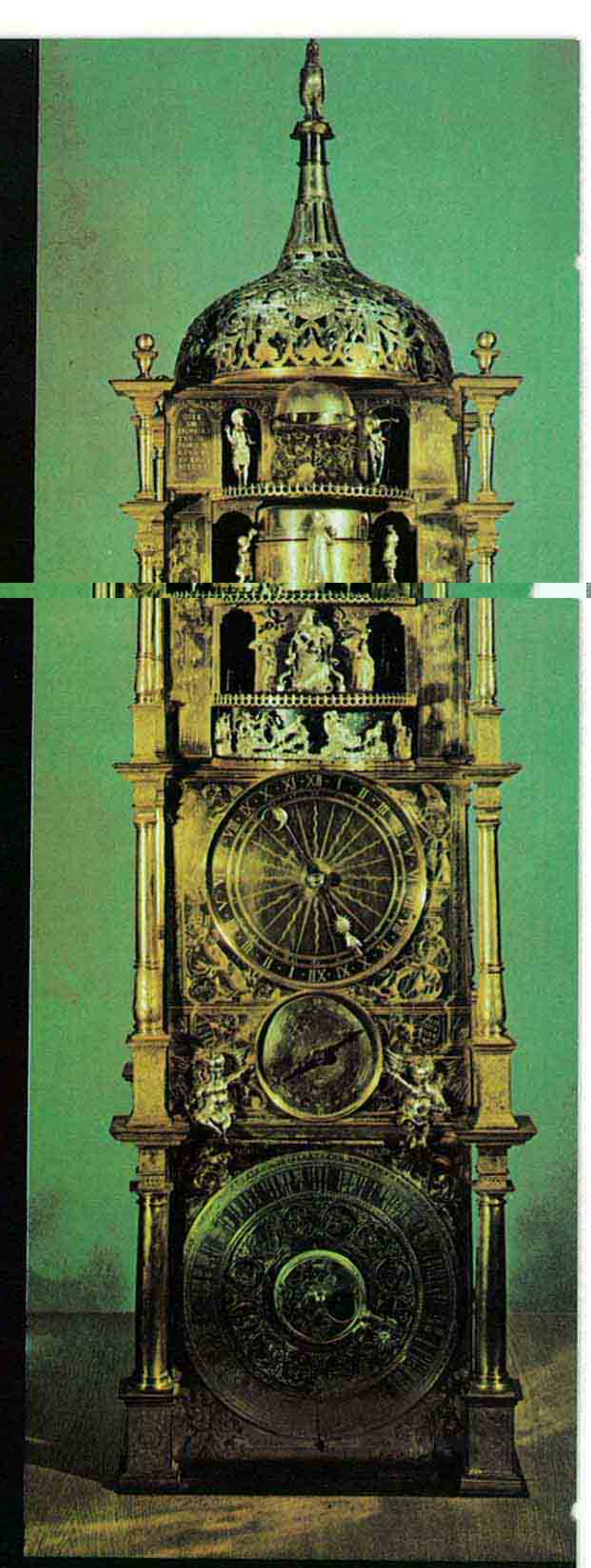
كان على العرب بعد دخولهم في **الدين الحنيف** أفواجاً ، وكذلك كل الشعوب التي اعتنقت **الإسلام** ، أن يحددوا مواقيت الصلاة بصورة دقيقة . من هنا **استطاع العرب تطوير المزولة الكلدانية والإغريقية** ، وقسموها إلى اثني عشر قسماً . وكانت تصنع في الغالب على شكل نصف كرة صغيرة مجوفة من النحاس ، فقاموا بعمل نماذج عديدة منها مستخدمين مبادىء **(علم المثلثات)** ، وأصبح طول الفترة الزمنية في المزاول التي صنعها المسلمون لا يختلف في الشتاء عنه في الصيف على الرغم من اختلاف طول "النهار" تبعاً لفصول السنة .

ومن العلماء العرب الذين قاموا بدراسات متعمقة في هذا الموضوع **(ثابت ابن قرة)** ، ومن أوائل أعماله تأليف كتاب عن المزولة الشمسية التي كانت تستخدم لتعيين مواقيت الصلاة ، وقد توفي في **بغداد** سنة ٩٠١م . بعد أن قام بتأليف كتب عديدة في الأنواء وحساب الخسوف والكسوف وحركة البروج وتركيب الأفلاك . ومما يجدر ذكره أنه قام بحساب طول **السنة النجمية** في مرصده في بغداد ، بدقة مذهلة إلى أقرب نصف ثانية ! وجاء بعده حفيده **(إبراهيم بن سنان)** المتوفي عام (٣٦٥هـ ، ٩٧٦م) ، فوضع بحثاً في الظلال بدأه وهو في السابعة عشرة ، وكان محل اعجاب العلماء من بعده ، وله كتاب جامع في الساعات الشمسية ، كما قام **(أبناء موسى بن شاكر)** ، الثلاثة المشهورون باسم «بني موسى» ، بوضع بحث في الحيل الميكانيكية وفي الآلات الذاتية الحركة ، وقد كتب **رضوان بن الساعاتي** (٦٠٠هـ ، ١٢٠٤م) ، دراسة مطولة تتحدث عن قيامه بإصلاح ساعة مائية عملاقة ،



★ساعة ذات صندوق مستطيل
صنعت عام ١٧٠٠م★

★ساعة قديمة ذات اجراس على شكل خوذة الحرب★



★ساعة فلكية صنعها إسحاق
هيربرخت في ستراسبورج★



★تمثال يحمل ساعة على شكل جيتار★



كان أبوه قد ركبها فوق **باب جيرون في مدينة دمشق** .

وفي عام (٦٠٢ هـ ، ١٢٠٦ م) ، أنشأ الجزري كتاباً وصف فيه الساعات المائية . وقد كان الجزري نفسه حرفياً بالغ البراعة وقد وصف بتفصيل كيف ركب كل جهاز من أجهزته .

وهكذا نجد أن العرب طوروا الساعات المائية بحيث جعلوا سريان الماء يدير مجموعة من العجلات المسننة ويحول طاقة دفع الماء إلى حركة ميكانيكية منظمة .

على أن أكثر مجموعات الحيل إثارة للاعجاب كانت تلتقي في ساعات الجزري العملاقة : ففيها نجد دوائر تمثل البروج والشمس والقمر تدور متناوبة بسرعة ثابتة ، وعصافير تطلق من مناقيرها كرات صغيرة تقع على صنوج فتسمع دقات الساعة في كل ساعة ، وأبواباً تفتح فتخرج من خلفها تماثيل صغيرة ، وفي فترات منتظمة ترى الموسيقيين من طبالين ونافخين في البوق وضاربين على الرق ، يعزف كل واحد منهم على آلته ، أما ما يدير حركة الساعة المائية ، فكانت في العادة طفافة (**عوامة**) تغطس بسرعة ثابتة في خزان ماء وقد ربط بأعلاه خيط يدور حول بكرة كبيرة هي المحرك الرئيسي للساعة ، وهي تقوم ، عن طريق بكرات أخرى ، بتحريك دائرة البروج ، والكامات الصفاقة والموسيقيين .

ولا نكاد نعرف عن حياة **بديع الزمان إسماعيل بن الرزاز الجزري** شيئاً باستثناء وقائع قليلة وردت موجزة في مقدمة كتابه الشهير « **في معرفة الحيل الهندسية** » ، ويشير اسمه إلى أنه جاء من أرض الجزيرة الواقعة بين **دجلة والفرات** ، وكان تابعاً لأسرة **الأرطوقيين التركمانية** التي كان مركزها في (**ديار بكر**) ، وقد دخل في خدمة هذه الأسرة في عهد نور الدين محمد نحو سنة ٥٧٦ هـ ، (١١٨٠ م) ، وأنجز كتابه في الحيل الهندسية بعد خمس وعشرين سنة ، وتوحي كتاباته بأن وظيفته كانت شبيهة بوظيفة مهندس في البلاد ، مهمته إنتاج أدوات مدهشة وجميلة . ويقول ابن الرزاز أنه درس كتب من سبقوه ومن عاصروه ، خصوصاً أولئك الذين نبغوا في صناعة الآلات المائية ، ويعرف مؤلفه باسم « **كتاب الهيئة والأشكال** » ويقع في ثلاثة مجلدات ضخمة ، توجد منها نسخ عديدة في مكاتب أوروبا ، كما يعرف باسم « **علم الحيل** » .

وقد ترجمت أعماله إلى العديد من اللغات ، وكان لها دور هام في صناعة الآلات والأجهزة الحديثة التي تمخضت عنها التكنولوجيا الحديثة .

ومن أروع الساعات المائية التي صنعها العرب تلك التي أهداها الخليفة **هارون الرشيد** إلى الإمبراطور **شارلمان** ، وكانت مصنوعة من البرونز المطعم بالذهب ، وكان بمينائها اثنا عشر باباً صغيراً ، يمثل كل منها ساعة من الساعات بحيث ينفتح كل باب إذا حلت ساعته ، ويصحب ذلك ، في كل مرة ، سقوط كرات من النحاس الأصفر على قرص من النحاس الرقيق بحيث يدل عدد الكرات على الساعة التي حلت من النهار أو الليل .

الساعة الميكانيكية

أجمعت المصادر التاريخية على أن أوروبا لم تحاول صنع « الساعة » قبل ألف سنة . وقد نقلت فكرة هذه الآلة عن العرب في نهاية القرن الثامن الميلادي . وبعد نحو مئة عام صنع راهب يدعى « **جربرت** » جهازاً لمعرفة الزمن ، كان الناس يسمونه « **الجهاز السحري** » ، ولعله أول جهاز (ساعة) صنعته أوروبا .

قام جربرت Gerbert بتطبيق فكرة الثقل المحرك المدلى بحبل يسقط بتؤدة ويدير قرصاً مدرجاً ، وفيما بعد أضيف إلى هذا الجهاز البدائي نظام آلي عرف باسم (**الافلات أو التفويت**) Escapement . لأنه لم يكن يسمح بتفويت طاقة الثقل وتحريرها إلا بالتناوب ، محدثاً بذلك حركة اهتزازية متقطعة ، لكن النتائج التي أمكن التوصل إليها لم تتعد حيز العفوية . ومع أن بعض الساعات لم تستخدم إلا بعد بناء أبراج ضخمة لها لوضعها في **الساحات العامة** أو **أماكن العبادة الدينية** ، فقد كانت معقدة وتنقصها الدقة . فجميع التروس كانت تدار بواسطة ثقل مدلى ، وإذا أريد ملء الساعة رفع الثقل إلى نقطة البدء .

وفي نهاية القرن السادس عشر وضع (**جاليلو**) Galileo قانون تواقت (النواس) أو (**الرقاص**) ، فقد **لاحظ (جاليلو) أن جميع الأثقال المتأرجحة إذا كانت أطوالها متساوية ، وأوزانها متساوية ، فإنها تؤدي ذبذبات متساوية الزمن** . وهذا القانون هو الذي طبقه (**هويجنز**) Huygens في عام ١٦٥٦ م ، على الساعات ، بتركيب زنبرك (نابض) لولبي على رقاص . وهنا تحققت فكرة الساعة كما نعرفها اليوم .

والساعات الأولى ذات الرقاص لا تختلف كثيراً عما نراه اليوم منها سوى أنها أصبحت أكثر دقة . فعندما يتذبذب النواس يحرك ذراعاً تسمح بدوران الترس (عجلة مسننة) أو اعتراضه فيقف ، وبذلك يدور بسرعة منتظمة . والصوت الذي نسمعه في الساعة هو نتيجة اعتراض هذه الذراع لكل سن من أسنان الترس .

ومنذ أن استعيض عن النواس والثقل المتدلي ، بالزنبرك وآلية التفويت أمكن صناعة ساعات صغيرة للجيب ، وبعضها يشبه البيضة وكان يسمى بيضة (**نومبرغ**) .

أجزاء الساعة الرئيسية

مهما كان نوع الساعة التقليدية (الميكانيكية) ، سواء أكانت (**بيج بن**) أو ساعة يد صغيرة فإنها تعمل بنفس المبادىء ، فلا بد من وجود وسيلة تمدها بالقوة ، وآلية تجعلها تدور بمعدل ثابت ، ووسيلة تشير إلى الوقت ، وغالباً ما

يكون مصدر القوة أو الطاقة في الساعة واحداً من ثلاثة ، ثقل مدلى بحبل ، أو نابض ملفوف ، أو محرك كهربائي سواء كان يعمل بالكهرباء أو بالبطارية . والثقل المدلى الذي كان يسقط تبعاً لآلية الافلات وقوة الجاذبية الأرضية ، والمستخدم في الساعات القديمة له ميزة هي أن القوة التي يعطيها ثابتة لا تتغير . وبالطبع كلما كانت القوة المحركة في الساعة ثابتة لا تتغير كانت دقة الساعة أكبر .

أما النابض الملفوف (الزنبرك) ، فإنه يستخدم مصدراً للطاقة في أغلب الساعات ، وله عيب واحد هو أن القوة التي يعطيها تتناقص كلما انفك وانفلت . وهذا يعني أن الساعة (تقدّم) عندما يكون النابض ملفوفاً ، ثم (تؤخّر) عندما يكون النابض قد انفلت . لذلك يوجد جهاز معدل يجعل الطاقة الصادرة عن النابض ثابتة .

الإفلات أو التفويت

الافلات أو التفويت Escapement جهاز يعمل آلياً يمكن بواسطته جعل القوة الصادرة عن الثقل أو الزنبرك تتحرر شيئاً فشيئاً وبانتظام . وفي نفس الوقت يقوم بنقل الحركة النوسية إلى جهاز الحركة ليجعل المنظم في حالة دوران . وقد كان النواس هو الجهاز المنظم للحركة إلا أنه استبدل في ساعات الجيب واليد **بدولاب معدل** موضوع بشكل أفقي ويرتبط بنابض شعري دقيق Hair Sprinf مما يجعله يتردد يميناً ويساراً بحركة دورية ثابتة الزمن ، وذلك بقوة دفع النابض الرئيسي (الزنبرك) .

وفي الساعات الكهربائية يتزامن المحرك الذي يدير الساعة مع تردد التيار المتناوب الوارد إليه . **والتواقت أو التزامن** Syrchronization يعني السير بنفس الزمن وبنفس السرعة مع شيء آخر . فإذا كانت الكهرباء المنزلية تتردد خمسين مرة في الثانية فإن المحرك يدور خمسين دورة في الثانية أيضاً .

وتستخدم الكهرباء أيضاً لإدارة **أقراص الساعة** Dials أو عقاربها مثل الساعات المركبة في المعامل الكبيرة . فهنالك ساعة رئيسية كبيرة متصلة بساعات أخرى تسمى الساعات الثانوية ، ويرسل نواس الساعة الرئيسية نبضات كهربائية بواسطة الأسلاك إلى الساعات الثانوية ، مما يجعلها تدور كلها بنفس السرعة وتشير كل الساعات الفرعية لنفس الزمن الذي تدل عليه الساعة الرئيسية ، وتستخدم هذه الطريقة في الجامعات والمدارس والمعامل .

ساعة اليد

أغلب الناس اليوم يحملون ساعة يد ، وهي في الحقيقة ليست إلا نسخة مصغرة من الساعة الكبيرة ، وينظمها رقاص (نواس) على شكل دولاب معدل مرتبط بنابض دقيق . أما عملية (الافلات) فإنها تتم بواسطة رافعة صغيرة ذات (سن نتاش) . وكل محاور العجلات المسننة الصغيرة تدور على ما يسمى (بالأحجار الكريمة الصناعية) Artificial Rubies وهي من القسوة بحيث تقاوم التآكل . وأجود الساعات الآن تحتوي على ثمانية عشرة حجراً أو أكثر ، وهي صغيرة جداً لدرجة أن الإنسان يعجب من الدقة التي صنعت بها . وساعات اليوم مجهزة بعقرب للثواني وتقويم يشير إلى اليوم والتاريخ ، وبعضها تلف نابضها الرئيسي بشكل أوتوماتيكي ولا حاجة لتعبئتها كل يوم . إذ أنها مجهزة بقرص ثقيل متأرجح على محور يتحرك يمنة ويسرة مع حركة اليد ، وكل حركة تؤدي إلى لف النابض الرئيسي (الزنبرك) ، وهناك أداة تقفل الحركة وتوقفها لمنع زيادة لف النابض عن الحد اللازم .

وبعض الساعات الحديثة يعمل بالكهرباء التي تمونها بها بطاريات صغيرة جداً (مراكم) زنبقية ، **وبعضها الآخر تنظم حركتها بواسطة الاهتزازات التي تصدرها رنانة أو شوكة رنين وهي تشبه الرنانة المستخدمة في الموسيق ، وقد اخترعت ساعة يد تعمل بواسطة الضوء الذي يسقط على خلية كهرو - ضوئية فتولد تياراً يعبىء البطارية (المركم)** بالكهرباء اللازمة لإدارتها ، واستغني عن العقارب بلوحة مضيئة ذات أرقام تعمل على إعطاء الوقت لدى الضغط على زر صغير في طرفها .

صناعة الساعات

كانت صناعة مختلف أجزاء الساعة ، فيما مضى ، يقوم بها عمال ريفيون ، يتفرغون لهذا العمل في موسم الكساد ، وكانت الأجزاء المصنعة ، تجمع بعد ذلك في إحدى (الورشات) القريبة .

وصناعة الساعات صناعة تقليدية تحتاج إلى الكثير من المهارة ، وعندما نتحدث عن الساعات تتبادر **(سويسرا)** إلى أذهاننا . في منطقة **(جنيف)** وحدها يعمل حوالي (١٦,٠٠٠) شخص في الساعات والآلات الدقيقة . ومما يجدر بالذكر أن نصف ساعات العالم تصنع فيها ، وفي الاحتفالات الرياضية الدولية ، ومنها الألعاب الأولمبية ، تقوم شركة سويسرية بضبط الوقت وقياس الزمن .

وقد بدأت صناعة الساعات في (جنيف) في القرن السادس عشر ، ومنها انتشرت إلى منطقة (جيرا) Jura ، وفي سويسرا اليوم مركزان لصنع الساعات هما **(لاشوه دو فون** La Chaux-de-Fonds **و (لولوكل)** Le Locle ، وتشكل صناعة الساعات حجراً مهماً في بناء الاقتصاد السويسري ، وتصدر ٩٠ ٪ من مصنوعاتها إلى الخارج ، وتوجد حالياً ١٩٠٠ شركة لصناعة الساعات فيها ، وكلها شركات صغيرة لا تستخدم كثيراً من العمال وورشاتها حديثة وآلية .

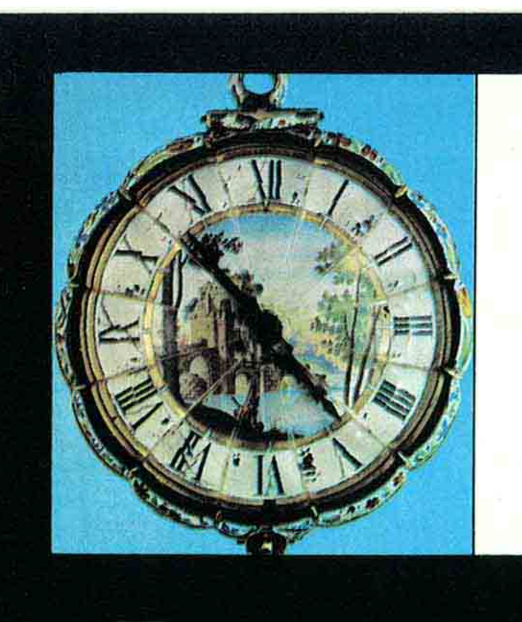
وهكذا فإن صناعة الساعات اليوم تتم في مصانع ، تستخدم نظاماً آلياً متقدماً للغاية ، ومع ذلك فإن العمليات اليدوية لم تختف تماماً ، فالتجميع والإصلاح ، مثلاً ، يقوم بها أفراد



★ساعة طاولة سداسية الشكل ـ فرنسية الصنع (١٥٤٥م) ★

★ساعة من الساعات الأولى تعمل بالنابض★

★ساعة منضدة على شكل برج★

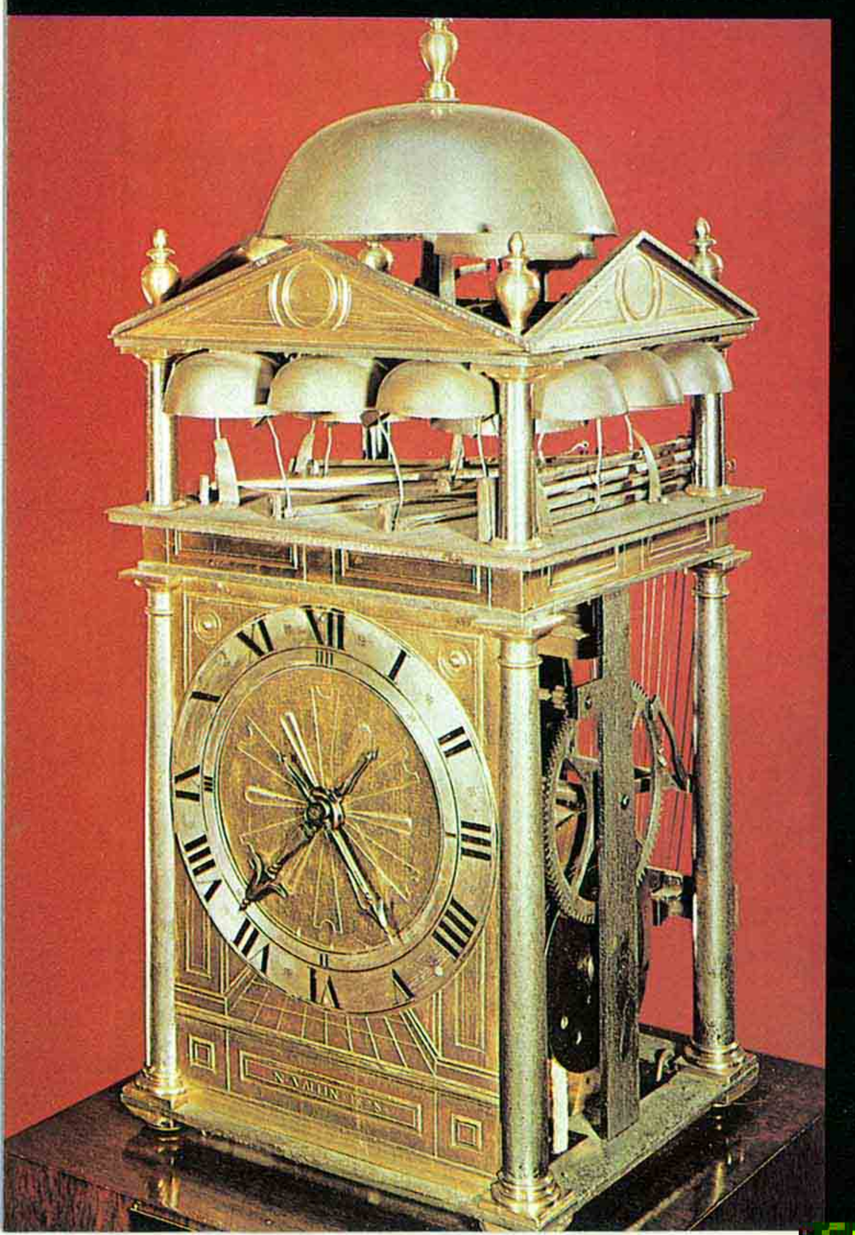


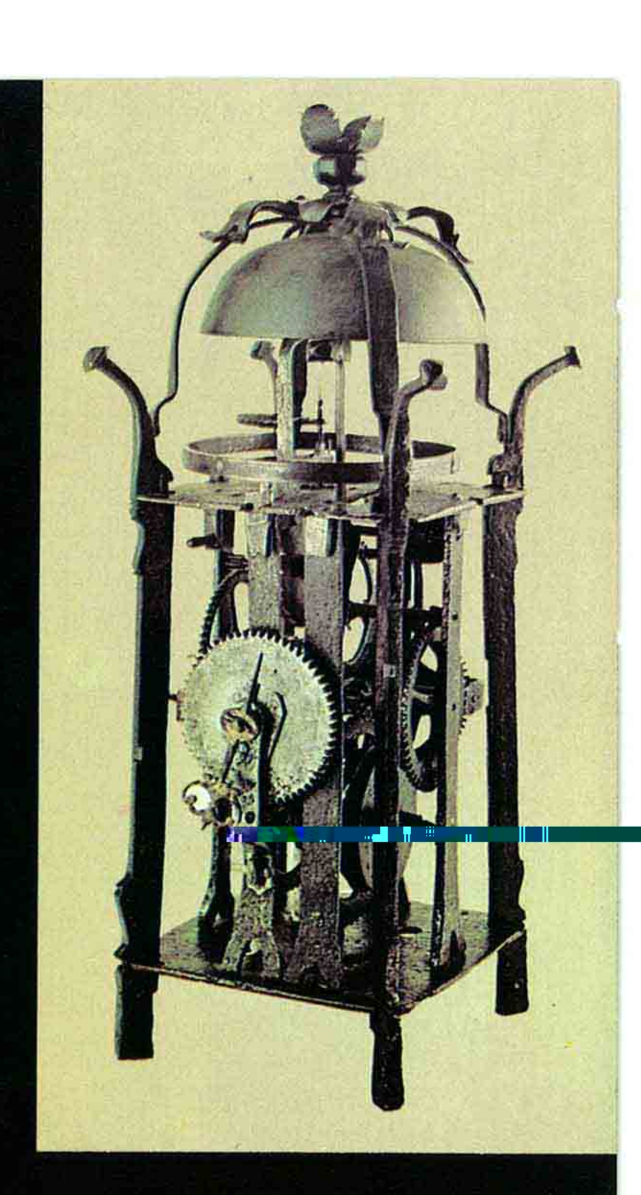
★ساعة فلمنكية
صنعت عام ١٥٧٠م★

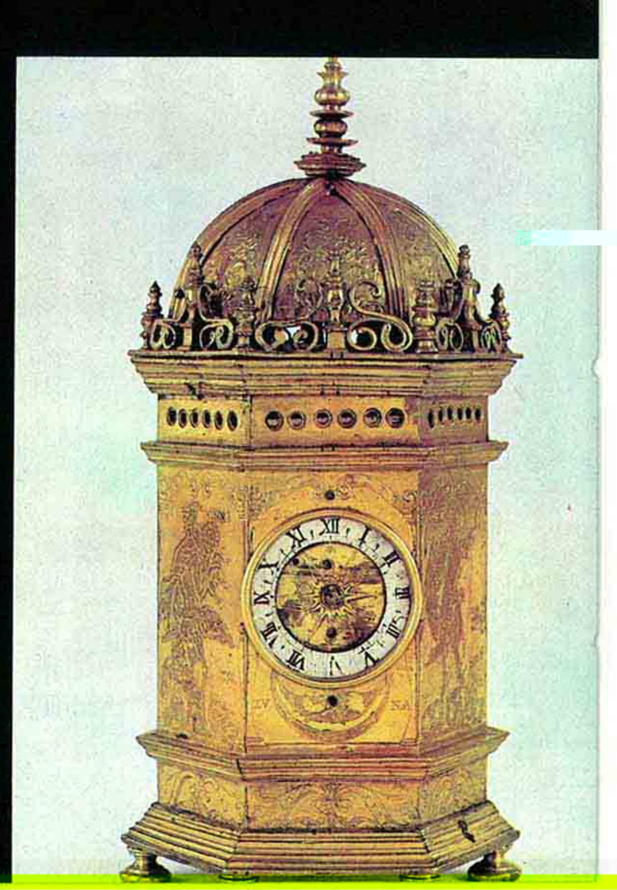
★ساعة جيب يعود صنعها
إلى عام ١٧٠٠م★



★ ساعة [illegible] صنعت عام ١٥٩٨م ـ [illegible] ★









★نموذج لساعة الجزري المائية كما وصفها في كتابه★

ذوو تخصص عال .

وإذا كانت سويسرا تحتل المركز الأول ، بلا منازع ، في الإنتاج العالمي للساعات ، فإن المنافسة ، بعد ذلك ، تدور حامية في نفس المجال بين اليابان والاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وألمانيا الغربية .

الساعات الدقيقة والكرونومتر

الساعات التي نستخدمها هذه الأيام دقيقة جداً وتحافظ على الوقت ، بتقديم أو تأخير قد لا يتجاوز ثانية واحدة في اليوم ، ومع ذلك فإن هذه الساعات لا تعتبر دقيقة ولا تصلح في الملاحة البحرية أو في الأغراض العلمية .

في سنة ١٧١٣ م ، **قررت الحكومة البريطانية منح جائزة مقدارها عشرة آلاف جنية لكل من يتوصل إلى اختراع جهاز يعين الزمن بدقة .** وظلت الجائزة دون أن يحصل عليها أحد لمدة ٤٧ عاماً ، ثم حصل عليها صانع أحد الأجهزة . وعندما تم اختبار جهازه سجل خطأ أقل من دقيقتين في رحلة في **المحيط الهادي** دامت خمسة شهور ، وقد سمي هذا الجهاز « **كرونومتر** » . ولم يمض وقت طويل حتى أمكن صنع (كرونومتر) لم يزد الخطأ فيه على سبع ثوان في رحلة دامت ستة وأربعين يوماً . وقد ساعدت فكرة صناعة (الكرونومتر) على صنع أنواع من الساعات أكثر دقة . (الكرونومتر) المستعمل حالياً في الملاحة لا يقدم أو يؤخر إلا ثانية أو ثانيتين في السنة كلها . ولكن حتى هذه الدقة ، لا تعتبر دقة متناهية ، ولا تصلح في بعض فروع العلوم ، لذلك فإن العلماء قد طوروا نوعين من الساعات الدقيقة جداً ، فهنالك **ساعات بلورات (الكوارتز)** Quartz Crystal ، **والساعة الذرية أو النووية** Atomic Clock .

ساعات الكوارتز

الكوارتز هو نوع من الصخور المتبلورة ، ويوجد في بعض الأحيان صافياً ويشبه زجاج (الكريستال) إلى حد بعيد .

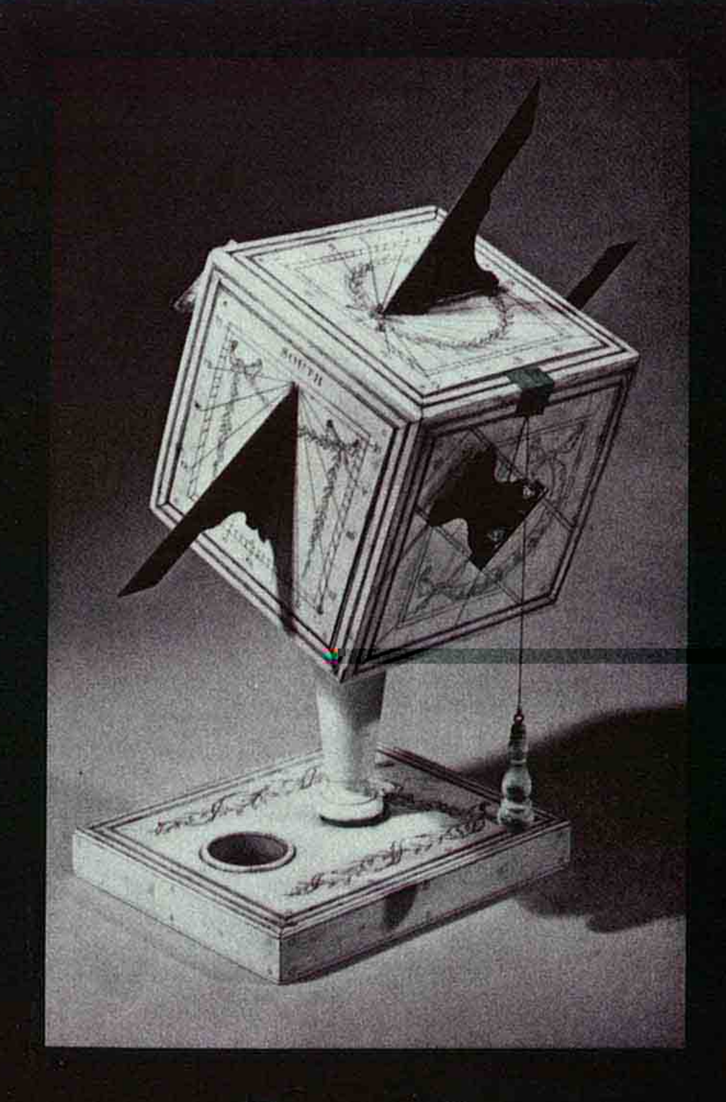
وصخر الكوارتز المتبلور له خواص كهربائية متميزة ، بحيث يمكن استخدام هذه الخواص لتضبيط ميقاتية الساعة ، فعندما يمر من خلال بلورة الكوارتز تيار كهربائي ، فإن ذرات الكوارتز تهتز بمعدل تردد ثابت . ويتوقف معدل الاهتزاز أو التردد على سماكة بلورة الكوارتز ، ويزداد معدل التردد فيها كلما كانت رقيقة ، وكلما أمكن جعل ذراتها تهتز بسرعة كان زمن التردد للنبضة الكهربائية أقصر . وفي ساعات الكوارتز أمكن صنع بلورات منه رقيقة جداً بحيث تهتز ذراتها ألف مرة في الثانية الواحدة . وهذا يعني أنه بالامكان قياس واحد من ألف جزء من الثانية بواسطة هذه الساعات .

وساعات بلورات الكوارتز هذه دقيقة جداً بحيث لا تقدّم ولا تؤخر أكثر من ثانية واحدة في خمسين سنة ! ويعتبر هذا الاكتشاف تقدماً مذهلاً بالنسبة لساعات (الكرونومتر) المستخدمة في البحرية . وتوجد الساعات (الكوارتزية) في كل المراصد الفلكية التي تتطلب الدقة الكاملة . وتستخدم ساعة أدق منها لضبطها هي الساعة الذرية .

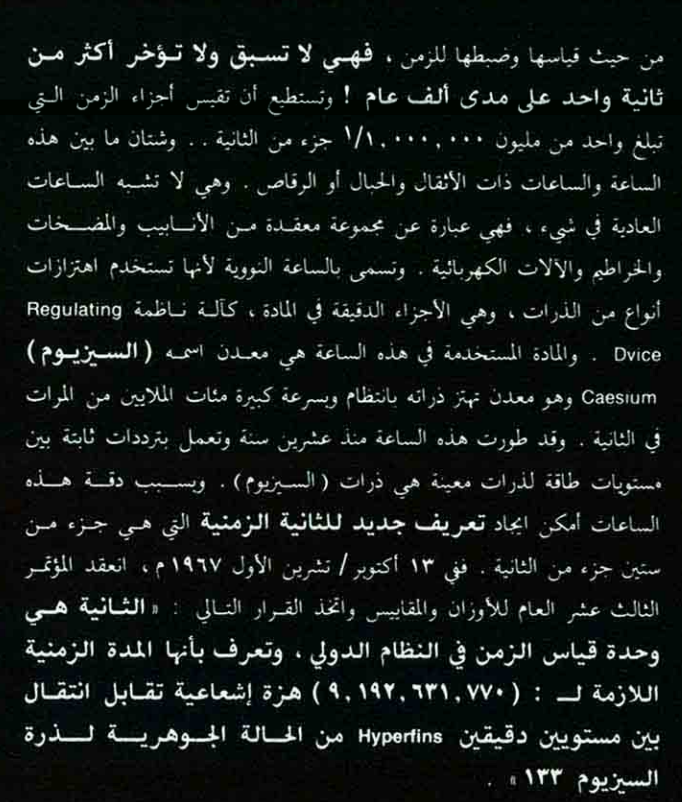
وقد استخدم مبدأ الساعة الكوارتزية في ساعات اليد التي اعتمد في تصميمها على التردد الاهتزازي لصخر الكوارتز وأمكن تحويل هذه الاهتزازات إلى ثوان ودقائق تقرأ على لوحة مضيئة . وتستخدم هذه الساعات بطارية زئبقية صغيرة جداً لإصدار تيار يهز ذرات الكوارتز .

الساعة الذرية

يمكن اعتبار **الساعة الذرية (النووية)** أداة في منتهى الدقة المطلقة



★مزولة على شكل مكعب★



من حيث قياسها وضبطها للزمن ، **فهي لا تسبق ولا تؤخر أكثر من ثانية واحد على مدى ألف عام !** وتستطيع أن تقيس أجزاء الزمن التي تبلغ واحد من مليون ١/١,٠٠٠,٠٠٠ جزء من الثانية . . وشتان ما بين هذه الساعة والساعات ذات الأثقال والحبال أو الرقاص . وهي لا تشبه الساعات العادية في شيء ، فهي عبارة عن مجموعة معقدة من الأنابيب والمضخات والخراطيم والآلات الكهربائية . وتسمى بالساعة النووية لأنها تستخدم اهتزازات أنواع من الذرات ، وهي الأجزاء الدقيقة في المادة ، كآلة ناظمة Regulating Dvice . والمادة المستخدمة في هذه الساعة هي معدن اسمه **(السيزيوم)** Caesium وهو معدن تهتز ذراته بانتظام وبسرعة كبيرة مئات الملايين من المرات في الثانية . وقد طورت هذه الساعة منذ عشرين سنة وتعمل بترددات ثابتة بين مستويات طاقة لذرات معينة هي ذرات (السيزيوم) . وبسبب دقة هذه الساعات أمكن ايجاد **تعريف جديد للثانية الزمنية** التي هي جزء من ستين جزء من الثانية . ففي ١٣ أكتوبر / تشرين الأول ١٩٦٧م ، انعقد المؤتمر الثالث عشر العام للأوزان والمقاييس واتخذ القرار التالي : « **الثانية هي وحدة قياس الزمن في النظام الدولي ، وتعرف بأنها المدة الزمنية اللازمة لـ : (٩,١٩٢,٦٣١,٧٧٠) هزة إشعاعية تقابل انتقال بين مستويين دقيقين Hyperfins من الحالة الجوهرية لذرة السيزيوم ١٣٣** » .

ولهذه الساعات تطبيقات واستخدامات علمية وعملية في نظام الملاحة الجوية بالراديو لمسافات بعيدة للطائرات والصواريخ الحاملة للأقمار الصناعية ، وكذلك في نظام منع اصطدام الطائرات وفي المراصد الفلكية ، وقد أمكن استخدامها أيضاً في دراسة نتائج **النظرية النسبية** التي قال بها (أينشتاين) بمقارنتها للزمن الذي تعطيه الساعات الموجودة في القمر الصناعي والتأكد بذلك من صحة النظرية .

والخلاصة لقد صنع الإنسان آلات دقيقة جداً لقياس الوقت وضبط الزمن ، وقد ولدت حاجته لقياس الزمن ، بطريقة متزايدة في الدقة ، صناعة جديدة ، ومن المحتمل أنها قد خلقت كذلك نوعاً من الرق . . فالإنسان أصبح يسير وفق الزمن ، من خلال الساعة التي يندر أن يسير إنسان بدونها ، وأصبح عمل الإنسان مرتبطاً بالزمن ، كما أصبحت علاقاته القانونية محدودة بالزمن . وأصبح الزمن فارس العصر الذي استرق الإنسان .

المراجع



١ - موسوعة الهدف ٢٠٠٠ ، ج ٣ .
٢ - الموسوعة الذهبية ج ٣ ، وج ٦ .
٣ - موسوعة المعرفة ج ٣ .
٤ - عبقرية الحضارة العربية .
5 – Clocks : Cedric Jagger.
6 – Let's Nisit Switzerland : James moore.
7 – Islamic Science, an illustrated Study : Sayyed H. Nasr.
8 – The book of popular Science, Vol. 2, 3.
9 – Purnell's Concise Encyclopedia of Science.
10 – Encyclopedia Britanica Vol 4.
11 – Encyclopedia International Vol 4.
12 – Encyclapedia Universalis Vol 8.
13 – Time : S. A. Goudsmit and R. Clairborne.



لوحة و فنان

وجه .. وأعماق



★ الرمز في اللوحة :

الإنسان من الأرض .. وإلى الأرض .

هذا الوجه الكبير الذي يملأ فراغ اللوحة .. والمليء بتعبيرات الفزع .. وبكمية هائلة من التعاسة على مصير الإنسان ، الصامد مثل « نبتة » شديدة الجذور والصلابة ، « النبتة » الطالعة من الأرض ، حيث تفاجأ بعاصفة من رياح الخوف ، تكاد تقتلعها .

إن الفنان يرمز في لوحته إلى الإنسان المعاصر الخارج من متفجرات أرض الواقع ، حيث يطل على مستقبل لا أمان فيه ، مستقبل مهدد بالفناء ، ومهددة فيه الابتسامة .. وصفاء النظرة .. وشفافية الحلم .

وفي جانب من اللوحة .. نرى « بورتريه » ـ وجه فتاة ـ هي شريكة هذا الإنسان في استقبال المصير المحتوم .. ومع ذلك ، فإننا نشاهد ابتسامة غامضة شبهها الفنان بابتسامة ملكة عصرها ، ربما قصد الفنان بهذه الابتسامة أنه لا يعرف ما في أعماق هذه الابتسامة الغامضة من .. سعادة وحزن ودهشة وفزع .

ونشاهد شعرها الذي يشبه الجذور الضاربة في الأرض ، يحاول هو الآخر .. الالتفاف حول وجه شريكها كأنه موجات عاصفة صلبة .

فالإنسان المعاصر ، محاصر بكل ما حوله .. بالأرض .. والطبيعة .. وشريكة الحياة .. بل محاصر بأعماقه الداخلية بما فيها من مخزونات ماض محزن .. وذكريات تفيض بالأسى وبالأفراح المختنقة .

★ الألوان :

استطاع الفنان أن يستخدم الألوان التي تساعده في إبراز رموزه ، للتعبير عن الاستغراق في الدهشة والفزع .



فهد ناصر عبدالله الربيق

★ من مواليد مدينة الدرعية في المملكة العربية السعودية عام ١٩٥٩ م .

★ حاصل على عدة جوائز وشهادات تقديرية أثناء دراسته المتوسطة ـ ومعهد التربية الفنية .

★ حاصل على جائزة اقتناء وشهادة تفوق من المعرض السنوي العام الأول (١٩٧٦ م) ـ في التصوير .

★ حاصل على جائزة اقتناء وشهادة تقدير في معرض المقتنيات العام الأول (١٩٧٦ م) ـ في الخط والزخرفة الإسلامية .

★ حاصل على جائزة اقتناء وتقدير امتياز في المسابقة العامة للفنون التشكيلية لعام (١٣٩٧ ـ ١٣٩٨هـ) على مستوى المملكة .

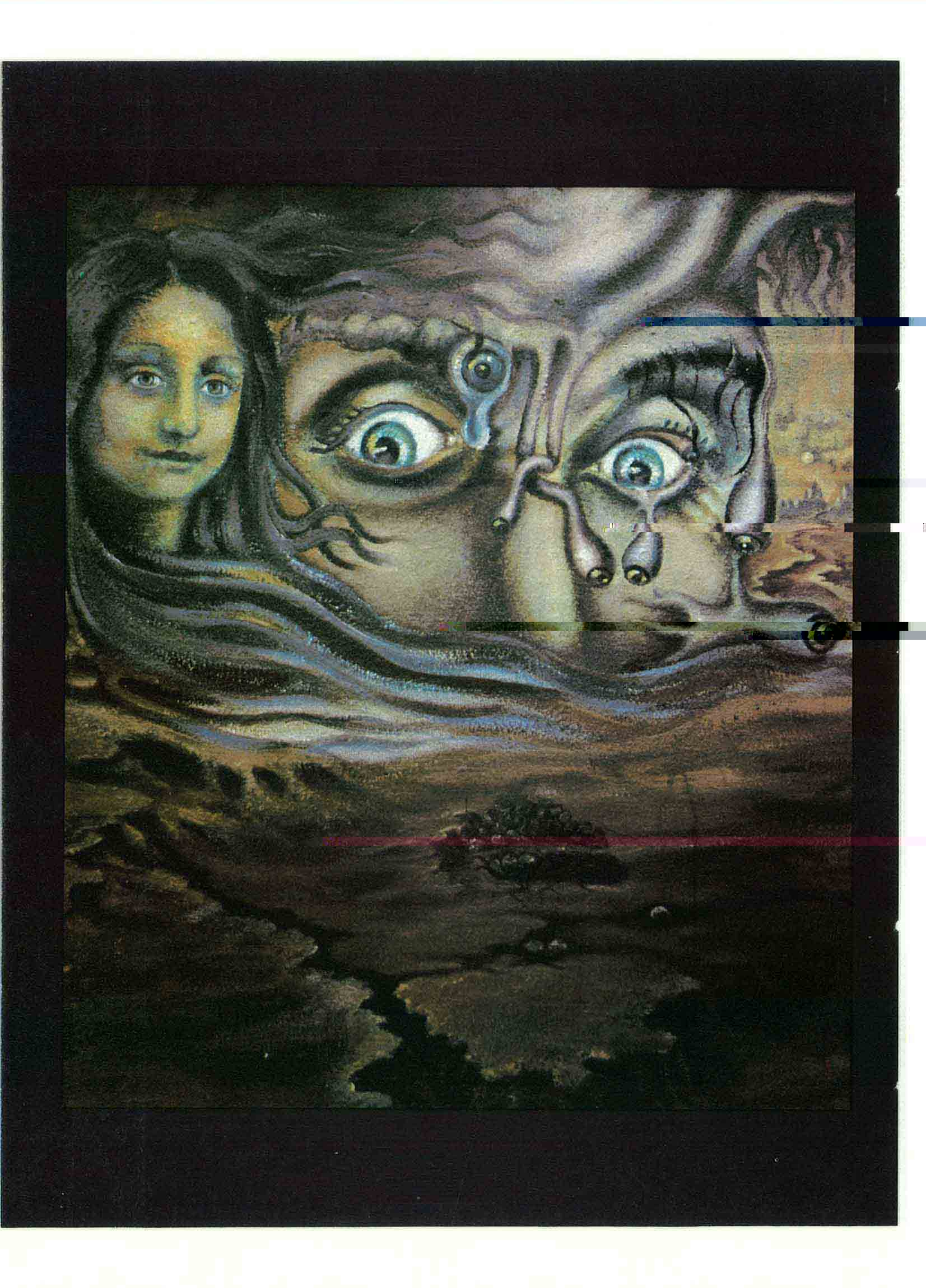
★ شهادة تفوق من المعرض العام الثالث للمقتنيات ، الفنون التشكيلية (لعام ٩٨هـ) .. وعلى الجائزة الأولى .

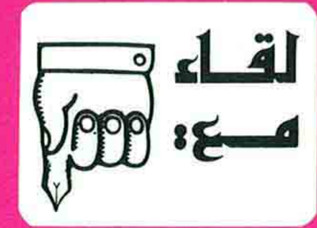
★ شارك في المعارض التي تقيمها الرئاسة العامة لرعاية الشباب على مدار السنة وكذلك معارض معهد التربية الفنية .

★ شارك في معرض الفنانين السعوديين الأول عام (٩٨هـ) ، وكذلك المعارض التي تقام خارج المملكة .

★ أقام معرض شخصي واحد ، كما شارك في معرض الكويت الخامس والسادس للفنانين التشكيليين العرب .

★ قام بتمثيل المملكة في المعرض المقام في السويد في الأسابيع العربية الثقافية ، كما قام بتمثيل المملكة في المعرض المقام بالكويت للفنانين التشكيليين العرب لهذا العام .







القصة القصيرة



أدبنا العربي الحديث

أجرى الحديث: محمد متولي

● لابد أن يكون لدى الأديب بالشعور بالإنسانية "العالمية"

●● تطورت القصة القصيرة من البحث عن الموضوع إلى البحث عن الألفاظ

●●● إن مسألة الاقتباس كان لها ما يبررها في الماضي أمّا الآن فهي تنم عن عجز

● كما أننا لا نستطيع أن ننسى الرواد الأوائل في العالم الذين كتبوا القصة القصيرة أمثال (**تشيكوف**) الروسي .. (**جي دي موباسان**) الفرنسي .. فلا نستطيع أن ننسى (**يحيى حقي**) كرائد من رواد المدرسة الحديثة في القصة القصيرة المصرية العربية .. ولقد منحته الدولة الجائزة التقديرية عام **١٩٦٨ م**، ومقدارها **٢٥٠٠** جنيه وميدالية ذهبية .. تقديراً لمجهوداته في مجال القصة القصيرة ومشاركته الفعالة في مختلف النشاطات الثقافية والأدبية منذ الثلاثينات .

لقد توقف (يحيى حقي) عن المشاركة في الحياة الثقافية والأدبية ولم يعد يكتب منذ سنوات .. لماذا ؟!!.

ويتضح للمتتبع لانتاج يحيى حقي أنه في مجمله **قصص قصيرة ومقالات نقدية في القصة القصيرة وترجمة ذاتية في صورة القصة القصيرة** حتى أن روايته الوحيدة (**صح النوم**) ما هي إلا مجموعة قصص قصيرة يربطها الزمان والمكان .. وهذا يجعلنا نتساءل : **لماذا كانت القصة القصيرة هي اللغة الفنية التي يتعامل بها مع القراء .. وهي دون غيرها من اللغات الفنية التي يعبر بها عن أفكاره وتجاربه ؟!**

هذه التساؤلات وغيرها تبحث عن إجابة منذ زمن بعيد .. **وأخيراً خرج أستاذنا يحيى حقي عن صمته ليقول لنا في بداية الحديث بلغة الناقد ..**

● **أرجو أن يخرج هذا الحديث عن صفة الدردشة التي غلبت على أكثر أحاديثنا الصحفية والإذاعية !.**



حصاد العمر

— في البداية يحلو لنا أن نبدأ حديثنا معك بسؤال تقليدي ، وهو كم يبلغ عدد مؤلفاتك وما هي أهم هذه المؤلفات سواء في مجال القصة القصيرة أو الكتابات الأدبية الأخرى ؟

● إن أغلب مؤلفاتي خرجت في صورة مسلسلات شعبية .. وعددها ١٦ كتاباً من الحجم الصغير الذي يوضع في الجيب .. والمسألة بالنسبة لي ليست كماً .. وأتهم بأني مقل وهذا ما أعترف به .. وأبرز مؤلفاتي في القصة القصيرة :

(قنديل أم هاشم) - **(أم العواجز)** - **(صح النوم)** - **(عنتر وجولييت)** ، وفي المقالات الأدبية .. **(ليل يا عين)** - **(دمعة فابتسامة)** - **(فكرة فابتسامة)** - **(تعال معي إلى الكونسير)** - **(فجر القصة القصيرة)** ، وفي الترجمة الذاتية .. **(خليها على الله)** - **(أنشودة للبساطة)** ، وفي الرحلات .. **(حقيبة في يد مسافر)** .. ولقد سرني أن **الأستاذ أبو النجا** الذي يعمل في اليونيسكو بباريس قام بترجمة نصف هذا الكتاب بعنوان **(مصري في باريس)** إلى الفرنسية ، كما سرني أيضا أن **الأستاذ مصطفى بدوي** بأكسفورد قام بترجمة **(قنديل أم هاشم)** إلى الانجليزية .

الميل الأدبي

— ألم يتح لكم العمل في المجال الدبلوماسي وتجوالكم في العديد من دول العالم مادة تصلح لكتابة رواية ؟ ولماذا كانت القصة القصيرة هي اللون الأدبي الذي اخترتموه للتعبير عن أفكاركم وتجاربكم ؟

● يحسن بالإنسان أن يعترف بما لديه - فأنا لا أميل إلى الاهتمام بالحدوتة والحكاية **(الأحداث)** بقدر اهتمامي بالتأمل والوصف .. والذي أبعدني عن الرواية اهتمامي الأول بتحديد اللفظ اهتماماً شديداً وبالفكر الذي وراء اللفظ الذي يأتي في صورة فكر محدد،كذلك .. ولقد عانينا كثيراً من الجهل في استخدام اللغة .. هذا الجهل الذي يعطينا صورة للفكر الذي وراء هذه اللغة بالإضافة إلى ذلك **أنا أميل إلى الشعر والشعر هو قمة الفنون ولا أقصد الشعر كشك بل كروح شاعرية تجدها في أغلب كتاباتي ..** وأصلح وسيلة تعبير تبدو فيها هذه الشاعرية جلية وواضحة هي **القصة القصيرة** .. كما أننا قد نجدها في بعض أجزاء رواية طويلة كما في ثلاثية **(نجيب محفوظ)** .. في مونولوجات **(كمال)** عندما كان يسير خلف نعش حبيبته وصل فيها نجيب محفوظ إلى درجة عظيمة في الشعر والشاعرية .. **وعلى كل فسألة الميل للون ما من ألوان الأدب يرجع في الغالب إلى الطبائع ومدى توافق هذه الطبائع مع هذا اللون الأدبي والفني .**

عن القصة المصرية

— هل حدثتنا عن مراحل تطور القصة القصيرة في مصر منذ نشأتها ؟

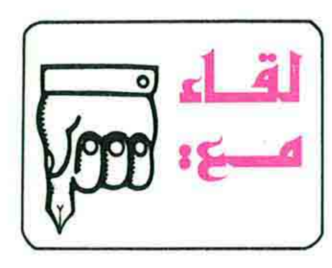
● نشأ فن القصة في مصر في أعقاب ثورة ١٩١٩م ، وكانت المشكلة لدينا في هذه المرحلة هي الموضوعات التي تصلح للتعبير عنها .. وكان الطابع الغالب على قصص هذه المرحلة هو الطابع الاجتماعي الذي يغلب عليه نغمة الاصلاح ومعالجة عيوب المجتمع والشخصيات ، وعندما استقر الأمر بدأ البحث عن الأشكال الخاصة بعد أن استيقظ النقد وبدأت تظهر الكتابات النقدية والنظريات الفنية وأهمها ما يقول : **إن القصة تبدأ ببداية ولحظة تنوير ونهاية .. والمعالجة الموضوعية بمعنى عدم تدخل الكاتب في أحداث القصة .. إلى آخر الشروط والأشكال والقوالب الفنية ..**

شبان القصة والتجديد

— ما هي ملاحظاتك على الأجيال الجديدة من كتاب القصة القصيرة ؟ وأي مرحلة تمر بها القصة القصيرة الآن ؟

● إن سر التطور الأدبي هو أن نصنع القوالب والأشكال ثم نكسرها .. **والسؤال الآن من يكسر هذه القوالب القديمة ؟** أقول : إن الطفل يكسر اللعبة ليعرفها بينما الفنان يعرف اللعبة أولا ثم يكسرها لا لمجرد الكسر ولكن يكسرها ليطورها ، ولا يصح أن يتهجم أي شاب على شكل من أشكال الأدب ليهدمه إلا إذا عرفه أولا وعرف خصائصه الفنية .

أما المرحلة التي تمر بها القصة القصيرة الآن هي ما نستطيع أن نسميها



مرحلة (**اللغة**) ولا أقصد لغة القواميس بل أقصد أنه من واقع التجربة نجد أن لكل نوع من فروع القول لغة خاصة بها . . فالقصة القصيرة لها لغة خاصة بها أي وسيلة لغوية تصلح وحدها دون غيرها لكتابة القصة القصيرة فنحن الآن نمر بالمرحلة الثالثة وهذا البحث لم يلق بعد العناية الكافية من حركة النقد . . وما يفعله الشباب الآن نوع من كسر الأشكال والتجديد في القوالب القصصية . . **وما أرجوه أن يحدث بجانب التجديد في الشكل تجديداً في نوع اللغة أيضاً .**

صور من الحياة الأدبية الخاصة

— متى بدأت رحلتك الأدبية وكيف نشرت أول أعمالك وهل حدثتنا عن بعض الأدباء الذين رافقوك وما هي المجتمعات الثقافية التي أمدتكم بالزاد الثقافي والأدبي المحلي والعالمي ؟

● ابتدأت في سن مبكرة قبل سن العشرين وسوف تجد لي قصصاً قصيرة في السياسة اليومية والأسبوعية وأكثر هذه القصص لم أضعها في مجموعة بعد كما فعل **صديقي الأستاذ محمود تيمور** (رحمه الله) . . وفي أعقاب ثورة ١٩١٩ م ، انتسبت إلى ما يسمى **بالمدرسة الحديثة** التي كان من أئمتها الأساتذة **خيري سعيد ومحمود طه لاشين وإبراهيم المصري وحسين فوزي** . .

ونشرت قصصي في مجلة (**الفجر**) التي كانت تصدرها هذه المدرسة . . وهذه المجلة كانت تطبع في (**مندرة**) وأعضاء المدرسة يقومون بإعداد الحروف وجمعها وطبع المجلة .

ولقد شهدت الثلاثينات من هذا القرن حركة كبيرة في مصر لتطويع اللغة العربية الفصحى لمطالب العصر الحديث على يد **طه حسين والمازني والعقاد** . . فكان هذا من المصادر الثقافية الهامة . . هذا بالإضافة إلى متابعة كل المحاضرات التي كانت تقام بقاعة (**ايوارت**) بالجامعة الأمريكية والجمعية الجغرافية . . هذا بجانب وفود (**حركة التبشير**) التي تفد علينا في هذه الفترة وأمدتنا بأشتات من المدارس الفكرية والأدبية سواء من الشرق أو الغرب .

الشباب . . والثقافة

— وماذا تقول للشباب فيما يخص قضية الثقافة والتثقيف ؟

● أقول للشباب ثقف نفسك بالجهود الذاتية ولا تنتظر أن يثقفك أحد . . **والإرادة هي المقوم الأساسي لمن يريد أن يثقف نفسه** . . وعلى الشباب أن يصنع نفسه بنفسه ويتحرك حركة إيجابية نحو الهدف الذي يريد تحقيقه والصورة التي يريد أن يرى نفسه فيها . . وليأخذ من تجاربنا قدوة له . . وهدي يسير عليه .

مدرسة الفن للفن

— إذا أردنا تسمية مدرستك الأدبية سواء في القصة أو النقد فماذا تسميها ؟

● أنا أولا لا أميل إلى التصنيف الذي لا يصلح إلا للتدريس بالجامعات . . وإذا استعرضنا إنتاجي القصصي فسوف تجد كل المدارس الأدبية متمثلة في أعمالي بصورة أو بأخرى . . وإذا كان ولا بد من تسمية مدرستي في كتابة القصة فنستطيع أن نقول إنها مدرسة (**الفن للفن**) بمعنى بناء العمل الأدبي بناء سليماً وصحيحاً . . ثم نسلم هذا الفن للمجتمع . . أما في كتاباتي النقدية فأنا أؤمن بأن العمل الفني هو الذي يوحي للناقد المنحى الذي يتجه به في نقده **سواء كان العمل فنياً صرفاً أو اجتماعياً أو نفسياً تحليلياً** . . وحبذا لو كان العمل الفني تتوافر فيه كل الجوانب السابق ذكرها . .

كاتب القصة فنان مفكر

— هل تعتبر كاتب القصة القصيرة فناناً أم مفكراً أو هما معاً ؟

● الأديب لا بد أن يكون **فناناً** اولا **ومفكراً ثانياً** . . **وكاتب القصة القصيرة بالذات يمتاز بأنه (فنان مفكر)** والأساس هو الفن . . أما أن تتحول القصة إلى مجرد عرض أفكار فهذه ليست إلا مقالة تقريرية . . والبعض يكتب القصة بلغة المقال وهذا خلط وجهل ، لذلك كانت دعوتي لتحديد لغة كل لون من ألوان التعبير الأدبي .

ماهية العالمية

— كيف يمكن أن يكتسب الأديب صفة العالمية ؟

● أولا الأديب لا يصدر من فراغ فهو عضو في مجتمع وأحاسيسه



مستمدة من هذا المجتمع .. ومهما قلنا إن الكاتب متأثر بالظروف المحلية فهو في نهاية الأمر يقصد الإنسان بصفة عامة .. ولا بد أن يكون لدى الأديب الشعور بالإنسانية (العالمية) ، فطبائع وغرائز الإنسان واحدة في كل مكان .. **والفن هو اهتمام بالإنسان .. وعليه فالقصاص يهتم بالإنسان من خلال الظروف المحلية التي يعكسها في أعماله بصدق .**

البطل في القصة

— من هو البطل الحقيقي في قصصك الإنسان أم الأحداث؟

● **الإنسان مئة في المئة هو البطل** .. ولكن بي غرام بوصف الأشياء (الأماكن) تكملة للوحة التي أهتم بتقديمها للقارىء **كأنها لوحة مرسومة بالألوان .**

الأدب .. والوسائل الإعلامية

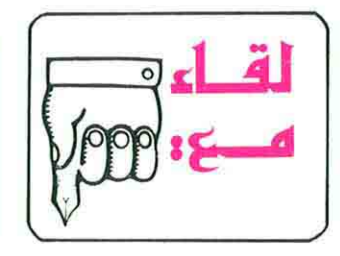
— ما رأيك في استعانة السينما والتليفزيون والإذاعة والمسرح بالأعمال الأدبية .. وهل هذا في صالح العمل الأدبي؟





يحيى حقي في سطور

* ولد في ٧ يناير / كانون الثاني ١٩٠٥م بحارة الميضة بالسيدة زينب بالقاهرة .
* حصل على ليسانس الحقوق عام ١٩٢٥م .
* عين أميناً للمحفوظات بقنصلية مصر في جدة عام ١٩٢٩م ثم في استامبول من ١٩٣٠ إلى ١٩٣٤م حيث تعلم اللغة التركية .
* عمل مأموراً بقنصلية مصر بروما من سنة ١٩٣٤ إلى ١٩٣٩م وتعرف على الحضارة الغربية .. واغترف من آدابها وفنونها .. كما تعلم الايطالية .
* تزوج لأول مرة سنة ١٩٤٢م وأنجب وحيدته «نهى» وتوفيت الزوجة في العام نفسه .
* عمل سكرتيراً أول لسفارة مصر بباريس من ١٩٤٩ إلى ١٩٥١م .. وهناك تعرف بزوجته الحالية وهي فنانة فرنسية .
* نقل مستشاراً لسفارة مصر بأنقرة عامي ١٩٥١ و١٩٥٢م .
* رقي سنة ١٩٥٣م وزيراً مفوضاً لمصر في ليبيا .
* في سنة ١٩٥٥م عين مديراً عاماً لمصلحة الفنون بوزارة الارشاد القومي حتى سنة ١٩٥٨م حين نقل مستشاراً فنياً لدار الكتب المصرية .
* استقال من خدمة الحكومة سنة ١٩٥٩م .
* عين رئيساً لتحرير مجلة «المجلة» من سنة ١٩٦٣ إلى ١٩٧٠م .
* نشر عدداً من القصص والمقالات في صحف ومجلات : (الفجر) - (السياسة) - (المجلة الجديدة) - (الثقافة) - (الكاتب المصري) - (المساء) - (التعاون) .. لم يجمعها في كتبه بعد .
* ألف ستة عشر كتاباً ما بين قصة وسيرة ورواية ومقال نقدي .
* ترجم عدداً من القصص والمقالات والمسرحيات وراجع عدداً آخر .
* نال جائزة الدولة التقديرية في الآداب سنة ١٩٦٩م .





● في بعض الأحوال يلحق الضرر بالعمل الأدبي عند استعانة إحدى قنوات الفن به .. وإن كان في ذلك بعض الخير .. فهذه القنوات الفنية تعرف الناس بالأديب وبعمله الأدبي .. وأتفق أنا مع (**نجيب محفوظ**) و(**توفيق الحكيم**) في أن مسؤولية الكاتب تنتهي عند كتابة العمل الأدبي .. فإذا وفق الكاتب إلى مخرج لديه حاسة أدبية ربما استطاع أن يعكس العمل الأدبي .. أما إذا اهتم المخرج بالأحداث فقط فإنه سوف يأخذ الهيكل العظمي للعمل الأدبي فقط.

وأنا لا أحب أن يكون عين الأديب على الشاشة بل تكون على الورق الذي يكتب عليه .. فنحن نريد أديباً فناناً وهناك فرق كبير بين الأديب وكاتب السيناريو.

الاقتباس .. والإعداد

— ما رأيك في مسألة الاقتباس والإعداد بحجة أنه لا يوجد نص مسرحي أو روائي أو قصصي جيد لدينا؟

● **لماذا نقتبس**؟! إن حياتنا وظروفنا مليئة بالأفكار وغنية بالموحيات .. فقط علينا أن نخرج من العاصمة كما فعل (**عبد الله الطوخي**) وركب النهر وكتب لنا قصة رائعة عن رحلته في النهر .. (**موسى صبري**) عندما ذهب إلى صحراء البحر الأحمر وكتب قصة جميلة نال عليها جائزة موبل أويل .. (**محمد صدقي**) الذي ذهب وعاش في إحدى القرى ليكتب قصته .. وغيرهم من الكتاب المصريين والعرب أيضاً ..

وما موقفنا ونحن نقرأ شعر (**كافافي**) الشاعر اليوناني الذي استطاع أن يعبر عن روح **الاسكندرية** .. في حين أننا قلما نجد رواية أو قصة مصرية تحمل روح الاسكندرية مثلما استطاع هذا الشاعر الممتاز أن يعبر عنها بالكلمات الشعرية.

إن مسألة الاقتباس كان لها مبررها في الماضي .. أما الآن فهي صورة من صور عجز كتابنا عن الحركة والبحث عن موضوعات.

حركة النقد

— وماذا تقول عن حركة النقد عندنا اليوم؟

● الحركة النقدية اليوم غارقة في تحديد المدارس والقوالب الأدبية .. هذا التحديد الذي فصل الأعمال الأدبية عن المنبع الأصلي وهو (**الفن**) الذي هو جوهر الأعمال الأدبية تماماً مثلما نقول إن جوهر الإنسان هو الروح وإنسان بلا روح إنسان لا وجود له .. وكذلك فالعمل الأدبي الخالي من الفن لا قيمة له ولا بقاء له.

كما إنني أعيب على الحركة النقدية عدم اهتمامها بتحديد الألفاظ وتعريف اللغات الخاصة بكل لون من ألوان التعبير.

كما أعيب على الحركة النقدية أيضاً أنها لا تواكب الإنتاج الأدبي الحديث سواء في مصر أو في العالم العربي.

علاقة العمر بالعطاء

— في تقديركم هل ازدهار الإنتاج الفكري والأدبي والفني يرتبط بعمر معين لدى الكاتب؟ وماذا يعني توقف الكاتب عن العطاء؟ وهل هذا مرتبط بعمر معين أم بظروف خارجة عن إرادته؟

● هذا ما نسأل فيه الأطباء لنعرف حالة الغدد وخلايا المخ .. ويجدر بالأديب أو الفنان أن يعرف متى ينزل الستار؟؟

— ولكن إذا وجهنا السؤال لكم فبماذا تجيبون؟

● أقول لك إنني توقفت عن العطاء ليس لأسباب صحية .. وإلا لما تمكنت من الجلوس معك هذه الساعات نتحدث عن القصة القصيرة وقضايا الأدب والثقافة.

— إذن لماذا توقفت عن العطاء منذ سنوات؟!

● ليس لدي أي اجابة على هذا السؤال وكل ما أستطيع أن أقوله: هو أنه بعد هذا المشوار الطويل منذ الثلاثينات حتى الستينات من هذا القرن **لم أبلغ كل ما أريد ..!**

قالوا عن: الكتب

قيل لسقراط أما تخاف على عينيك من ادامة النظر في الكتب ؟ قال : إذا سلمت البصيرة لم أحفل بسقام البصر .

★★ الكتاب الذي يستحق أن يقرأ مرتين لا يستحق أيضاً أن يقرأ مرة واحدة .

ك . ي . فيير

★★ لا تغني الكتب عن تجارب الحياة ولا تغني التجارب عن الكتب .

عباس العقاد

★★ كم من الثراء في الكتب وكم من البؤس في أكواخ الغش .

شارل فورييه

★★ معظم القراء يضعون كتبهم في مكتباتهم ومعظم الكتّاب يضعون مكتباتهم في كتبهم .

شامغور

★★ ينبغي أن تكون كل عبارة بحد ذاتها بناء حسن التناسق ومجموعة هذه الأبنية هي المدينة التي هي الكتاب .

بودلير

★★ إن المرء ليقرأ بعض الكتب وهو يشعر بأنه إنما يتصدق على المؤلف بقراءته .

هيبل

★★ يبدو أن بعض الكتب قد كتبت لا ليتعلم الناس منها شيئاً ، بل ليعرفوا أن المؤلف كان يعرف شيئاً .

جوته

★★ كلما كثرت الشرطات في كتاب قلت فيه الأفكار .

شوبنهاور



★ عباس العقاد ★



★ جوته ★



★ بودلير ★

أبو عطاء السندي الشاعر

بقلم : د. مصطفى ابراهيم حسين

نسبه وعجمته

هذا شاعر سندي الأصل . **والسند** هي ـ الآن ـ إحدى ولايات دولة **باكستان الاسلامية** ، فتحت على عهد **الحجاج بن يوسف الثقفي** ، والي **العراق** في خلافة **الوليد بن عبد الملك** مع نهاية القرن الأول الهجري . وعلى أثر هذا الفتح المبارك ، تدفق مسلمو الهند ، وما جاورها على العراق والشام ، واندمجوا في المجتمع العربي ، ثم تعربوا ، وأتيح لطائفة منهم حظ موفور من النبوغ الفكري والفني ، فكانوا لغويين ونحاة ومحدثين وشعراء(١) .

ومن هؤلاء الشعراء **أبو عطاء** ، الذي تقدمه هذه الدراسة ، وتلقي الضوء على نشاطه الشعري .

واسم أبي عطاء « **أفلح بن يسار** » . اتفقت على ذلك أكثر المصادر ، إلا **ابن قتيبة** ، فقد ذكر أنه « **مرزوق بن يسار** »(٢) .

وأما عطاء ، الذي تكنى به ، فكان غلاماً له ، وصفه **أبو الفرج الأصفهاني** بأنه « فصيح » كما ذكر أن أبا عطاء قال له : « قد جعلتك ابني ، وسميتك بكنيتي » ، فكان يرويه شعره ، فإذا قدح من يجتديه أو ينتجعه ، أمره بانشاده ما قاله .

ووالد أبي عطاء ، وهو يسار ، لم تكشف لنا المصادر عن أمره ، بأكثر من أنه كان « سندياً أعجمياً لا يفصح »(٣) .

وعلى الرغم من تعرب أبي عطاء ، واكتسابه السليقة العربية في التعبير الشعري ، فقد ظلت تلازمه ـ شأن أكثر أهل السند خاصة ـ « لكنة شديدة ولثغة ، فكان لا يفصح »(٤) .

وكانت تستعصي على لسانه الأعجمي ، حروف عربية بالذات : فالشين المعجمة ينطقها سيناً مهملة ، والجيم ينطقها زاياً ، والحاء ينطقها هاء ، وهكذا .

وسوف نرى أن هذه العجمة في النطق ، قد أغرت به أهل الفكاهة ، فكانوا يتندرون به ، ومن هؤلاء : **حماد الراوية ، وحماد عجرد ، وحماد بن الزبرقان**(٥) .

كما سوف نلاحظ ـ أيضاً ـ انعكاس هذه العجمة على نشاطه كشاعر ، فقد اختص غلامه ـ لفصاحته ـ بانشاد شعره ، كما شكا من عجمته في بعض أشعاره .

ولم يكن أبو عطاء حراً ، بل كان عبداً ، انتسب ـ على عادة الموالي ـ إلى قبيلة عربية ، وهي **قبيلة بني أسد** . فهو ـ إذن ـ أسدي بالولاء . وقد أعتقه قومه ، وإن أعنتوه وطمعوا في ماله ، حين لاحظوا عليه الثراء بعد عتقه .

مولده ووفاته

لا تشير أخبار أبي عطاء السندي، في مظانها المختلفة، إلى تاريخ مولده، أو وفاته، بل لا تفصل لنا قولا يعين الباحث على تحديد المولد والوفاة. وكل ما تذكره أنه كان «من مخضرمي الدولتين»، وأنه قد مات عقب أيام الخليفة العباسي، **أبي جعفر المنصور**[٦].

مصادر آثاره وأخباره

أما عن المصادر التي عنيت بذكر أخبار أبي عطاء وآثاره، فإن في مقدمتها كتاب **الأغاني**، لأبي الفرج الأصفهاني، ثم تأتي بعده سائر المصادر، منها **الشعر والشعراء** لابن قتيبة، **ومعجم الشعراء** للمرزباني، **وديوان الحماسة** لأبي تمام، **وحماسة البحتري**، **والأمالي** لأبي علي القالي، والطبري في **تاريخ الأمم والملوك**، وابن خلكان في **وفيات الأعيان**.

وتتفاوت المصادر في درجة اهتمامها بين أخباره وأشعاره، كما تتفاوت مادتها طولا وقصراً، ولكن يظل لصاحب الأغاني، أوفر الحظ، من حيث كثرة ما روى، ومن حيث توثيقه مروياته بأسانيده - على عادته - أو ذكر الكتب التي نسخ منها.

إلا أن كتاب الأغاني، وغيره من المصادر، لا يوقفنا على ديوان مجموع لأشعار أبي عطاء السندي. غير أن **طائفة من جلة علماء باكستان المستعربين قد عكفوا على جمع أشعار أبي عطاء** من المظان التي تعرق بين دفاتها، وذلك تحت عنوان: **نتف من شعر أبي عطاء السندي**، ونشروا هذا المجموع في **حيدر آباد** عام ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م، مع مقدمة لعلامة العربية الكبير **عبد العزيز الميمني الهندي الراجكوتي، عن لجنة إحياء الأدب السندي**[٧].

لغة أبي عطاء

تتميز لغة أبي عطاء السندي بسمتين أساسيتين:

- **الأولى**: سمة البساطة والوضوح.
- **والثانية**: سمة الأصالة العربية، سواء في المفردات، أو في التراكيب.

فلا نكاد نقع - في شعره - على لفظة نابية، أو تعبير مستهجن. **فأبو عطاء - إذن - عربي السليقة، وإن كان أعجمي النسب واللسان**.

من هنا استحق ثناء العلماء عليه، فابن قتيبة يصفه - في الشعر والشعراء - بأنه: «**كان جيد الشعر**»[٨]، كما يصفه **أبو عبيد البكري في كتابه «اللآلي في شرح أمالي القالي»** بأنه «من أحسن الناس بديهة وأشدهم عارضة وتقدماً»، وبأنه «شاعر فحل في طبقته»[٩].

وقد أثنى الأصمعي الراوية (ت ٢٠٩ هـ) على شعر أبي عطاء، فقال في كتابه (**فحولة الشعراء**):

«أبو عطاء السندي عبد أخرب مشقوق الأذن»، فقال له أبو حاتم: «أوكان في الأعراب؟»، قال له الأصمعي: «لا.. ولكنه فصيح»[١٠].

كان يستخلص من بعض المرويات، أن الأصمعي، كان يدافع عن شعر أبي عطاء ويمتدحه لمن يظهرون الغض منه، والتقليل من شأنه.

وحكم الأصمعي - بالذات - له وزنه، فهو أوسع أهل جيله رواية، وأكثرهم بصراً بالشعر وأقدار الشعراء. ويستوقفنا فيما سقناه تساؤل أبي حاتم (أوكان أبا عطاء من الأعراب؟). فإن هذا التساؤل يدل على ما تميزت به لغة أبي عطاء من الفحولة والسلامة، حتى حسبه بعض العالمين بالشعر من الأعراب.

ويوقفنا ذلك كله على الدور الذي أداه الأعاجم للعربية، لغة وأدبا، وما يكشفه هذا الدور عن عبقرية هذه اللغة، وتفردها بخصائص تميزها على سائر اللغات.

ولاؤه السياسي للأمويين

روى صاحب الأغاني عن **الأخفش وثعلب** أن أبا عطاء «كان من **شعراء بني أمية** ومداحيهم والمنصبي الهوى إليهم»، كما يذكر أيضاً أنه حين أدرك دولة بني العباس «لم تكن له فيها نباهة، فهجاهم»[١١].

ولم يقف أمر أبي عطاء عند امتداح الأمويين وهجاء العباسيين، بل إنه **قاتل في صفوف بني أمية ضد خصومهم من بني العباس**.

وفي شعر أبي عطاء **مدح** سافر للأمويين، **وهجاء** سافر للعباسيين، وهو في الأمرين يورد القول تصريحاً لا تلميحاً. حيث يعلن حبه لبني أمية، وانحرافه عن بني العباس. فمن ذلك قوله:

أليس الله يعلم أن قلبي
يحب بني أمية ما استطاعا
ومالي أن يكونوا أهل عدل
ولكني رأيت الأمر ضاعا

وفي بعض أهاجي أبي عطاء لبني العباس، يهجو بني هاشم، ويبطل دعوى أحقيتهم بالخلافة، ويدعوهم إلى العودة للصحراء. يقول:[١٢]

بني هاشم عودوا إلى نخلاتكم
فقد قام سعر التمر صاع بدرهم
فإن قلتم رهط النبي وقومه
فإن النصارى رهط عيسى بن مريم

والبيت الأخير ينقض قول **الكميت** في تأييد حق الهاشميين:

بنو هاشم رهط النبي فإنني
بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب

صدق مشاعره

أبو عطاء السندي شاعر صادق في تعبيره الفني ، وصدق تعبيره يتسق مع صدق مواقفه . وذلك واضح في مدحه الأمويين ، وهجوه العباسيين ، بعدما دالت دولة بني أمية ، وقويت دولة بني العباس .

وموقف أبي عطاء هنا يدل على أن الشاعر العربي القديم ، لم يكن ـ دائماً ـ يمدح طمعا ، ويهجو رهبا وخشية . بل كان من الشعراء من تحكمهم سلامة المبدأ وصدق المشاعر .

ولعل من دلائل الصدق ، في شعر أبي عطاء ، مرثيته لأحد خصوم بني العباس الثائرين عليهم ، حتى الموت ، وهو **نصر بن سيار** ، ومنها :

فاضت دموعي على نصر وما ظلمت
عين تفيض على نصر بن سيار
يا نصر من للقاء الحرب إن لقحت
يا نصر بعدك أو للضيف والجار
ماض على الهول مقدام إذا اعترضت
سمر الرماح وولى كل فرار
إن قال قولا وفى بالقول موعده
إن الكناني واف غير غدار[13]

عجمته وسواده

ذكرنا في ثنايا القول ، أن أبا عطاء قد جمع بين سواد البشرة ، وعجمة اللسان . وأن ذلك قد أغرى به أهل الدعابة من الأدباء . وربما كانت لكنته وعجمة لسانه أشد وطأة على نفسه من سواده ودكنته ، لأن هذه العجمة لم تجعله قادراً على إنشاد شعره ، حيث عهد بانشاده إلى غلامه . وقد حرك هذا العجز مشاعر المرارة في نفس الشاعر فقال موجهاً القول إلى صديقه سليمان بن سليم :

أعوزتني الرواة يا ابن سليم
وأبى أن يقيم شعري لساني
وغلى بالذي أجمجم صدري
وجفاني لعجمتي سلطاني
وازدرتني العيون إذ كان لوني
حالكا مجتوى من الألوان[14]

ويمضي الشاعر ، فيذكر عقدته النفسية ، فيتمنى أن لو فقد بعض أعضائه في سبيل زوال عجمته :

فضربت الأمور ظهرا لبطن
كيف أحتال حيلة لبياني
وتمنيت أنني كنت بالشعر
(م) فصيحا وبان بعض بناني[15]

فكاهته وظرفه

كان أبو عطاء ـ مع عجمته ودكنته ـ مرحاً خفيف الظل ، وقد انعكس ذلك في شعره ، وبخاصة أهاجيه . فمن ذلك **هجاؤه بغلة** كانت لصديقه **أبي دلامة** ، ثم اضطر الصديق إلى بيعها حين خاف أن تشتهر بهجاء أبي عطاء ، فتجلب العار عليه ، يقول الشاعر :

أبغل أبي دلامة مت هزلا
عليه بالسخاء تعولينا
دواب الناس تقضم ملمخالي
وأنت مهانة لا تفصحينا
سليه البيع واستعدي عليه
فإنك أن تباعي تسمنينا[16]

وواضح أن في ثنايا هجاء البغلة تعريضاً بصاحبها أبي دلامة وهجاء له .

إن دعابة أبي عطاء وظرفه قد أبعدت هجاءه عن البذاءة والاسفاف اللذين شاعا بين أقرانه ومعاصريه من الشعراء وبخاصة أهل الهجاء منهم ، وجعلته لوناً محبباً من الفكاهة التي يحبها الفضلاء من الناس .

وبعد :

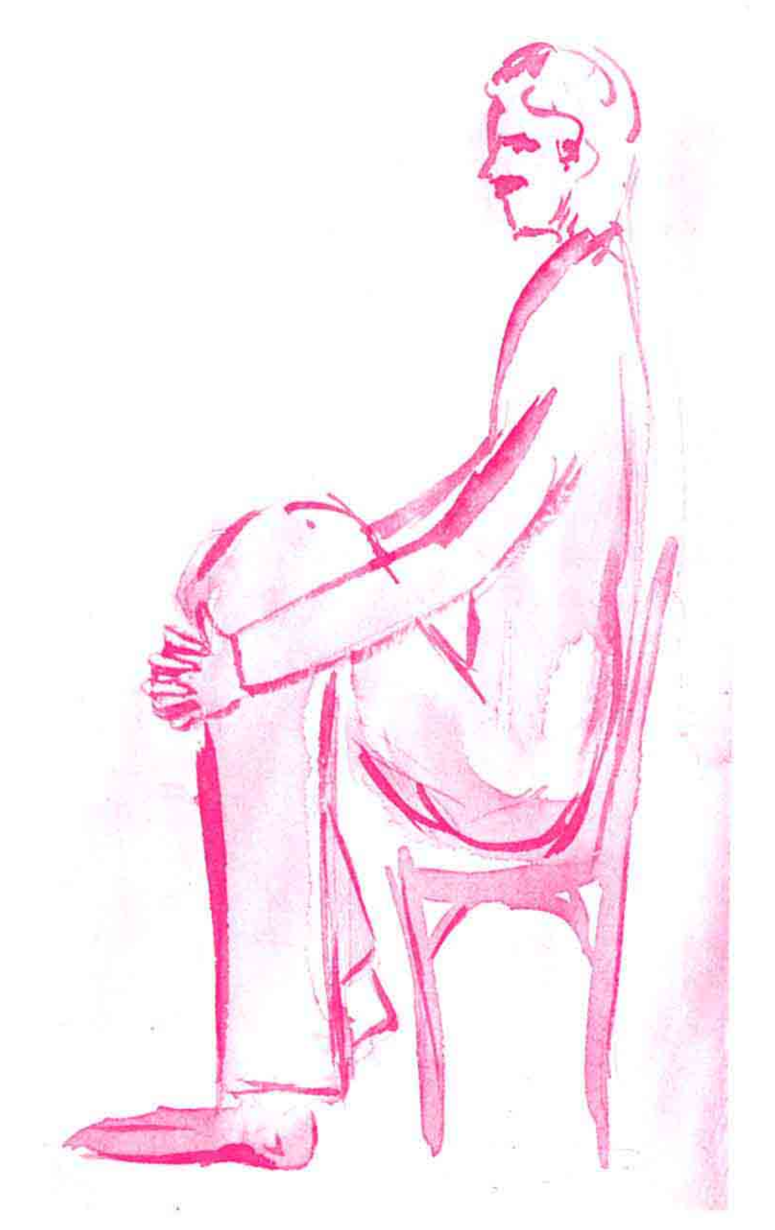
فإن ما وصلنا من شعر أبي عطاء السندي نزر يسير ، ولكنه لا يفقد الدلالة على الطابع الفني لهذا الشعر ، وعن اسهام الأعاجم المستعربين ودورهم في الحياة الأدبية .

المراجع والهوامش

١ ـ أنظر مقدمة العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي لديوان أبي عطاء السندي (ط حيدر آباد ١٣٨١ هـ) .
٢ ـ الشعر والشعراء : ص ٧٦٦ ، بتحقيق العلامة أحمد شاكر ، (ط دار المعارف بمصر ١٩٦٦ م) .
٣ ـ الأغاني : ١٧ / ٣٢٧ ، بتحقيق علي محمد البجاوي ، (ط الهيئة المصرية العامة ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م) .
٤ ـ المرجع السابق .
٥ ـ الأغاني : ١٧ / ٣٣٠ ، حيث أورد خبراً طويلاً لتندر الحادين الثلاثة بعجمة أبي عطاء . وتكرر الخبر في الشعر والشعراء .
٦ ـ الأغاني : ١٧ / ٣٢٧ .
٧ ـ حقق الديوان المذكور وخرج أبياته الدكتور نبي بخش بلوص .
٨ ـ الشعر والشعراء : ص ٧٦٦ .
٩ ـ سمط اللآلي : ص ٦٠٢ ، بتحقيق العلامة الميمني الراجكوتي . (ط التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤ هـ) .
١٠ ـ فحولة الشعراء للأصمعي : ص ٢١ ، بتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وطه الزين .
١١ ـ الأغاني : ١٧ / ٣٢٩ .
١٢ ـ نفس المرجع ، وأنظر الديوان ص ١٨ .
١٣ ـ نفس المرجع ، وأنظر الديوان ص ١٦ .
١٤ ـ نفس المرجع ، وأنظر الديوان ص ٢٤ .
١٥ ـ نفس المرجع ، وأنظر الديوان ص ٢٤ .
١٦ ـ نفس المرجع ، وأنظر الديوان ص ٢٣ .

ألدوس هكسلي
المتشائم المرح

بقلم : نهاد شريف



« اللجة متسعة مضطربة إنه المحيط الهادي . . ولدى الأفق البعيد يلوح شاطىء صامت مهجور قد امحت معالمه . . هو **شاطىء كاليفورنيا** . . وثمة سفينة تحمل علم **نيوزيلندا** . . تقترب في بطء وتلكؤ . . لقد أشرقت شمس الثاني عشر من **فبراير (شباط) عام ٢١٨٠ م** ، وأما هؤلاء الرجال والنساء المحدقون من أعلى سياج السفينة فهم جماعة العلماء والمستكشفين النيوزيلنديين . . فإذا ما اندلعت **الحرب العالمية الثالثة** فإن قرار نيوزيلندا كان اعتزال العالم لتنجو من شرور القنابل النووية وأشعة الموت وتفشي الجراثيم . . ونفذت نيوزيلندا قرارها فاعتزلت الدنيا مئة عام كاملة ، لا يدخلها ولا يغادرها مخلوق ، بينما الحرب العالمية الثالثة تدك أركان الأرض . . إنه فناء شامل . مخيف . . رهيب .

وفي عام ٢١٨٠ م ، كانت المئة عام قد ولت فقررت نيوزيلندا الخروج من عزلتها . . عندئذ أرسلت على متن هذه السفينة أول بعثة من علمائها . . ليكتشفوا **أميريكا . .** لكن من الغرب وليس من الشرق كما فعل **كولومبوس** قديماً » .

هكذا أعلن **هكسلي** عن تشاؤمه الصارخ في روايته **(القرد والجوهر)** . . كما دأب من قبل على تأكيد نفس المخاوف التي تعتصر قلبه وصدره ويرتجف لها فكره في أغلب ما سجله على الورق .

فمن هو ذلك الكاتب المتشائم الذي كرس قلمه من أجل تحذير البشرية من مغبة أطماعها وأنانيتها وشرورها ؟ من هو أكثر المتشائمين مرحاً أو من هو « المتشائم المرح » كما أسموه ؟

ما أعقد الحياة ...
.. وما أسهل النظريات ...

بيئته .. ونشأته

ولد **ألدوس ليونارد هكسلي** في ٢٦ يوليو (تموز) عام ١٨٩٤ م، بايتون في **انجلترا** .. وكان الابن الثالث لأسرة عريقة تعددت فيها المواهب ... **فأبوه** ليونارد هكسلي الذي ولد عام ١٨٦٠ م، وكان ابن توماس هنري هكسلي العالم، أما أمه **جوليا آرنولد** فكانت ابنة أخ **ماثيو آرنولد** مبدع **(رستم وسهراب)** وغيرها من القصائد الرائعة إلى جانب تأليفه عديد من كتب النقد الأدبي مثل كتابه الذائع **(الثقافة والفوضوية)** .. كما كانت جوليا حفيدة **توماس آرنولد** القسيس وناظر **مدرسة رجبي** الشهير الذي أدخل الكثير من الإصلاحات على نظام المدارس الانجليزية العامة .. كما تزوجت أختها ماري أوجستا آرنولد بالناقد والمحرر **توماس همفري** عام ١٨٧٢ م، وكانت من أبرز الروائيات في عصرها، وقد نالت روايتها **(روبرت الزمير)**، شهرة واسعة في أوروبا وأمريكا .

وتضم أسرة هكسلي غير هؤلاء من كان عالماً أو باحثاً أو شاعراً أو روائياً. فلو تصورنا أي مجموعة من الرجال الممتازين التفت حول فراش مولد الصغير ألدوس لأدركنا مدى ما يسري في دمائه من مواهب وقدرات .

على هذه الصورة كانت البيئة التي نشأ فيها ألدوس هكسلي، فهي بيئة جوادة سخية في علمها وتهذيبها وثقافتها .. وقد عين أبوه أستاذاً مساعداً لليونانية **بجامعة سانت آندروز** ولما يتجاوز عمره الثالثة والعشرين .. ثم أصبح رئيساً لتحرير **مجلة (الكورنهيل)**، وهي من أبرز المجلات الانجليزية كما عين مستشاراً أدبياً لمؤسسة **(سميث والدر)**، للطبع والنشر وظل محتفظاً بالمنصبين لسنوات عدة .

وهكذا ورث ألدوس هكسلي العلم من أسرة أبيه والأدب من أسرة أمه فليس بمستغرب أن يصير أديباً وأن تتجلى في نفس الوقت روح العلم في أدبه بصور شتى .. بل إنه وقد أصبح صبياً أراد أن يتخذ العلم مهنة له كجده وأخيه الأكبر جوليان عالم البيولوجيا .. إلا أنه أصيب وهو طالب في **كلية ايتون** بمرض في عينيه كاد يفقده البصر تماماً .. وقضى ألدوس أياماً قاسية بلياليها في غرفته المظلمة لا يقدر على القراءة ولا تقع عيناه على شيء .. فانقلب إلى دخيلة نفسه ينقب فيها ويتأمل في أمور الحياة من خلالها .. وكان لهذه الفترة أثرها البالغ في كافة ما كتب فيما بعد .. حتى أفلح العلاج الطويل فاسترد بعضاً من بصره ليعيش بقية عمره ببصر ضعيف وعينين مجهدتين .

بعد كلية ايتون التحق ألدوس **بجامعة أكسفورد** ليدرس **الأدب الانجليزي القديم والآداب الإغريقية واللاتينية** بعد أن حال ضعف بصره بينه وبين دراسة الطب .

حياته الأدبية .. وأعماله

وجرياً على عادة الكتّاب المعاصرين فقد **بدأ ألدوس هكسلي حياته الأدبية بالشعر ..** فنشر أول أشعاره في مجلة **(هويلز)**، ثم جمعها في ديوان أسماه **(العجلة المحترقة)** أصدره عام ١٩١٦ م .. وفي نفس العام اشترك مع أدباء غيره في جمع ديوان **(شعر أكسفورد)** .. وقد ظل شاعراً طوال حياته مخالفاً بذلك الغالبية من أدباء عصره الذين انتقلوا من الشعر إلى النثر، وعرف طيلة حياته بالشاعر الثائر على « ازدياد نفوذ العلم في الحياة » .

وفي عام ١٩١٩ م، **تزوج** ألدوس هكسلي بماريا نايز وهي بلجيكية كانت لاجئة في بريطانيا وأنجب منها ولداً واحداً .. وقد اتجه ألدوس بعد تخرجه من الجامعة إلى الاشتغال بالصحافة فكتب مقالات في شتى أمور الحياة بمجلات **« أثينيوم »** و **« فوج »** و **« فينيتي فاير »** .. وفي رأيه أن العمل في **الصحافة** يفيد الكاتب الناشيء فهو فترة تمرين حقيقة تكسب الكاتب الأسلوب السلس كما تعوده النظر إلى الأمور من عدة زوايا .. لذلك فقد سجل خلاصة تجاربه الصحفية في مقالات لاذعة نشرها تحت عنوان **(على الهامش)**، ثم جمع بعدئذ بعضاً من قصصه القصيرة في كتابه **(السجن ٣٠)** الذي قدمه إلى جمهوره بادئاً به عهداً جديداً - وحقيقياً - في حياته الأدبية الحافلة .

وقد قضى ألدوس هكسلي الجانب الأكبر من حياته خارج موطنه الأصلي الجزيرة البريطانية .. فرحل عقب زواجه إلى **فرنسا ..** وبين عامي ١٩٢٣ - ١٩٣٠ م، عاش في **إيطاليا** برفقة صديقه **د . هـ . لورنس** وإن تخلل وجوده بإيطاليا القيام بأسفار واسعة إلى **الهند وبورما**، حيث كتب عنها وصفاً ممتعاً عام ١٩٢٦ م .. ثم عاوده الحنين للترحال فقصد **أمريكا الوسطى** عام ١٩٣٤ م، وزار كل من **المكسيك وجواتيمالا وهندوراس وجزر الهند الغربية**، وسجل مشاهداته في كتابه **(فيما وراء خليج المكسيك)** .. لكنه قبيل قيام الحرب العالمية الثانية كان قد مل الطواف فقرر الاستقرار نهائياً بالولايات المتحدة الأمريكية فاختار عام ١٩٣٧ م، **ولاية كاليفورنيا** وظل مقيماً بها بقية عمره .

وبعد (السجن ٣٠)، كتب ألدوس عام ١٩٢١ م، أولى رواياته المطولة **(الكروم الأصفر)** والتي أتبعها في العام التالي بروايته الثانية **(المنحنيات المهلكة)** .. وتتضح في هاتين الروايتين روح السخرية التي أخذها ألدوس عن الكاتب الانجليزي **توماس بيكوك** المعروف بسعة الاطلاع وروح التهكم .. وعلى هذا النهج استمر ألدوس يكتب رواياته فلم يكن يوماً روائياً بالمعنى الصحيح، وإنما هو رجل واسع الاطلاع متهكم من الناس .. فإذا كانت مقدرته على **القصة القصيرة** عظيمة فإنه حينما يكتب الرواية يتخذ من

... وبين هذا وذاك .. يتخبط الواحد منا ، وتختلط دنياه ..

ألدوس هكسلي

خياله الروائي وسيلة ناجحة لبث آرائه .. وإذا كانت كتاباته وهو شاب قد اتسمت بالحذر والتشكك وعدم الميل إلى الغلو الأخلاقي فإنه تحت ظاهرة المتهكم الساخر قد احتفظ دائماً بعنصر جاد لا يقل وقاراً ورصانة عن أسلوب عم أمه ماثيو آرنولد .

وكانت أهم المؤثرات في تطور أسلوبه المبكر كتابات الأدباء الفرنسيين في أواخر القرن ١٩ وأوائل القرن ٢٠ ، وخاصة **رمبود ولافارج وأناتول فرانس** كما شغف بكتابات **ريميه دي جومون** بسبب اهتمام ريميه بالتاريخ الطبيعي .. كما كان **لمارسيل بروست وأندريه جيد** أبلغ الأثر على الشاب ألدوس لكنه يراجع نفسه فيقول إنه عندما عاد إليهم بعد أن تعدى طور الشباب أصيب بخيبة أمل وبالذات بالنسبة لأناتول فرانس الذي لم يعد في رأيه يجاري هذا العصر .

وأضاف ألدوس هكسلي جديداً من مؤلفاته بكتابه **(الوسائل والغايات)** وهو دراسة كتبها عام ١٩٢٣ م ، وتضم عرضاً ونقداً وإصلاحاً لوسائل الحكم والإدارة الحديثة وللحروب ولفكرة المساواة وللتعليم والأخلاق وغير ذلك من موضوعات تهم جمهرة المثقفين .. وفي عام ١٩٢٥ م ، كتب روايته **(أوراق النبات غير المثمر)** وفيها تعجب ألدوس لكمية الجهل التي تسود العالم ولضعف النظرة التركيبية لدى المفكرين والباحثين .. كما تعجب لاهتمام الناس بالتاريخ والتراث دون العلوم ، بل إنه ناشد الكتّاب أن يلموا بشيء من العلوم والرياضيات وأنماط التكنولوجيا الحديثة .. وأنهى عام ١٩٢٧ م ، مجموعة مقالاته بعنوان **(دراسات صحيحة)** ، وعام ١٩٢٨ م ، رواية **(وجهات نظر متعارضة)** ، وعام ١٩٢٩ م ، مجموعة ثالثة من المقالات بعنوان **(أعمل ما شئت)** .

ولما كان ألدوس هكسلي من **أبناء الطبقة المتوسطة** فلا هو بالغني فيتوفر له الفراغ وليس هو بالمعدم الذي يشغل كل وقته بكسب القوت .. فقد عبر عن ذلك في كتاباته الأخيرة بالسخرية من أبناء الطبقة الرفيعة كما أعلن فيها عن تقززه واشمئزازه من الفقر المدقع وإن لم يخف عطفه على الفقراء .. وانتهى إلى ما يشبه اليأس أو الضياع فهو لا يجد نفعاً في أي شيء .

عالم جديد في الخيال

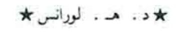
عندئذ مل ألدوس النقد والسخرية إلى حين وانصرف إلى التفكير في مستقبل العلم والعلماء ، فكتب عام ١٩٣٢ م ، روايته المستقبلية **(عالم جديد شجاع)** والتي تندرج كذلك تحت باب **قصص الخيال العلمي ..** وفي روايته هذه يتخيل ألدوس هكسلي مدينة فاضلة للعلماء بكل ما تضمه من مساوىء .. فهي مدينة آلية تخضع مقدراتها لسيطرة **التكنولوجيا ..** وكل شيء فيها مدروس ومرسوم ومحفوظ في مكانه المحدد بينما الصفة الإنسانية تكاد تنعدم كلية .. وفي المدينة يصل العلم إلى حد الاستغناء عن الزواج .. فالأجنة تكوّن في القوارير بطريقة علمية بدلا من تكوينها في الأرحام .. والأطفال بحكم تركيبهم الكيميائي هم طبقات خمس : أ ، ب ، جـ ، د ، هـ .. وهكذا كل طبقة تعد بما يلائم تكوينها الجسماني واستعدادها العقلي وعليها بالتالي أن تؤدي في الحياة منهجاً لا تحيد عنه قط .. وبين أبناء الطبقة الواحدة تشابه كبير يصل حد التطابق وتكاد تنعدم معه شخصيته الفردية .

وفي النهاية تعطينا مدينة هكسلي صورة لعالم جديد تسوده الآلات والعقاقير وتختفي منه العواطف والأحاسيس والجمال .. **إنه خوف المؤلف الصارخ من سيطرة العلم على حياة ومقدرات البشر ..** فإن كان العالم الجديد يعلن أن همه الأول توفير السعادة لأبنائه قبل توفير المعرفة فإنها سعادة آلية محضة لا تستتبنها الميول الشخصية وإنما هي تفرض على النفوس فرضاً .

والعالم الجديد كل شيء فيه يجاب بالضغط على الأزرار ، ولا مراء أن هذه الحياة رغم يسرها الشديد تدعو إلى الملل .. كما تؤدي إلى إهمال الفنون الرفيعة وتقتل الابداعات والشعور الديني والروح العلمية التي تهتم بالكشف عن أسرار الطبيعة أكثر من اهتمامها بسعادة الإنسان وراحته .. **وجملة القول إن رواية (عالم جديد شجاع) تعد قصة ذات أساس علمي تهتم بنقد الحضارة الإنسانية الآخذة بالتقدم العلمي دون حذر أو روية .. كما تشرح من وجهة نظر المؤلف مدى الأضرار الممكن حدوثها مستقبلاً مع ازدياد سطوة العلم وتفوق التكنولوجيا الحديثة دون كبح جماحها .**

وكأن ألدوس هكسلي من كثرة تفكيره في مستقبل البشرية وما يخبئه لها القدر ومن طول محاولته رسم طريق مستقبل أفضل لسكان كوكب الأرض .. كأني به يخاطب البشر من خلال روايته هذه فيقول لهم : انظروا هذا هو واقعكم . وهذا الواقع سيؤدي بكم مستقبلاً إلى مثل هذه المخاطر أو الكوارث .

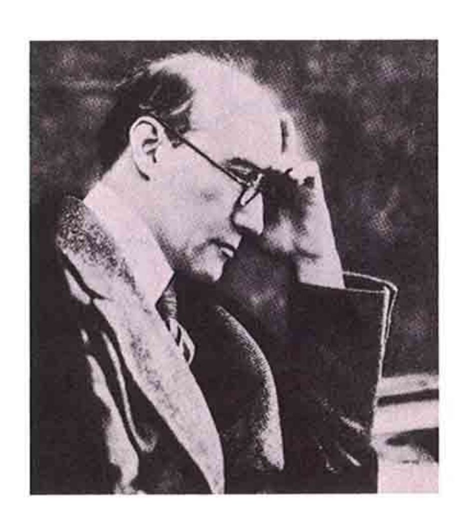
وقد عاش ألدوس هكسلي حياته وهو يؤمن أن الكتابة قدر فرض عليه وأنه يتحتم الامتثال لقدره يومياً .. لهذا فقد قسم يومه إلى ساعات خمس للكتابة صباحاً وقبل العشاء وساعتين أو نحوهما للقراءة والتأمل قبل النوم .. ويعلن ألدوس أنه لم يرض قط على عمل كتبه للوهلة الأولى ، فطالما حذف أو أضاف أجزاء إلى النص ، بل قد يصل الأمر إلى إعادة كتابة غالبية ما سبق أن دوّنه قبل أن يأذن في النهاية بنشره .. فإذا ما نشر لم يعد إليه على الاطلاق .. وأما رواياته فقد كان يتولى كتابتها فصلاً وراء فصل دون أن يحتوي ذهنه عند البدء غير صورة عامة لما عزم على تسجيله .

★د. هـ. لورانس★



★مارسيل بروست★



★أندريه جيد★

وفي عام ١٩٣٦م، كتب روايته **(ضرير في غزة)** وفي عام ١٩٤٠م، كتب دراسة جادة عن **(السلام والعلم والحرية)**.. ثم شغل بمقالاته الصحفية حيناً ليعود بغتة في عام ١٩٤٧م، فيفاجىء قراءه بروايته اللاذعة **(القرد والجوهر)**، وقد أفصح عبر سطورها عن كل ما يختزن في صدره من مرارة وتشاؤم.

و(القرد والجوهر) - **والتي نقلنا سطوراً منها في مقدمة مقالنا** - رواية تتناول أحداثاً تسود دنيانا بعد مرور ٢٠٢ عاماً من اليوم.. فقد تصور مؤلفها ألدوس هكسلي أن الحرب العالمية الثالثة قد نشبت بين أمم وشعوب العالم، وأنه بفعل **القصف النووي والهيدروجيني** قد فنيت الحياة تقريباً من على سطح كوكب الأرض فيما عدا **جزيرة نيوزيلندا** التي سلمت وسلم سكانها من الدمار والإبادة.. ولعل قمة المهزلة التشاؤمية كما رسمها ألدوس بقلمه تتمثل في إعادة اكتشاف أميريكا من الغرب هذه المرة وليس من الشرق كما حدث قبلاً.

شخصيتـه

ترى ما شكل وما صفات ذلك الرجل الذي جرؤ على بث تحذيره الخطير للبشر عبر كتاباته بكل هذا القدر من الحدة والعصبية؟

إن ألدوس هكسلي انجليزي صميم في مظهره.. فهو رمادي العينين ذو شعر كثيف يرتبه إلى الوراء من الجبهة.. وهو طويل القامة نحيل القوام حتى أن **أطفال هامستيد** كانوا يتجمعون حوله في شبابه الباكر ويهزأون من طوله.. وإذا خيل للناظر أن هكسلي - لطول قامته - يعيش في عالم مختلف يشمخ فيه بعظمته وكبريائه، فإنه يجافي بذلك حقيقة الرجل السهلة المتواضعة.. فهو إنسان جم الأدب رخيم الصوت ويتصف بالمرح والخجل الشديدين.. وقد وصفه كل من خالطه بأنه جذاب ساحر الحديث.. كما أنه شغوف بعقد يديه الطويلتين حول ركبتيه حين يجلس ويناقش وبين حين وآخر يكتسي فمه بابتسامة تهكمية هادئة طالما اعترتها مسحة حزينة.. وهو يميل لاستخدام غريب الألفاظ في حديثه لا عن تكلف أو تصنع وإنما لأنه بالفعل مختلف في تفكيره ونوعية خياله.. وله ميل لاختبار وتفهم كل ما هو غير مألوف.. وبالتالي فهو في قصصه ومقالاته وقصائده يكشف عن شخصية متفردة معقدة تستعصي على الفهم وذات ميول متضاربة لا يوازن بينها غير ذهن جبار مشغوف بالتأمل والتفكير.. ولقد سبق ووصف نفسه في كتابه (دراسات صحيحة) بأنه امرؤ مثقف يوجه اهتمامه الأكبر إلى دراسة العالم الخارجي دون التأمل الباطني، وإن اضطر لفعل العكس أثناء مرض عينيه.. كما حلل العناصر المتضاربة في شخصيته عبر مجموعة مقالاته **(اعمل ما شئت)** ووضع خلاصة لفلسفته بناها على الإيمان بمبدأ أساسي هو تعدد جوانب كل شخصية «فهو مولع بالحياة أحياناً. وصوفي في موقف ثان. ومتهكم مليء بالسخرية في موقف ثالث. ومتدين فياض بالإيمان في موقف رابع. إلى آخر مواقف أو جوانب شخصيته المتعددة».

ومن هنا فألدوس هكسلي كاتب مرهف الحس متنوع المواهب. يقول عنه أخوه جوليان إنه الرجل الوحيد الذي يحمل في عقله دائرة معارف [illegible] طرف حول العالم.

وكتب عام ١٩٥٤م، دراسته المعقدة عن **(أبواب الإدراك الحسي)**، وفيها يطرح تساؤله «**كيف تبق عقول بعض الناس يقظة متفتحة حتى سن الشيخوخة بينما يحدث العكس للبعض الآخر في سن مبكرة؟**».

وقد جاء الكتاب ثمرة لتجارب كيميائية كان يجريها ألدوس بالفعل على نفسه.. فقد استهوته في فترة من منتصف عمره فكرة استحضار أنواع من العقاقير إذا تناولها المرء صار أحد ذكاء وأخصب خيالا.. وأكثر صفاء نفسي ومن أجل الوصول إلى هدفه أمضى ساعات طوال في معمله أو معمل طبيب كندي كان يصادقه.. وجرب على نفسه عدداً من العقاقير المهدئة والمخدرة

والمنومة حتى توصل أخيراً إلى استحضار نوعين فعالين من العقاقير هما **الميسكالين والليسيرجيك أسيد** .

ثم عاد في عام ١٩٥٩ م ، فعالج في روايته **(العودة إلى عالم جديد شجاع)** موضوعاً سبق له تناوله ومعالجته .. فنراه في إضافته الجديدة هذه يزداد إصراراً على أن الاستخدام الخاطىء للعلم إنما يعجل بسير العالم نحو الهاوية .. ويسجل في روايته **الجوانب المتعددة لأزمة الإنسان** فيقول : « إنها أزمة ناجمة عن المفاهيم الخاطئة . والوعي الناقص . والزيادة الرهيبة في عدد السكان . وفي تقديري أن ما ذكرت سيؤدي حتماً إلى القضاء على الحكم الديمقراطي ليأتي بدله حكم ديكتاتوري تذوب تحت وطأته إرادة الفرد . فتتجمد العلوم ويشل الاقتصاد . وتتميع الحياة على سطح الأرض » .. والحلول التي يقترحها هكسلي للحيولة دون ما يتوقعه من هلاك للإنسان تتلخص في « تطهير فكر الإنسان من مفاهيمه الخاطئة ووعيه الناقص ، وترشيد البحث العلمي » .

وفي أعقاب روايته الأخيرة أصدر ألدوس كتابه **(مقالات مجموعة)** ، عام ١٩٦٠ م ، تبعه بدراسة فنية **(في الفن والفنانين)** عام ١٩٦١ م .. وفي [redacted] نفس العام ، حلت بهكسلي أسوأ ما أصابه من كوارث .. فقد اشتعل حريق ضخم بتلال **مدينة هوليوود** أتى على ٢٤ بيتاً من ضمنها بيت الروائي ألدوس هكسلي .. **وقد التهمت النيران كل ما في البيت من أثاث وكتب ومخطوطات نادرة وأوراق هامة لا تعوض** .. وإذ نجا ألدوس وزوجته وابنه من الموت بأعجوبة فإنه لم يستطع أن ينقذ من ثروته الفكرية غير مخطوط روايته **(الجزيرة)** .

و **(الجزيرة)** ، هي اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة الكاملة التي أصدرها عام ١٩٦٢ م .. وفي هذه الرواية لا يصور لنا ألدوس أهوالا جديدة لعالم المستقبل ولكنه يقيم لنا نموذجاً أخاذاً لدولة مثالية في جزيرة تقع بالقرب من **أندونيسيا** .. أي تقع في مكان من كوكب الأرض ناء عن الحضارة الفاسدة التي يعيش في جوها غالبية البشر .. والجزيرة لبعدها أيضاً فهي لا تتبع الشرق ولا الغرب على السواء وإنما هي عالم مستقل بمذاهبه وآرائه الجديدة .. وعالم الجزيرة أشد تفاؤلا لمستقبل الإنسان من كافة ما كتب هكسلي قبله .. **فهي** جزيرة قصية في موقع من المحيط أخاذ .. وسكانها مكتملو الأجسام جذابون يدينون بآراء هكسلي الذي هو مزيج من الصوفية واليوجا .. والجزيرة غنية بالبترول إلا أن أهلها يكتفون باستخدام الذهب الذي تكتظ به مناجمهم .. وتحسين الطرق الزراعية وتحديد النسل والتلقيح الصناعي أمور شائعة بالجزيرة .. وكل فرد يجد فيها حاجته من الطعام والمتعة والترفيه وينال حظه من التعليم على أحدث أساليب التربية .. كما أن الجميع لا يعرفون الأمراض النفسية ولا التوترات العصبية والوجدانية ، وهم لا يشكون الظلم الاجتماعي ولا حكم الديكتاتورية .

هكذا يحاول هكسلي أن يدخل الشك في روع قارىء روايته (الجزيرة) في كافة ما لديه من مفاهيم وقيم يستمدها من عالم اليوم .. موحياً إليه بأنه إنما يمده بقيم روحية جديدة يأمل أن ينقذ بها مدنية العصر الحديث .. وفي جرأة بالغة يبشر الكاتب عبر روايته بتحرر الفرد من كل قيد ليصور له حياة أفضل كأن لا خلاص إلا عن طريقه هذا . فهل نسي أو تناسى ، ألدوس هكسلي في أخريات أيامه ، ما نادى به في أعماله السابقة خاصة روايته (عالم جديد شجاع) .. وهل أصبحت أخطار الأمس ومحاذيرها هي الطريق لخلاص اليوم .. هل جحيم الأمس قد تحول اليوم إلى جنة ؟

وتثير الجزيرة السعيدة ـ على ضعفها ـ جشع جارتها القوية الطامعة في ثروتها النفطية .. فتهاجمها وتحتلها وتقضي عليها وعلى السعادة الحالمة التي تكتنفها ، وبذا يؤكد هكسلي وجهة نظره **« أن لا مكان لمجتمع سليم وسط عالم شرير مريض »** .

بعد جزيرته أو مدينته الفاضلة لم يكتب ألدوس هكسلي غير دراسة يسيرة أسماها **(بين الأدب والعلم)** وأصدرها في أوائل عام ١٩٦٣ م ، بينما تشتد عليه وطأة **مرض السرطان** حتى **قضى نحبه متأثراً به في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) من نفس العام عن ٦٩ عاماً .. بعد أن أضاف إلى المكتبة الانجليزية خلال أربعين عاماً نحو ٥٠ كتاباً حافلاً بين الرواية والمسرحية والمقالة والنقد والشعر والفلسفة ، غلب عليها جميعاً حب الإنسان .**





بقلم: د. حسني محمد حسين



★ الريحاني بالزي العربي ★

قدر لأمين الريحاني أن يقوم برحلات كثيرة إلى بعض البلدان العربية بالاضافة إلى رحلات داخلية قام بها في وطنه لبنان . ولم يقدر له أن يكمل ما كان قد صمم عليه من القيام برحلات أخرى إلى بعض بلدان الشرق ، في إيران وسورية وفلسطين وشرق الأردن ومصر مع أنه زار هذه البلدان زيارات عجلى لم تكن بهدف تسجيلها ، كما أنه لم يسجل رحلاته إلى بلاد الغرب فيما عدا زيارة قصيرة قام بها إلى إسبانيا ضمن رحلته إلى بلاد المغرب الأقصى .

أما رحلاته التي دونها في كتبه ، فهي التي ساح فيها في معظم بلدان **شبه الجزيرة العربية وفي العراق وفي المغرب الأقصى وإسبانيا وفي لبنان** . وقد دون كلا من هذه الرحلات في كتاب أو أكثر ، ولربما كان وراء رحلاته هذه أهداف متعددة ، لكن الهدف الأهم والأشمل الذي تنضوي تحته ، هو محاولته التعرف على الوطن العربي ، والتعريف به لدى أبنائه وحكامه ليتعرفوا بدورهم على أوطانهم وعلى أحوالها ، وليعملوا على اصلاح هذه الأحوال وعلى اصلاح ذات بينهم ، لتقريب يوم الوحدة بين أقطارهم .

ويختلف الريحاني عن غيره من الرحالة العرب الذين طوفوا في أرجاء الدولة الإسلامية أو الذين خرجوا إلى البلاد الأجنبية ، في أنه وهو العربي ، قد جاء إلى البلاد العربية من وراء المحيط يحمل **الجنسية الأميركية** مدفوعاً بأهداف قومية ربط حياته بمحاولة تحقيقها . وفي ذلك يختلف أيضاً عن أولئك المستشرقين والرحالة الأجانب الذين طافوا في هذه البلاد تدفعهم أغراض ترتبط بخدمة حكوماتهم الاستعمارية الطامعة في التسلط والتحكم . ولهذا فإن الريحاني كان وظل محكوماً بأهدافه الاصلاحية القومية في رحلاته كلها . وهو وإن حكمته هذه الأهداف لم يتخل عن موضوعيته ونزعته الواقعية في كل رحلاته ، أملاً في أن يتوصل إلى الحقيقة ليتوسل بها إلى أهدافه .. ومن هنا فإن قارىء رحلاته يقع على أغلب مظاهر الحياة في البلدان التي زارها ، بمحاسنها ومساوئها ، ما أحب منها وما كره ، فأضحت كتبه متحفاً لهذه الحياة أو معرضاً لها ، إذ طوى بين أوراقها أشرطة بكل ما شاهد وما سمع . ولم يكن رحالتنا مجرد ناقل ومسجل لهذه الأشرطة كما كان الكثيرون من الرحالة ، وإنما سخر ملكته النقدية وطاقاته ومعارفه في خدمة أهدافه الاصلاحية الكبرى بالطريقة التي رآها مناسبة ، فمرة يستحسن ويحمد ما يرى ، وأخرى يذم ويعلن غضبه ، وثالثة يهاجم أو يسخر ، ورابعة يوجه أو ينقد ، حتى لقد أصبح من العسير حقاً الالمام الشامل بكل ما تناوله رحالتنا من مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في رحلاته جميعها وبالطرق التي عرض بها هذه المظاهر . ولذلك فإننا سنحاول التعميم في تناولنا لرحلاته بهدف التمثيل لها دون حصرها .

الأسلوب وأدب الرحلات

من المعروف أن الريحاني كان ينزل في رحلاته ، فيما عدا رحلاته إلى لبنان ، ضيفا على حكام البلاد التي زارها ، ومن هنا فقد تمكن من أن ينقل إلينا بعض مظاهر الحكم والحياة الرسمية في بلاط هؤلاء الحكام بالاضافة إلى ما نقله من مظاهر الحياة الشعبية فيها . وهو كما نلاحظ يتبع عدة أساليب في موقفه من مظاهر الحكم والحياة في هذا البلاط أو ذاك ، ففي بلاط **الشريف حسين** يشاهد أنماطاً مختلفة لا يسعه أمام مظاهرها إلا مقارنتها بما رآه في بلاط **الامام يحيى** .

وإذا كان الريحاني يأخذ بالأسلوب اللاذع في نقده لما يراه من عيوب ، فإنه على العكس يأخذ بمنهج آخر في حديثه وسخطه على ما يراه من مساوىء الناس والشعب .. إنه يأخذ بمنهج الرفق والشفقة ، إذ لم تستطع الحياة التي عاشها في أحضان التمدن الغربي أن تضمر الإنسان فيه وهو يعايش هؤلاء البدو من أهل الفيافي والصحراء ، بل على العكس فإن روحه القومية والإنسانية تجسدت في كل تصرفاته ومعاملاته فلم يستكبر على من اتصل بهم وعاش معهم فترة طويلة من الزمن ، وإنما حاول دائماً أن يفيدهم ويناصرهم بالخير والجميل متمشياً في ذلك مع نفسه ومع غاياته القومية الاصلاحية .

في اليمن

فهو يأسى لحال **اليمنيين** الذين يلبسون ثياباً تسيل صباغها على أجسامهم فيسد المسام في الجلد في الوقت الذي يظنون فيه أنه يقيهم من البرد ، وهو يأسى كذلك لحالهم في

سيطرة **القات** عليهم وفي ادمانهم مضغه (وتخزينه) مما يسبب كسلهم وقلة عنايتهم بأراضيهم فيقل إنتاجهم .

ونحن نحس بهذا الاشفاق الخير من خلال هذا التقريع الشفوق إذ يقول : «**إن الهواء والسماء والماء تبسم كلها لأرض اليمن ، ولكن اليماني لا يستخدمها إلا فيما يحتاج مباشرة إليه** ، فمما لا ريب فيه أن في السهول حول **صنعاء** ماء حيثما بحثت لأن في قديم الزمان ، كما يقول بعض العلماء ، كان يجري نهر هناك ، ولا تزال المياه تتدفق من جبل (**نقم**) في المدينة ، ولكن الصنعائي يعنى طيلة نهاره لجمل الساقية أو يقضي نصف نهاره في تخزين القات ولا يسعى في إحياء أرض فيها قيد عشرة أذرع وأقل الماء والثراء .. أجل إن بين نقم **وعصر** وما يدعى في الشمال الأرحاب من المياه ما يكفي لاشغال مئات من السواقي والجمال ، فلو استخدمت لكانت تلك السهول بساطاً واحداً أخضراً ناضراً» .

ويتجلى هذا الاشفاق الإنساني في تقدير صاحبه لوجود ندرة الصلاح التي دفنها الجهل في النفوس حيث يكتشف أن بذرة الصلاح التي زرعها الله في قلب كل إنسان لا تزال طيبة في قلوبهم .

وهكذا يعكس الريحاني في كتب رحلاته الجانب الكبير من حياة البلاد الاجتماعية نقلها بعين الناقل والناقد معاً لأنه كان حريصاً على تسجيل كل مظاهر الحياة في القرى وفي المدن وفي الدوائر الرسمية وفي كل مكان ، يشاهد ويسمع ويحادث الجندي والبدوي وكل من يجالسه أو يلقاه .

في المغرب

وفي كتابه (**قلب العراق**) ملاحقة دقيقة لمجرى الحياة اليومي في **بغداد** كما شاهدها الرحالة في وقت من الأوقات ، فقد زار أسواقها الشعبية ومصانعها وبعض دكاكينها وسجنها ، ووصل الأمين حداً من الدقة في نقل بعض جوانب الحياة بأن نقل ما كان يجري أمامه بتفاصيله وبكلماته دون أن يفقد حيويته بسبب ما أضفى عليه هو من عاطفته بحيث أتت كتاباته وجدانية صادرة عن انفعال وبتأثر صادق .

يسرح نظره في أحد شوارع **طنجة** وينقل إلينا ما فيه من حركة الناس وألوانهم يقول : «رأيت الرجال يسيرون إلى أغراضهم في السبيل الواحد بخطوات متباينة والأوروبيون يجدون ويتزاحمون والمغاربة يمشون الهوينى وهم يجرون أذيال المجد الغابر والفجر الدابر ، ولا يأبهون لما في يومهم من نتائج نومهم» .

«رأيت النساء الأوروبيات في تبرج صياح وزي فضاح ، الشقراء منهن أكثر اشقراراً من أخواتها في باريس ومدريد ، والحمراء الخدين والشفتين أبلغ احمراراً من أوانس (الجارة البيضاء) بنيويورك ، والألوان ـ دام اتئادك ـ من معملي الكيمياء والعطور لا من الأبوين الطاهرين ، ورأيت في الأثواب اللاصقة لأجسامهن وقد بالغن في شد الخصور كالساعات الرملية هي القباب من فوق ومن تحت ، من أمام ومن وراء» .

«فنساء طنجة الأوروبيات وأخواتهم البلديات المباح لهن السفور هن منقطعات النظير في المدن الكبرى المتصفة نساؤها بحسن الذوق والأناقة إن كان في اللباس أو في التبرج» .

ويتحدث عن طنجة المدينة الأوروبية السابغة النعم وما فيها من معالم حديثة علمية وعمرانية وشوارع وساحات تحمل أسماء أجنبية ومقاه وحانات بهيجة ، أما طنجة الأهالي ، طنجة المغربية الشرقية ، فيحدثنا عنها من خلال أسواقها وحوانيتها ومقاهيها ، وينقل من سوقها صورة جامعة للباعة رجالا ونساء من باعة الخضر إلى باعة الدجاج والبيض والزهور .. من الحقول والبساتين إلى المطابخ والبيوت «ها هو ذا المغرب بفقره واتضاعه بقناعته وصبره ، ببساطته وكرامته بأسماله وبإحساسه الشعري» أما المغرب «في مرحه وفرحه في الاعيبه وشعوذاته» المغرب الروائي الشعري المغرب البائس الضحوك ، المغرب العجيب فيمثله فيما يتجمع بعد ظهر كل يوم من حواة ورواة ومبصرين وراقصين وزامرين يتجمعون في السوق وتنعقد حولهم الحلقات فتعمر فيها أسباب الطرب والتفكه والسلوان .

في العراق

ويختلف الريحاني في هذا التأثير عن الشدياق الذي كانت أغلب كتاباته خلوا من أي انفعال أو عاطفة ، ومن هنا يأتي مصدر الاملال فيها على عكس ما يكتب الريحاني فعاطفته فياضة دائما كأن قلمه يحرن عن الكتابة ما لم يمتزج حبره بعاطفة صاحبه مما أكسب أدب رحالتنا هذا الدفء وهذه الحيوية التي لا تخبو مع الأيام . فها هو ذا يقف في شارع المأمون أو يجلس في دكان أحد التجار بشارع السراي الظليل ليراقب موكب البشر في سيره ، ويصف معرض الناس العجيب في قيافاتهم وأشكالهم وألوانها وهو يقرأ فيها جزءاً من الماضي في **بغداد** ، الماضي المقيم في يومنا كما في أمسه كأنه على ما يظهر صنو الزمان . «بل هو الأثر الحي القديم الجديد ببغداد ، تسوقه إليك الليالي في أشكاله المتموجة تموج دجلة على نحو بطيء هادىء ، وفي ألوانه التي تذكر في مجموعها بذنب الطاووس» .

وهو يستعرض قيافات البغداديين التي هي في مجملها كما كانت ـ على ما يظن ـ في زمن **الرشيد والمأمون** ، فيعدد أنواع عمارة الرأس ، في شكل عمة أو عقال أو سدارة التي لأشكالها وألوانها وكيفية لبسها معان ومغاز تخفى على السائح العربي فضلاً عن الأوروبي ، فالعقال أنواع ، منه عقال أهل **البصرة والزبير** ، وهو عقال صوف ضخم الطية بني أو أسود اللون ، ويندر أن يلبسه في بغداد غير الشيوخ المسنين ، والعقال إذا كان ذا لفتين سمي «طيتين» وذا ثلاث أو أربع طيات عرف باللف . أما العقال الأسود البسيط فيدعى قحطانياً . وهناك أيضاً الغطرة (**الكوفية**) ولها ما للعقال من الأشكال والمعاني ، فالزرقاء التي تدعى «**كشماق**» تلبس في شكل عمة ملفوفة لفتين أو ثلاث لفات ومشدودة على الرأس في انحراف إلى الأمام أو إلى الوراء وفقاً لمزاج صاحبها ، فالذين يرفعونها فوق الجبين هم «**القبضايات**» أو الفتيان المشهورون في العراق بالشقاوة ، فهم المشيرون «للعراكات» الضاربون القاتلون في سبيل الشرف ومن أجل من شاء ممن له ثار وعنده المال بدل الشجاعة . وبما أن لهؤلاء الفتيان شهرة محلية تذكر بشيء من الاعجاب فالمتهافتون على المهنة والمتطفلون كثيرون .. وليس في القانون ما يمنعهم من أن يلفوا الغطرة لفتين أو ثلاث لفات ويرفعونها فوق الجبين عالية ، فلا يغرنك إذن كل من لفها ثلاث لفات ولا تخشى جانب كل من رفعها فوق الجبين . ويعدد أسماءها في حالات لبسها المختلفة **فهي** «جراوية» إذا وضعت على الرأس بدل العقال و«يشمقين» إذا ما تلم بها صاحبها . والعمة مثلها مثل العقال والغطرة لها ألوانها وأشكالها الدالة على مقام صاحبها ومكانته الاجتماعية من غطاء الرأس إلى العباءة بألوانها ونسيجها وتطريزها وأماكن صناعتها ، ثم إلى **القنباز والجلابية** وإلى القيافة الأجنبية الحديثة التي قلما ترى في غير المدن . وهذه القيافات لا تدل على مقام صاحبها وحسب وإنما على مزاجه في غالب الأحيان ، فالشاب في القنباز والعباءة السوداء المفضفضة والعقال الأسود والغطرة الزرقاء الحامل في رجله حذاء أسود أو أصفر ، هو من الفتيان الذين لم يمعنوا بعد في الحرفة فما اشتهروا بخيرهم ولا بشرهم .. إن قيافتهم تخبر بميل فيهم إلى الشقاوة .. وقد تحول الأيام دون تحقيق رغباتهم الفتوية فيبقى ذكرهم مضخماً ومنعماً بالخمول .. مثل هذا الرجل في الغطرة الزرقاء والقعال البني والعباءة والقنباز فهو من الطبقة الوسطى التي لا تعرف من خمول الذكر غير القطن والصوف وإذا لبس أحد رجالها السرماية فهو من كعب الطبقة وإذا لبس الساكو الفرنجية بين القنباز والعباءة والحذاء الفرنجي فهو من رأس تلك الطبقة من وجهائها .

ويمضي الريحاني في عرض صورة جامعة لموكب الناس في شارع السراي ، ينقلها في حيويته والمعيته المعهودتين وبأسلوبه الفني الزاهي فيبعث فيها على القرطاس أنفاس الحياة التي كانت تتردد في صدور أصحابها لتظل صورة شعبية تنطبق على هذا القطاع في كل آن . وهو لا يفوته أن يصف موكب النساء أيضاً فهذه اليهودية أو المسيحية تلبس العباءة ولا تلبس الحجاب ، مع أن الوجه منها أحق بالحجاب.

ومن النساء في هذا الموكب المتحرك على الدوام الحمالات والمعولات ـ **وحمالات اللبن وحمالات الحطب واللاتي يحملن أطفالهن على أكتافهن** .. وجوه صفراء فوق وجوه سمراء .. ويوجه عدسته اللاقطة إلى كل من يجول في الشارع وبعد طبع ما التقطته ترى صورة زمرة من الصبيان يعلنون بأصواتهم وبطبلهم عن فيلم في السينما الملكي وصورة بائع بزر البطيخ المملح الذي يقول الشعر تعليقاً على اعلان السينما .

كل من في الحياة يطلب صيداً
غير أن الاشراك مختلفات

بين الشرق والغرب

وفي رحلة الريحاني إلى **اسبانيا** ينقل إلينا صوراً زاهية من أعياد شعبها البهيجة بحيث يجعلنا نشاركه فرحه بمرآها وانفعاله بها . وتظهر عنده في هذه الرحلة بشكل خاص رغبة المقارنة فيكثر من عقد المشابهات بين الإسبان والعرب في كثير من الخلال والعادات ، وكانت هذه الرغبة قد شبت نارها لديه وهو في جبال اليمن التي كثيراً ما كان يغمض عينيه وهو في دارها ليعود بخياله إلى جبال **لبنان** ، ومن مقارناته الطريفة وهو يتحدث عن بعض صور حياة المجتمع في **عنيزة** تلك التي يقيمها بين الدعوة لشرب القهوة عند أهل عنيزة وبين الدعوة لشرب الشاي عند الانكليز فيقول : **« وفي الضيافتين شيء غير القهوة وغير الشاي جميل ، فيها ميل إلى الحديث والتعارف ، ورغبة في الألفة والوداد . على أن ضيافة العربي العنيزي تمتاز عن ضيافة الانكليزي في أن رب البيت يخدمك بنفسه من حين الاستقبال إلى حين الوداع . وما أجل ذاك الكرم وتلك الوداعة ولا سيما وأن الفضيلتين نشأتا في عزة نفس لا تحتاج إلى الأبهة لتؤيدها »** .

وهذه الضيافات العربية كانت محل اعجاب الريحاني وتقديره فأكثر من حمدها ومدحها واظهار العادات المتبعة فيها . وتحدث كثيراً عنها في جبل لبنان خاصة ، إذ كان الفلاحون اللبنانيون يغمرونه بكرمهم العربي الأصيل مما جعله يولي المأدبة اللبنانية عناية حانية وتذوقاً فنياً انعقد في فصل خاص حول ما تمتاز به هذه المأدبة التي يفضلها على كل المآدب .

ولا شك أن فنه وحبه لوطنه وبني قومه هما اللذان أضفيا عاطفته على كتاباته فبعثا فيها الدفء والحياة . ويعد هذا الحب والانفعال من الخصائص الأساسية التي تناول بها الريحاني موضوعاته ، فشحن كتاباته بعاطفته وأسبغ عليها من وجدانه ، لنسمعه يتحدث عن ضيافة لهم في قرية **(العوشزية)** في **منطقة القصيم** فيقول :

« جلسنا حول الموقد على الوسائد ، ورب البيت يحدثنا ، بينما هو يحمل القهوة ، ثم أشعل السبيل ودخن وقدمه لهذلول فأداره على الربع . ثم جاءنا بخبيص يدعونه عبيطاً يعملونه من التمر والسمن استلذذته واستعدته . فضحك العوشزي الكريم وأثنى على حريتي قائلاً : كأنكم من القصيم . جاء هذا العربي الفاضل في المساء يرد الزيارة ويشرب القهوة فازددت إعجاباً به وبكرم أخلاقه » .

إن أقل الموضوعات أهمية وأكثرها بساطة تستحيل تحت قلم رحالتنا موضوعا فنيا يستطيع بما يقطر فيه من وجدانه أن يصمد للأيام محتفظاً بدم الحياة ، الذي تحركه في عروق حروفه كل قراءة له لا فرق في ذلك قرب زمنها أو بعده . وبهذا الحب وبمثله من الاخلاص والرغبة في الاصلاح نظر الريحاني إلى أحوال المجتمعات التي زارها في رحلاته فجاءت كتاباته في كل الموضوعات التي أحبها والتي لم يحبها خلاصة لمواقفه وتجاربه ، مما مكنه من القاء الأضواء على كل تلك المظاهر الاجتماعية المتنوعة وعرضها في أسلوب دقيق زاده اشراقاً توخي الأمانة والصدق في النقل .

وفي كل بلد زاره الريحاني تعرفنا على كثير من أزياء الناس فيه رجالا ونساء . ولم ينس أيضاً أن ينقل بعض أوجه الحياة الشعبية متمثلة في الرقص والاحتفالات الرسمية والشعبية ، وهو ينقلها من خلال فهمه للفن ، فمن الغناء والدبكة والرقص في لبنان تتجلى روحه الفنية ، ويبدو احساسه المرهف وهو يصف صوت **« القصاب »** النافخ في نايه وهو ممن يطربون لصوت « القصب » العريض الأجش الذي تتمثل فيه خشونة البادية ونغمها الوحيد ، نغم الوحشة والقسوة والأمل .

أما الدبكة فيرى ، في خطواتها همس المرأة ونبرة الرجل .. فيها الحركات الهادئة المترددة تقطعها وتصلها الحركات الآمرة المهددة (يا حلوة بحياة قدك) والحلوة تميل بقدمها وتغنج برجلها فيضرب الشاب الأرض برجله ويكمل البيت ، إنه التفسير النفسي للحركة في الفن . تفسير فكرة الفن بالكلمة .. وما الفن في الدبكة أو في الرقص إلا أفكاراً تؤدى بالحركات .. ويضع الريحاني بين أيدينا ترجمتها أو قاموسها الصغير ، فروحه مشربة بروح الفن وإن لجأ إلى التعبير بالحرف كأدق ما يكون التعبير .

وهكذا كان الريحاني في نقل مظاهر الحياة الاجتماعية ، وفي تعريفه للبلدان لا يترك جانباً من جوانب الحياة دون أن يعرفنا عليه .

وإذا كانت طريقة تناول مثل هذه المظاهر الحياتية تختلف عند الريحاني فقد جمع كلا الطرفين الشعوب والحكام حول طريقة واحدة هي طريقة النصح والارشاد والحث على اضعاف الجهل وانقاذ الناس من شروره وتخليصهم من أذاه ، بنشر التعليم وفتح المدارس .

ولم يفتر دأب الريحاني على هذا النصح في كل بلد زاره ، ومع كل حاكم التقى به وأمام كل من اجتمع بهم .. فبين للجميع ، وفي صراحة ووضوح ، مضار هذا التأخر وضرورة الأخذ بناصية العلم والتقدم في سبيل حياة أفضل وأقوى .

في البحرين

واقتضى منه هذا الأمر البحث في شؤون التعليم والمدارس في جميع البلدان التي رحل إليها ، فنراه يزور هذه المدارس ويتحدث مع معلميها وطلابها ويقترح على الحكام استجلاب المعلمين العرب من سورية ومصر للتعليم فيها والعمل على التوسع في التعليم .. وأكثر ما كان يربحه أن يرى بعض مظاهر التقدم الثقافي والعلمي في أي بلد عربي فيدهشه بقدر ما يسره أن يرى في **البحرين** دون أن يتوقع نهضة أدبية اجتماعية مباركة **« أجل إن في هذه الجزيرة من الأدباء والشعراء عددا ليس بقليل ، وذكاء ليس بضئيل . إن فيها نهضة تقارن أخواتها في الكويت وفي العراق ، وتقارن روحا وطموحا على الأقل أخواتها في سورية ومصر** . فهذا ناديها الأدبي وفيه المجلات العربية أكثرها وأحسنها ، وهذه غرف القراءة وفيها من الكتب الحديثة والقديمة أنفسها .. وهذه المدرسة الابتدائية وفيها يعلم بعض العلوم وفيها من المعلمين المصري والعراقي والنجدي .. إن البحرين ليس إلا معبراً إلى نجد .. حبذا المعبر وما فيه من مدهشات الثقافة والعمران » .

هذا في البحرين ، أما في المغرب فنراه يثني على جهود المقيم العام الإسباني في منطقة الحماية الإسبانية بسبب رعاية النهضة التعليمية وتجريدها من الطابع التبشيري الذي يعني تسلطه على الفرنسيين في منطقة حمايتهم .. وفي فصل « نهضة التعليم » ، يتناول بالأرقام والاحصائيات الحديث عن التعليم والمدارس والمعاهد وبرامجها .

موضوعات متنوعة

وهذه الموضوعات ، وإن كانت هي الموضوعات الأعم والأهم ، لكنها لم تكن الوحيدة لديه .. فقد تعرض لموضوعات أخرى كتعرضه لبعض النواحي **الجغرافية** الطبيعية **والاقتصادية** وكحديثه في طرق التصوف وكرامات الأولياء والأساطير لدى الشعوب التي زارها ، وكبحوثه في الفن والأدب ، وفذلكاته اللغوية التي يثيرها هنا وهناك في بعض كتب رحلاته .

النواحي الجغرافية

أما بالنسبة للنواحي الجغرافية ، فقد كان رحالتنا **شاهد عيان** لا يبالغ ولا يغمض عينيه عما يحيط به من مظاهر سطح الأرض والطبيعة . **في « قلب لبنان »** مثلاً يقدم كثيراً من المواد الخام اللازمة لعمل الخرائط الجغرافية للقرى والجبال وللطرق الموصلة بينها بمسافاتها وأكواعها وأنفاقها وأوديتها وبصخورها وغاباتها . وهو يذكر لنا ما يمر به من سهول وبساتين ومروج ، ويحدد ارتفاعات الجبال وطبيعة الجو في هذه المنطقة أو تلك . كذلك كان في بلدان الجزيرة العربية وصحاريها يحدثنا عن حدودها ومساحاتها وعدد سكانها وأهم مدنها وأقسامها الإدارية وجبالها وارتفاعاتها ، وعن المسافات بين منطقة أو بلدة وأخرى وعن المناخ فيها ودرجة الحرارة كما يقرأها ميزانه **(الفهرنهايتي)** بين يوم وآخر ومن بقعة إلى أخرى .. ولا يقتصر على مجرد ذكر درجة الحرارة في بعض الأحيان ، وإنما يروح يفسر ارتفاعاتها أو انخفاضها حسب الارتفاع أو البعد والقرب من خط الاستواء ، ففي **(وعلان)** على بعد خمسة عشر ميلاً من صنعاء وقد خرجوا مبكرين يقول : « .. فأحسست ببرد شديد يستغرب مثله في الدرجة الخامسة عشرة عرضاً ، ولكننا أصبحنا كذلك في علو يدنو من عشرة آلاف قدم فوق سطح البحر .. هذا هو السبب في انتقالنا تلك الساعة إلى طقس أشبه بطقس الشمال . على أن الشمس ، شمس اليمن لتخر بقرن

صغير من قرونها الذهبية ، كل ريح تهب فتدميها ثم تحييها وترسل الحرارة فيها» .

ويصف لنا في الجزيرة كثيراً من مناطقها **كالقصيم والدهناء والوشم والحضر والدبدبة** بمساحاتها وأرضها وجبالها الرملية وأوديتها وبمراعيها وقلبانها (آبارها) وعيون الماء فيها . . وفي بعض الأحيان نراه يتعرض لوصف طبيعة تكوين الأرض وطوبوغرافيتها في منطقة أو أخرى فهذه الجبال تبيض الأرض فيها ، وتبور أي أنها كلسية حصوية قاحلة وتلك تتكون من طبقات طينية ورملية وأخرى كلسية كما يستدل من مقطع انهياري فيها ولا يعتمد في هذا على المشاهدة فقط ، وإنما نراه يرجع أحياناً إلى **كتب الجيولوجيا** ليكشف لنا منها بضع قطرات يذيبها في دواته كي يكتب عن **جغرافية الأندلس** الطبيعية ، فيقول : «إن الأرض التي تدعى اليوم الأندلس هي الجزء الأخير من شبه الجزيرة الأيبرية الذي قذف به من جوف البحر إلى ما فوق المياه في الدور الجيولوجي الثالث» .

وكذلك فقد امتد حديثه إلى الجغرافيا الاقتصادية ، فتكلم عن أنواع الصناعات القائمة في البلاد وعن أنواع المنتجات الزراعية وكمياتها ومستويات الإنتاج فيها ويقارن في ذلك بين بلد وآخر في بعض الأحيان . وفي المنطقة الإسبانية والمنطقة الفرنسية في المغرب الأقصى يحدثنا عن ميزانيتها ومصروفاتها والضرائب فيها . وفي حديثه عن **اللؤلؤ في الخليج** العربي يذكر ما يخرجه وما يصدره كل بلد من بلدانه . وهو وإن اعتمد على الموضوعية والاحصائيات والأرقام (يحول فيها الفرنكات إلى ما يوازيها من ليرات لبنانية) إلا أنه يتجلى عن أسلوبه الفكه .

اللؤلؤ .. والمحار

أما ما يميز موضوعات الريحاني كلها فهي دقته وتحريه الحقائق ، لأنه وإن كان أديباً فناناً إلا أنه لا يبخس العلم حقه ، حتى إنه يخرج بنا في بعض أجزاء كتبه إلى أجواء علمية حقيقية .

ففي حديثه عن اللؤلؤ مثلاً يورد ما يقرأه عن (كتب العلم والخبراء لا من دواوين الشعر والشعراء) فنجده لا يخضع لأسطورة أو لخرافة أو خيال بل يعيب ما قاله **القزويني** في ذلك ، أما هو فيحكي لنا سيرة هذه المخلوقة الغالية وعملية الغوص عليها وتجارتها في دقة وفنية يقول : «اللؤلؤة بنت المحار بيتها الصدفة وبيت الصدفة البحر على الدوام لولا يد الإنسان» .

ويحكي قصة الصدفة ببساطة وايجاز «هي في يوم الولادة تلقي ببيضها الأصفر على وجه الأرض في قعر البحر وهو مثل حب الخشخاش يتجمع حفنا فيتلون منه القصر ثم تنشأ البيضة فتغدو كحبة العدس فينبت لها عروق خضراء براقة مائلة إلى الازرقاق تنمو حتى تصير كالأنامل طولا وهي دقيقة كالشعر شديد كحبل من مسد وترسب عروق الصدفة فتثبت في مكان صلب من القعر . . وهي لا تأخذ بالنمو إلا بعد أن تنتهي في الدوران وتثبت في مكان فتفتح إذ ذاك فمها أي صدفتها للغذاء وجلة من الطين» .

ويحسن صنعاً وهو يلون حديثه فيقول : «كأني بالقارىء يقول وعدتنا بترجمة اللؤلؤة فجئتنا بقصة المحار ، على أني قلت إن اللؤلؤة بنت المحار وفي القول من الشعر أكثر مما فيه من العلم . . أما الحقيقة العارية الباردة المؤلمة ، فهي أن اللؤلؤة بنت مرض يصيب المحار نتيجة خلل يعتري نظام الافراز والذي يظنه علماء الحيوان هو أن حبة رمل أو بيضة أو حشرة تدخل مع الغذاء فتتهيج منها أغشية المحارة فينتج عن ذلك افراز غير طبيعي يتكون منه كتلة كلسية لماعة هي اللؤلؤة ، فإذا جاءت الكتلة هذه متوسطة في اللحم كانت نفيسة وإذا لامست أو قاربت الصدف كانت رديئة . . وفي سبيل هذه الكتلة الكلسية يفادي الكثيرون من رجال الغوص بصحتهم وبأرواحهم .

معتقدات وخرافات

ونحن بطبيعة الحال لا نستغرب هذه الروح العلمية في ابن هذا العصر فهي سمة القرن وهو من رواده في بلادنا . . وهذه الروح العلمية حكمته أيضاً في معالجته لقضايا كثيرة تتعلق بمعتقدات الناس سواء في المسيحية أو عند المتصوفة .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى ما يدعو للاعجاب بالريحاني فيما أفاده وفي هذا الوقت المبكر من معرفته بالأساطير الشرقية والفينيقية بخاصة فعرض من خلالها كثيراً من مظاهر حياتهم

عرضاً أدبياً مشرقاً بعد أن تشربها تشرباً لا ارتواء في سواه . . وكتقديرنا هذه الناحية لديه لا بد من اشارة تقدير إلى ما عرضه في كتبه من دراسات نقدية عميقة عن بعض شعراء العراق ، يمكن أن تعد من المصادر المهمة في دراسة أصحابها ، وهي دراسات يتجلى فيها فهمه الواعي والمستنير للحياة وللفن ، وسعة آفاقه الثقافية وتمكنه من البيان .

النزعة الانسانية

وهذا ويجدر بنا أن نسجل هنا سمة بارزة في رحلات الريحاني ، ونعني بها النزعة الإنسانية التي طبع بها أدبه في هذه الرحلات ، فعلى الرغم من شخصيته التي نالت من احترام الحكام والملوك العرب وتقديرهم ما كان جديراً باهتمامه وغاياته الاصلاحية ، وعلى الرغم من تناوله لموضوعات الحضارة والاجتماع العمراني بكل كفاية وعناية ، فقد ظل الإنسان فيه بارزاً وملوناً لتصرفاته وكتاباته ، فهو صديق مسفر وبداح وهذلول ، وهو رفيق محبوب يحاورهم وينقل بوعي أسئلتهم وأحاديثهم في براءة الأطفال ، وهو ضيف القرويات في الجبل يأكل خبزهن ويندمج في حديثهن ، ويشركنا معه في كل ما يسره وما يحزنه ، ولا يخفي علينا شيئاً من همومه الإنسانية الذاتية فيذكر خوفه عندما يصاب بالحمى في قلب الصحراء وهو بعيد عن بلده وأهله ، وعن أسباب الصحة والشفاء والأطباء ، فيحس بالغربة أحياناً إذ تجتاحه المشاعر الإنسانية فتستحيل خيمته خباء للكآبة والغم .

وإذا كانت كل خصائصه التي ذكرناها قد ملأت هذا الأدب فلسفة وعلماً وحباً فإن الخصيصة الإنسانية التي أسبغها الريحاني على أدبه في الرحلة جسدت فيه بما أفاضت من عاطفته الفنان الموهوب الذي أثرى هذا الأدب وارتفع بأسلوبه في كل ما كتب منه إلى مستوى الأدب الرفيع .

التاريخ والسياسة

لم يفصل الريحاني بين مناحي الحياة وهو يدون رحلاته في البلاد العربية لا سيما وهو يحمل هدف تقريبها وتوحيدها ويعمل في سبيل هذا الهدف . ومن هنا جاء فهمه لحاضرها من خلال نفوذه في ماضيها ، وجاءت آماله وأهدافه في مستقبلها من خلال تقديره للحاضر وفهمه لذلك الماضي من حياتها وأحوالها ، وقد هداه هذا التفكير إلى أن يفهم التاريخ على أنه علم لا ينمو إلا في ظل الحضارة والعمران ، بل وأنه جزء لا ينفصل عن الحضارة وكل المظاهر الاجتماعية . وعلى هذا الأساس كان توفره على دراسة تاريخ هذه البلاد في بعض حقبات حياتها ، فهو يفرد أهمية خاصة للتاريخ في سياق رحلاته . . ففي رحلة شبه الجزيرة العربية نراه يكتب **تاريخ نجد الحديث** في كتاب مستقل يلحقه بالرحلة مثل **رحلته في العراق** أما **رحلته في المغرب الأقصى** فقد كانت له جولات في تاريخه أطال فيها حتى إنه اعتذر عن خشيته من إملال القارىء هذا الإملال الذي تجنبه في رحلتيه السابقتين تاريخية مستقلة وخاصة بها وتفاداه في عرضه لملامح من تاريخ لبنان القديم وحضارته في (قلب لبنان) بتغليب الطابع الفني على هذا العرض ، ولا يعني هذا أن كتبه وأبحاثه التاريخية الأخرى قد جفت بها كتابة الريحاني ، فقد بقيت تحتفظ بكثير من ليونة الفن بل وأننا نرى فيها عروقاً أدبية تزهو بما فيها من مادة الفن وروحه .

ولم يقتصر الريحاني على أبحاثه في الحقبات التاريخية التي تخيرها وإنما أرخ أيضا لكثير من الأحداث والمظاهر الحياتية في زمانه . . وهو في أبحاثه وفي تاريخه لم يكتف باشارات تاريخية تأتي عفوية أو متعجلة في سياق رحلاته وإنما تعمد التاريخ المطول والمعلل القائم على الشرح والتحليل والتفسير وربط





المعلولات بعللها والمسببات بأسبابها .

وقد ساعده على هذا التعمق والتدقيق في البحث ثقافة رحبة وعقلانية علمية تمرس بها حتى خلقت فيه نزوعاً إلى تحري الحقائق وقادته إلى عدم تقبل الأخبار من غير غربلتها والتأكد من صحتها وانتهت به إلى التحلي بملكة نقدية موضوعية لم تمنعه على الرغم من حبه لبني قومه العرب من الاشارة إلى بعض مساوئهم التي أدت إلى تنازعهم وضعفهم وإلى خسرانهم في الأندلس بصورة خاصة .

وإذا كان لا بد من الاشارة إلى منهجه أو طريقته في التاريخ يمكننا أن نلجأ إلى قوله : « . . فغربلت الحوادث واخترت منها الأعم والأهم ، وعلقت عليها في بعض المواضيع بالايجاز الذي يوجبه المقام وأفضت ببعض المواقع تتمياً للصورة الذهنية ، صورة الزمان والمكان والأحوال واجتنبت أولا وآخراً الإطراد والإطناب فوصفت الرجال بما تمليه أعمالهم على المؤرخ . . ولكن التاريخ هو غير السجع ، **يجب أن يكون للتاريخ عينان وعقل ووجدان ، ولا بأس إذا كان له شيء من البداهة والقصور ، أما القلب فلا حاجة له فيه . . إن التاريخ الصادق هو شاهد لا قلب له** » .

وقد فرضت هذه الطريقة على مؤرخنا ألا يكتفي بالمشاهدة وبالسماع ، فنراه يعتمد على المراجع والمصادر كما أشار هو وبعض من كتبوا عنه ولعل كتاباته التاريخية كلها هي خير شاهد على منهجه وطريقته .

وفي ظلال تاريخ الريحاني العام تنفيأ بعض الشخصيات المهمة التي شاركت في صنع هذا التاريخ فيوليها الأمين اهتماماً كبيراً إذ يؤرخ لحيوات أصحابها ضمن تاريخه هذا على غرار ما ترجم لحياة كل من **الشريف حسين ومحمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز آل سعود والملك فيصل** نفسه ولكثيرين غيرهم وهو يربط بين التاريخين في ذكاء والمعية يبدوان بكل وضوح .

وقد جمع الريحاني في تحليلاته بين المؤرخ والمفكر السياسي الذي يفلسف الأمور في أسلوب أدبي رفيع يتجلى في تلك التشبيهات الزاهية دون أن تحيد بالفكرة عن رصانة الموقف بل على العكس فإنها تبرز ما في الفكرة من منطق .

ويكاد الريحاني باهتمامه بالتاريخ وبفهمه له ، يشبه **ابن خلدون** في كتابه « **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا** » ومنهجه التاريخي فيه كما يشبهه في ميله إلى التعريف بنفسه والترجمة الذاتية وإن اختلف عنه في مدى طول هذه الترجمة . فالريحاني يفرد في بعض مقدمات كتبه جزءاً ليس بالطويل عن نشأته وبعض جوانب حياته ، ويكمله في بعض أجزاء (قلب لبنان) ، لأنه كان ينطلق في بعض رحلاته من مسقط رأسه (**الفريكة**) ويمر ببعض الأماكن المتعلقة ببعض أخبار نشأته ودراسته . وكذلك فهو يختلف عن ابن خلدون في هذا المنهج من حيث أنه لم يكن صانعاً للأحداث التي يؤرخ لها ، ولذلك كان اهتمامه الأول موجهاً إلى أخبار رحلاته ومشاهداته فخصها بكتبه المعروفة ثم ألحق بها كتباً أفردها لتاريخه الذي ضاقت عنه كتب الرحلات . . وحقاً فإن رحلات الريحاني لم تصرفه عن تاريخه ، كما أن تاريخه لم يصرفه عن مشاهدته على عكس ابن خلدون . . فقد كان انصرافه إلى التاريخ أكثر مما هو إلى مشاهدات الرحلة وأخبارها .

وإذا كانت أهداف الريحاني ونزعته العلمية والعقلانية قد حكمته في كتاباته التاريخية فإنها أيضاً قد طغت عليه ووجهته في مواقفه وأحكامه السياسية خلال هذه الرحلات . . ولما كان الريحاني معروفاً بنضاله السياسي والوطني فإننا نكتفي هنا بالاشارة إلى منطلقه السياسي ومنهجه في هذا المنطلق ، فهو أولا وقبل كل شيء ، إنما يبحث في المواقف السياسية باعتبار السياسة وجهاً من وجوه العمران والاصلاح وتحليلاً للأحداث التاريخية قبل حدوثها أو بعده مما جعل البحث فيها من موضوعاته الرئيسية ، ومنطلقه الأساسي فيها العمل على تقريب البلاد العربية بعضها إلى بعض وتوحيدها بالتدريج في مقاومة السياسات الاستعمارية التي كانت تتبناها **فرنسا وإنكلترا** وقتها في العالم العربي ، والتي كانت تقوم على تفريق العالم وتمزيقه إلى أجزاء صغيرة يسهل التحكم بحكامها وشعوبها ، فراح الريحاني يكشف هذه السياسات ويفضح ما تعتمده من أساليب تشوه بها الحقائق لبنيه الشعوب العربية على غاياتها الحقيقية القريبة والبعيدة . . فكشف حقيقة المقصود (**بالظهير البربري**) وهو القرار السياسي الذي زعمت فيه فرنسا أن القبائل المغربية من أصل أوروبي وليست من أصل عربي ، وقارن بينه وبين تصريح **بلفور** المتعلق بسياسة بريطانيا **وأهداف الصهيونية في فلسطين** . . وتعرض إلى **المعاهدات** التي أقامتها بريطانيا مع القبائل العربية في شبه الجزيرة والتي خلقت التناقضات بينها وأقامتها على أساس مصالحها هي أولا وقبل كل شيء .

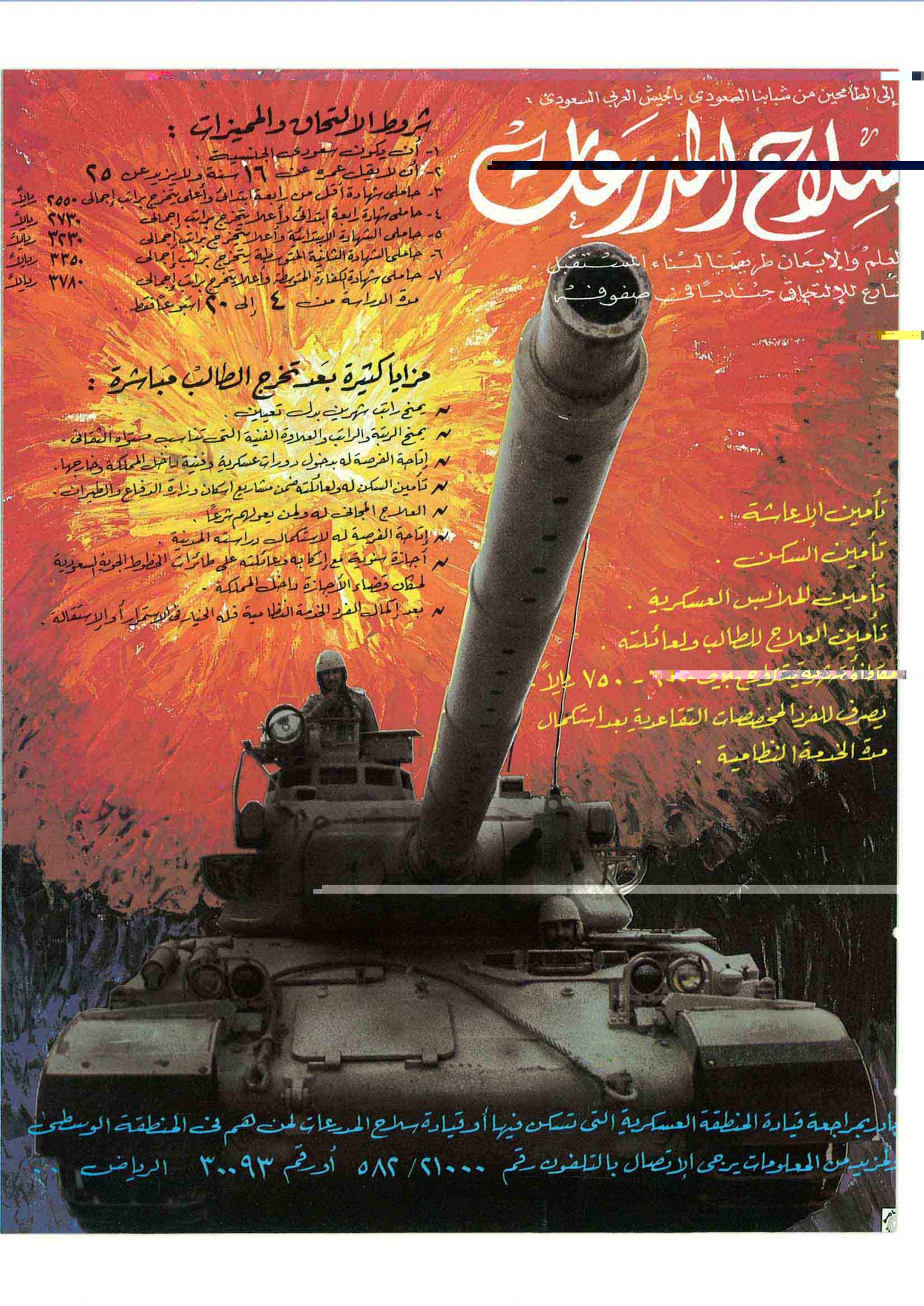
وكما نقد الريحاني هذه المعاهدات بما تحلى به من جرأة وصراحة وهو يكتب عن رحلاته فقد نقد المعاهدات التي سعت بريطانيا باستمرار إلى فرضها على العراق ، فقد ظل يسيطر عليه في مواقفه السياسية ما اتصف به من تفاؤل وثقة بمستقبل الشعوب .

ونحن لا نستطيع أن نتبع أن في التمثيل على معالجات الريحاني في المواقف السياسية وهي كثيرة ومتعددة ويكفينا هنا مثالان : الأول : ما يقوله في تحليل سقوط السيادة الغربية ، أو بالأحرى لما يتنبأ لها به من سقوط ، إذ كانت في تلك الأيام في أوج تسودها يقول : « إذا ما جنح المؤرخ غداً إلى درس أحوالنا السياسية الحاضرة بكتشف الحقيقة التي تبدو لنا اليوم ، وهذه الحقيقة هي أن انحطاط الغربيين لارتقاء الشرقيين ونهضاتهم هو الذي عجل في سقوط السيادة الغربية في الشرق . . فقد كانت العظمة البريطانية مثلاً مستمدة من قوى الشعب البريطاني الخلقية والروحية ، تلك القوى التي تزعزعت بعد الحرب العظمى ورزحت تحت عبء ثقيل من الاصطلاحات والمغالطات الاجتماعية والسياسية ، ثم تلاشت بين أيدي السياسيين والماليين العاملين ليومهم ولقومهم ، بل انسحقت بين حجري الرحى للمصلحة المباشرة أي بين المهاودة والمساومة وما يصحبها من المحاولات والمراوغات ، والثاني ما نرى في تحليله الذكي فشل السياسة الانكليزية مع حكام الجزيرة العربية إذ يقول في ذلك : « كانت مقاصدهم الحربية ثلاثة أولا : أن يعقدوا حبل الولاء بين الأمراء أحلافهم ، ثانياً : أن يحكموا نطاق الحصار ويشددوه على العدو من الجهات العربية كلها ، ثالثاً : أن يستخدموا ما عند كل أمير من قوى القتال ويضيفوا ما أمكنهم إليها في سبيل النصر » .

ولم يقتصر دور الريحاني السياسي عند هذا الحد من التحليل واظهار الذكاء والوعي القومي ، وإنما تعداه إلى القيام بدور الوساطة الدبلوماسية حين توسط بين حكام الجزيرة العربية لاصلاح ذات بينهم ، وتجاوز دور الوسيط إلى دور الرجل القانوني . . وهو يشارك في وضع معاهدات التصالح والاتحاد بين الملك حسين وكل من الإمام يحيى والإدريسي ، وكذلك وهو يضع مشروعاً للوحدة العربية كما قدرها يومذاك ، وقد أوقفه الواقع على استحالة تحقيقها يومها فلم يقف مكتوف اليدين مشلول التفكير وإنما قدم مشروعاً عملياً .

المراجع

١ ـ ملوك العرب ط٤ (دار ريحاني للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٦٠م) .
٢ ـ المغرب الأقصى (دار المعارف بمصر ـ دون تاريخ) .
٣ ـ قلب العراق ط٢ (دار ريحاني ـ بيروت ١٩٥٧م) .
٤ ـ قلب لبنان ط٣ (دار ريحاني ـ بيروت ١٩٥٦م) .
٥ ـ تاريخ نجد وملحقاته ط٣ (دار ريحاني ـ بيروت ١٩٦٤م) .
٦ ـ فيصل الأول ط٢ (دار ريحاني ـ بيروت ١٩٥٨م) .



إلى الطامحين من شبابنا السعودي بالجيش العربي السعودي ،
سلاح المدرعات
العلم والإيمان طريقنا لبناء المستقبل
سارع للإلتحاق جندياً في صفوفه
شروط الالتحاق والمميزات :
١- أن يكون سعودي الجنسية .
٢- أن لا يقل عمره عن ١٦ سنة ولا يزيد عن ٢٥
٣- حاملي شهادة أقل من رابعة ابتدائي وأعلى يتخرج براتب إجمالي ٢٥٥٠ ريالاً
٤- حاملي شهادة رابعة ابتدائي وأعلا يتخرج براتب إجمالي ٢٧٣٠ ريالاً
٥- حاملي الشهادة الابتدائية وأعلا يتخرج براتب إجمالي ٣٢٣٠ ريالاً
٦- حاملي الشهادة الثانية المتوسطة يتخرج براتب إجمالي ٣٣٥٠ ريالاً
٧- حاملي شهادة الكفاءة المتوسطة وأعلا يتخرج براتب إجمالي ٣٧٨٠ ريالاً
مدة الدراسة من ٤ إلى ٢٠ أسبوعاً فقط .
مزايا كثيرة بعد تخرج الطالب مباشرة :
يمنح راتب شهرين بدل تعيين .
يمنح الرتبة والراتب والعلاوة الفنية التي تناسب مستواه الثقافي .
إتاحة الفرصة له بدخول دورات عسكرية وفنية داخل المملكة وخارجها .
تأمين السكن له ولعائلته ضمن مشاريع اسكان وزارة الدفاع والطيران .
العلاج المجاني له ولمن يعولهم شرعاً .
إتاحة الفرصة له لاستكمال دراسته المدنية .
أجازة سنوية مع اركابه وعائلته على طائرات الخطوط الجوية السعودية لمكان قضاء الأجازة داخل المملكة .
بعد إكمال الفرد الخدمة النظامية فله الخيار في الاستمرار أو الاستقالة .
تأمين الإعاشة .
تأمين السكن .
تأمين الملابس العسكرية .
تأمين العلاج للطالب ولعائلته .
٧٥٠ ريالاً .
يصرف للفرد المخصصات التقاعدية بعد استكمال مدة الخدمة النظامية .
بادر بمراجعة قيادة المنطقة العسكرية التي تسكن فيها أو قيادة سلاح المدرعات لمن هم في المنطقة الوسطى
للمزيد من المعلومات يرجى الإتصال بالتلفون رقم ٢١٠٠٠/ ٥٨٢ أو رقم ٣٠٠٩٣ الرياض



بمناسبة
عام
الطفل



بقلم: فوزي سليمان

تثير رسوم الأطفال اهتمام الباحثين من رجال **التربية وعلم النفس**، كما تثير اهتمام رجال **الفن**، وبعد أن كانت رسوم الأطفال ـ أو ما يحاولون تخطيطه على الورق أو تلوينه ـ شيئاً يرفضه الكبار، أو يهملونه، غدت محل أبحاث ودراسات أكاديمية، تكتب عنها المؤلفات، وتضمن في المناهج، وتقام لها المعارض والمسابقات الدولية، بل وتجتذب إليها كبار الفنانين، فمن الفنانين الكبار من تأثر بفنون الأطفال، مثل «**ماتيس**»، الذي يجمع في أعماله بين براءة الطفولة ومهارة الفنان الحاذقة، و«**وشاجال**»، الذي تتمثل في أعماله نزعة الطفولة الشعرية، و«**هنري مور**»، في نحته، وغيرهم من الفنانين ممن جمعوا بين انطلاق الطفولة الفطري، وبريق ألوانها، وبعضهم تعرف عن قرب على فنون الأطفال من اشتغاله حيناً في التدريس للأطفال.

وجد الباحثون في رسوم الأطفال براءة وأصالة وفطرية، حتى ليقارنون ـ أحياناً ـ بينها وبين رسوم الإنسان في مراحل نشأته الأولى، أو رجل ما قبل التاريخ، كما اكتشفوا فيها عالماً خصباً من الشكل واللون، ومن الأحاسيس والمشاعر، ومن الانطباعات والمدلولات، مما يدعو إلى تأمل الكبار. **فهذا هو عالم عجيب أمامهم، قد يكون مرحاً بألوانه، ولكنه لا يخلو من أفكار ذكية تسخر من الكبار وأوهامهم. وقد يكون بسيطاً، ولكنه يخفي في طياته مشاكل، فالطفولة ليست أيامها كلها سعادة، أو هكذا [illegible] ترا الباحثون.**

دعوهم يرسمون

ويرجع الفضل في تقدير القيم الجمالية والنفسية لرسوم الأطفال ـ أساساً ـ إلى الأستاذ النمساوي **فرانز تشيزك** Franz Cizek، لقد جعل من رسوم الأطفال فناً يدعو إلى الاحترام، وكان فن الطفل هو رسالة في الحياة، حتى أخذ مكانه واعترف به. وكان قد جاء إلى **فيينا**، وهو شاب في العشرين من عمره، ليدرس في أكاديمية الفنون الجميلة، ومن حسن حظه أنه أقام بين أسرة نمساوية فقيرة، تضم بعض الأطفال الذين كانوا يلاحظونه ـ في شغف ـ وهو يرسم.. كانوا متشوقين أن «**يلعبوا**» مثله بالرسم. وكان تشيزك نفسه محباً للأطفال، ففتح لهم صدره، ولبى رغبتهم، فأحضر لهم فرشاً وأقلاماً وألواناً وورقاً، وتركهم يرسمون على [illegible] يلاحظهم، بهرته رسومهم، تبين له أن في الأطفال نزعات ابتكارية كامنة تسعى إلى الانطلاق.. واستمر في التجربة بحماس.. **وأخذ يدعو إلى تحقيق مشروع يتيح للأطفال أن يرسموا كما يحبون.. لا كما يفرض عليهم. حتى يسمح لهم بالتقدم والنمو والاكتمال، كما دافع عن مشروعه.**

تحقق المشروع وافتتح سنة **١٨٩٧ م**، أول فصل لفن الأطفال، بعد عقبات وصعوبات في اقناع المسؤولين. وكان تشيزك في فصله راعياً وصديقاً يرحب بكل فرد من تلاميذه ويشجعه. يناقش كل تلميذ على حدة والفصل ككل. وكان من رأيه أن يترك الطفل لنفسه، يعبر عن نفسه في حرية وانطلاق، ولا مانع أن تصدر عنه أخطاء، فإن هذه الأخطاء هي التي تؤكد شخصية الطفل، ومن هنا لا يجب أن يتدخل مدرس أو موجه، لينبه الطفل إلى أخطائه أو يصححها.

وكان من رأيه أن الطفل ـ **كل طفل** ـ يولد بنزعة ابتكارية، ولذا يجب أن نوفر له الحرية، حتى تنمو هذه النزعة. دعا إلى تحرير الطفل، واطلاق العنان لقواه المبدعة، بعد أن كانت هذه القوى مسجونة في قيود الكبار أو مشجوبة بسبب عدم تقدير الكبار لها. **وكان تشيزك يرى أن رسوم الأطفال، هي أول وأنقى مصادر الابداع الفني.**

وقد نجحت تجربة **تشيزك** واعترف بفن الأطفال، وأقيمت المعارض لرسومهم، وكتب عنها النقاد باحترام وتقدير. وزاره الشاعر الهندي الكبير «**طاغور**» في فصله، وأثنى على تجربته، وكتب لأطفاله.

جدل طويل

وقد أثارت أفكار الأستاذ النمساوي حول فنون الأطفال جدلا كبيراً.. هناك من قال إنه لا يمكن المحافظة على تلقائية الطفل الفطرية، كما لا يمكن أن يعزل عن المؤثرات الخارجية، فالطفل يعيش في بيئة يتأثر بما فيها من مظاهر الحياة. هناك الملصقات في الشوارع، وهناك وسائل الإعلام المختلفة، وهناك رسوم غيره من الأطفال، وهناك المعارض والمتاحف. ويدافع البعض عن اتصال الطفل بالفن الحديث أو القديم في المعارض والمتاحف، يقولون لا بد من غذاء فني.. للطفل. لا بد من الاستفادة من التقاليد الفنية، ومن تراث الإنسانية، لا يمكن أن نغلق العالم عن الطفل، دعوه يرى ويتأثر، لكنه في النهاية سيفرز فنه الخاص. **وعلى أي حال كان الاجماع أنه كلما كان الطفل أصغر كان أكثر أصالة. وكلما نما يفقد هذه الأصالة.**

ومع كل هذا الجدل ـ **وفيه منطق كثير** ـ فتظل دعوة الأستاذ النمساوي الذي أحب الأطفال، وفتح لهم صدره قائمة.. «**الأطفال يرسمون على هواهم. اطلقوا قدراتهم الابتكارية**».

وتذكر الأجيال السابقة في البلاد العربية.. كيف كانوا وهم أطفال يشقون، ومدرس الرسم يطلب منهم رسم إناء أو شكل هندسي من منظور رأسي أو أفقي أو جانبي.. مجرد نقل أو تدريب آلي أو حرفي، لا يسمح بأي موهبة أو ملكة للانطلاق.. مجرد محاكاة تقتل في الطفل حريته وتكم شخصيته.. أما اليوم فينطلق أبناؤنا يعبرون عن أنفسهم تعبيراً حراً، في ظل اتجاهات التربية الفنية الحديثة.

رسوم الأطفال .. تكشف عن نفسياتهم

وتكشف رسوم الطفل عن نفسيته ، ونموه الذهني ، واهتماماته العاطفية ، وحالاته النفسية والوجدانية العامة ، التي تنتظم حياته ، وحالاته النفسية الخاصة ، التي تترتب على الانعكاسات الاجتماعية . . كما تكشف هذه الرسوم عن مقدرة الطفل الفنية ومزاجه الشخصي .

وهذا مجال هام اقتحمه علماء النفس ، الذين اهتموا بنمو الطفل البيولوجي والسيكولوجي . وفي نهاية القرن التاسع عشر ، أصدر عالم النفس الإيطالي **كورادو ريتشي** Corado Ricci دراسة قيمة عن رسوم الأطفال ، ودورها في الكشف عن طبيعتهم وحالتهم النفسية الخاصة والعامة . وفي هذه الدراسة وفي دراسات أخرى تالية ، كان الاهتمام موجهاً إلى الرسوم الخطية وحدها . وفي عام ١٩٣٧ م ، اكتشف بعض العلماء الأمريكيين أهمية اللون في التعبير عن نفسية الطفل ونموه الذهني ، وأجريت تجارب عديدة ، صدر عنها دراسات مختلفة أظهرت حقائق هامة ، عن حاجات الطفل النفسية والجسمية وعلاقاته بالآخرين . وقد أثبتت هذه الدراسات أن ما يشاع عن أيام الطفولة السعيدة ، ليس كله صواباً ، لأن الطفل يمر بمشاكل عنيفة تؤدي إلى اضطراب وجدانه وتقلقل عاطفته . **وقد وجدوا أن دور الألوان والخطوط في حياة الطفل النفسية دور بالغ الأهمية** ، وهذا الدور لا يقل أهمية في حياة الكبار ، حيث يكشف الرسم عن مجاهل كثيرة في نفوسهم . وقد وضعت تجارب عديدة في هذا المجال ، أهمها تجربة **روشاخ** ، حيث يعبر الإنسان عما يعتمل في نفسه بطريقة تلقائية ، عن طريق قلم أو فرشاة ، يملأ بها صفحة بيضاء . ومن دراسة يوم الأطفال ، توصل الباحثون النفسانيون إلى الكشف عن مشاكلهم النفسية والاجتماعية ، وأسباب شقائهم .

فمن طريقة رسم طفلة عمرها خمس سنوات ، للبيت كبقعة حمراء ، وجد أنها ابنة لوالدين مطلقين كلاهما متزوج ، وكانت الفتاة الصغيرة ، تعيش متأرجحة بين منزل والدها الذي أنجب من زوجته الجديدة ، ومنزل والدتها التي كانت منصرفة إلى مشاغلها الخاصة ، ولهذا لم تكن الفتاة تجد صدى لحاجاتها العاطفية ، ومن هنا كانت اشارتها القلقة للمنزل .

الألوان لها دلالات

وقد لمس علماء النفس ، أن اللون يلعب دوراً هاماً في تحليل نفسية الطفل ، وقد وجدوا أن الأطفال الذين يستخدمون الألوان : الأحمر والأصفر والبرتقالي ، يعبرون عن عواطفهم تعبيراً واضحاً ، ويغلب عليهم الاهتمام بالذات ، ولديهم استعداد للتكيف الاجتماعي . أما الأطفال الذين يستخدمون الأزرق والأسواد والأخضر ، فإنهم يتصفون بالمقدرة على السيطرة على نفوسهم ، كما أنهم أقرب إلى روح النقد ، ولا يثقون بالآخرين ، ولهم إرادة قوية وأنانيون ، ولا يعتمدون على الأكبر سناً .

خصائص رسوم الأطفال

وتتميز رسوم الأطفال بخصائص معينة حسب مراحل النمو ، فبين عمر سنتين إلى أربع سنوات ، يبدأ الطفل في تخطيط غير منظم ، يتطور ليأخذ مظهراً نظامياً للتعبير عن إحساساته العضلية أو الجسمانية ، وتسمى المرحلة بين ٤ و ٧ سنوات ، « **مرحلة التحضير الكلي** » ، وتغلب على رسومه خطوط شبه هندسية ، كما أنها تتميز بالتنوع ، فهو يبحث عن رموز معينة لم يهتد إليها بعد ، وهو يستخدم اللون استخداماً ذاتياً لا يعتمد على الرؤية ، فقد يستخدم اللون الأحمر ، ليعبر به عن السماء الزرقاء ، واللون الأحمر ليعبر به عن الأشجار الخضراء . وهذه النقطة بالذات يعلق عليها **الدكتور محمود البسيوني** ، في كتابه « **أصول التربية الفنية** » ، قائلاً : إن منطق الطفل مرتبط في الحقيقة بمنطق الفنانين (**البالغين**) ، لأنه مؤسس على الفكرة الفنية التي تنشد التكوين في ذاته والعلاقات اللونية ، كما يجب أن تكون ، وما الفنانون المحدثون في الحقيقة إلا أمثلة توضح لنا الطلاقة في استخدام اللغة الفنية في التعبير عن انفعالاتهم ووجهات نظرهم المختلفة .

وفي المرحلة من ٧ إلى ٩ سنوات ، تتسم رسوم الطفل بالحرية والتلقائية ، وتحمل بين ثناياها سمات أصحابها المميزة لكل منهم ، كما تتميز بالتكرار والمبالغة والحذف ، والتسطيح ، والشفافية ، والجمع بين الأزمنة والأمكنة المختلفة في حيز واحد .

وتسمى المرحلة من ٩ إلى ١١ سنة ، مرحلة محاولة التعبير الواقعي ، حيث يتحول الطفل من الاتجاه الذاتي إلى الاتجاه الموضوعي الذي يعتمد على الحقائق المرئية ، وذلك بسبب ما طرأ على الطفل من نمو شامل في جميع نواحيه .

أما المرحلة بين ١١ ، ١٣ سنة ، فتسمى « **مرحلة التعبير الواقعي** » ، حيث يأخذ الطفل يتحول من الطفولة إلى الرجولة بتغيراتها الشاملة العقلية والجسمانية ، والانفعالية والاجتماعية ، ويكون لهذا كله أثره في تعبيره الفني . **وهناك يبدأ ظهور القدرات الخاصة ، ولكن هذه الفترة بما تتسم به من قلق ، قد تجعل المراهق يعزف عن الفن** . وهذه قضية أو مشكلة تعرض لها تفصيلاً ، **الدكتور محمود البسيوني** في دراسة له ، عن « **اضمحلال فن المراهق** » ، ويأخذ عن **هربرت ريد** ، قوله إن فن الطفل ينزوي بعد سن الحادية عشرة ، ويحلل لنا **الدكتور البسيوني** أسباب الاضمحلال في عوامل عديدة ، تعود إلى الثقافة الفنية الشائعة ، وطبيعة مرحلة المراهقة ، والانحلال الفكري في العالم .

أكبر معرض عالمي لفنون الأطفال

إن أكبر معرض عالمي سنوي ، يشترك فيه أكبر عدد من أطفال العالم برسومهم ، هو ما يسمى باسم « **مسابقة شانكرز** » ، تحتفل في العام الحالي - العام الدولي للطفل - بعيدها الثلاثين ، وكانت قد بدأت عام ١٩٤٩ م ، حينما دعت **صحيفة شانكرز الأسبوعية** ، رسوم وكتابات الأطفال في الهند ، للمشاركة في مسابقة خاصة لعدد من الأطفال . ولما نجحت فكرة هذا العدد ، عممت في العام التالي لتشمل كل أطفال العالم ، حيث اجتذبت ٧٠٠٠ (**سبعة آلاف**) ، مشترك من أطفال خمس عشرة دولة ، إلى جانب الهند ، وانتقل الاشراف على المسابقة ابتداء من عام ١٩٦٣ م ، إلى **هيئة كتب الأطفال ، وقد اهتم بها بانديت جواهر لال نهرو** ، الذي كان يقدم الجوائز للفائزين الأوائل نفسه ، على مدى أربعة عشر عاماً ، وبعد وفاته كرست ٢٤ ميدالية ذهبية اعترافاً بفضله . ويقوم **رئيس الجمهورية** ، بتوزيع الجوائز . وفي كل عام ، يشترك في المسابقة أطفال من أكثر من مئة دولة ، يرسلون بحوالي مئة ألف رسم . وبعد وصول الرسوم - **آخر ديسمبر / كانون أول** ، يقام المعرض الدولي لفنون الأطفال ، خلال شهر مارس (آذار) ، وتقوم لجنة تحكيم باختيار الرسوم الناجحة ، وننشر لك بعضها مع هذا المقال على صفحات « **الفيصل** » .





وقال مرة الدكتور **ذاكر حسين ، رئيس الهند السابق** ، وهو نفسه عالم ورجل تربية :

« إن رسوم الأطفال القادمة من مختلف أنحاء العالم ، هي وعد رائع لعالم واحد ، يتحقق فيه التفاهم العالمي . هنا لمحات من الحياة تشهد بحكمة الأطفال وسماحتهم ، هنا فرح حقيقي ونوايا طيبة ، وملاحظات ذكية ، وواقعية أصيلة ، وأيضاً مثالية عظيمة وتأكيد للذات » .

يؤكد هذا المعرض السنوي لفنون الأطفال ، أنه لا حدود في عالم الأطفال ، ولا حواجز من لون أو جنس أو لغة أو عقيدة .. بل بشرى أنه من عالم الأطفال ، يمكن أن ينمو عالم من السلام والجمال للجميع .

ويقول مدير عام اليونيسكو :

« للأطفال من خلال رسومهم لغة عالمية ، يتفاهمون بها ، فيما بينهم بسهولة .. وهذه الرسوم شهادات لعالم جميل يعيش في سلام » .

يقول علماء النفس ، الذين درسوا رسوم الأطفال ، إن طرق تعبير الأطفال واحدة رغم اختلاف مستوياتهم الاقتصادية والاجتماعية ، وتباين أجناسهم وقومياتهم ، مما يؤكد الاعتقاد ، بأن أصولها تمتد بعمق في تاريخ الجنس البشري .. وعلى الرغم من ذلك ، فإن التعبير الذي يقدمه الطفل ، سواء عن طريق اللون أو الخط أو المسافة .. إنما هو تعبير فردي ، يرجع في صورته النهائية إلى كل طفل على حدة ، ويكون وإياه وحدة قائمة بذاتها .




SHANKAR'S
CHILDREN'
ART
NUMBER
VOL. 21

أحلاف دفاعية

لم تعقدها البشرية!

بقلم: د. عبدالمحسن صالح

الحياة تعرض علينا أنماطاً من السلوك الذي يحيرنا، فيدعونا إلى مراجعة أنفسنا، كي نتخلى عن بعض غرورنا، وندرك أن هذا الكوكب ليس لنا وحدنا، فكأنما كل الأفكار المبتكرة التي ألصقناها بأنفسنا لصقاً، لها - في الواقع - جذور قديمة ظهرت قبل أن يظهر الإنسان على هذا الكوكب بعشرات الملايين من السنين.. إذ لا جديد تحت الشمس. «لو كنتم تعلمون»!

إذن.. دعنا نقدم صورة من صور الحياة، ليتبين لنا المغزى فيما ذكرنا فأوجزنا.

ثمن الخداع

علينا أن نتوجه إلى **البحر الأحمر**، أو بالتحديد بين شعبه المرجانية بجوار شواطىء **مصر** أو **السعودية**، فهذه أو تلك تتميز بكنوز من الجمال الحي الذي يتخذ أشكالا متباينة، وألواناً متناسقة، حتى لنحسبها بساتين ليس لها على الأرض مثيل، وهي بلا شك تجذب انتباه كل من تاقت عيناه، للتطلع إلى بديع صنع الله، وكما يراه في صور غنية مجسدة في أنواع الكائنات التي تزخر بها الحياة.

لكن من الجمال ما يلدغ، ومن الفتنة ما يخدع.. حقيقة نلمسها في البحر، كما لمسناها قبل ذلك على البر!

فبين هذه الشعب المرجانية نرى **شقائق النعمان** وهي تتماوج بلوامسها أو أذرعها الكثيرة، ذات الألوان المثيرة، والتنظيمات الفريدة، حتى لنحسبها زهوراً منمقة وما هي - في الواقع - بزهور، بل حيوانات بحرية بدائية رخوة، التصقت على الصخور، أو بين الشعب المرجانية، وتوزعت عليها بأشكالها وألوانها الجذابة **(شكل ١)**.

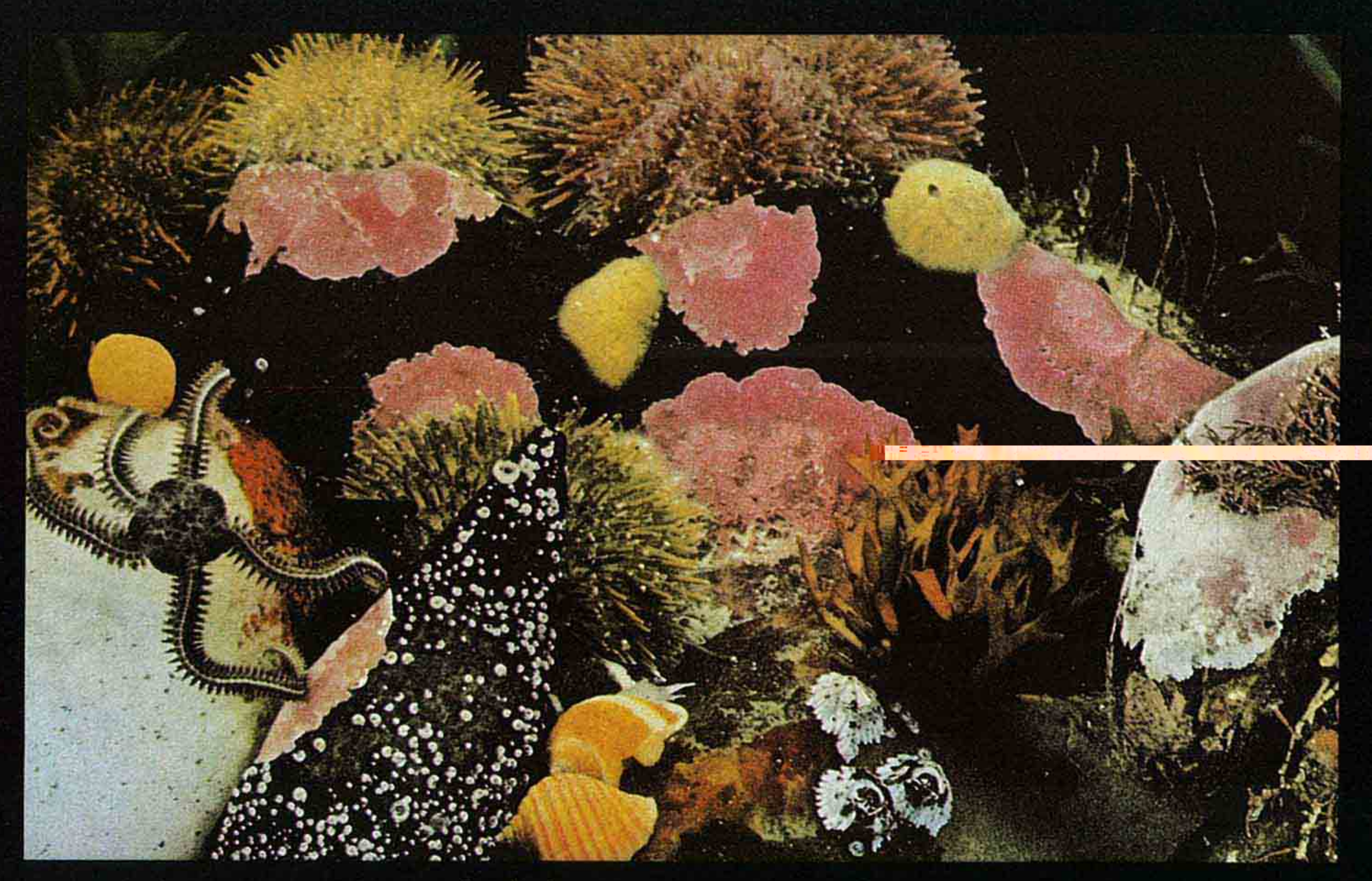
وبين هذه الكائنات الثابتة في أماكنها، نشهد جمالا آخر متحركاً، يتمثل لنا أساساً في **أسماك ذات ألوان زاهية، ونقوش رائعة**، حتى لنحسبها مهرجاناً حياً يتباهى برونقه وجماله على مخلوقات الأرض.

ولنلتقط من هذا المهرجان سمكة حلوة، نوعاً واحداً من آلاف الأنواع المزركشة التي تسكن البحر.. **والسمكة اسمها «الآنسة الفاتنة»** Damselfish، أو لو شئنا الدقة لأسميناها الآنسة ذات الخداع أو التضليل أو البراءة القاتلة، لأنها تلعب في البحر لعبة تذهب ضحيتها الأسماك الأخرى.

لو أنك لاحظت سلوك هذه السمكة، وصبرت على دراسة حركاتها، لتوصلت إلى سر خداع لعبتها، إذ تراها تنطلق إلى شقائق النعمان الثابتة في مكانها، ثم تمرح وتتمرغ بين أفرعها **(شكل ٢)**، وبعد قليل تنطلق إلى الخارج، وتسبح في الماء حولها، وقد تقابل سمكة أو سمكتين أو أكثر، وعندئذ تداور وتناور، وتنطلق عائدة إلى شقائق النعمان، ثم تكر نحو السمكة الصغيرة أو السمكات.. وقد تعاود هذه الحركات لشيء في نفسها.

وقد تأنس السمكة الغريبة لسلوك «الآنسة» وعندئذ قد تتبعها إلى هذا العش الأمين، نقصد شقائق النعمان التي تتماوج بلوامسها في براءة، وما إن تدخل معها «الضيفة» في «خدرها»، حتى نراها تترنح من الإعياء، وكأنما هناك مخدر قد أفقدها رشدها، أو سما قد سلبها توازنها!

وفي لحظة تالية تبدأ الأذرع واللوامس تتحرك لتحيط بالضحية المخدوعة، وتلفها كأنما هي أخطبوط، وبعد قليل تنعم الشقائق بوجبة شهية، جاءتها نتيجة لخدعة ذكية، ويسدل الستار، على إحدى المآسي التي تتم في البحار.. لكن يبرز أمامنا سؤال: وماذا استفادت السمكة



★شكل (١) : أشكال وأنواع وألوان من مخلوقات بحرية متناسقة تتوزع بجمالها بين الشعاب المرجانية، فتبدو كما لو كانت بستاناً منمقاً وبديعاً★

التي قدمت هذا الصيد بلعبتها الخبيثة التي جازت على السمكة البريئة ؟

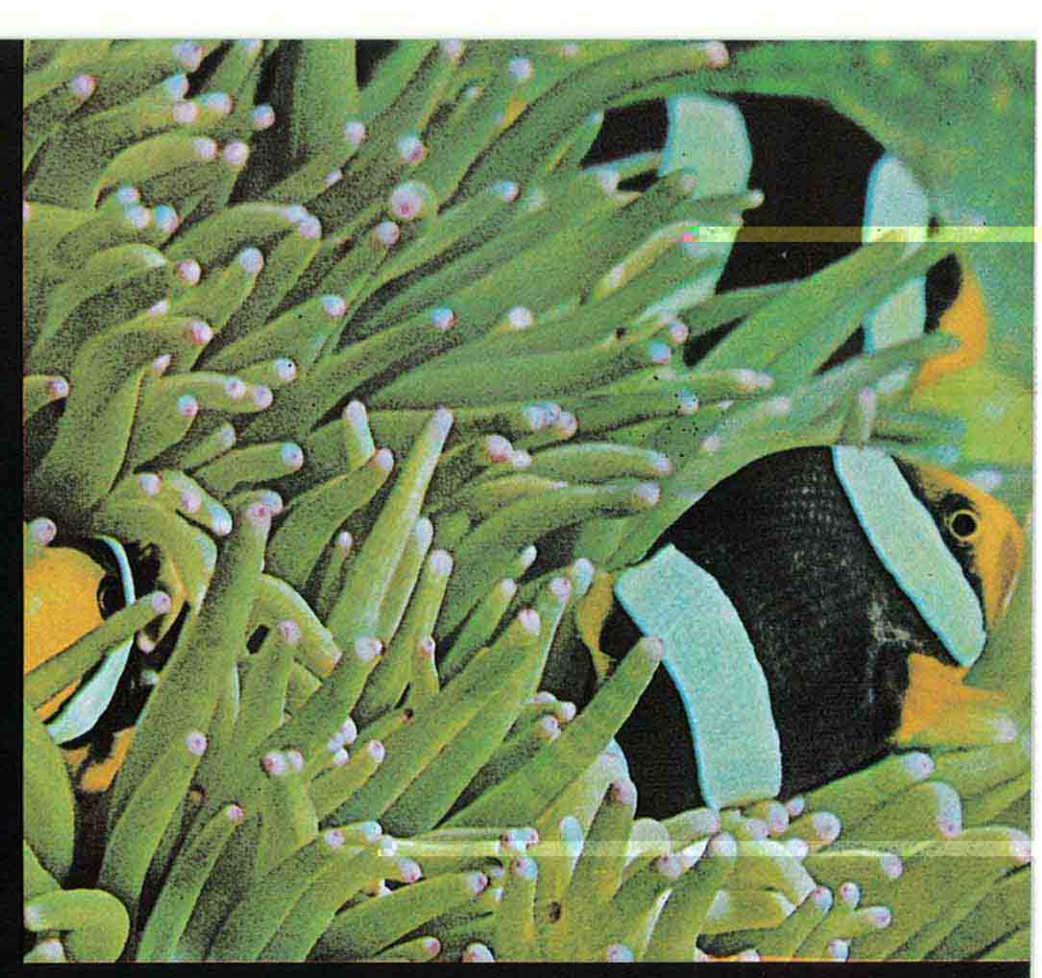
الواقع أنها لا تنعم إلا بفتات المائدة ، فبينما يهضم شقائق النعمان وليمته ، تنساب منه بعض قطع صغيرة ، فتسرع إليها « الأنسة » لتلتهمها ، وبها تسعد ، وعليها تعتمد في السعي على اصطياد ضحايا جدد ، كأنما هي مع شقائق النعمان تقدم لنا قصة أشبه بقصة السفاحتين « **ريا وسكينة** » الشهيرتين .. لا فرق هنا بين بحر وبر إلا فيما يختص بالتفاصيل !

هل تكرر « الأنسة » قصة راسبوتين ؟

لكن القصة لم تنته عند هذا الحد ، فهناك مثلاً أسئلة حائرة تجابه العلماء .. إذ كيف تعيش هذه السمكة بين أذرع شقائق النعمان دون أن يصيبها ما يصيب الأسماك الأخرى من ترنح وفقد وعي يحرمها من الافلات من موت أكيد ؟ .. ولماذا لا يفترس هذا المخلوق ذو الأذرع السامة المميتة الأنسة التي تروح وتجيء وهي آمنة مطمئنة ؟ .. وكيف يميز صاحبنا بين هذه السمكة والأسماك الأخرى ، رغم أنه لا يمتلك عيناً ليرى بها ، ولا أذناً ليسمع بها ، ولا حاسة من الحواس المعروفة أو غير المعروفة نحن لنا معشر البشر ؟ !

الواقع أن السر عميق ، وكل ما قيل في تعليله ليس إلا من قبيل الافتراضات أو النظريات .. إذ يبدو أن سمكتنا الصغيرة قد تكيفت على **المادة السامة أو المخدرة** التي تطلقها شقائق النعمان ، إذ هي من مهدها قد تربت في أحضانه .. فعندما تضع **الأنثى** بويضاتها ، فإنها تضعها بين زوائد شقائق النعمان ومتلاصقة بجسمه .. ليس هذا فحسب ، بل إن **الذكر** نفسه يتمسح بجسمه على لوامس الشقائق ، فتستجيب لذلك ، وتنثني نحو البويضات لتعطيها حماية ، وعندما تفقس ، وتخرج منها الأسماك الدقيقة ، فلا شك أنها تنال بعض سمومه القاتلة ، لكن بجرعات ضئيلة ، وبمرور الوقت تكتسب مناعة طبيعية .. مثلها هنا كمثل **راسبوتين الشهير** ، إذ يقال أيضاً إنه كان يدرك أنه سيموت مسموماً ، ومن أجل هذا ظل يتناول من - بادىء الأمر - جرعات صغيرة ، ثم زاد الجرعات شيئاً فشيئاً ، حتى اكتسب في النهاية مناعة ، وعندما قدم له أعداؤه السم في القصر القيصري بروسيا ، يقال إن السم لم يؤثر فيه .. وإذا كانت هذه رواية شهيرة في حياة راسبوتين ، فإن مناعة هذا النوع من الأسماك ضد سموم شقائق النعمان ليست أيضاً إلا بمثابة نظرية ، ولك الخيار في أن تتقبلها أو ترفضها ، لكن مؤيدي تلك النظرية يساندونها بالمشاهدة ، إذ رأوا هذا النوع من الأسماك وهو يقضم برفق - ومنذ الصغر - لوامس الشقائق ، دون أن يصيبه مكروه ، في حين أن هذه اللوامس المزودة بأسنان دقيقة حادة تصب سمومها في الضحية بمجرد ملامستها لها ، لتترنح وتغيب في جوفها **(شكل ٣)** .

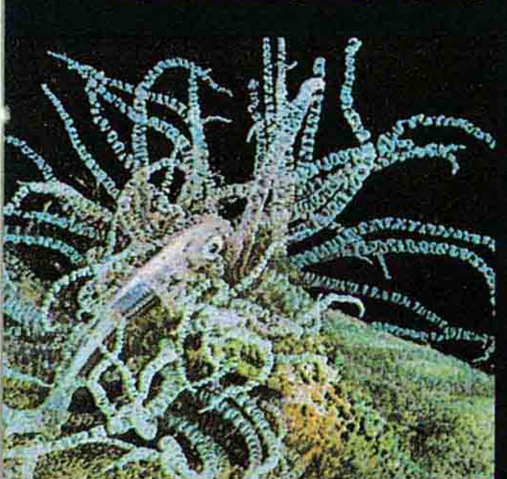
وهناك نظرية أخرى قدمها لنا كل من **الدكتور ديوريست دافينبورت من جامعة كاليفورنيا ، والدكتور ريتشارد**



★شكل (٢) : ثلاث سمكات تختبيء بين شقائق النعمان دون أن تصاب بالسم والموت من لدغته القاتلة ، في حين أن الأسماك من الأنواع الأخرى تفقد وعيها بمجرد دخولها بين اللوامس .. ما السر في ذلك؟ (راجع المقال) ★



★ أحد شقائق النعمان قد خدر سمكة وأعياها ، فأصبحت دون حراك ، وعما قليل ستغيب في جوفه ★



ماريسكال من جامعة فلوريدا ، وفيها يذكران أن هذا النوع من الأسماك قادر على حماية نفسه من لدغة اللوامس المميتة من خلال تبطين جسمه بمادة هلامية أو مخاطية ، لكن هذه البطانة الهلامية لا تتكون إلا إذا تقبلت السمكة لدغة من المحتمل أن تكون في بداية الأمر هينة ، ثم تتأقلم عليها بمرور الوقت ، وكلما تأقلمت ، زادت البطانة الواقية ، واكتسبت بها مناعة ذات كفاءة عالية !

فكرة أصيلة !

وأياً كانت الأمور أو النظريات ، فإن هذه الوسيلة من وسائل الحياة بين نوعين جد مختلفين من الكائنات ، توضح لنا فكرة بديعة من أفكار الحياة التي لا تنضب ، والفكرة تشير إلى نوع من التحالف أو التعاون أو التكافل بين المخلوقات .. فهذا يقدم شيئاً لذاك بمقابل ، أو **كأنما هي نوع من أنواع الأحلاف أو المعاملات التي نعرفها نحن معشر البشر ، لكن هذه الكائنات قد عرفتها قبلنا بعشرات الملايين من السنين** ، ولا شك أن هذه الفكرة قد أثبتت أصالتها وكفاءتها ، بدليل أن كلا من النوعين قد واصل حياته دون انقراض كل هذه الملايين من السنين .. فالفكرة الأصيلة تعيش ، وما عداها لا تجد لها مكاناً على هذا الكوكب الذي يتربص كل ما فيه ، لكل ما فيه !

وسمكتنا « الآنسة » سمكة صغيرة ، ولهذا لا تستطيع لنفسها دفاعاً أو حماية ، فماذا هي فاعلة خاصة أمام الأفواه الجائعة ؟

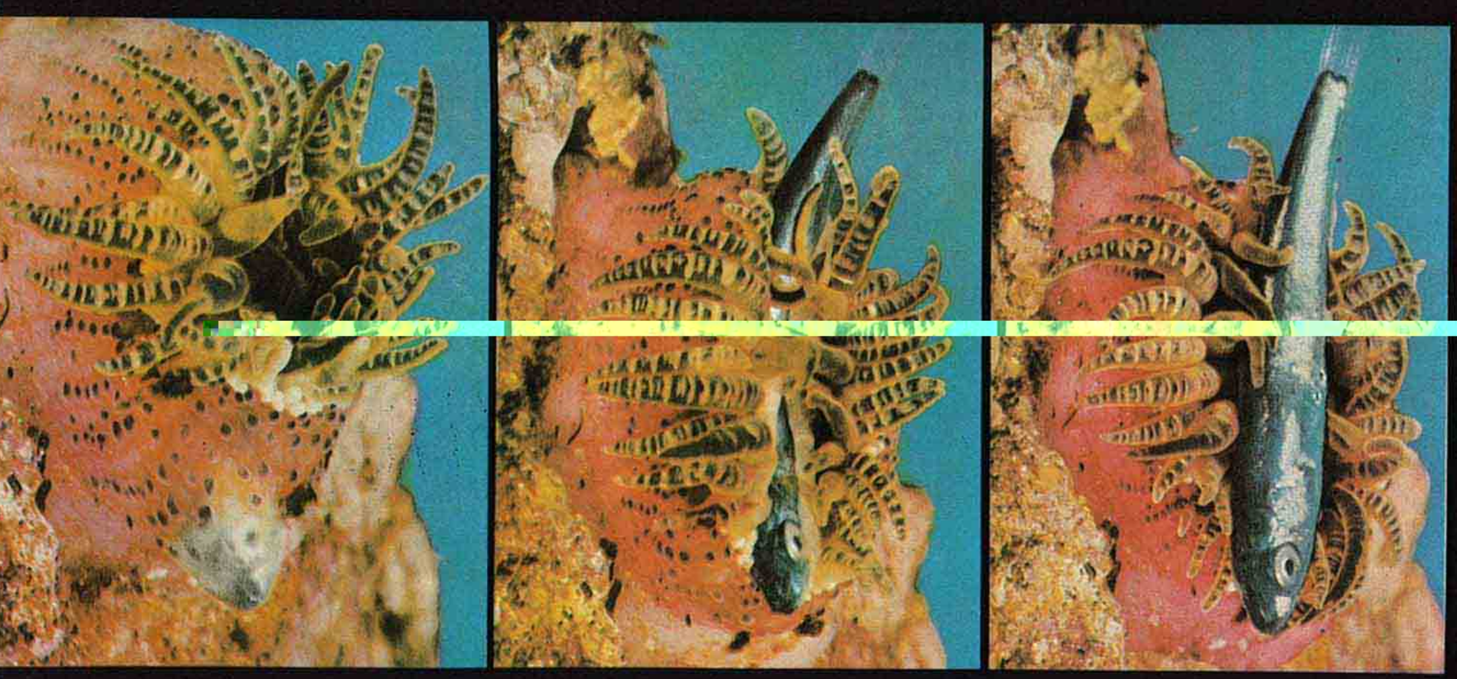
عليها إذن أن تعقد معاهدة دفاع غير مكتوبة مع شقائق النعمان ، ولهذه الشقائق سطوة بما ملكت من سلاح تضرب به عصفورين في وقت واحد : عصفور لبطونها ، وعصفور ترهب به الطامعين فيها ، أو في لوامسها ، إذ تكمن في اللوامس « **ترسانة** » دفاعية غير منظورة تخشى الكائنات البحرية بأسها ، عدا سمكتنا الصغيرة ، فهي لها نعم الملجأ والحماية ، فما أن ترى سمكة مهاجمة ، إلا وتسرع منطلقة نحو حليفها ، وفيه تنشد الأمان !

وطبيعي أن شقائق النعمان لا تستطيع أن تهجر مكانها ، وتسعى على رزقها ، فلقد قدر لها أن تعيش وتموت دون أن تبرح موقعها ، وعلى هذا النوع من الأسماك أن يرد لها المقابل لتلك الحماية ، أي أن ييسر لها رزقها ، فكان أن جندت نفسها لتخدع الأسماك الصغيرة الأخرى ، وتقوم بحركات أشبه **بالمناورة** ، لتسحبها معها إلى قدرها المحتوم ، فتنجو هي ، وتموت التي خدعت ، ومنها تحصل من شقائق النعمان على الفتات !

والواقع أن هذا النوع من السلوك نعرفه باسم **تبادل المنفعة** Symbiosis أو هو بمثابة صفقة تجارية رابحة في سوق الحياة التي تتدفق في ديناميكية مقدرة لا تعرف التهاون أو التواكل .. حقيقة عرفتها كائنات البحر قبل أن تعرفها كائنات البر ، وعلى رأسها الإنسان سيد المخلوقات .. صحيح إن هذه الكائنات لا تعرف شيئاً عن المبادىء أو الأخلاقيات ـ كما يعرف ذلك الإنسان .. إذ أن مبدأها يتركز أساساً في بطونها ، وفي غريزة حب البقاء ، ولا أحد يستطيع أن يلومها على



(٣) (٢) (١)



★شكل (٣) : نوع ثالث من شقائق النعمان وقد لدغ السمكة بلوامسه السامة ففقدت وعيها (١) ، ثم أطبق عليها بلوامسه (٢) ، وفي النهاية غابت السمكة في جوفه (٣) .. وأنت تستطيع أن ترى رأسها من خلال مادة جسمه الشفافة نسبياً .. هذا وقد يعقد هذا الحيوان حلفاً مع نوعين من الأسماك ليعيشا بين لوامسه دون أن يصيبهما بضرر (راجع المقال)★

سلوكها ، فلا عقل لها ولا دين .. لكن ما أكثر ما نرى من عجائب أصحاب العقول !

على أن صور التكافل أو تبادل المنفعة أو **الحلف الدفاعي بين الكائنات الحية** كثيرة ومثيرة ، ونحن لا نستطيع أن نتعرض لها هنا بالتفصيل ، لكن يكفينا أن نقدم مثلاً أو مثلين من كائنات البحار التي تزخر بكل ما هو غريب وعجيب .. والبطل هذه المرة ليست سمكة ، بل **نوع من أنواع سرطانات البحار (أو الكابوريا)** الكثيرة جداً ، لكن النوع الذي نحن بصدده هنا قد جاء إلى الحياة دون أن يكون له على جسمه غطاء صلب يحميه كأترابه من الأنواع الأخرى التي امتلكت درعاً ، ولهذا فإن لحمه البض لمن الوجبات الشهية التي تطمع فيها الكائنات الأخرى .. فماذا هو فاعل في مثل هذا المأزق الخطير ؟

لا تحمل له هماً ، فلقد تكفل بنفسه ، وعرف كيف يتخطى الصعاب ، فهدته غريزته - منذ صغره - إلى الاحتماء داخل قوقع أو صدفة مناسبة من الأصداف البحرية الخاوية من سكانها ، فيدخل فيها بجسمه ، ويتخذها مستقراً ومقاماً (ومن أجل هذا سمي بالسرطان الناسك لأنه أسير « صومعته ») .. ليس هذا فحسب ، بل نراه يحملها فوق ظهره ، وبها يسير ويتنقل من مكان إلى مكان ساعياً على رزقه ، فإذا أحس بعدو مهاجم ، انكمش في صدفته كما تنكمش السلحفاة في صدفتها ، فإذا زال الخطر ، برز برأسه وأرجله ، واستمر في سعيه !

لكن مما لا شك فيه أن السرطان الصغير لن يبقى صغيراً ، بل لا بد أن ينمو ويكبر جسمه ، وعليه تضيق صدفته ، فيبحث عن واحدة أوسع ، فإذا وجدها ، خرج من ضيقه إلى فرجه ، فيترك القديم الصغير لمن هو أصغر منه ، ويلبس « الجديد » وعلى بركة الله يسير ، ولا يزال ينمو ويغير ثوبه أو درعه مرات عديدة ، حتى يصل إلى نهاية مراحل نموه ، وقد يموت كما يموت كل كائن حي ، فتصبح صدفته هي مثواه وقبره ، وقد يأتي من يحل فيها محله .. و« رب لحد قد صار لحداً مراراً » .. لا فرق في ذلك بين بحر وبر !

لكن الأغرب من ذلك أن سرطاننا يعرف أخطار البحار ، وكأنما هو يحسب لها ألف حساب وحساب .. صحيح أن الصدفة أو القوقع يعطيه نوعاً من الحماية ، لكن الحذر قد لا يغني أحياناً عن القدر أو الخطر ، فلماذا لا يحمل « قطعة من السلاح » حتى يصبح مهيب الجناح ، فيتجول وهو مطمئن البال ، مستريح الفؤاد ؟

وقد كان .. فهدته غريزته - والغريزة لفظ نطلقه لجهلنا بما هو كائن ويكون من أسرار سلوك المخلوقات اهتدى إلى فكرة عملية وفعالة ، بدليل أن النوع قد واصل حياته لعشرات الملايين من السنين ، وفكرة السلاح موجودة أمامه في شقائق النعمان ، فكأنما هو يعرف أن هذا الكائن يحمل على لوامسه « ترسانة » دفاعية مهيبة الجانب ، لكنه - أي الشقائق - كسيح لا يستطيع أن يبرح مكانه ، وطبيعي أن السرطان لن يستظل بظل « ترسانته » ، ولو فعل لمات جوعاً .. لأن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، ولن يأتيه رزقه إلا إذا سعى له سعيه !





★شكل (٥): هذه الزوائد الطويلة تتدلى من كائن هلامي عائم فوق سطح الماء، وفي هذه الزوائد كبسولات سامة، أو صواريخ دقيقة تنطلق على الصيد فتشله، ثم ترفعه إلى أعلى، لتلتهمه في فتحة فمها، أما السمك الذي يتجول بين هذه الزوائد، فلا يصاب بمكروه، وكأنما قد عقد مع هذا الكائن المعروف باسم «سفينة الحرب البرتغالية» معاهدة عدم اعتداء! (راجع المقال)★



★شكل (٤): السرطان الناسك يرتكز بجسمه داخل قوقع، فإذا أحس بالخطر، سحب أطرافه ورأسه إلى الداخل، لكنه مع ذلك احتاط للأمر، وحمل فوق القوقع ترسانة دفاعية من شقائق النعمان، فيعيشان معاً عيشة تعاونية فيها تبادل منفعة★

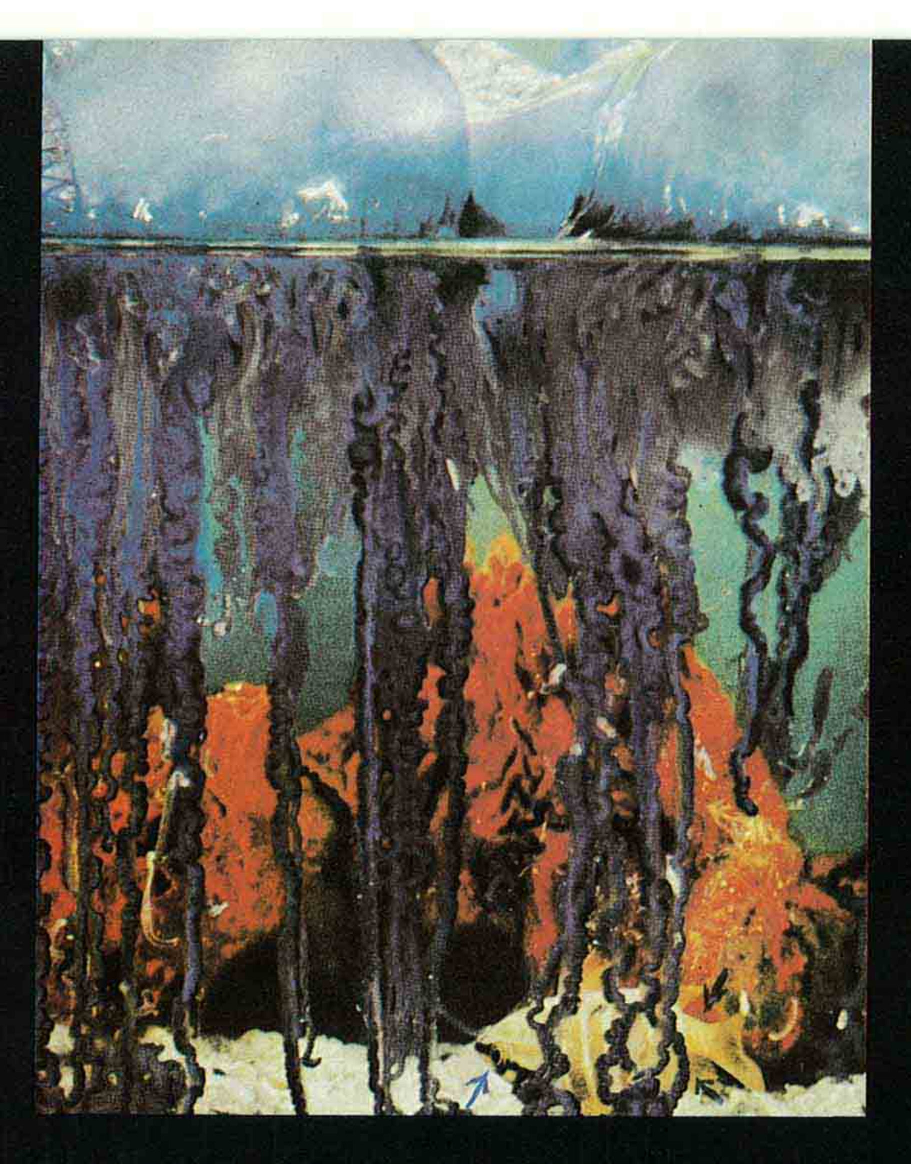
عليه إذن أن يحزم أمره، ويحمل هذه الترسانة على ظهره.. نعني أن ينزع شقائق النعمان حيث كانت، ويثبتها على صدفته أو قوقعه، ولا يزال يعالج هذا الأمر بصبر وحذق ومهارة، حتى يثبت شقائق النعمان على الصدفة بأقدامه، فلديه مادة لزجة في قدمه أو قاعدته، لتساعده في تلك المهمة، سواء على صخر أو قوقع!

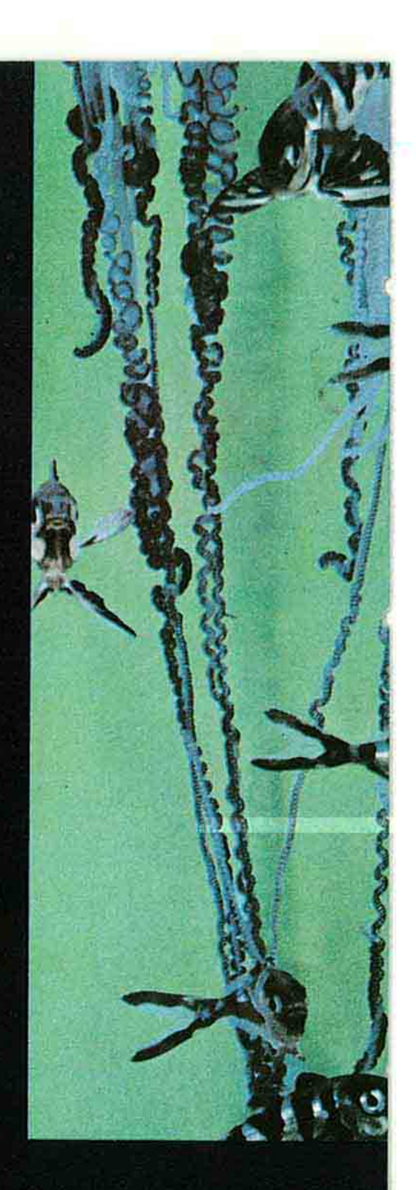
وقد لا يكتفي السرطان بترسانة واحدة ـ نعني بشقائق نعمان واحد، بل قد يحمل منه اثنين أو ثلاثة، زيادة في الحذر والحماية.. وكلما كبر السرطان، كبرت شقائق النعمان، فإذا حان خلع صدفته بعد ضيقها عليه، هاجر إلى أخرى أوسع، لكنه لن ينسى رفيق السلاح، فيخلعه من على القديم، ويثبته على الجديد، وهكذا تسير الأمور بحكمة، كما سارت قبل ذلك بمئات الملايين من السنين **(شكل ٤)**.

ولا شك هنا أن كل كائن منها مفيد لصاحبه، فالكسيح قد تحرك من مكانه بفضل صاحبه، والمتحرك قد لقي مهابة وحماية بفضل رفيق حياته، وكلاهما بطبيعة الحال يصطاد رزقه على حسب إمكاناته، وقد يستغني هذا عن بعض طعامه، فيقتسمه مع ذاك، **والحياة تكافل وتعاون يا أولى الألباب**.. فكرة تقدمها لنا كائنات ليس لها في العقل نصيب، لكنها تتصرف كما لو كانت من أصحاب العقول.. وما أكثر ما يشق أصحاب العقول بعقولهم!

سفينة حية متحركة

ومثلنا الأخير ينطوي على فكرة أخرى ذات مغزى آخر.. وبطلها كائن من الكائنات الهلامية أو الرخوة القريبة الصلة بقناديل البحر، وهذا الكائن اسمه «**السفينة البرتغالية**».. فهو إذا انطلق على صفحة الماء، فإنه ينطلق بالآلاف، وكأنما هو أسطول ضخم من مراكب شراعية صغيرة، وأحياناً تغزو الشواطىء بكميات ضخمة، وقد تلقيها الأمواج على الرمال، فتظهر على هيئة كتل رجراجة تتدلى من تحت بطونها زوائد طويلة





★ شكل (٦) : كائن هلامي يعرف باسم «سفينة الحرب البرتغالية»، تتدلى منه زوائد سامة، ولقد أطلق سهامه على سمكة ففقدت وعيها (إلى أسفل يمين الصورة ومشاراً إليها بثلاثة أسهم) وبعد قليل سترفعها الزوائد إلى حيث تسلمها لقمة سائغة لجسم الكائن الذي يطفو على سطح الماء، كالشراع الذي يندفع بالهواء، وهو نفس الكائن الذي رأيناه في شكل (٥) مع حليفاته من الأسماك ★

كأنما هي الحبال الرفيعة، وعندما تبحر هذه الكائنات في الماء، تتدلى زوائدها لمسافات قد تصل إلى عشرة أو عشرين متراً في العمق، وعلى هذه الزوائد تعتمد في طعامها، أما الجزء الطافي فهو بمثابة شراعها الذي يدفعه الهواء، وبه تبحر على سطح الماء، وفيه أيضاً فمها وبطنها وغددها التناسلية ... الخ.

وتشترك السفينة البرتغالية (أي الكائن الهلامي) مع شقائق النعمان في أمور، وتختلف معه في أخرى. فزوائد هذه وتلك مزودة ومكدسة بمادة تفقد الكائنات الأخرى الصغيرة وعيها، وهذه وتلك قد توصلتا إلى فكرة الحلف أو المنفعة المتبادلة مع نوع من الأسماك، لكن الكائنين يختلفان في الشكل، وفي الحركة، فأحدهما سجين صخرته أو شعبته المرجانية، والآخر يجوب البحار، فله من شراعه خير وسيلة لينقله من مكان إلى مكان، وهو في أثناء ترحاله، ترحل معه حليفته، لتطمئن بين زوائده القاتلة دون أن يصيبها منها مكروه **(شكل ٥)**، لكن ما أن تغري هذه الحليفة الأسماك الأخرى الصغيرة (ومن نوع غير نوعها)، علها تنشد الأمان مثلها في داخل هذه الزوائد المتدلية، إلا وتنطلق عليها «**صواريخ**» حية جد دقيقة، فتخترق جسمها كالسهام، لتصب فيها مادتها، وتفقدها وعيها، وعندئذ ترفعها بلوامسها إلى فمها، وكأنما هي «**ونش**» أو رافعة متحركة، فإذا أدت الزوائد مهمتها، عادت لتستطيل، علها تحظى بصيد جديد **(شكل ٦)**.

والسؤال الحائر نفسه يجابهنا هنا: ترى.. ألا تلق الحليفة نصيباً من هذه السهام الحية الدقيقة المنطلقة في كل اتجاه دون تمييز بين عدو وحليف؟

الواقع إن الحليفة تصاب تأكيداً، لكنها لا تترنح بها ولا تموت، رغم أنها تنطلق إلى أجسامها كلما اصطادت السفينة الحية صيداً، وكل ما قيل عن تعليل ذلك، لا يخرج أيضاً عما قدمناه مع شقائق النعمان وحليفته، ويبقى السر مطوياً، وما أكثر الأسرار التي أودعها الله في كل صور الحياة **﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾**!



ترجمة: د. أحمد عبد القادر المهندس

يمكن تلخيص حياة النحل الاجتماعية وقيمة ما تخرجه من بطونها وعلاقتها بالإنسان في الآيتين الكريمتين من سورة النحل ، قال الله تعالى :

﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ . صدق الله العظيم

ربما أتيحت لك الفرصة أن تذهب إلى مكان تكثر فيه **الأزهار** في يوم مشرق جميل ، وربما تتذكر أنك رأيت أسراباً من النحل تمضي في أعمالها بدأب ونشاط لا مثيل لهما . ولعلك رأيت نحلة تطن بصوتها متنقلة من زهرة إلى أخرى وهي منشغلة في عملها ، **وقد تتساءل ماذا يعمل النحل وعلى ماذا يتغذى ؟**

إن النحل يتغذى على سائل سكري يسمى « **الرحيق** » تصنعه الأزهار ، كما أنه يجمع المسحوق الناعم الذي يغطي الأزهار ، ويسمى **اللقاح أو غبار الطلع (انظر الصورة رقم ١)** . ولكن النحل لا يغذي نفسه فقط بل يجمع الغذاء للنحل الآخر ، وذلك لأن النحل يعيش مع بعضه في مجتمع متكافل يسمى المستعمرة أو **خلية النحل** .

وتعتبر خلية النحل خلية اجتماعية نموذجية ، حيث أن كل نحلة تساعد في جعل المستعمرة وحدة متكافلة ، وذلك بأداء واجباتها كاملة . ومن الحشرات التي تعيش مع بعضها عيشة اجتماعية : **النمل ، والدبابير ، والنمل الأبيض** ، وكلها تسمى **الحشرات الاجتماعية** .

إن دراسة هذه الحشرات ودراسة طرق حياتها وتكافلها الاجتماعي لمن الأشياء المثيرة للتفكير والإعجاب بقدرة الخالق العظيم .

وهناك نوعان من النحل يمكن أن نراهما في الحقول ، وهما : **النحل ذو الأشرطة** وهو نوع متوحش ذو طنين مرتفع ، والنوع الأصغر حجماً وهو ذو اللون البني **الصانع للعسل** ، ولكن **هناك في الواقع آلافاً من أنواع النحل** .

فمثلاً هناك **نحل العشب ، نحل الماسون ، نحل المناجم ، نحل النجار ، النحل القاطع لأوراق الشجر ونحل الوقواق** .. الخ . وبعض هذه الأنواع غير اجتماعية اطلاقاً وهي تعيش لنفسها ولذلك فإنها تسمى **النحل المعتزل** .

ونحل العسل يشكل أكبر المستعمرات ، وقد وجد أنه يمكن أن تعيش ٨٠,٠٠٠ نحلة في مستعمرة واحدة .

تركيب جسم النحلة

إن التركيب الأساسي لجسم النحلة لا يختلف كثيراً بالنسبة للأنواع المختلفة من النحل . فالنحلة لها **زوجان من الأجنحة وستة أرجل** ، ولها **جسم مستدير مغطى بالشعر** . ونلاحظ أن الأجنحة والأرجل تكون ملتصقة بالجزء الأوسط من الجسم ، ويعرف هذا الجسم الأوسط بالصدر . ويوجد على رأس النحلة **خمسة عيون وقرنا استشعار** ، ويسمى الجزء الخلفي من جسم النحلة بالبطن .

أنواع النحل في الخلية

يوجد في خلية النحل الاجتماعية ثلاثة أنواع متميزة من النحل : **النحل العامل ، وذكور النحل ، وملكة النحل** . ومعظم النحل الموجود في الخلية هو النحل العامل وجميعه من الإناث ولكنه لا يستطيع أن يضع بيضاً . أما النحل المذكر فلا يوجد منه إلا عدة مئات فقط ، ولا يوجد إلا ملكة

واحدة بالغة وهي الوحيدة التي تضع البيض ، ويمكنها أن تضع في عام واحد فقط حوالي مليون ونصف المليون بيضة **(انظر الصورة رقم ٢)** .

ويقوم النحل العامل بكل العمل في الخلية ، فيصنع **أقراص العسل** الذي يخزن فيه الطعام ويوضع فيه **البيض** ، كما يقوم بتغذية النحل الناشىء وجمع الطعام ، كما يقوم بتغذية الملكة وتنظيف واصلاح الخلية بالإضافة إلى الدفاع عنها عند الهجوم الخارجي .

ويعتبر النحل العامل من أصغر طوائف النحل جسماً ، ولكنه مجهز تماماً لجمع الرحيق وغبار الطلع من الأزهار . وتملك كل نحلة عاملة لساناً طويلاً يشبه الأنبوبة تستطيع بواسطته أن تمتص الرحيق من الأزهار ، ويجمع غبار الطلع أو اللقاح على الجزء الشعري من جسم النحلة العاملة ، وبعد ذلك يضغط ويخزن في تراكيب خاصة تعرف **«بسلال غبار الطلع»** . ولكل نحلة عاملة سلة لجمع غبار الطلع على الجزء الخارجي من أرجلها الخلفية . وتحتوي السلة على فراغ داخلي مجوف مغطى بالشعر .

ويوجد في مؤخرة جسم النحلة العاملة إبرة . وتستعمل النحلة هذه الإبرة ضد أي مخلوق يحاول أن يتدخل في شؤون الخلية . وتحتوي الإبرة على أشواك ، وغالباً ما تنتزع الإبرة من جسم النحلة وتبقى داخل جسم الضحية ، وفي هذه الحالة فإن النحلة سرعان ما تموت .

وذكر النحل أكبر من النحل المؤنث العامل ولكنه أصغر من ملكة النحل . ولذكور النحل أجسام سميكة وأجنحة قوية ، وليس لذكور النحل إبر للسع أو سلال لجمع غبار الطلع ، ولا يعمل ذكر النحل اطلاقاً . ويبقى ذكر النحل في الخلية ويأكل العسل الذي يصنعه النحل العامل من رحيق الأزهار ومن غبار الطلع المخزون . ويبقى عدة مئات من ذكور النحل داخل الخلية حيث أن واحداً منهم فقط سوف يقوم بعملية **التزاوج** مع الملكة الجديدة للنحل في **فصل الصيف** .

ويبلغ حجم الملكة حوالي مرتين أو أكثر بالنسبة لحجم النحلة العاملة . وليس لملكة النحل سلة لجمع غبار الطلع ولكن لها لساناً قصيراً جداً . ولا تستطيع الملكة أن تعيش بمفردها ولا بد من وجود النحل العامل ليقوم باطعامها ورعايتها .

عملية التزاوج

عند قدوم فصل الصيف ، تبدأ الملكة في **الطيران** إلى أعلى الفضاء الرحب متبوعة بمجموعة من ذكور النحل ، وتبدأ عند ذلك عملية التزاوج حيث يقوم أحد الذكور بتلقيح البيض الذي تحمله الملكة . وبانتهاء مراسم الزواج يموت ذكر النحل ، وذلك لأن جزءاً من جسمه قد انتزع منه أثناء المغادرة في رحلة العودة . وهكذا تعود الملكة إلى الخلية لتضع بيضها الملقح في داخل أقراص العسل .

غذاء وعمل النحل العامل

يتغذى النحل العامل على العسل المخزون ، وبعد ذلك يتعلق بأقدامه واحدة فوق الأخرى ، ويفرز رقائق صغيرة جداً من الشمع من بطنه ، وتتكون بذلك ستارة شمعية تجمعها بقية النحل وتمضغها حتى تصبح طرية وعند ذلك تبني منها أقراص العسل .

وتتكون **أقراص العسل** من صفوف من خلايا صغيرة جداً سداسية الجوانب . ولا يوجد إلا مسافة صغيرة جداً بين الصفائح الشمعية المعلقة فوق بعضها حتى أنه لا يوجد إلا حيز صغير للنحل لكي يعيش بين تلك الصفائح الشمعية .

ويقوم النحل العامل بجمع رحيق الأزهار ليحوله إلى عسل وذلك باستخلاص الماء من الرحيق حتى يصبح الرحيق مركزاً وعند ذلك يخزن العسل الناتج في الخلايا الصغيرة في أعلى وأسفل جوانب أقراص العسل . ويوضع البيض في الخلايا ، واحدة فقط في كل خلية في وسط وأسفل أقراص العسل . ويخزن غبار الطلع في الخلايا بين خلايا العسل وخلايا البيض . ويتم تنظيف وتلميع كل خلية بعناية فائقة قبل أن تضع الملكة بيضها .

مراحل تطور النحلة

يمكن أن تضع ملكة النحل في يوم واحد حوالي **٣٠٠٠ بيضة** ، تزن حوالي مرتين من وزنها العادي ، ويعتبر هذا العدد ضروري لأن النحل العامل يموت دائماً بأعداد كبيرة ، ولا بد من تعويض هذه الأعداد الكبيرة **(انظر الصورة رقم ٣)** . وكل بيضة يمكن أن تنتج نحلة ، ولكن النحلة لا تنتج مباشرة من البيضة حيث أنها تمر بمراحل تطورية ، فتنتج البيضة أولا **يرقة** وبعدها خادرة أو حشرة انتقالية . وتتغذى اليرقة يومياً بواسطة النحل العامل ، ثم تتوقف عن الأكل بعد سبعة أيام ، وعند ذلك تضع نحلة عاملة غطاءاً على الخلية . وتتغذى اليرقات على مادة تعرف باسم **الهلام الملكي** ، وهذا الهلام عبارة عن لعاب خاص تفرزه غدد النحل العامل . فإذا تغذت اليرقة على هذا الغذاء فقط ، فسوف تصبح ملكة نحل ، أما إذا تغذت اليرقة على الهلام الملكي وبعد ذلك على غبار الطلع والعسل ، فستصبح نحلة عاملة . وينتج ذكر النحل بنفس الغذاء السابق ولكن من بيض غير ملقح . وهكذا نرى قدرة الخالق العظيم تتجلى في تنويع الغذاء الذي ينتج أعداداً معينة من كل نوع من النحل داخل الخلية أو المستعمرة .

وتبدأ النحلة العاملة في مزاولة العمل بمجرد نضوجها ، وأول عمل تقوم به النحلة العاملة هو تغذية اليرقات الصغيرة ، حيث تحمل العسل من الخلايا المجاورة إلى خلايا البيض .

وبعد أن تتطور خلايا الشمع في النحلة العاملة ، تبدأ النحلة في صنع الشمع واصلاح أقراص الشمع القديمة . ويستخدم النحل مادة غرائية لهذا الغرض .

وتستخدم النحلة هذه المادة **(غراء النحل)** لاصلاح الشقوق في أقراص العسل ولعزل الجدران الخارجية . ويصنع غراء النحل من نسغ بعض الأشجار .

وكلما زاد عدد سكان المستعمرة أصبح من الضروري على النحل العامل أن يبني أقراص عسل جديدة ، وفي نفس الوقت يبدأ النحل العامل الصغير في أخذ رحلات طيران قصيرة خارج المستعمرة لكي يتعرف على ما حوله وليعود سالماً إلى المستعمرة عندما يبدأ في جمع الطعام . كما أن النحل العامل الصغير يقوم بجمع وتخزين الرحيق وغبار الطلع ، وذلك بأن ينتظر عند باب المستعمرة عودة النحل العامل الأكبر سناً لكي يجمع منه الرحيق ويحوله إلى عسل ، ثم يخزنه مع غبار الطلع في الخلايا الفارغة .



★صورة توضح ملكة النحل ، وهي أهم عضو في مستعمرة النحل . إن حياة المستعمرة كلها تتركز في وجود الملكة منذ اللحظة التي تبدأ فيها إنتاج البيض★

★نحلة تجمع رحيقاً وغبار الطلع أو اللقاح★





★هذه الصورة توضح طريقة الرقص عند النحل ، هنا ترقص النحلة على الجدار لكي تبين للنحل الآخر كيف يتجه . فالرقصة الناعمة بدون تعرج تعني أن الأزهار قريبة ، أما الرقصة المتأرجحة المتعرجة فإنها تعني أن الأزهار بعيدة ، وعندما ترقص النحلة باتجاه الشمس فإنها تخبر النحل الآخر بأن الأزهار موجودة باتجاه الشمس وعليه الطيران في ذلك الاتجاه ، أما إذا عملت زاوية مع الشمس فإن الأزهار توجد في الاتجاه الآخر كما هو مبين بالدرجات من اتجاه الشمس★

★منظر مقرب لبيض نحل العسل ، حيث تضع ملكة النحل بيضة واحدة في كل خلية سداسية★

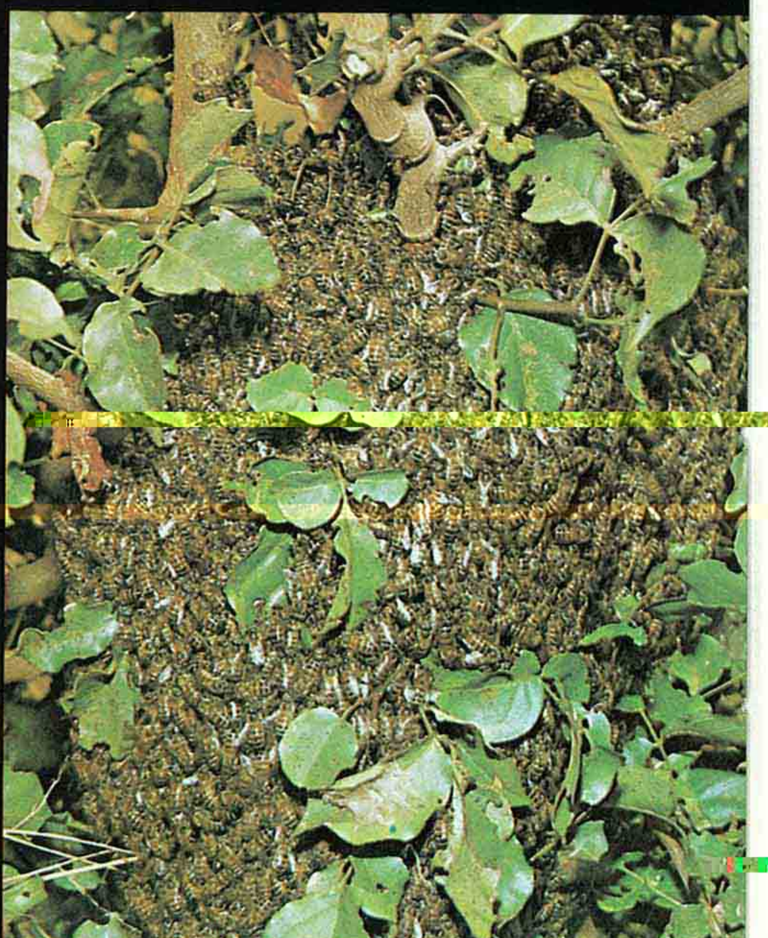


★ النحل العامل كما هو على أقراص العسل ، ويوجد حوالي ٥٠ إلى ٦٠ **ألف** نحلة عاملة في أي مستعمرة نحل ، وتعيش كل نحلة عاملة عدة أسابيع فقط خلال الصيف وكأنها تقتل نفسها في جحيم العمل ★



★ تجمعات كبيرة من نحل العسل على شجرة . سوف يتحرك هذا النحل للبحث عن مكان آخر لكي يبني خلية نحل . ويمكن للإنسان أن يستفيد من هذه الظاهرة بأن يجعل النحل يتجه إلى خلية نحل اصطناعية قريبة للاستفادة منه ★





★ قتال بين ملكتي نحل . عندما تتكون مستعمرة نحل جديدة ، يمكن أن توجد أكثر من ملكة ولكن المستعمرة تحتاج إلى ملكة نحل واحدة فقط . ولذلك فإن قتالا سوف يبدأ في المستعمرة بين الملكات وتحاول كل ملكة أن تقتل الأخرى حتى تحكم تلك المستعمرة ★

كما يقوم النحل العامل ببعض الأشياء الصغيرة مثل ترتيب خلية النحل وذلك برمي النفايات إلى الخارج بالإضافة إلى حماية الخلية ضد أي هجوم خارجي . ويقوم النحل العامل بعمل هام جداً ، وهو أن يجعل البيض عند درجة حرارة معينة ، فإذا كان البيض حاراً ، فإن النحل العامل يخفض درجة حرارته بواسطة تصفيق أجنحته ، أما إذا كان البيض بارداً ، فإن النحل يتجمع حوله حتى يبقيه دافئاً . وعندما يصبح عمر النحل العامل حوالي ثلاثة أسابيع ، فإنه يبدأ في الذهاب إلى الخارج لجمع الطعام .

ويطير النحل العامل إلى الخارج لمسافات طويلة للبحث عن الرحيق وغبار الطلع ، ويمكنه أن يطير لمسافة تزيد عن **ثلاثة عشر كيلومترا** للبحث عن الطعام . ويملك النحل حواساً حادة خاصة بالرائحة والبصر للبحث عن أحسن الأزهار المفعمة بالرحيق .

رقص النحل ودلالاته

عندما تجد النحلة العاملة مصدراً جيداً للطعام فإنها تعود إلى الخلية لتخبر أترابها بذلك ، وتقوم النحلة بسلسلة رائعة من الرقصات لكي تخبر النحل الآخر أين يوجد ذلك المصدر **(انظر الصورة رقم ٤)** . فإذا كان مصدر الطعام لا يبعد أكثر من **٤٠ متراً** من الخلية ، فإن النحلة ترقص حول قرص العسل على شكل دائرة ، أولا في اتجاه واحد ، ثم تعود إلى الاتجاه المعاكس . أما إذا كان الطعام بعيداً فإن النحلة تقوم برقصة **هز الذيل** في شكل ثماني التكوين . ويبدأ النحل العامل المثار في متابعة النحلة الراقصة ، ويمكن للنحل العامل أن يعرف أي نوع من الأزهار تومىء إليه النحلة الراقصة ، وذلك بواسطة الرائحة التي تنبعث منها ، وكذلك يمكنه معرفة الاتجاه والمسافة بواسطة الذبذبة التي تقوم بها النحلة .

العمل من أجل الجماعة

ويعمل النحل كثيراً حتى أنه يموت في أسابيع قليلة ، ولكن النحل الذي يولد في الشتاء يمكن أن يعيش حوالي ستة أشهر ، وذلك لأنه لا يوجد عمل كثير في ذلك الوقت **(انظر الصورة رقم ٥)** . وفي فصل الصيف تكون مستعمرة النحل شعلة من النشاط ، فالنحل يطير ويطير جامعاً الرحيق وغبار الطلع ، ومن الداخل يكون مشغولا بخزن العسل وبناء أقراص العسل والعناية بصغار النحل . وقبل أن ينتهي فصل الصيف بوقت قصير تدب في المستعمرة حركة غير عادية ، ويئز النحل بصوت عال وخاصة عند باب المستعمرة ، وتخرج الملكة ليطير جميع من في الخلية لبناء خلية أخرى جديدة ، **(انظر الصورة رقم ٦)** ، ويبقى بعض النحل في الخلية القديمة ، حيث تأخذ ملكة جديدة زمام الأمور بعد أن تقضي على منافسيها بلسعة من إبرتها الملكية ، وتمضي الحياة في الخلية كما كانت ، **(انظر الصورة رقم ٧) . وخلال الشتاء يعيش النحل من العسل المخزون في أقراص العسل .**

الإنسان والنحل

لقد جمع الإنسان العسل منذ قديم الزمان ، وكلما كانت خلايا العسل مستديمة وعسلها لذيذ الطعم حافظ الإنسان عليه وذلك ببناء خلايا خشبية وبداخلها توجد إطارات خشبية منطبقة على صفائح رقيقة من الشمع .

ويعتبر النحل ذو الأشرطة المتوحش أيضاً نحل اجتماعي . وهو مشابه إلى حد كبير بنحل العسل ولكن مستعمراته أو خلاياه غير مستديمة ، حيث يبني خلية جديدة كل عام . كما أن النحل ذو الأشرطة يكون أكبر جسماً من نحل العسل ، وهو كثير الشعر ولونه عادة بني غامق أو أسود بأشرطة صفراء أو برتقالية . **ويعيش النحل ذو الأشرطة في الأماكن الباردة من العالم ، وعمره أقصر بكثير من نحل العسل** . وتعيش النحلة الغير لاسعة التي توجد في **الأماكن الإستوائية** من **جنوب ووسط أمريكا** في مجتمعات مشابهة لنحل العسل .

ومجتمعات النحل تتميز بالترتيب والنظام الفعال حيث إن كل فرد يلعب دوره بعناية ، حتى أن الناس كثيراً ما يقارنون مجتمعات النحل بالمجتمعات البشرية ، ولكن هناك فرقاً أساسياً بينهما ، وهو أن مجتمعات النحل تقوم أساساً على **الغريزة** وليس على **الذكاء** . وكما قلنا سابقاً فإنه ليس كل النحل اجتماعي بالغريزة ، ذلك أنه توجد أنواع كثيرة من النحل تعيش عيشة مفردة . وبالإضافة إلى العسل الذي يحصل عليه الإنسان من نحل العسل ، فإن للنحل عموماً قيمة أخرى حيث **يقوم النحل بدور هام في حياة النباتات** . وعندما يطير النحل من زهرة إلى أخرى فإن غبار الطلع أو اللقاح من الجزء المذكر للزهرة يلتصق بأرجلها وجسمها ، ولذلك عندما تنتقل إلى زهرة أخرى ، فإن الجزء المؤنث للزهرة يمكن أن يلمس غبار الطلع ، وهكذا يمكن أن تلقح النباتات وتنتج بذوراً ، ولذلك نلاحظ أنه في بعض أجزاء العالم يشجع النحل للانتشار في الحقول لكي يساعد في إنتاج البذور التي تزيد من غذاء الإنسان ورفاهيته .

بتصرف عن مجلة « ALL ABOUT SCEINCE »
العدد / ١٩٧٣ م





بقلم : إبراهيم أحمد الشنطي

لوحة شعبية من الشرفة الخلفية

نحن جدد في الحي ، الشارع من تحتنا ممهد غير مسفلت ، وهو فرعي يتصل بالشارع الرئيسي على مقربة منا . الشمس تشرق على مهل . ضجيج البائعين يزداد تدريجياً ، فالدكان المواجهة لنا مركز لتوزيع الفاكهة . . . صنف واحد فقط هو فاكهة الموسم . قبل شهر كان الصنف هو **الصبر البرشومي** . أو **التين الشوكي** كما يسمونه .

أما اليوم فالفاكهة هي « **الجوافة** » أقفاص كثيرة مرصوصة إلى جدار الدكان الخارجي ، البائعون المتجولون يتصايحون وهم يدفعون عرباتهم أمام الدكان ليأخذ كل منهم بضعة أقفاص يبيعها في شوارع القاهرة .

أمام الدكان الآن نحو عشر عربات على كل منها بضعة أقفاص ، ويقف بجانب كل عربة رجل أو اثنان . أحدهما يفرغ القفص ، ثم يأخذان في ترتيب الثمار على شكل هرمي جميل . الجيدة من الخارج ، أي على الجوانب ، والصغيرة من الداخل ، والمعطوبة بالقرب من الميزان ليدسها البائع بسرعة في كيس الزبون الذي يحاول التقاط بعض الحبات الجيدة .

ثلاث عربات أخرى تقف تحت الشرفة مباشرة ، أصحابها لا يتاجرون في الفاكهة . يظهر أنهم متخصصون في بيع الخضار الجافة . ثلاثة أصناف فقط على كل عربة : بصل وثوم وبطاطس . في كل صباح يأتون إلى هذا المكان تحت الشرفة ، يرصون حزم الثوم على جانبين من جوانب سطح العربة الأربعة ، الجانب الثالث مخصص لكيس البطاطس المطروح على جنبه ، والبصل في الوسط بين حزم الثوم والبطاطس . أما الجانب الرابع ، فهو للميزان ولبضعة أكياس من الورق .

عربة أخرى تكاد تأتي يومياً وليس لها علاقة بما يدور من حولها . إنها لبيع البطاطس الحلوة . عليها فرن من صفيح وبالقرب منه كيس مملوء بالبطاطس حتى آخره . البائع يشعل الفرن ببعض الأوراق التي التقطها من الشارع ، ويتبعها ببعض عيدان الأقفاص المهشمة التي التقطها أيضاً مما حوله . يبدو أن مهمته انتهت في هذا المكان . أخذ يدفع عربته نحو الشارع الرئيسي بينما قليل من الدخان يتصاعد من مدخنة الفرن .

لم يضع بطاطساً في الفرن بعد ، ربما حتى تكتمل الحرارة داخله . إنه يقف الآن على الناصية ، ينزل الكيس من العربة ويتناول بعض الثمار ويأخذ في

ترتيبها مكان الكيس بشكل جميل أيضاً ، ولكن ليس كالجوافة .

عربة يجرها حمار قوي تفد إلى المكان . صاح صاحبها على الرجل الواقف في داخل الدكان فأجابه الآخر بصياح أعلى . كلام سريع غاضب يأخذ خلاله صاحب العربة بتحميل بعض أقفاص الجوافة ربما لينقلها إلى مكان بعيد .

عامل يلتقط الأقفاص الفارغة ، يجمعها ثلاثة ثلاثة . . يضع الأول على الأرض ويضع الثاني رأسياً داخل الأول ، ثم يضع الثالث مقلوباً فوق الثاني ، يحمل الثلاثة معاً ويرصها بجانب الأقفاص المملوءة .

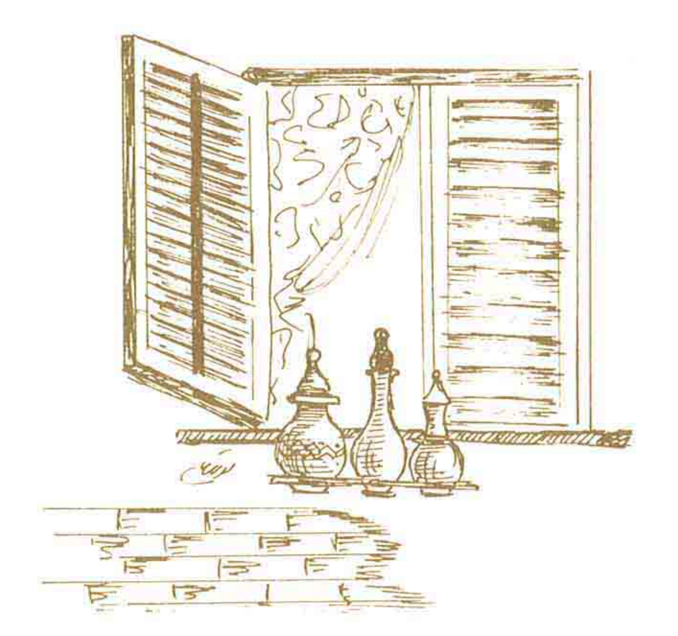
عربة في طرف المكان يرقد فوقها بائع كسول وكأنه لا يسمع الضجيج من حوله . زميل له يمر به ويضربه بلطف على كتفه قائلاً : « قوم ، تحرك يا واد ، لا تكونش مقطوع الرزق » .

العربات التي أتم صاحبها رص الثمار فوقها تأخذ طريقها إلى الشارع الرئيسي بعضها يتجه إلى اليمين وبعضها إلى اليسار . كل إلى مكانه المفضل الذي يتوسم فيه الرواج لبضاعته .

الضجيج هدأ قليلاً . . ثلاثة كلاب وردت إلى المكان . . أخذت تتناوش ، تلعب ، يعض بعضها بعضاً بلطف . . تركض ، تلهث ، لكنها لا تعوي .

بالقرب من الناصية دكان قصاب ، صاحبها من أنظف القصابين لباساً ، ودكانه نظيف جداً كذلك . . . أخذ الصبي الذي يعمل لديه يرش الطريق بالماء عن يمين الدكان ويسارها كي يخفف من الغبار الذي يثيره المارة من الناس والحيوان . على بعد عشرين متراً من الدكان توجد حفرة من الطين حدثت نتيجة للماء الذي سال في ذلك الاتجاه فيغوص فيه بعض المارة الساهين عن مواضع أقدامهم .

رجل أعمى يسير الهوينا يتحسس دربه بعصاه . « إلى يمينك يا شيخ » صاح به أحد الناس ليجنبه الاصطدام بعربة النائم . يتجه الأعمى نحو الطين وهو يتحسس الأرض بعصاه . . الطين كثير في هذه الناحية ، ينقل العصا إلى اليد الأخرى لتمتد إلى مسافة أطول . يجد فرجة جافة فيتجه إليها ويأخذ طريقه إلى حيث يريد .



أحد الباعة أتم ترتيب ثمار الجوافة . . نثر عليها بعض أوراق شجرة تلك الفاكهة ، وغرس غصناً صغيراً في أعلى الكوم أو الهرم .

المسؤول عن دكان التوزيع يراجع حساباته مع زميل له قصير النظر جداً ، الدفتر يلامس أرنبة أنفه . لا أدري لماذا نقول أرنبة أنفه وليس قطة أنفه مثلاً أو عظمة أنفه على الأقل .

قطة خضراء تمر بالقرب من الطين . . تختال في مشيتها . . تحيد عن الأرض الرطبة . يبدو أنها تحب النظافة ، تدور إلى الناحية الجافة وتمضي في طريقها .

زبونة مبكرة تقف إلى جانب إحدى العربات ، إنها في نحو الأربعين من عمرها معها صبيان في نحو العاشرة . . . تكتسي بثياب سوداء طويلة . . ليس من حزن ألم بها ، ولكنه اللباس الذي ترتديه عندما تخرج من منزلها . إنها تجادل البائع لأنه وضع بعض الثمار التالفة . أحد الصبيين « يسحب » حبة جوافة ويضعها خلسة في جيبه . . واحدة بواحدة .

صاحب مغسلة للثياب يخرج طاولة من دكانه . . يبسط عليها أحد القمصان تمهيداً لكيه . الغسال يعب من كوب للماء بجانبه وينثر الماء من فمه على القميص ، عادة سيئة ، لولا أن أداة الكي حارة لكانت طريقة جيدة لنقل الأمراض .

البناية إلى اليمين قديمة جداً وهي من طابقين . سيدة على السطح بلباسها الأسود الكاسي تتناول سطلاً كبيراً به ملابس مغسولة من سيدة أخرى صعدت إليها على سلم خشبي ، السيدة الأولى تتناول قطعة من قماش فتمسح بها حبل الغسيل لتزيل ما علق به من غبار . . الملابس المغسولة تزداد على الحبال . . مختلفة الأشكال والأحجام والألوان .

رجل عجوز يطل من شرفة مجاورة . . ينشر منشفة له على حبل قصير ، ويجلس على مقعد منخفض في الشرفة ، ربما كان كرسياً أو صندوقاً خشبياً أو قطعة أثاث قديمة ، أخذ يطالع في صحيفة أحضرها معه . . تكاد نظارته تلامس الصحيفة ، ربما لضعف شديد في نظره أو لخطأ في النظارة .

لا تزال هناك ثلاث عربات للجوافة ، أصحابها يرتبون الثمار فوقها بصمت . بدأ الناس يعبرون الشارع الفرعي في طريقهم الرئيسي ، حيث صخب السيارات وأبواقها يكاد يصم الآذان . .

الساعة الآن التاسعة صباحاً .

سيارة شحن محملة بالجوافة تفد إلى المكان ، سائقها يدور بها ليجعل خلفها إلى الدكان ليسهل تفريغ الحمولة ، العربة التي يرقد عليها البائع الكسول تعترض طريقه ، السائق يصيح بالنائم فلا يجيب ، إنه في سبات عميق . يطلق السائق البوق ويصيح ببائع آخر كي يوقظ النائم أو يزيح العربة من طريق السيارة ، يستجيب البائع الآخر ويسرع للعربة المعترضة يدفعها وهو يصيح بالنائم فوقها : « ما تصحى يا واد . . مالك كده النهار ده !؟ »

لا جواب .

يمسك النائم من كتفه ويهزه بلطف فينكفيء النائم على وجهه كأنه وسادة محشوة . يمسك بيده . . يرفعها قليلاً ويتركها فتسقط كقطعة من خشب . . يصبح الرجل مذعوراً : « الله . . يا جماعة حسونة مات . . حسونة مات . . مات ! »

وتجمع الناس .



بقلم: أنطوان تشيخوف
ترجمة: أحمد فارس



في المصيف

«إنني أحبك ، إنك حياتي ، وسعادتي ، وكل شيء . سامحني على الاعتراف ، ولكني لا أستطيع أن أكتم صمتي وعذابي ، لأنني لا أملك القوة على تحمل ذلك . أرجوك ، لا تبادلني نفس الشعور ، ولكن أريدك أن تشفق لحالي . كن في الثامنة من مساء اليوم تحت العريشة القديمة .. كما ترى لم أذكر لك اسمي . فأنا أعتقد أن لا فائدة من ذلك .. ولكن لا تخف ... هناك ما يعوضك عن الاسم .. إنني جميلة وشابة .. فماذا تريد غير ذلك ؟ .. »

قرأ المصطاف بافل ايفانيتش هذه الرسالة ، ثم هز كتفيه ، وبشكل آلي حك جبهته . إنه إنسان متزوج وإيجابي ، وأخذ يفكر **«ترى أية شيطانية هذه ؟ . إنني رجل متزوج ، وفجأة تردني مثل هذه الرسالة الغريبة .. بل رسالة سخيفة . ترى من كاتبتها ؟»** .

قلب بافل الرسالة بين يديه ، ثم أخذ يقرأها مرة ثانية ، التفت جانباً وبصق ، وراح بعد ذلك ، يحادث نفسه «تقول إنني أحبك» ، على أي ولد مراهق عثرت ؟ . هل تعتقد بأنني بمجرد أن أقرأ هذه السطور ، سأطير فوراً إلى العريشة . . ؟ ! . إني أيا عزيزتي . . جربت هذه الأوهام والتصرفات الرومانسية منذ أمد بعيد . . . لا بد أنها امرأة طائشة ، غير راشدة . . فماذا غير ذلك إذن . . ؟ . ولكن من أي صنف هذه المرأة . . ؟ سامحني يا إلهي ، ما معنى إذن هذا التصرف ؟ ما معنى أن نكتب رسالة إلى شخص مجهول ، بل ومتزوج أيضاً . . إن هذا دليل على مدى فساد الأخلاق وانحطاطها .

خلال ثمانية أعوام من الحياة الزوجية لبافل ، ابتعد عن هذا الشعور الرقيق ، ولم يستلم أية رسالة عاطفية ، عدا رسائل التهنئة بالأعياد . لذلك لم يستطع أن يتظاهر بالشجاعة أمام نفسه وأمام الرسالة المذكورة أعلاه ، التي أحرجته وأيقظت كوامن الماضي لديه . . .

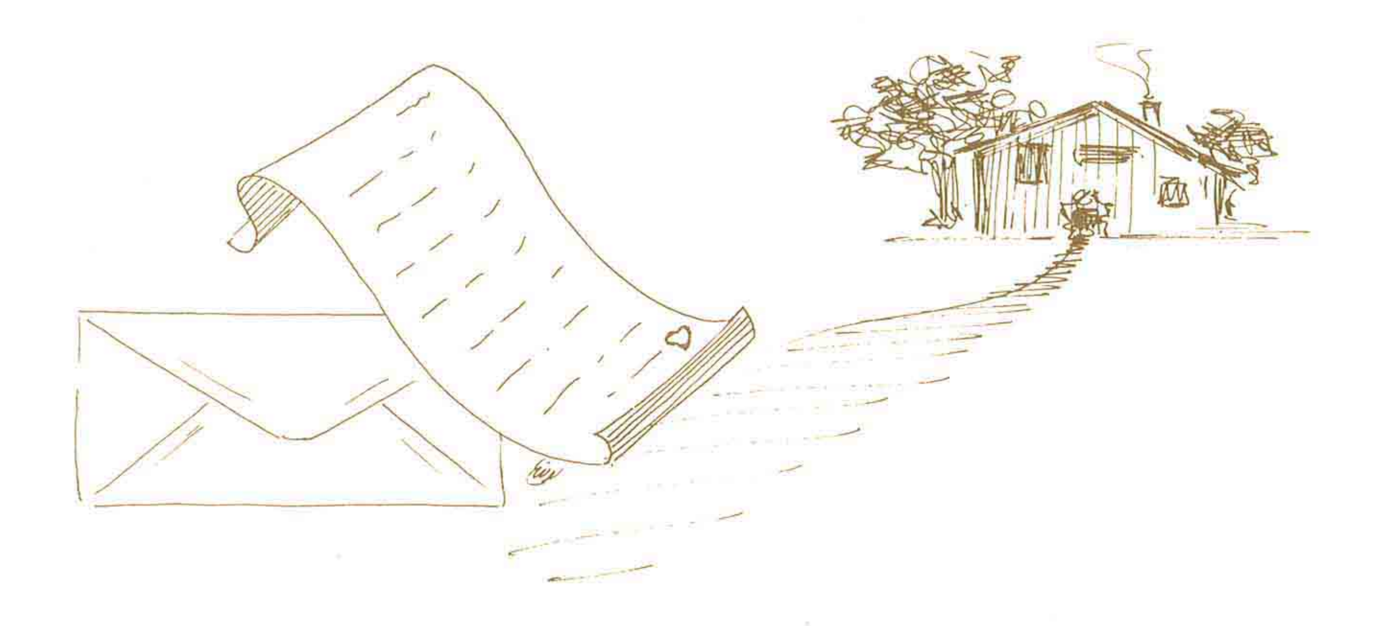
بعد مرور ساعة على استلامه للرسالة استلقى على الأريكة وأخذ يفكر :

«بالطبع لست مراهقاً ، ولن أركض إلى هذا اللقاء الأحمق .. ولكن يبدو ممتعاً ، أن أعرف صاحبة هذه الرسالة .. فالخط دون أدنى شك خط امرأة .. وهي مكتوبة بعاطفة صادقة تنبع من أعماق القلب ... ولكن ، هل من المعقول أن تكون مزحة .. ؟

على ما يبدو أنها امرأة مجنونة طائشة ... أو أرملة لعوب .. الأرامل على العموم ، قصيرات العقل شاذات التصرف .. ولكن ترى من تكون ؟» .

كان من الصعب الإجابة على مثل هذا السؤال ، لأنه خلال الأعوام الثمانية التي قضاها ويقضيها بافل في المصيف ، لم يحاول أن يتعرف على امرأة في حياته عدا زوجته .. قال متمتماً :

«أمر غريب ، **«تقول أحبك»** ، ولكن متى أمكنها ذلك ؟ . أمر النسوة يدعو للدهشة والعجب معاً ، أحبت هكذا (**حبني حبيتك**) . إنها لم تتعرف بي ولا تعرف أي إنسان أنا . . . يبدو أنها فتاة رومنتيكية ما دامت قد أحبت



من النظرة الأولى أو الثانية ... ولكن من هي يا ترى؟» .

وفجأة تذكر بافل ، بأنه مع كل مساء وعلى مدى ثلاثة أيام ، عندما كان يتنزه في حديقة المصيف ، كان يشاهد ولمرات عديدة فتاة شابه بثوب أزرق وأنف أخنس تتجول . كانت هذه الشقراء الجملة قد نظرت إليه ، عندما كان جالساً على المقعد وجلست إلى جانبه .

فكر بافل :

«هي؟ مستحيل ، أمن المعقول لفتاة بهذا الجمال ، أن تحب عجوزاً متغضن الوجه مثلي؟ كلا هذا مستحيل» .

بعد الغداء ألقى بافل نظرة إلى زوجته ، نظرة خالية من أي معنى ، وأطلق العنان لأفكاره من جديد . «إنها تكتب بأنها شابة جميلة ... معنى هذا أنها ليست عجوزاً .. الحق يقال .. أنا أيضاً لست بذاك العجوز السيء ، ويمكن العثور فيّ على شيء يجببني ... إن زوجتي تحبني ، وقد يكون هذا مطابقاً للمثل القائل : «**حب حبيبك ولو كان عبداً أسوداً**» .

سألته زوجه :

— بماذا تفكر؟

أجابها كاذباً :

— لا شيء .. أشعر بأن رأسي يؤلمني ...

لقد قرر فيما بينه وبين نفسه ، أن لا يكترث بهذه المرأة الطائشة ، وبالرسالة التي أضحكته ، وبصاحبتها ... ولكن للأسف .. عدو الإنسان أقوى بكثير ...

بعد الغداء أستلقى بافل على السرير ، فعوضاً عن أن ينام أخذ يفكر :

«أعتقد أنها تأمل في اللقاء ، وتنتظر قدومي .. إنها حمقاء ، نعم حمقاء .. ستشعر بنار الغضب ، عندما تأتي ولا تراني هناك .. إنها لن تستطيع أن تهزني بكلماتها .. لن أذهب إليها .» .

ولكن أعود فأقول بأن عدو الإنسان أقوى ...

فكر بافل بعد نصف ساعة :

«ولكن .. ما المانع في أن أذهب وأشبع فضولي . سأذهب وأراقب من بعيد أية امرأة هذه؟ شيء ممتع أن أراقب وأضحك . حقيقة لماذا لا أضحك ما دامت هناك فرصة مواتية للضحك؟» .

نهض ايفان من فراشه وشرع بارتداء ملابسه .

سألته زوجته ، وقد لاحظت أنه يرتدي قميصه النظيف وربطة عنقه الجديدة :

— إلى أين؟ ما لي أراك ترتدي ثيابك الجديدة؟

— هكذا ... أريد أن أتمشى قليلاً .. رأسي يؤلمني ...

لبس بافل ثيابه الجديدة ، وراح ينتظر حلول الثامنة ، ثم خرج من البيت ، فارتسمت أمام ناظريه لوحة زاهية الخضرة يتخللها اللون الذهبي الناصع لأشعة شمس الغروب . وراحت أطياف المصطافين والمصطافات تتراءى أمامه وهم ينصرفون إلى بيوتهم ، ومع انصرافهم كان يحس بضربات قلبه تزداد .

فكر والحياء يتملكه وهو ينظر إلى وجوه المصطافات :

«ترى أياهن؟ .. إنني لم أشاهد الشقراء الجميلة بعد .. لا بد أنها تنتظر تحت العريشة الآن ، ما دامت قد خطت إلي رسالتها» .

نزل بافل إلى الطريق الصغيرة ، حيث كانت تطل في نهايته «**العريشة القديمة**» ، وقد ظللتها أوراق شجرة الزيزفون الفضية . فحث خطاه باتجاهها .

فكر وهو ينطلق إلى الأمام :

«سأنظر من بعيد ... ولكن لماذا الخوف؟ فلست أنا الذاهب إلى الموعد ... يا لي من أحمق ... علي أن أمضي بجرأة ... ماذا سيحدث لو دخلت العريشة ...؟ مستحيل ، مستحيل .. ولكن لم المستحيل؟»

ازدادت ضربات قلبه ... بشكل عفوي ، حتى أنه لم يرغب في الدخول ... تخيل الظلام الذي يلف العريشة ... ولاحت له في هذه التخيلات شقراء جميلة في ثوب أزق وأنف أخنس .. لقد أحس بحياء حبها ... ورعشة جسدها ، وبقربها منه ... وبأنفاسها الحارة المتقطعة و ... فجأة أحس بها ، وهي تمسك به وتضمه معانقة مقبلة .

وفجأة طرد الأفكار الآثمة من مخيلته وراح يفكر :

« آه لو لم أكن متزوجاً ، لكان الأمر على ما يرام ... ولكن ما المانع ؟ .. إن القيام بتجربة واحدة في الحياة لن تؤثر ... وإلا فسأموت ولا أعرف ما هذه المرأة .. أما الزوجة ، ماذا سيحدث لها ؟ لن يحدث لها شيئاً .. ثمانية أعوام لم ابتعد عنها خطوة واحدة ، والحمد لله ثمانية أعوام لا غبار علي » .

تابع طريقه نحو العريشة ، وهو يمسك أنفاسه ، ويحس بأن جسمه بأكمله يرتعش ، وراح يشق طريقه بين أشجار عنب الدب الوحشي واللبلاب . ففاحت رائحة الرطوبة والعفونة ، بينما راحت عيناه تجوبان أطراف المكان باحثة عنها ..

« يبدو ما من أحد هنا » فكر وهو يدخل العريشة . وهنا شاهد في الزاوية شبح إنسان .. كان الشبح شبح رجل ... حدق بافل فيه ، فإذا هو شقيق زوجته - الطالب ميتيا الذي يعيش معهم في المصيف .

تمتم بصوت ينم عن عدم الرضى لهذه المقابلة ، فخلع قبعته وجلس .

— أهذا أنت ؟

أجاب ميتيا :

— نعم أنا .

مرت فترة من الصمت فقطعها ميتيا قائلاً :

— أعذرني يا بافل ايفانيتش ... أرجوك أن تتركني لوحدي .... إنني أفكر في موضوع اطروحة الدكتوراه ... إنني لا أستطيع التفكير في وجودك .

قال بافل :

— اذهب إلى أي مكان .. أخرج إلى الهواء الطلق ، حيث يغدو التفكير أسهل ... أريد أن أغفو قليلاً على هذا المقعد ...

تمتم ميتيا :

— أنت تريد النوم ... وأنا أريد التفكير بالموضوع .. الدكتوراه أهم .

وخيم الصمت من جديد ... فأطلق بافل لمخيلته العنان . وبينما هو كذلك ، سمع وقع خطوات ، فانتفض من مكانه وراح يترجى ميتيا بصوت باك :

— أرجوك يا ميتيا .. إنك أصغر مني وعليك أن تحترمني .. إنني مريض ... وأرغب في النوم .. اذهب .

— هذه أنانية ... لماذا أنت هنا لا أنا ؟ إنني لن أتخلى عن مكاني .

— أرجوك أنا أناني ، مستبد أحمق .. أرجوك مرة واحدة في حياتي أرجوك .. احترمني .

هز ميتيا رأسه بعدم الموافقة ..

فكر بافل ، وراح يحادث نفسه :

« أي بهيمة هذا .. فبوجوده لن يتم أي لقاء ... هذا مستحيل » .

توقف عن التفكير ، ثم قال :

— اسمع يا ميتيا .. أرجوك للمرة الأخيرة ... أرني بأنك ذكي ... ورجل مثقف .

هز ميتيا كتفيه ، وقال :

— إنني لا أفهم سبب إلحاحك .. إنني لن أذهب .. ولن أخرج .. بل سأبقى .

في هذا الوقت بالذات أطل وجه نسائي بأنف أخنس ، بالقرب من العريشة ..

ثم توارى بعد أن شاهد ميتيا وبافل معاً ...

فكر بافل وهو ينظر نظرة غضب إلى ميتيا .

« ذهبت .. شاهدت هذا اللئيم فانصرفت .. لقد ضاع كل شيء » .

انتظر بافل قليلاً ، ثم نهض ولبس قبعته قائلاً :

— أنت بهيم ، نعم بهيم ... وأحمق أيضاً ... لقد انتهى كل شيء بيننا .

نهض ميتيا هو الآخر ، وتمتم وهو يرتدي قبعته :

— هذا حسن وأنا سعيد بذلك . أتعرف ماذا فعلت بحضورك إلى هنا ؟ لقد أسأت لي بصورة دنيئة . لن أغفر لك هذا حتى آخر حياتي .

خرج بافل من العريشة ، ولم يكن يدري لماذا كان يحث خطاه باتجاه البيت ؟

لم يهدأ ولم يغير شكل المائدة ، وما تحويه من أصناف الطعام من مزاجه السيء ..

وأخذ يفكر والقلق يقض مضجعه :

« ها هي المرة الأولى ، التي تواتيني فيها الفرصة طوال حياتي ، ولكنها طارت ... لا بد أن الحقد قد نهش قلبها .. إن الفتاة قد انتهت .. لعلها انتحرت » .

على مائدة العشاء كان كل من ميتيا وبافل ينظر في طبقه ، ويخيم الصمت المطبق عليهما ..

كان كل منهما يكن كرهاً للآخر من أعماق قلبه .

التفت بافل إلى زوجته سائلاً بحدة :

— لماذا تضحكين ؟ ألا تعرفين بأن الضحك بدون سبب قلة أدب .

نظرت الزوجة إلى وجه زوجها الغاضب . فأطلقت ضحكة مجلجلة ، وقالت :

— ما قصة الرسالة التي استلمتها هذا الصباح ؟

اضطرب بافل ، وقال متلعثماً :

— أنا ؟ .. أنا - أنا لم أستلم .. إنك تتوهمين ..

— قل ، قل ، اعترف .. بأنك استلمت ، لأنني أنا التي أرسلت لك الرسالة .. أقسم لك أنا .

ها — ها — ها .

اكتسى وجه بافل بالحمرة ، وأطرق رأسه ، ثم تمتم قائلاً :

— إنها نكتة سخيفة .

— ماذا أفعل ؟ أحكم أنت بنفسك .. كان علي أن أغسل أرض الغرفة .. فكيف لي أن أخرجكما أنتما الاثنان منها ؟ بهذه الطريقة وهذا الأسلوب فقط .. ولكن لا تغضب فلكي لا يكون جو الانتظار مملاً في العريشة ، أرسلت رسالة مماثلة إلى ميتيا ... أخبرني يا ميتيا هل كنت هناك ؟

ابتسم ميتيا ، ولم يعد ينظر إلى بافل نظرة كره .

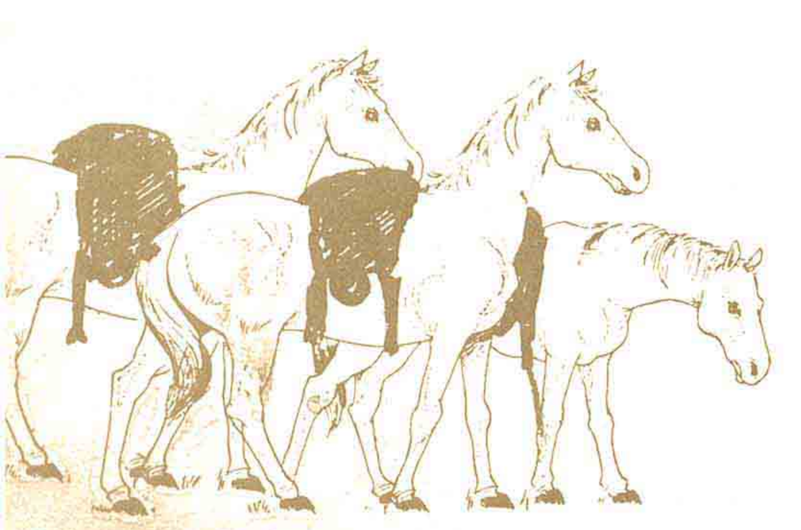


بقلم : ثناسيس فالتينوس
ترجمة : اليس توفيق مهجان

أغسطس الثامن والأربعون

• هذا الكاتب •

★ كاتب هذه القصة ـ تناسيس فالتينوس ـ من كتاب القصة والدراما السينمائية اليونانيين ، من مواليد قرية كاستري في جبال البلوبونيز عام ١٩٣١ م ، له عدة مجموعات قصصية ، وقد ترجم الكثير من القصص إلى الانجليزية والفرنسية .. سافر كثيراً في زيارات إلى أوروبا وأميريكا ، وقعت أحداث هذه القصة عام ١٩٤٨ م ، في أوج الحرب الأهلية اليونانية ، وقد نشرت لأول مرة في مجلة أسبوعية تصدر في أثينا عام ١٩٦٢ م ★



سأل القائد عن المتطوعين الموجودين في الوحدة ... فتقدموا خطوات أمام طابور الجنود .. وكان الرقيب **« مكدونين »** والاثنين الأخوين **« بيلوبويذسينس »** .

أخذ القائد نظارته الميدانية وأمرهم أن يتبعوه ... فتسلقوا المنحدر خلفه وهم يحملون أغطيتهم . وقد لاح أمامهم الوجه الصخري لـ **« فيروسينا »** ، وبدا القائد يحدثهم في ايجاز .

— انظروا إلى الصخرة المواجهة لكم ... لتروا آثار الماعز تصعد إلى اليسار ... وعند الحافة مساحة مستوية في وسطها فوهة بركان ـ حيث الأرض ضاربة إلى الحمرة .... وهم منبطحون على وجوههم حول البركان ـ كما لو كانوا يشربون من جدول ماء .. .

هل تراهم أيها الرقيب .. ؟

● **.. نعم سيدي ؟**

— وأنتم أيها الجنود ؟

● **سيدي .. ؟!**

— خذ نظارتي .. !

— فأخذها الجندي بخطوات ثقيلة .

— .. لا تعبث بها ... ضعها على عينيك كما هي .

التفت الرقيب .. ونظر إلى الجندي الممسك بالنظارة .

— تتبع آثار الماعز أيها الجندي **«قال القائد»**.

● **نعم .. «قالها الجندي في صوت غير مسموع»**.

— أنظر إلى الصخرة .. والمساحة المسطحة عند القمة .

● **نعم .. «قال الجندي ثانياً»**.

وتنهد القائد .. أنظروا إلى الفجوة التي في الوسط .. !

— نعم .. !

● **إنهم يرقدون حولها وكأنهم يشربون الماء**.

— **«رد الجندي مفكراً»** .. كما لو كانوا ينظرون إلى العالم الآخر . !!

قالها ثم صمت .. لم ينطق بكلمة .. وأصبحت عيناه معتادة على العدسات التي في يده .. لقد تجمد وحملق في الأجسام الثلاثة التي لا يبدو لها أي شكل على الاطلاق !

— تذكر كل التفاصيل التي تراها - **«قال القائد»** - لأن الظلام سيجعل رؤيتها صعبة !

خفض الجندي النظارة ووقفوا جميعاً صامتين .

ستأخذ القنابل اليدوية والمسدس فقط - **قال القائد** - أترك بندقيتك .. متى تستطيع أن تتحرك .. ؟؟

وأوشك الرقيب أن يقول شيئاً ولكنه تراجع .

— سيبدأ رحيلكم من الطريق المجاور للمطابخ عند غروب الشمس .. فكن في طريق الضريح حتى يحل الظلام .. ويساعدك ضوء القمر على طول الوادي .. ولكنه سيختفي في منتصف الليل وعليك أن تنهي مأموريتك قبل شروق الشمس ، حتى لا يراك الرجال تدخل عليهم لتحضرهم .

وفي تلك اللحظة لمع شيء في الفجوة المواجهة لهم حيث يرقد الرجال .. لمحها أحد الجنود أولا .. ثم أشار في صمت ... **وتوقف القائد** .

كان توهجاً صغيراً ... تبعه توهج ثان كشيء يعطي اشارات .. وحبس الجميع أنفاسهم .. وبدأت الشمس في الغروب فقال القائد بارتياح .. **«إنها مشابك أحزمتهم المعدنية»** .

★ ★ ★

ركب الجميع حتى طريق الضريح .. حيث جلسوا حتى يحل المساء .

وفي المساء نهضوا وتقدموا ... وكلما أحسوا بظلام المجرى في الوادي ربطوا دوابهم واستراحوا .. كان الليل معطراً .. وآلاف من المخلوقات تنتشر في الظلام .. وفي نشوة تتحرك الأغصان .. وترتعش .

مال أحد الجند على زميله وقال في هدوء .. **«الخامس عشر من أغسطس»** .

وأومأ الآخر في الظلام ..

— سيستعدون للصوم في القرية .. **قال الأول** .. لكن الرقيب نهرهم برفق ليلفت نظرهم إلى وجوب الصمت .

.. لقد كان كلاهما من نفس القرية .. كذلك أحد الجنود الراقدين هناك في الفجوة ... أما الرقيب فقد جند معهم في نفس السنة ولا شيء أكثر .

... خلف التل اختفى القمر الذي كان يملأ المكان بنوره الهادىء ... وانتشر الظلام فواصلوا زحفهم ...

.. وفجأة ومن أعلى الصخرة مزقت سكون الليل صرخة مدوية .. فتسمروا على أثرها في الأرض ... وانتهت معها حياة مخلوقات كثيرة تحت ثقل أجسادهم المرتعدة .

... وأخيراً .. وبأذرع رطبة .. وأعضاء متجمدة أشرفوا على آخر الطريق .. ومثل حيوانات زاحفة توقفوا ليصغوا بآذانهم إلى صرير الليل .

وعلى ضوء النجوم استطاعوا أن يتبينوا الأجساد الثلاثة غارقة في وحدتها .

.. وهناك .. بعيداً على أعلى قمة الجبل كانت هناك مدفعية الأعداء .

وبعيون نصف مغمضة ووجوه مليئة بالحقد تبادل الجنود التفاهم بلا كلمة ...

— دعنا نذهب **«همس الرقيب»** .. وبدأوا يأخذون طريقهم .. فاتجهوا ببطء نحو الصخرة .. الرقيب في المقدمة حيث وصل القمة .. وتمدد ليساعد الجندي في الصعود ، ثم زحف إلى الأمام ولمس خده صوف .. فالتفت إلى الجندي الذي خلفه ليقول .. **«إنهم هنا»** وتحسس أمامه بيده فأحس بشكل قدم في راحة يده عظامه متخشبة وكأن الحياة ما عرفت طريقها إليها أبداً .. !!

ركع الرقيب وأخذ الجثة من تحت إبطها .. وعند ذلك زحف شيء بجواره ولم يكن لدى الرقيب فرصة للتفكير في أي شيء آخر .

.. وفجأة مزق السكون انفجار رهيب .. وبدأت المدفعية تنطلق من أعلى قمة الجبل .. لم يزل الرجل الثالث على الصخرة .. ولأن نيران المدفعية ما زالت مستمرة ، فقد تجمد في مكانه متكوراً .. **ليس رجلاً ولا حجراً** .

.. وعندما سكتت المدفعية .. وفي الصمت الذي يتبع ذلك الضجيج سمع صوتاً يناديه بهدوء .. وتطلع ليرى الرقيب جامداً ووجهه إلى أسفل حيث الجثة التي حاول أن يدفعها .. أما زميله الجندي فكان هناك في مكان آخر يتلوى ممسكاً بأمعائه ... زحف إليه واحتضنه فأراح المصاب ذراعه حول رقبة زميله ..

... **«فاسيلي»** ... !!

حمل الجندي زميله المصاب إلى أسفل .. متدلياً من رقبته .. دماءه تسيل متسللة إلى جسده تبلله .. تتجمد عليه .. ثم أراحه برفق على الأرض .

— آوه فاسيلي .. !!

● **لا تتكلم !!**

— لقد فجروا الجثث !!

● **لا تتحرك ! لا ترهق نفسك .. !!**

— آوه فاسيلي .. إنني أموت .. إن أمعائي تتمزق .. !!

● **لا عليك .. لا تخف .. فقط لا تتحدث .. !!**

— إن دمي ينزف بغزارة .. !!

● **تماسك - !!**

— إنني أموت يا فاسيلي .. !!

● **لا خطر عليك !**

— إن حياتي تنسحب مني .. من بين أرجلي .. !!

● **لا تقلق يا رجل ... فكر في الناس الذين تحبهم .**

— «فاسيلي» ... !

● **.. فكر في القرية .. إن محصول العنب ينضج في هذا الوقت من العام .**

— نعم .. !!

● **أين الرقيب .. ؟!**

— إنه هناك .. فوق الصخرة !!

● **أنا ذاهب إليه !!**

— لا تقل ذلك !!

● **لقد تأخرت الشمس .. ما الوقت الآن ؟!!**

— نعم .. قالها الجندي وتحسس جبهة زميله الجريح بيده .. فأحس بها متجمدة .. أراد لو يصرخ .. ولكنه نسي حزنه وجرى إلى الصخرة ليحمل الرقيب إلى أسفل .. أنزل الرقيب إلى حيث يرقد الجندي الجريح ثم أحضر الجثة الأخرى أيضاً .. وانقض الليل ولم يعد تسلق الصخرة صعباً في الضوء الأول فتسلقها للمرة الرابعة وتجول حول الفجوة ليجد الجنديين الآخرين اللذين جاء من أجلهما .

.. لم يستطع التعرف على ملامحهما .. فسحب حزامه ومرره خلال حزام الجندي الملقى على الأرض واحتمى بالصخرة واتخذها ساتراً له .. ثم بدأ يسحبه بلطف وحذر ، وانتظر أن ينفجر لغم أو تنطلق نيران المدفعية كما حدث ليلة أمس .. **ولكن لم يحدث شيء** ... فسحب الجسد الآخر ، **وأيضاً لم يحدث شيء** ... وما ان وصل إلى أسفل الصخرة حتى أحس أن رحلته الصعبة قد انتهت فجلس يلتقط أنفاسه .. كانت رائحته كلحم مذبوح .. هو فقط الذي يحس ذلك .

... هبت نسمة رقيقة فتحقق أن الفجر قد أقبل بنوره ونسماته .. فنهض وفك رباط الدواب .. وفي رجفة أخذ يرتب الجثث على طول شاطىء المجرى .. وسحب الدواب إلى الماء ، حتى أصبحوا في مستوى الشاطىء فوضع كل اثنين على واحد .

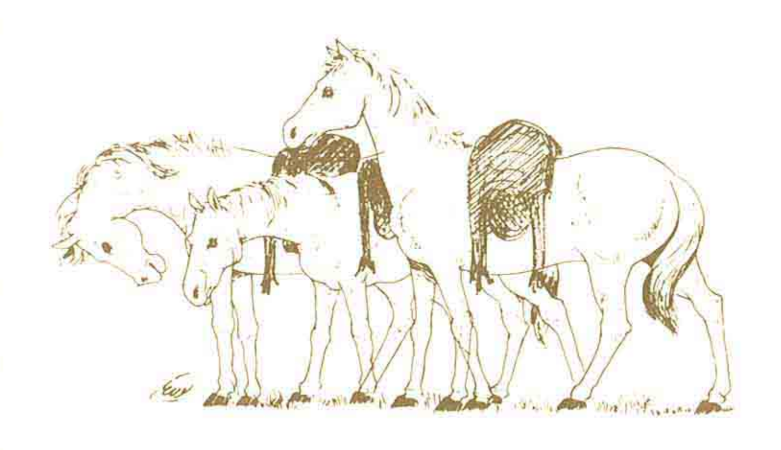
.. وأخيراً بقيت واحدة من الدواب .. وواحد من الجنود .. هو لا يعرف أي واحد منهم .

.. جر الدابة الثالثة ثم انحنى .. وبآخر ما لديه من جهد وقوة رفعه ليكومه فوق السرج .

.. **ولكن** .. وكما لو كان به بقية من حياة انزلق الرجل الميت بلطف على الجانب الآخر من السرج وسقط رأسه أولا إلى الماء .

.. وبفزع صرخ الجندي ... إني آسف يا أخي ... ونزل إلى الماء ، فلم يستطع رفعه فأخذ يجره إلى خارج الماء .

... أخيراً ربط كل الدواب في صف واحد وركب ظهر دابته الأولى



واقترب من الشاطىء ومال إلى الطرق الجانبية ... وطوال الطريق والرجل الميت الراقد أمامه على الدابة يقطر من البلل .. وكلما أحس أنه ينزلق أمسك به من شعره وجذبه إلى فوق ... إلى حجره .. وزقزق طائر مع تباشير الصباح واقترب الموكب من نهاية الرحلة ليرى الجندي زملاءه يصعدون من حفرهم في الطريق كالفئران يغتسلون ... يرش كل منهم عينيه بالماء من زمزميته ..

يتسلمون شاي الصباح ثم يختفون ثانياً في حفرهم .

.. رأى أحد الجنود الدواب صاعدة في اتجاه الطريق ... وبسرعة أبلغ النبأ إلى القائد .

.. لم يتوقع القائد حضورهم فقد سمع معركة الأمس وطلقات المدافع أثناء الليل .

انطلق القائد بسعادة وتجمع حوله الجنود وأخذوا جميعاً يراقبون الموكب يقترب .. وخلع أحد الجنود قبعته وأخذ يلوح بها .. **ثم تجمد الموقف** ... ذعر الجميع من المفاجأة .. **من الموكب الحزين .**

جندي يتقدم على ظهر دابة .. جامد الوجه مختنق يحمل أمامه زميله القتيل ، وخلفه طابور من الدواب يحمل كل منها اثنان من زملائهم قتلى أيضاً !!

وصل الموكب فتفرقوا جميعاً مهمومين .. رأوا على شمس الصباح الدماء المتجمدة .. والأمعاء الممزقة التي انزلقت من زملائهم القتلى على جانبي الدواب التي تحملهم .

تسمر الجنود في أماكنهم دهشة .. وتوقفت الدواب ونظر هو إليهم من فوق دابته فقد أصبح في حالة تفوق كل احتمال ... **غارقاً في حالة من عدم المبالاة .. غير واع لما يدور حوله .**

.. تقدم أحدهم لمساعدته فأنزل الجثة التي أمامه على الدابة ... وتحرك باقي الجنود لينزلوا بقية الجثث .. وبدأت حركة نشاط عصبية .

.. وأحس هو بأن ثقل الجثة قد خف عن فخذيه ولكنه أحس أن مؤخرته أصبحت عديمة الإحساس .. **تجمدت من شدة البرد** ... رفع رجله عبر رأس الدابة ليقفز فأطاعته رجله وكأنها تنتمي إلى شخص آخر ، ولكنه تأكد بالفارق بينه وبين زملائه القتلى .

... قفز وكأنه من خشب واهتز داخله بشدة وخطا خطوتين .. لكن أعضاءه لم تطعه أكثر من ذلك .

سمع القائد يناديه .. فالتفت وراءه .. تأبط القائد ذراعه وبدون أن يقول كلمة أحضر له أحدهم كوباً كبيراً من الشاي .

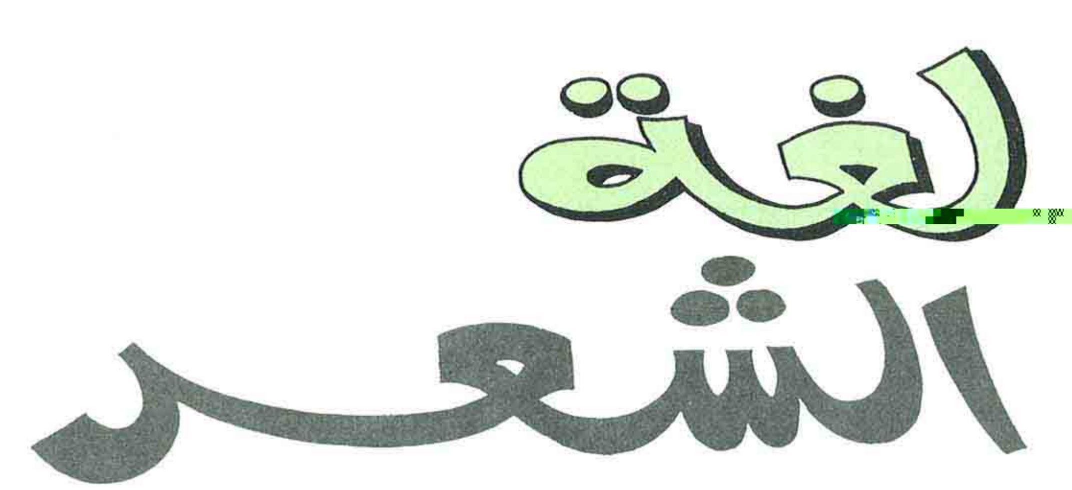
جلس باعياء شديد على حجر يحتسي الشاي الذي أعطاه إحساس مريح بالأمن والهدوء ، وكان منظر المكان الذين يقفون فيه ، مثل مسرح أثري قديم .. وقد نظم فيه الجنود الجثث في صف ووقفوا ينظرون إليهم بلا كلمة .

وأحس بالحرارة تسري في حلقه **قطرة .. قطرة** ، وكأنها **غدغدة ..**

وتحرك بداخله شيء لا يستطيع السيطرة عليه يملأ جسده بالحياة ... فرفع عينيه ونظر إلى أعلى **ليرى السماء فوق قمم الأشجار .**

... الخامس عشر من أغسطس ... سيستعدون للصوم في القرية ... قالها ثم فكر في زميله الذي فقد أمعاءه فأثقله الحزن .

... لكن فجأة ارتعشت الفرحة بداخله ... فرحة عشوائية لا يدري من أين ؟



بقلم: د. وليد قصاب

★ إن استعمال اللغة للتعبير الأدبي ليس ظاهرة بسيطة ولا هينة. وعلى الرغم من أن استعمالنا للغة في أمور الحياة العادية يبدو مسألة لا تحتاج إلى جهد ولا عناء، فنحن نوشك أن نستخدم اللغة في كل لحظة من لحظات اليوم من أجل قضاء حاجاتنا، والتفاهم مع الآخرين، والاتصال بكل من يحيط بنا، إلا أن اللغة في العمل الأدبي لا تخضع لهذه المرونة والأخذ التلقائي اللذين تخضع لهما لغة الحياة العادية ونحن نتعامل معها، بل هي ظاهرة معقدة حقاً، يحتاج التعامل معها إلى كثير من الجهد والمعاناة والخبرة والمراس ★

ومهما تبلغ اللغة من وفرة المفردات وكثرة الدلالات، ومهما يبلغ الأديب من التضلع بها والتمكن من مادتها، فإنه يقف في كثير من الأحيان عاجزاً عن الوقوع على اللفظة التي يريد، والعبارة التي تنقل كل ما تجيش به نفسه من أفكار وأحاسيس نقلاً أميناً دقيقاً. ومن هنا كانت اللغة هي الظاهرة الأولى التي ينبغي التوقف عندها طويلاً ونحن نتحدث عن الأدب؛ لأن الأدب لا يمكن أن يتحقق إلا فيها، فهي مادته الأساسية، وعندما يفرغ الأديب من أداء كلماته يكون في الواقع قد حقق عمله الفني في صورته المستوية الكاملة. **وقد شبه النقاد العرب القدماء الأدب بعربة يجرها جوادان: أحدهما الإلهام، والآخر اللغة.**

ولعل من أبسط ما يدلنا على صعوبة التعامل مع اللغة أن الذين يمارسون الإنتاج الأدبي يعرفون أنها ليست في جميع الأحوال تلك الأداة المطواع الذلول للتعبير عما يريدون، بل كثيراً ما تجمح بين أيديهم، وتستعصي على نقل الفكرة أو الشعور كما يعيش في نفس صاحبه، بل نحن نلاحظ ذلك في الكتابة العادية، فكلنا قد مارسها، ولقي في استعمالها عنتاً وهو يقدم لفظة ويؤخر أخرى، أو يضرب عن التعبير كله صفحاً ليبدأ من جديد تعبيراً آخر أكثر ملاءمة ودقة، أو أقرب إلى ما في نفسه.

فإذا كان مثل هذا الجهد موجوداً في الكتابة العادية؛ فإن الذي لا شك فيه أنه أشد عنتاً، وأوضح ظهوراً في **لغة العمل الأدبي**؛ وذلك لأنها في الأصل لغة ذات سمات خاصة، ومعالم فردية متميزة تبعدها عن اللغة العادية التي يتداولها الناس في حياتهم اليومية العادية، أو اللغة التي يتداولها العلماء والفلاسفة على سبيل المثال.

إن للغة الأدب شخصية متميزة واضحة المعالم. فهي ليست وعاء للتعبير عن المعاني التي تعرض، والأفكار والأحاسيس التي تراد فحسب، ولا يكفي فيها إفهام المتلقي

الغرض المقصود : ولكنها تسعى إلى إفهامه وإمتاعه والتأثير فيه في وقت واحد معاً . وهذه المهمة تقتضي عناية خاصة بها ، ومجهوداً أشق .

إن لغة العلم ـ على سبيل المقارنة العابرة ـ تحرص على عرض الأفكار من أقرب طريق وأخصره وأوضحه ، لا يتأنق صاحبها في عبارة ، ولا يزخرف لفظاً ، أو يزين جملة ، بل هو يهدف إلى اختيار اللفظ المعبر عن المعنى المطلوب ؛ فأي لفظ عبر عن المعنى كان وافياً بالغرض ، وقد يستغني العالم عن اللغة نهائياً ، فيستبدل بها رموزاً ومصطلحات ما دامت هذه الرموز والمصطلحات قادرة على التعبير والإفهام . لكن لغة الأدب تخالف عن ذلك كله .

وإذا خصصنا الحديث قليلاً في **لغة الشعر** ؛ وجدنا أنها عالم خاص ، وشخصية متفردة ، أبرز ما تتميز به أنها لا يمكن أن تلتمس معالمها بين دفتي المعجم شأن اللغة العادية ، إنها تتأبّى على المعجم ، وتستعصي عليه لأنها أكثر حيوية ، وأغنى إيحاء ، وأوفر مدلولا من جميع التحديدات والمفاهيم التي يضمها المعجم ، لأنها في الأصل لغة فردية في مقابل اللغة العامة التي يستخدمها العلم . وعلاقة الشاعر بلغته لا تعدلها علاقة أحد آخر من الناس ، وهي علاقة حميمة واشجة الصلة تبدو فيما يبذله الشاعر من جهد في سبيل تطويع ألفاظها للتعبير عما يريد ، وفي مقدرته على استثمار خصائص الكلمة ، واعتصار أكبر كمية من الدلالات يمكن أن تحملها ، وهو يتعامل مع الألفاظ بدقة وحذر ، ينتقي منها بذوق نافذ وحس مرهف ما كان يحمل إيحاء ثرياً ومدلولا غنياً . وهكذا يبدو للغة في الشعر دائماً عالمها الخاص الذي لا نلمحه في أي ضرب من أضرب القول الأخرى .

وقد تنبه الناقد العربي الكبير **عبد القاهر الجرجاني** إلى ما تتميز به شخصية اللغة الشعرية من قوة ووضوح ، وما تزخر به من طاقات متعددة ومدلولات غنية هي أثرى بكثير من تلك التي يسجلها المعجم ، تنبه عبد القاهر وهو يضع نظريته في نظم الألفاظ إلى ما يمكن أن يسمى (**جماليات اللغة**) الذي كان جانباً طريفاً لم يفطن إليه اللغويون والنحاة ، أو يحاولوا التوقف عنده ، فاتهموا بأنهم ليسوا بأصحاب بصر في الشعر ، وبأنهم لم يفهموا طبيعة التراكيب الشعرية التي تحمل من المعنى درجة لا يحملها التعبير العادي . لاحظ عبد القاهر أن الشعر يبدو عليه طابع الجهد الشخصي ؛ فالمعنى الذي يعطيه الشاعر يختلف كثيراً عن المعنى الذي يفطن إليه النحوي أو يهتم به .

إن الألفاظ التي يستعملها الشاعر هي حقاً هذه الألفاظ التي توجد مادتها في المعجم ، والتي يستعملها الرجل العادي في كلامه اليومي ، ولكنها تتشكل على يديه تشكلاً خاصاً ، وتخرج في الشعر مخرجاً آخر جديداً يختلف كل الاختلاف عن ذلك الشكل الذي تبدو عليه في كتب اللغة والنحو أو على لسان الرجل العادي ، وهو شكل أكثر نضارة وإشراقاً ، وأشد إيحاء وإثارة ، وكأن هنالك جهداً شخصياً ، وصنعة فنية راقية تجعل معنى التركيب في العبارة الشعرية يختلف عن معنى التركيب المناظر له في العبارة النثرية . إن الشاعر ـ في رأي عبد القاهر ـ يذلل الأساليب المتفق عليها ، ويستخرج منها قوة كامنة مدخرة لا يقع عليها الرجل العادي ، وتحويل العبارة الشعرية إلى عبارة نثرية يقتل فيها هذه النضارة التي كانت تزهو بها ، وقد تحمل إلينا العبارة النثرية صورة المعنى الذي يوجد في الشعر أو ظلالا وأطيافاً منها ، ولكنها لا يمكن أن تحمل إلينا ذات المعنى الذي يوجد في الشعر ، وهي في كل الحالات صورة أدنى وظلال أخف نضارة وبريقاً . **ومن هنا كانت المغالطة الخطيرة التي يقع فيها أولئك الذين لا يتذوقون الشعر إلا على مرحلتين :**

فهم لا يتذوقون القصيدة كما هي في عالمها المتكامل ، وقالبها الجمالي التام ، ولكنهم يحولونها إلى عبارات نثرية عادية ، ثم يحكمون على القصيدة من خلالها ناسين أنهم يحكمون بذلك على أطلال قصيدة ، وظلال مشوهة منها ، ولا يحكمون على القصيدة بالذات .

لقد فعل **ابن قتيبة** شيئاً من هذا القبيل عندما نثر الأبيات الجميلة

التالية :

ولما قضينا من منًى كل حاجةٍ

ومسَّح بالأركان من هو ماسحُ

وشدَّت على هُدب المهاري رحالنا

ولم ينظر الغادي الذي هو رائحُ

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا

وسالتْ بأعناق المطيِّ الأباطحُ

في هذه العبارات المنطفئة : (ولما قضينا أيام منى ، واستلمنا الأركان ، وعالينا إبلنا الأنضاء ، ومضى الناس لا ينتظر من غدا الرائح ابتدأنا في الحديث ، وسارت المطي في الأبطح) ، ثم نظر إلى هذه العبارات النثرية على أنها الشعر ، فلم يجد فيها - بحق - كبير غناء ؛ فكان حكمه عليها أنها ضرب من الشعر حسن لفظه وحلا ، وأنها أحسن شيء مطالع ومخارج ومقاطع ، فإذا أنت فتشته لم تجد هنالك فائدة في المعنى .

وأما عبد القاهر فقد نظر إلى الأبيات في ضوء نظرته السابقة التي عرضناها فتذوقها ، وأدرك ما فيها من جمال ، فكان له عليها حكم آخر مخالف . ولم يكن ابن قتيبة وحده الذي تورط في هذا الفهم الخاطىء لطبيعة الشعر ، وطبيعة التشكيل الجمالي في لغته ؛ فإننا نجد مفهوم (**حل المنظوم**) أي نقل الشعر إلى نثر يسود فيما بعد ، وخاصة في أوساط الكتاب ولعل آثار هذا المفهوم ما زالت تعيش إلى اليوم في أذهان من يحكمون على الشعر بمقدار ما يتحصل لهم فيه من النثر .

إن الشعر شعر بلغته فقط ، كما أبدعها الشاعر ، وأخرج القصيدة عليها ، وإن القصيدة هي هذه التي نقرؤها أو نسمعها في صورتها اللغوية المتكاملة ، وفي شكلها الجمالي التام . ومن هنا كان الشعر - ومن باب أولى - غير قابل للترجمة لأنه يتحول بذلك إلى غير لغته التي هي - كما ذكرنا - قيمة غير منفصلة عنه . وفردية اللغة لا تسمح بنقلها إلى لغة أخرى نقلاً مساوياً كما هو الشأن في اللغة العلمية ذات الصفة العامة المشتركة . وقد تنبه إلى ذلك الجاحظ عندما قال في ترجمة الشعر إلى لغة أخرى : إنه لا يمكن ترجمته ؛ لأنه «متى حُوِّل تقطع نظمه ، وبطل وزنه ، وذهب حسنه ، وسقط موضع التعجب» .

وخلاصة القول : إن اللغة الشعرية تختلف عن غيرها من حيث أن كلماتها ترقى إلى المستوى الجمالي الذي لا يبلغه سواها ، وهي تتشكل في الشعر تشكلاً فنياً خاصاً يجعل منها عالماً متميزاً متفرداً ، وهو عالم شديد النضارة والوهج والإشراق .

والشاعر - كما يقول **مالارميه** - (يفضي على لغة الشعر معنى أعمق وأنق من كلمات القبيلة) . فقد يستطيع الشاعر الفذ أن يتناول ألفاظ الحياة اليومية ، والتي يتبادلها الناس في شؤون الحياة العادية ، فيكون له من المقدرة والإبداع ما يجعله ينفخ الروح في هذه الألفاظ العادية فيكسبها الجدة والطرافة والبهاء . وكأني **بأبي العتاهية** قد أحس بذلك ذات مرة ؛ فقد روى لنا صاحب **الأغاني** أن أبا العتاهية قال مرة لرجل من بغداد : أكثر الناس يتكلمون بالشعر وهم لا يعلمون ، ولو أحسنوا تأليفه كانوا شعراء كلهم ، فسأله الرجل مثلاً لذلك ، فلم يلبث أبو العتاهية أن سمع رجلاً بائعاً ينادي على (**المسح**) وآخر يدعوه ليبيع له (**مسحة**) ، والتاجر يحسن بضاعته ، فأخذ أبو العتاهية أقوال الاثنين ، وشيء من المخالفة في ترتيبها تحولت شعراً موزوناً ، يقول **الشاري** لصاحب المسح :

يا صاحب المسح تبيع المسحا

ويرد عليه الآخر :

تعال إن كنت تريد الربحا

فيتألف من حوار الرجلين مصراعان ، ويتم بتكاملها بيت من الشعر . لقد مس الشاعر ألفاظ رجل السوق ، ولكنه نفخ فيها الروح ، وشكلها تشكيلاً فنياً خاصاً ، فأحالها إلى ألفاظ شعرية يجري فيها ماء الحياة .

أوراق متناثرة

الصحة : العسل

★ « **العسل** » ، عرف عالمياً كدواء لمعالجة الأمراض الناتجة عن البرد ، وذلك عن طريق مزجه بمواد غذائية أخرى ، كالشاي والحليب .. وهو مقو عام لمقاومة الجسم لمرض السل .. وله تأثيره الطيب على الجهاز الهضمي ، حيث يمنع « **الامساك** » .. وفي علاج أمراض الأنف والحنجرة .

كما أن استخدام « العسل » عن طريق الاستنشاق ، معروف منذ قديم الزمن ، وهذا ما أكده د. كزلستين بعد تجاربه على مرضاه .. على أن استنشاقه لا يؤثر فقط على مخاطية الأنف والحنجرة .. ولكنه يؤثر أيضاً على الأنسجة الرئوية ، فهو ليس قاتلاً للجراثيم فقط .. وإنما كمقو للجسم البشري بشكل عام .

أما أثره على الجهاز التنفسي ، فقد عرف منذ زمن قديم في عصر « **أبو قراط** » **لعلاج مرض السعال الديكي والالتهابات البلعومية والحنجرية** .. كما أن له خواصاً تمنع الإنسان من الوقوع في حالات التشنج .. وانخفاض من درجة الحرارة .

وقد ذكر العسل كشفاء في **القرآن الكريم في الآية ٦٩ من سورة النحل** ★



★ هذا الإناء الزجاجي المطلي بالمينا ، يعتبر واحداً من روائع الفن العربي الإسلامي الذي استطاع عبر التاريخ أن يستخدم جميع الخامات وتطويعها لإبداعاته واختراعاته .. وترجع صناعة هذا الإناء إلى **القرن الرابع عشر الميلادي** ـ سورية ـ حيث نلاحظ الرسومات الرشيقة التي تصور بعض الفرسان المحاربين ، في معركة حربية .. ثم النقوش الدقيقة المتقنة التي تؤكد عبقرية الفنان العربي المسلم في صنعته ودقته في عمله الفني ★

- كتبت في عام ١٨٦٢ م .
- كتبها الأديب الروائي الفرنسي « **فيكتور هوجو** »
- وجهها إلى ناشره « **هيرست بلاكيت** » .
- كانت المناسبة ، صدور رواية « **البؤساء** » .
- الرسالة كانت عبارة عن : « ؟ » .
- جاءه الرد من الناشر : « ! » .



كلام الصغار للكبار

واحدة من مجلاتنا العربية ، وجهت بعض الأسئلة إلى عدد من الأطفال في أعمار مختلفة عن رغباتهم وأمنياتهم .. وعن الحرب .. فكانت هذه بعض إجاباتهم البريئة :

* لولا السياسة ، لما كانت الحروب .

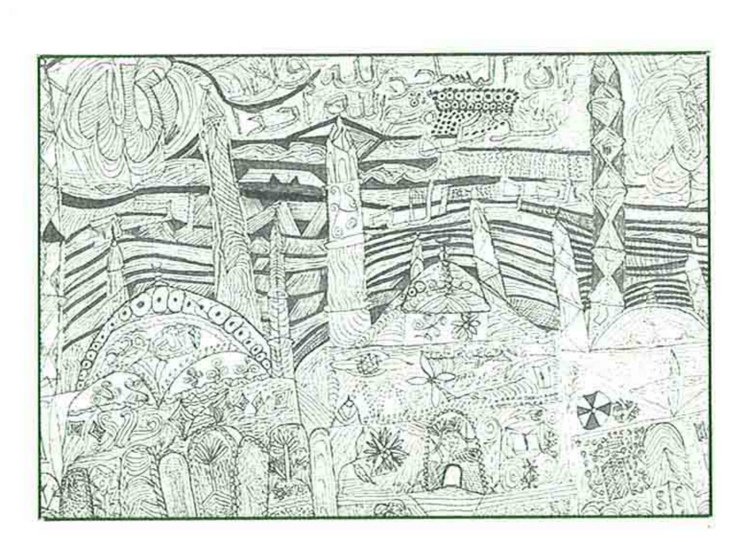
* **يجب أن يعيش الناس دون حرب** ، أن يدرسوا .. ويعملوا ، وخاصة الطلاب ، يجب أن يهتموا بدراستهم .

* أحب شخصية « **خالد بن الوليد** » ، لأنه حارب .. حارب « **الفاسدين** » .

* **الحروب ليست نوراً** .. إنها ظلام .. والناس يموتون في الحرب .

* **ماذا تعني الحرب؟!** .. ناس يقتلون بعضهم البعض .. والنتيجة ، حقاً .. لا أفهم .. ما الفائدة ؟

* لا أحب الحرب .. **ولا أحب أن اتقاتل مع أحد !**



أوائل

● العرب ، أول من استعملوا خطوط الطول والعرض في رسم الخرائط .

وفي القرن السادس الهجري ، حدث تطور كبير في رسم الخرائط ، والذي قام به الجغرافي « الإدريسي » - (٥٦١ هـ - ١١٦٦ م) . . وقد رسم ما يقرب من اثنين وثمانين خريطة ، تعتبر مثالاً للدقة . . ظلت هذه الخرائط لعدة قرون كقاعدة أساسية ، بنيت عليها خرائط عصر النهضة الأوروبية .

● **في الفترة ما بين ٩٠٠ و ١٣٥٠ م . عرفت أول مطبعة في العالم الإسلامي .. وكان ذلك في مصر .**

● العالم المسلم **الباناقاتي (١٢٠٠ م)** ، أول من ذكر من العلماء المسلمين أساليب [illegible] .

● **العرب** . . أول من وضع للأرض اثباتاً فلكياً على قواعد علمية صحيحة .

سطور من التراث

★ « **إياك أن تعاف سماع هذه الأشياء المضروبة بالهزل ، الجارية على السخف** ، فإنك لو أضربت عنها جملة ، لنقص فهمك . . وتبلد طبعك . . **ولا يفتق العقل شيء كتصفح أمور الدنيا ، ومعرفة خيرها وشرها** ، وعلانيتها وسرها . . **فاجعل الاسترسال بها ذريعة إلى أحماضك والانبساط فيها سلماً إلى جدك** ، فإنك متى لم تذق نفسك فرح الهزل ، كربها غم الجد »

« **أبو حيان التوحيدي** »

أخبارهم

★ يحكى عن « **سليمان بن عبد الملك** » أنه كان من شدة هيبته ، لا يجرؤ أحد أن يفتح حديثاً معه . . بل كان الغالبية يفضلون عدم الكلام معه . . وقد استأثر وزراؤه بشؤون الدولة في عصره ، الشيء الذي أغضب الناس . . فدخل عليه ذات يوم أعرابي يملك لساناً فصيحاً ، وقلباً جريئاً ، قائلاً له :

— يا أمير المؤمنين . إني سأحدثك بكلام ، فاحتمله إن كرهته ، فإن وراءه ما تحب إن قبلته .

قال أمير المؤمنين :

— **قل ما عندك أيها الأعرابي .**

قال :

— قد أحاط بك وزراء اشتروا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك في الله . . ولم يخافوا الله فيك ، فلا تصلح دنياك بفساد آخرتك !!

تأمله أمير المؤمنين قليلاً ثم رد عليه وكأنه يكمل حديثه :

— **. . أما أنت . . فقد نصحت ، إلا أنك قد جردت لسانك ، فهو سيفك .**

قال الأعرابي :

— **أجل يا أمير المؤمنين . . ولكن . . هو « لك » . . لا « عليك » !**

مذبحة العصافير

أقصوصة قصيرة جداً

★ يحاصرني الصمت . يعلقني من شفتي على بوابات السكون . لا أتكلم . حاولت اليوم أن أبدأ الحديث مع نفسي . انسكبت الكلمات داخل شرايين حزني . تأملني صديق . استطاع أن يصطادني في لحظة شرودي . قال :

لقد استقر بك المقام هنا .. معنا .. في مدينة البهجة والأحلام .. فلماذا لا أراك مبتسماً . إنك تمد سواعدك في ظلمات الذكريات لتقتات منها . حاول أن تمد سواعدك لتزرع وردة في صحراء الصمت ..

قلت لصديق : **لقد تكسرت أحلامي عند صخور الحلم . هذا الزمن يصعب على الإنسان أن يتذكر اسمه بالكامل . صدقني .** الكلمات فقدت معناها . أصبحت الكلمات تحمل الأقنعة . كلها متشابهة . كلها تحاول اخافتك .

قال : **أنت تذبح الفجر في داخلك . أنت في مدينة الأحلام .** فحاول أن تبتهج .

قلت : **مدينة بلا قلب ، هي مدينة لا تعرف الحلم أبداً .** إنها تغرس عمرك في قاع الخوف . . الرجل الكبير . جدي . إنه يذبح العصافير ويحلم أنها تغني سعيدة برؤية دمائها السائلة . إن جدي الرجل الكبير ، يظن أنه قد أتى بالعشب الأخضر لكي يطعم بهائمه . يطعمنا نحن .

رحل صديقي . من الواضح أن الخوف دبّ في قلبه من حديثي معه . لم أره منذ تلك اللحظة .

إنني أحلق بعيداً عن مدينة الأحلام . . إنني طائر بلا هوية . ابتعدت عن مذابح الطيور والعصافير . لكنني أحمل على ظهري خنجر الذكريات . . وألهث على الطرقات .

و .... **أحياناً . بل كثيراً . يعلقني الصمت من شفتي على بوابات السكون** ★

" الواق .. واق "

★ العرب ، أول من أطلقوا اسم « **الواق واق** » على جزيرة مدغشقر التي تقع في القارة الإفريقية ، والخريطة المنسوبة إلى العالم العربي « **الإدريسي** » ، خير دليل يؤكد هذا الرأي .

إلا أن بعض المستشرقين ، يحاولون تأكيد ، أن العرب قد أطلقوا اسم « **الواق واق** » ليس على جزء من ساحل آسيا الشرقي . . بل كان المقصود ، هو جزائر اليابان ★

السطور الأخيرة

من أحب الازدياد من النعم فليشكر ، ومن أحب المنزلة عند السلطان فليعظه ، ومن أحب بقاء عزه فليتواضع ، ومن أحب السلامة فليدم الحذر .

الحسن بن سهل









أوبرا :

اسم يدل على رواية غنائية ، تعتمد على الغناء في كل حوار المسرحية ، نشأت أول الأمر في **ايطاليا** ، في نهاية القرن ١٦ ، ومنها انتقلت إلى بقية الدول ، ولما كانت الأوبرا رواية تمثيلية لموضوع يقوم على إظهار فكرة أساسية عن طريق الأصوات الإنسانية والآلية ، كان من الضروري لنجاح الأوبرا ، اشتراك عناصر الألحان والأنغام والغناء والمناظر والتشكيلات التعبيرية جميعاً لربط فصول الرواية .



البناء الدرامي :

هو الجسم الدرامي المتكامل في حد ذاته ، والذي يتكون من عناصر مرتبة ترتيباً خاصاً ، ووفقاً لمزاج المؤلف المسرحي ، لكي يحدث تأثيراً بعينه في وجدان الجمهور ، ومن العناصر التي تدخل في البناء الدرامي ، **الحبكة** ، **والصراع** ، **والحوار** ، والمفارقة الدرامية .



تراجيديا ، أو مأساة :

التراجيديا أو المأساة ، جنس من أجناس الشعر ، بحسب تعريف **أرسطو** ، وهي ذات شأن في الآداب المختلفة ، ولها مكانتها في **الأدب العربي الحديث** . وقد عرف أرسطو المأساة بأنها : « محاكاة فعل نبيل تام ، لها طول معلوم ، بلغة متبلة بملح من التزيين ، تختلف وفقاً لاختلاف الأجزاء ، وهذه المحاكاة تتم بوساطة أشخاص يفعلون ، لا بوساطة الحكاية ، وتثير الرحمة والخوف ، فتؤدي إلى التطهير من هذه الانفعالات » .

وللتراجيديا أجزاء منها ما يتعلق بفن التمثيل والممثلين ، وهي ثلاثة ١ ـ **المنظر المسرحي** ، ٢ ـ **الموسيق والانشاء** ، ٣ ـ **الالقاء أو المقولة** . وهذه الأجزاء خارجية لا تكون جوهر التراجيديا ، أما الأجزاء الثلاثة الباقية فأجزاء جوهرية وهي تتعلق بأدب التأليف والمؤلفين : ١ ـ **الحكاية أو القصة** التي تحتوي عليها التراجيديا ، ٢ ـ الخُلُق ، وهو ما يجعلنا نقول عن الأشخاص الذين نراهم يفعلون أنهم يتصفون بكذا وكذا من الصفات ، ٣ ـ **الفكر** ، وهو كل ما يقوله الأشخاص لاثبات شيء أو للتصريح بما يقررون .



الثيمة أو الفكرة الأساسية :

الثيمة اطلاقاً هي **الفكرة الرئيسية** التي تسود العمل الفني ، إنها موضوعه ، والثيمة الدرامية هي المفهوم المجرد الذي يحاول المؤلف تجسيده من خلال تمثله سواء في الأحداث أو في الشخصيات .



الجوقة :

مجموعة من المغنين أو الراقصين أو الصامتين ، أو المعلقين ، تؤدي وظيفتها مجتمعة أو متفرقة ، وتشترك الجوقة في التمثيل ، إما بتعليقها على الأحداث ، أو بتجاوزها على الممثلين ، أو بصمتها المعبر .

ولقد نشأت **الدراما اليونانية** من الجوقة التي كانت تتكون من مجموعة من الرجال المقنعين ، واستخدمها **اسخيلوس** ، **وسوفوكليس** ، **ويوربيدس** ، **وأريستوفان** ، كل بما يوائم طبيعة فلسفته الدرامية ، أما في الدراما الحديثة والمعاصرة ، فقد قل استخدام الجوقة .



الحوار :

هو الكلام الذي يتم بين شخصيتين أو أكثر ، وبالتجوز يمكن أن يطلق على كلام شخص واحد ، وقد تستخدم صيغة الحوار لعرض آراء فلسفية ، أو تعليمية أو نحوها ، كما هو الحال بالنسبة لمحاورات أفلاطون ، أو مثالية الشاعر الانجليزي **درايدن** في الشعر الدرامي .

وقد يقع الحوار المسرحي **شعراً** كله أو **نثراً** ، عامياً أو فصيحاً ، وقد يقع مزيجاً من تلك الأنواع .



خيال الظل :

نوع من التمثيليات يكون بإلقاء خيالات على ستار يشاهده المتفرجون ، فيجد فيها المثقفون تسلية ، كما يجد فيها البسطاء وسيلة للترفيه . ولقد كان خيال الظل في **الشرق** ، أسبق من نشأة المسرح ، ويعتبر خيال الظل نوعاً من العرائس التمثيلية التي تنقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول المعروف باسم **الماريونيت** وهي عرائس تمثل أشخاصاً وحيوانات تحركها الأيدي من أعلى بحيث لا يرى المحرك . والنوع **الثاني** . **عرائس** تطل على المتفرج بينما الشخص المحرك لها يكون مختفياً من أسفل ، والنوع الثالث هو **خيال الظل** ، حيث تظهر فقط أشباح العرائس وتحركاتهم من وراء ستار .



دراما :

معناها الفعل في **اللغة اليونانية** ، وكل المؤلفات الدرامية التي ظهرت منذ أقدم العصور ، تنبض برؤية الإنسان وهو يفعل ويتحرك ، ولم تكن النماذج المختلفة للدراما **كالتراجيديا والكوميديا والملحمة** ، وليدة الإرادة الحرة للمؤلف ، وإنما كانت انعكاسات لمزاج الجمهور . وإذا كان إلهام الشاعر هو الذي جعلها تنبض بالحياة ، فالجمهور هو الذي رفع قدرها إلى مستوى النبل والجلال ، ذلك لأن الأصول الأولى للدراما ، إنما تنبع من فنون الفولكلور .



ذروة :

عندما يصل تركيب الأفكار والأحداث والكلمات في العمل الدرامي إلى نقطة حاسمة شديدة التعقيد من ناحية ، وتحتاج إلى تفجير من ناحية أخرى فهذه المرحلة من مراحل التطور الدرامي ، هي التي تسمى بالذروة . وقد تحتوي المسرحية على ذروة تأزمية أساسية إلى جانب عدة ذروات ثانوية أخرى .



الراوية :

هو الممثل الذي يقوم بالتعليق المباشر في العرض المسرحي ، ويقوم بتوجيه هذا التعليق أساساً إلى الجمهور ، وقد يقوم **الراوي** أو الراوية بدور تمثيلي إلى جانب التعليق ، وقد لا يقوم بمثل هذا الدور .



زجل :

أشهر فنون **الشعر الشعبي** ، اتفق الدارسون على أن **الأندلسيين** مبتكروه وكان أهل **بغداد** يسمونه **الحجازي** ، وهو من حيث اللغة ، نوعاً من : **المزنم** : الذي يجمع بين اللغتين الفصحى والعامية ، وهو أحط درجة من الثاني الذي يتخلص من العامية ، وقد دخل الزجل لغة التأليف المسرحي ، فظهرت مسرحيات عربية كثيرة تستخدم الزجل أسلوباً في الحوار المسرحي .



سيرة :

اصطلاح يدل على تاريخ فرد من الأفراد ، يستحق الذكر والتسجيل ، وهذا الاصطلاح مأخوذ في الأصل من المادة اللغوية « **سار** » بمعنى مشى أو سلك أو ذهب في الأرض ، **ومن هذا المعنى أصبحت السيرة تدل على الطريقة أو الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره** ، وكتب السير مأخوذة من السيرة بمعنى الطريقة ، وقد كانت مادة خصبة للتأليف المسرحي ، ومن أشهر السير التي أفادت كتاب المسرح سيرة **بني هلال** ، وسيرة **سيف بن ذي يزن** ، وسيرة **الظاهر بيبرس** ، وسيرة **عنترة بن شداد** .



الشخصية :

الواحد من الناس ، الذين يؤدون الأحداث الدرامية في المسرحية المكتوبة ، أو على المسرح في صورة ممثلين ، وتنقسم الشخصية إلى نوعين ، شخصية **مسطحة** وأخرى **مستديرة** ، أما الشخصية الأولى فسلوكها متوقع لأنها تمضي في اتجاه واحد ، وأما الشخصية الأخرى ، فلا يمكن توقع سلوكها لكثرة ما فيه من تعقيد . والشخصية بوجه عام جزء رئيسي في البناء الدرامي .



الصراع الدرامي :

مناضلة بين قوتين متعارضتين ، ينمو بمقتضى تصادمهما ، الحدث الدرامي ، فعندما يصطدم البطل بعقبة حقيقية ، يأخذ في مواجهة هذه العقبة ، والتصدي لها ، وقد يكون طرف الصراع مع البطل ، تحديات طبيعية ، أو تحديات بشرية ، أو تحديات اجتماعية أو تحديات نفسية في داخل البطل نفسه .



الضحك :

الضحك وإن كان اسمه واحداً ، إلا أنه ليس بظاهرة واحدة حتى يكون له سبب واحد ، وهو ملكة إنسانية وجدت في الإنسان ولم توجد في الحيوانات ، ونحن نضحك لأسباب كثيرة ، ولسنا نضحك بسبب فرد لا يتعدد ، ويوشك أن يكون لكل حالة من الحالات ضحكتها التي تصدر عنها ، ولا تصدر عن حالة غيرها ، كأنما هي لغة كاملة على أسلوبها في التعبير ، والضحك هو أساس **الفكاهة** ، وهو بالتالي أساس الكوميديا ، لأن غاية الكوميديا إثارة الشعور الفرح والسعادة .



الطبعة القرائية :

النص المسرحي المطبوع للقراءة ، والذي قد يختلف إلى حد ما عن نص نفس المسرحية الممثلة ، وفي المسرح ، قد يطالب المؤلف المسرحي ، بتعديل النص القرائي للمسرحية ، بما يوائم متطلبات الخشبة المسرحية .



ظرفات :

اصطلاح في **الموسيق العربية** لضرب في الايقاعات ، زمان دوره (١٣ من ٨) والأصل فيه دور من محثوث خفيف ثقيل المتساوي الرباعي ، يدخله الأدراج بنقرات خفيفة في جزئه الثالث وفي فاصلته ، وكثيراً ما يعتمد عليه الموسيقيون في وضع الألحان الافتتاحية للمسرحيات ، وبخاصة افتتاحيات الفصول المسرحية .



العاصفة والدفع :

اسم يطلق على فترة في تاريخ **الأدب الالماني** (١٧٦٧ ـ ١٧٨٧ م) ثار فيها الشباب الموهوب على القيم المتواضع عليها في ذلك الحين ، اهتدوا فيها بأعمال الأديب الفرنسي **روسو** والأديب الألماني **لسنغ** ، وأصل الاسم عنوان مسرحية للأديب **كلينجر** ، اسمها « **العاصفة والدفع** » ظهرت عام ١٧٧٦ م ، ومن **أقطاب** هذه الحركة **جوته** ، **وشيلر وكلو بشتوك ولينج** .



غناء :

صناعة في أداء الألحان المقرونة بالأقاويل الدالة على المعاني ، وهيئة هذه الصناعة ، أما أن تكون هي هيئة صياغة اللحن ، فتسمى **هيئة الصيغة** ، أو تكون هي **هيئة أداء اللحن** ، فتسمى هيئة الأداء ، وبديهي أن هيئة الصيغة أقدم من هيئة الأداء ، وأن هذه غاية قصوى لتلك ، والغناء عنصر أساسي في الكثير من المسرحيات ، وبخاصة المسرحيات الغنائية والدراما الموسيقية ، التي كثر ظهورها في العصر الحاضر . وإن كان **الكورس الاغريقي** القديم يعتمد أساساً على حركة الغناء ، وذلك في الدراما الإغريقية .

الفكاهة :

اصطلاح يشير إلى ما يبعث على الضحك والسرور ، وقد أثيرت مناقشات جدية كثيرة حول موضوع الضحك . . أسبابه وأهدافه ، وقد اهتم به كل من **أرسطو** ،

وبن **جونسون** ، **وكانط** ، **وشوبنهور وبرجسون** ، هذا وتعد الفكاهة عنصراً أساسياً من عناصر التأليف الكوميدي .



قناع :

غطاء للوجه أو الرأس يوضع للوقاية أو للتنكر ، وقد بقيت من آثار القدماء أقنعة من الخشب أو الحجر ، وكانت تستعمل لأغراض مسرحية ، فقد استعملت الأقنعة في الدراما اليابانية المعروفة باسم « **النو** » كما استعملت في الدراما الإغريقية القديمة ، واحتفظ في **المسرح الروماني** بالأقنعة ، ومنه انتقلت إلى **المسرح الايطالي** ، حيث كانت الأقنعة من صفات كوميديا الفن الأساسية ، كما استعملت في مسرحيات الآلام في العصور الوسطى ، وفي المسرح التعبيري في **المانيا** ، وفي الدراما المعاصرة استعملها كل من الأمريكي **يوجين أونيل** والإيطالي **بيراندللو** .



كوميديا ، أو الملهاة :

هي الجنس المسرحي الثاني في **الأدب اليوناني** ، بعد **التراجيديا أو المأساة** وموضوعها الهزل الذي يثير الضحك ، وهي أقل شأناً من المأساة في جنسها الأدبي ، ويعرفها أرسطو ، بأنها « محاكاة الأرذال من الناس ، لا في كل نقيصة ، ولكن في الجانب الهزلي الذي يثير الضحك ، والذي هو قسم من القبيح ، إذ الهزلي نقيصة وقبح ، ولكن بدون إيلام أو ضرر ، فالقناع الهزلي قبيح مشوه ، ولكن بغير إيلام » .

والكوميديا بدورها كالتراجيديا تؤدي إلى التطهير ، فخير للمرء ، كما يقول أرسطو ، أن يتطهر من انفعالات الضحك ، دون ضرر ، بمشاهدة الكوميديا على المسرح .



اللامعقول (مسرح) :

حركة مسرحية ازدهرت بعد **الحرب العالمية الثانية** ، وإن كانت جذورها تمتد إلى ما قبل ذلك ، بحيث يمكن إرجاعها إلى **الحركة الدادية** في الأدب والفن ، وأحياناً تسمى بالحركة المضادة للمسرح ، أو بالحركة اللامسرحية ، وأحياناً أخرى تسمى بمسرح العبث ، وعلى الرغم من الفروق الفردية بين كل كاتب وآخر من كتاب هذه الحركة المسرحية ، إلا أنهم يتفقون على أن الإنسان عليه أن يجد طريقه بنفسه ، وهم يستخدمون منهجاً درامياً جديداً يختلف عن المنهج التقليدي ، وأهم ما فيه مواجهة المتفرج بتجربة محيرة ، تتألف من أحداث غير معقولة ، تتعارض على كل عرف مسرحي سابق ، ومن أشهر كتابها **بيكيت** ، **ويونسكو** ، **وآداموف** .



الملحمة :

قصة شعرية موضوعها وقائع الأبطال الوطنيين العجيبة ، التي تبوئهم منزلة الجلود بين بني وطنهم ، ويلعب الخيال فيها دوراً كبيراً ، إذ تحكى على شكل البطولات الفذة التي قام بها هؤلاء الأبطال ، وعنصر القصة واضح في الملحمة ، فالحوادث تتوالى متمشية مع التطورات النفسية التي يستلزمها تطور الأحداث ، ولكل ملحمة أصل تاريخي صدرت عنه ، بعد أن صرفت تحريفاً يتفق وجو الخيال في الملحمة ، هذا وأجزاء الملحمة هي أجزاء التراجيديا أو المأساة ، فيما عدا النشيد والمنظر المسرحي .



النو ، مسرحيات :

تعتبر دراما **النو** أعرق شكل مسرحي في **اليابان** الحديثة ، وترجع أصول نشأتها إلى القرن الرابع عشر ، حيث استمدت وجودها من رقصات وموسيقى قديمة تمتد جذورها إلى قرون بعيدة ، **أما مسرحية النو الحديثة ، فهي خليط من الشعر والنثر الجميل ، الذي تصاحبه الموسيقى والرقصات الجماعية** . ولقد اجتذب هذا اللون المسرحي الطبقة العليا في المجتمع الياباني القديم ، حتى لقد كتبت فيه مئات المسرحيات التي لم يبق منها إلا العدد القليل .



هزلية :

تطلق على نوع المسرحية « **الفارس** » التي تشتط في توظيف المسرح والفكاهة والحركات البدنية الهازلة ، والتي تستهدف أصلاً إثارة الضحك ، وإحداث الترفيه ، وقد ازدهر هذا اللون كجنس درامي في القرن الماضي ، على يد **لا بيسن وجورج فيدو** في فرنسا ، **وينيرو** في انجلترا ، ولا يزال لهذا اللون كتاب ومعجبون في الوقت الحاضر .



الوحدات الثلاث :

ويقصد بها وحدة الحدث ، ووحدة الزمان ، ووحدة المكان ، وهي تعد بمثابة قواعد أساسية في كتابة المسرحية ، وقد أضافها الناقد الايطالي لودفيكو كاستلفترو (١٥٠٥ ـ ١٥٧١ م) إلى ترجمته لكتاب « **فن الشعر** » لأرسطو وعدت بمثابة وصايا أرسطية التزم بها كتاب الدراما ونقادها في **فرنسا** في القرن السابع عشر ، وفي البلدان الأخرى التي تعرضت لتأثيرات الكلاسيكية الجديدة .



يوريبيدس :

(القرن ٥ ق . م .) من **أشهر شعراء التراجيديا اليونانية** ، نظم حوالي مئة مسرحية ، ونال **الجائزة الأولى** أربع مرات طوال حياته ، بقي لنا من مسرحياته حوالي ٢٠ مسرحية ، من أشهرها : **ميديا** ، **واندروماخا** ، **وهيلينا** ، **والطرواديات** ، **والكترا** ، **وهيبوليت** ، **وايجينيا** . وقد اتسمت بالعمق والمنطقية والتحليل الدقيق ، ولذلك يعد **يوريبيدس** رائد التيار الواقعي في الدراما الإغريقية القديمة .

مع الأصدقاء

ملاحظات واقتراحات

●● في العدد رقم ١٨ لشهر ذي الحجة وضمن زاوية كتب وصلت للمجلة وجدت كتاباً بعنوان **الموسوعة الموجزة**، والذي أريده هو متى يصدر كل جزء منها وأين؟ كما أرجو كتابة عنوان هذه الموسوعة لنا عبر المجلة حيث إنني معجب بها. أعني عنوان مقرها ومقر صدورها مع شكري العميق لكم.

●● لي اقتراحات أرجو أن تحظى باهتمامكم والاقتراح الأول هو كتابة أسماء الكتب الأجنبية التي تنشرون عنها عبر صفحات المجلة، أقترح كتابة أسمائها بالأحرف اللاتينية جنباً إلى جنب لأسمائها بالعربية وأعني مثل **رحلة في كتاب**، وكذلك الكتب التي تصدر حديثاً والمشار إليها ضمن زاوية **الحركة الفكرية في العالم**. فهذا قد يساعد بعض القراء في الحصول على بعض هذه الكتب التي قد يصعب على البعض منهم ترجمة أسمائها

أما الاقتراح الثاني فهو ايجاد بعض الصفحات وتخصيصها تحت عنوان **علم نفس** حيث إن المجلة من الملاحظ لا تهتم بهذا العلم الهام خاصة كما تعلمون أن عصرنا هذا قد تسبب بما ينطوي عليه من متناقضات في العديد من المشاكل والمشاغل النفسية والفكرية التي يعانيها الفرد على مسرح حياته العملية وزمنه اليومي، أرجو أن يكون هذا الاقتراح وجيهاً مع تحياتي.

محمد قاسم قرادي - جدة
المملكة العربية السعودية

المجلة: نستطيع الاتصال بمطابع ألف باء - الأديب - دمشق للحصول على الموسوعة.

أما بالنسبة لباب «رحلة في كتاب» فقد اعتدنا نشر غلاف الكتاب، وتستطيع أخذ اسم الكتاب بلغته من الغلاف.. أما كتابة أسماء الكتب الصادرة باللغات الأجنبية بغير العربية فهو مطلب جيد إلا أنه يصعب تحقيقه في أخبار الحركة الثقافية في العالم لأن مندوبي المجلة يغفلون هذه الناحية.. ومع ذلك سنحاول تحقيق ذلك بقدر الإمكان.

أما زاوية علم النفس، فالمجلة تنشر باستمرار دراسات مستفيضة في قضايا علم النفس دون الالتزام بباب أو زاوية ثابتة.. ولك شكرنا على هذه الملاحظة القيمة.

مدينة جرش

●● اطلعت على العدد رقم ٢٢، وفي مقال رحلة داخل المملكة بقلم **د. عبد العزيز محمد الفيصل** ورد حول آثار **مدينة جرش** ما يلي:

«في منطقة **تثليث** توجد مدينة جرش... الخ...» وحيث إن المعلومات المعروفة أن مدينة جرش التي أسلم سكانها سنة ١٠ للهجرة. تقع قرب **خميس مشيط** قرب **جبل حومة** ولا تزال آثارها موجودة إلى الآن... وهناك تفصيل كامل عن تاريخ هذه المدينة وموقعها في كتاب **«في بلاد غامد وزهران»** للشيخ **حمد الجاسر**.

كما ورد عن **كعبة نجران** أنها تقع على مسافة عشرة كيلومترات من مطار نجران الحالي إلى الشرق... ولعل المقصود هو كنيسة نجران وتقع إلى الجنوب الغربي من نجران ولا تزال اطلالها موجودة وهي التي كان يشرف عليها **قس بن ساعدة الإيادي** خطيب العرب وبالإمكان الرجوع إلى كتاب **«في بلاد عسير»** للمرحوم **فؤاد حمزة**.

صالح الضبيب الجهني
الرياض

المجلة: الكلمة للدكتور عبد العزيز محمد الفيصل لإبداء رأيه حول هذه الحقائق الصحيحة التي أدلى بها القارىء الكريم مع شكرنا الجزيل لملاحظته.

اللؤلؤ.. والصدف

●● لقد لاحظت في العدد (٢٠) صفر ١٣٩٩ هـ/يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩م، في الاستطلاع الخاص بقسم مدينة وتاريخ **(فرسان جزائر اللؤلؤ)** ص ٣٩ في أسفل الصفحة على اليسار صورة لمجموعة من الأصداف والقواقع ومكتوب فوقها قواقع.. وبقايا الصدف الفارغ بعد استخراج اللؤلؤ من داخله. ونظراً لدراستي البسيطة في علم الجيولوجيا، فأنا حاصل على بكالوريوس علوم تخصص كيمياء - **جيولوجيا** - جامعة عين شمس بالقاهرة، لاحظت هذه الصورة فوجدت بها خطأ والصحيح هو الآتي الأصداف وليس القواقع هي التي تنتج اللؤلؤ وجنس واحد فقط من الأصداف هو الذي ينتج اللؤلؤ وهو جنس AVICULLA فقط.

وليس شرطاً وجود اللؤلؤ في كل صدفة من هذا الجنس ولكن تكوين اللؤلؤ في هذه الصدفة يمر بظروف معينة وبيئة خاصة. وعملية زرع اللؤلؤ في هذه الصدفة ما هو إلا تهيئة الصدفة للظروف المثلى لتكوين اللؤلؤ وهذه العملية تتم في مزارع خاصة باليابان والصين.

أما الصورة الموجودة بالمجلة فيها قواقع لأجناس MURIX وأصداف جنس VENUS وجنس CARDIUM وهذه ليس لها علاقة باللؤلؤ نهائياً ولم أجد في الصورة ولا صدفة من أصداف جنس AVICULLA الخاص بتكوين اللؤلؤ.

أقترح على مجلس تحرير مجلتنا العزيزة تكوين باب خاص، وليكن عنوانه مثلاً **نحو موسوعة علمية** وتكون هذه الموسوعة حاوية لكل شيء، ومستواها العلمي من أرق ما يمكن، على أن يكون أسلوب العرض على مستوى القارىء العادي سهولة ويسراً مع وسائل عرض وإيضاح سهلة، وأيضاً باب خاص **نحو موسوعة إسلامية** جامعة لشتى التساؤلات والآراء الخاصة بديننا الحنيف. وذلك لنحصل في النهاية على مجلة من السهل أن نكون منها موسوعة آراء ومعلومات في شتى المجالات ولنكون منها مكتبة كاملة.

عبد السلام السيد محمد الإمام
كيميائي بشركة النيل للزيوت والصابون
بهتيم - القاهرة

المجلة: نأمل تحقيق ذلك مع شكرنا للمعلومات التي جاءت في رسالة الأخ عبد السلام، وقد نشرناها لتعميم الفائدة.





ردود قصيرة

● **الأخ عبد العظيم بدوي نداء - المحلة الكبرى - مصر**

نشكر لك مشاعرك الرقيقة .. وفي امكان كل قارىء الاشتراك في المسابقة ، أما المقصود بغير الأفراد فيما يخص الاشتراكات فهو المؤسسات والشركات والوزارات والدور الحكومية .

● **الأخ مهندس زراعي محمد أحمد السباعي - دقهلية - مصر**

رئيس التحرير يشكرك على مشاعرك الكريمة .. ولك تحياته .

● **الأخ حسن آيت الحسن - طنجة - المغرب**

شكراً لك على مشاعرك ومقترحاتك .. ولو راجعت أعداد المجلة لوجدت أننا أجبنا على أغلبها سواء فيما يختص بالمسابقة ، أو باب التعارف .. أو غيرها من المواضيع التي تعرضت لها اقتراحاتك .. أما ما تشكو منه فنحن ننصح بمراجعة طبيب مختص لإجراء الفحوصات الطبية ، ووصف العلاج المناسب ، ولا ننصح على الاطلاق الاعتماد على ما تنشره الصحف ، لأن الحالات المرضية تختلف من شخص إلى آخر ، وبالتالي يختلف العلاج المناسب .

● **الأخ عودة أحمد صالح الخالدي - جدة - السعودية**

مع شكرنا العميق لمشاعرك نسأل الله أن يوفقك في إحدى المسابقات .. والهدف الأساسي هو كسب المعرفة ، والتعود على القراءة .

● **الأخ المقيس حسن - الدار البيضاء - المغرب**

نحن نحاول دائماً تفادي الأخطاء الفنية التي قد تحول دون القراءة المريحة ، وما لاحظته حدث في مواضيع محدودة من أعداد المجلة .

● **الأخ آيت وارهام أحمد - مراكش - المغرب**

نشكرك على رسالتك المضمخة بعطر مشاعرك .. ونسأل الله أن يوفقنا لخدمة القارىء ، وتقديم الجيد من المعرفة والثقافة الإسلامية ، والعربية ، والإنسانية .

● **الأخ علي إدريس - الحديدة - اليمن**

نتمنى لك مستقبلاً زاهراً في عالم الرسم .. والنموذج المرسل يدل على موهبتك الطيبة ، في امكانك تنميتها بالصقل والمران ، والاحتكاك بالرسامين ، والاطلاع على أعمال الفنانين البارزين .

● **الأخ موفق الشيخ إبراهيم - ادلب - سورية**

لم نتلق موضوعك عن أوضاع الجالية المسلمة في استراليا .. لهذا السبب لم يصلك شيء منا .

● **الأخ غازي طليمات - حمص - سورية**

بمراجعة الموضوع وجدنا أن اسمك قد نشر طبقاً لما جاء في أصل الموضوع ، وما حدث جزء من مشاكل الخطوط ، ولو كان الموضوع مطبوعاً على الآلة الكاتبة ما حصل التحريف الذي أشرت إليه .

● **الأخ غيث عبد الله - حماة - سورية**

موضوع حصر باب « لوحة وفنان » على الفنانين العرب فقط فكرة لا بأس بها ، لكننا نحرص في المجلة على تعريف القارىء العربي بمستويات فن الرسم التي وصل إليها غير العرب للاستفادة من تقنياتهم الحديثة .. في العدد ٢٦ تطالع استطلاعاً شاملاً بالألوان عن مدينة حماة نأمل أن يوفي مدينة أبي الفداء حقها .

● **الأخ محمد البشير - فاس - المغرب**

الكتب التي تنشر المجلة عن صدورها في باب « الحركة الثقافية في شهر » كثيرة ، ومتعددة ، ونحن حين نتناول كتاباً ما في باب « رحلة في كتاب » [illegible] يكون موضوعه من اهتمامات أغلب القراء ، أما الكتب المتخصصة فتختص بها المجلات المتخصصة .

● **الأخ أحمد فياض راعل - حلب - سورية**

ملاحظتك جيدة وصحيحة .. ونأسف للخطأ الذي سببه تشكيل القصيدة ونحن نحرص على نشر قصائد الشعراء في المملكة ، وقد نشرنا قصائد للزمخشري ، والفقي ، والسنوسي ، وغيرهم .

● **الأخ عبد الله محمد الشراقي - السودان**

بعض ما ورد في رسالتك رددنا عليه أكثر من مرة .. أما المادة الإعلانية فهي ليست من أبواب المجلة .. ومعروف أن الإعلان شيء ، والباب الثابت في أي مجلة شيء آخر . وسوف نحرص على نشر المواضيع المتعلقة بالشعوب وعاداتها مستقبلاً .

● **الأخ أحمد حسن محمد حسن - الفيوم - مصر**

حين لا تكون الإجابة على أسئلة المسابقة صحيحة ١٠٠ ٪ فإن قيمة الجائزة الواحدة تقسم بين متسابقين بالقرعة .. هذا ما رأته لجنة المسابقة في بعض أعداد السنة الأولى ، أما خلال السنة الثانية فلم تطبق هذه القاعدة لأن كثيراً من المتسابقين تأتي إجاباتهم صحيحة ١٠٠ ٪ ، وعندها تجرى القرعة بينهم .. نتمنى أن تفوز بإحدى جوائز المسابقة في المستقبل .

● **الأخ عبد الرزاق عبد السلام كمون - صفاقس - تونس**

نشكر لك ملاحظاتك القيمة حول باب « الحركة الثقافية في شهر » ، ونأسف للتداخل الذي حدث بين أخبار تونس والمغرب في العدد ١٩ ، ونشكر لك تصحيحك ، وغيرتك ، ونأمل أن نتلافى مثل هذه الأخطاء في المستقبل .

● **الأخ رياض حارس - دمشق - سورية**

نشكر لك ملاحظاتك التي تدل على سعة اطلاعك ، وقد أحلنا رسالتك على لجنة المسابقة للاهتمام ، والمتابعة .. لك تحياتنا .

● **الأخ نصر علي سعيد - حماة - سورية**

طريق الشعر صعب .. لكنك تستطيع بمثابرتك الدائمة على الاطلاع أن تحقق طموحاتك في هذا الطريق .. فلا تتعجل النشر .

● **الأخ عبد اللطيف مارتيني - ادلب - سورية**

نشرت المجلة عدة استطلاعات عن بعض المدن السورية مثل حلب .. وحمص .. وحماة .. وفي المستقبل سوف تطالعك استطلاعات عن مدن أخرى .

● **الأخ الحاج عبد الله السالم - حلب - سورية**

لا يكفي أن يشعر الإنسان ليكون شاعراً .. فالشعر من الفنون التي تتطلب الموهبة والثقافة العميقة إلى جانب الوزن ، والموسيقى .

● **الأخ محمد هيثم موسى - المدينة المنورة - السعودية**

محاولتك في كتابة الأقصوصة تبشر بمستقبل طيب .. تستطيع أن تحقق النجاح الذي تنشده في فن القصة إذا قرأت كثيراً .. لأن القراءة المستمرة ، تمنح الموهبة القدرة على العطاء ، والتجديد ، والنجاح .

● **الأخ بركات فرحان - تبوك - السعودية**

ما أشرت إليه في رسالتك صححناه في أحد الأعداد السابقة .. نشكر لك اهتمامك ، وملاحظتك .. ولك تحياتنا .

● **الأخ محمد البيطار - حمص - سورية**

لو أعدت النظر في الإعلان مرة أخرى لوجدت أنه موجه للشباب السعودي ، وفي امكانك الحصول على الإجابة بالكتابة مباشرة إلى الجهة المختصة .

● **الأخ سليمان صالح الغنيم - الرياض - السعودية**

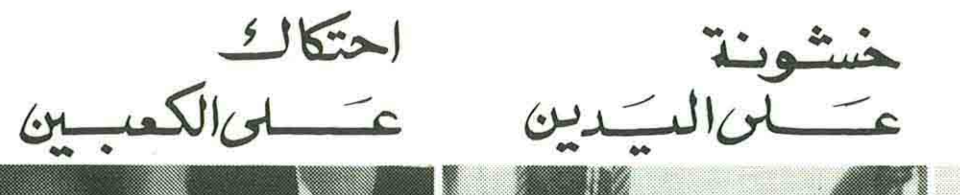
نشكر لك اهتمامك بالمجلة ، ومتابعتك لأعدادها التي صدرت .. أما باب دائرة المعارف فكثير من القراء يطلبون أن تختص في كل عدد بنوع من أنواع المعرفة .. وطلبك ذكر السنة بجانب رقم العدد طبقناها من العدد ٢٥ الذي يعتبر العدد الأول السنة الثالثة .

● **الأخ غسان أحمد خباز - حماة - سورية**

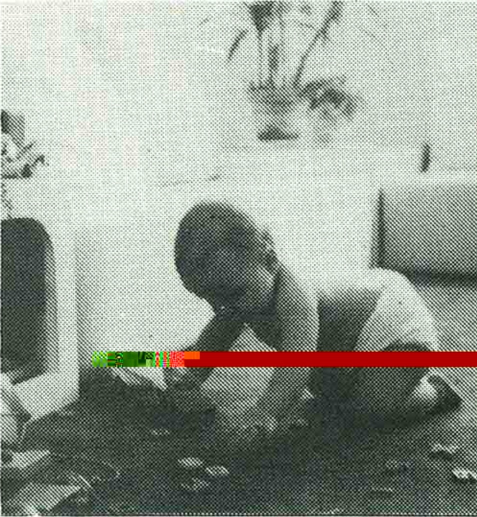
قلنا مراراً أن المجلة للثقافة لا للتسلية والكلمات المتقاطعة .. والمجلات التي تهتم بمثل هذه الأمور كثيرة .. نشكر لك مشاركتك . ونتمنى لك التوفيق .

● **الأخ أحمد محمد خليل خطاب - الإسكندرية - مصر**

تستطيع أن تبعث رسالتك رأساً دون واسطتنا ، وتأكد أنه سوف تصل ، ونسأل الله لك التوفيق .



حفّ
على الرّكب

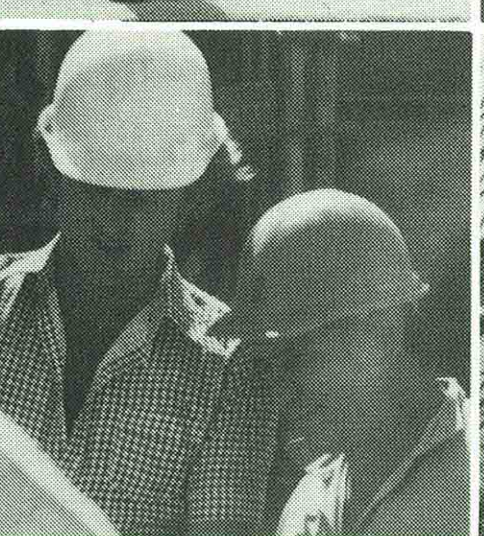












قساوة
على المرفقين

حفّ
على الرّكب

غبار
على الوجه



كما تعلمين الحياة قاسية على بشرتك، كل يوم عليها أن تتغلب على مشاكل كثيرة على الوجه على الأيدي، على المرافق والكعوب والركب، من هنا أهمية كريم نيفيا انه يحمي ويعتني ببشرتك حيث تحتاج لحماية ورعاية خاصة كي تبقى نظيفة، منعشة وسليمة الأفضل اذاً استعمال كريم نيفيا بانتظام لأن:

كريم نيفيا يساعد البشرة على تحمّل ما يواجهها

NC2-79SA



السعودية

الإدارة العامة للعلاقات العامة

منحة الملك فيصل الدراسية الرابعة

يسر الخطوط الجوية العربية السعودية أن تعلن عن شروط المنحة الدراسية الرابعة للمواطنين والمواطنات السعوديين الجامعيين للحصول على درجة الماجستير في الحقول الدراسية النادرة.

منحة جلالة المغفور له الملك فيصل الدراسية الرابعة

شروط الالتحاق:

١- أن يكون المتقدم حائزًا على الشهادة الجامعية.

٢- أن يكون حاصلاً على تقدير جيد جدًا.

٣- أن يكون حقل التخصص غير متوفر في جامعات المملكة ويساهم بصورة فعالة في تقدم المملكة ورقيها.

إجراءات القبول:

١- على الطالب أو الطالبة ملء الاستمارة المعدة لهذا الغرض والموجودة بإدارة التدريب بالسعودية وكافة فروعها داخل المملكة.

٢- تقديم شهادة الدراسة الثانوية والاستمارة الجامعية موضح بها المواد الدراسية والدرجات.

٣- سوف تجرى مقابلة شخصية وبعض الاختبارات الضرورية.

٤- سيتم تكوين لجنة من عدة أعضاء لاختيار الفائز أو الفائزة بالمنحة.

٥- سوف يتم إلحاق الفائز أو الفائزة بالمنحة بإحدى الجامعات المعترف بها خارج المملكة.

الامتيازات:

١- تمنح "السعودية" المبتعث أو المبتعثة مبلغ خمسة عشر ألف دولار أمريكي سنويًا لتغطية كافة النفقات من رسوم جامعية ومصاريف سفر وجميع تكاليف المعيشة وقيمة الكتب والمعدات والملابس والعلاج الطبي وكل ما يصرف زيادة على هذا المبلغ يكون على حساب الطالب أو الطالبة.

٢- تمنح "السعودية" زوجة المبتعث وأطفاله أو زوج المبتعثة وأطفالها ممن لا يزيد أعمارهم عن الثامنة عشر سنة تذاكر سفر مرجعة مجانية مرة كل عام.

آخر موعد لتقديم الطلبات هو يوم الأربعاء ١٥ رمضان ١٣٩٩هـ الموافق ٨ أغسطس ١٩٧٩م وتقديم الطلبات على النماذج الخاصة بالمنحة إلى :-

مدير عام التدريب بالخطوط الجوية العربية السعودية - ص ب ٦٢٠

إن الخطوط السعودية تقدم هذه المنحة تخليدًا لذكرى المغفور له جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز مشاركة في النهضة العمرانية الطموحة التي تشهدها المملكة.

العلاقات العامة

مسابقة مجلة الفيصل

نتائج مسابقة العدد ١٩

● **من جدة** فازت بالجائزة الأولى وقيمتها (٣٠٠٠) ريال الأخت بثينة عبد الرحمن محمد أصيل ، معيدة بقسم التاريخ في كلية التربية للبنات .

● **من سورية** فاز بالجائزة الثانية وقيمتها (٢٠٠٠) ريال الأخ إبراهيم محمد عبد الله ، معيد في قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة دمشق .

● **من الرياض** فاز بالجائزة الثالثة وقيمتها (١٥٠٠) ريال الأخ عبد الرحمن بن عبد الله الحميدي ، معيد في جامعة الإمام محمد بن سعود ، ص . ب ٦٧٠٣ .

●● بالإضافة إلى سبع جوائز قيمة كل جائزة (٥٠٠) ريال فاز بها الإخوة والأخوات وهم :

● **من مصر** الأخ فتحي عبد الرزاق أمين محمود ، طالب بكلية الهندسة ، جامعة الإسكندرية .

● **من اليمن** الأخ عبد الملك يحيى الضحياني ، صنعاء ، ص . ب ١٨٧٨ .

● **من المغرب** الأخ أكرُو محمد بن علي موظف بوزارة المالية ، ص . ب ١٧ أغادير .

● **من لبنان** الأخ رائد السيد علي الرفاعي ، طالب في الصف السادس ، بكالوريا أولى ، مدرسة المقاصد الإسلامية .

● **من تونس** الأخت سميرة حميدة عمار ، ربة منزل ، العنوان : ساحة جبانة الغرباء ، سوسة .

● **من سورية** الأخ محمد رضوان جرادة ، العنوان : حلب ، جنينة الفريق ، مكتبة الأصيل .

● **من فرنسا** الأخ سومع محمد أحمد ، العنوان :

MR. SOUMAA MOHAMAD AHMED

8 – bis Avenue Chandon

92230 Geunevilliers FRANCE

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ - قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

ا - الجائزة الأولى ٣٠٠٠ ريال

ب - الجائزة الثانية ٢٠٠٠ ريال

جـ - الجائزة الثالثة ١٥٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية أخرى قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي)

٢ - المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحا عليها الاسم ثلاثيا أو رباعيا - إن أمكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ - ترسل الاجابات على العنوان التالي :

(الرياض - المملكة العربية السعودية - مجلة الفيصل - ص . ب . (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ - أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوما من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ - ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن أغلب أسئلة المسابقة سوف يجدها القارىء في ثنايا المواضيع المنشورة فيها .

٦ - من حق القارىء أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

السؤال الأول :

« من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت » . . من قائل هذه العبارة . . وما المناسبة التي قيلت فيها ؟

السؤال الثاني :

سائل رائق ، لا لون له ، قابل للاشتعال ، سام ، النوع النقي منه عديم الرائحة أما التجاري فرائحته كريهة جداً ، أثقل من الماء ، يذوب في البنزين والكحول ، قليل منه يذوب في الماء ، يستعمل مذيباً للدهون . . ما اسم هذا السائل ؟

السؤال الثالث :

أين توجد هذه العيون :

العين الزرقاء ــ عين زبيدة ــ عين سلوان ــ عين اللوزة .

السؤال الرابع :

ما الفرق بين المصل ، واللقاح ؟

السؤال الخامس :

كم عدد ضربات القلب في الدقيقة لكل من : الإنسان ــ الحصان ــ الفيل ــ الأغنام ــ الفأر .

السؤال السادس :

البحر الأحمر . . ما طوله . . ومتوسط عمقه . . ومتوسط عرضه ؟

السؤال السابع :

العمود الفقري ، تنقسم فقراته إلى عدة أقسام هي : فقرات العنق ، فقرات الصدر ، الفقرات القطنية ، الفقرات الحوضية ، فقرات العصعص . .

كم فقرة في كل قسم من هذه الأقسام ؟

السؤال الثامن :

الكلب هو الوحيد من بين الحيوانات الذي يخرج لسانه ، ويلهث عند الحر الشديد . . لماذا ؟

السؤال التاسع :

في ليلة التاسع والعشرين من شهر أبريل/نيسان عام ١٩٤٨ م ، ارتكبت عصابات الأرجون ، وشتيرن الإسرائيليتين مذبحة رهيبة في سكان إحدى القرى الفلسطينية الآمنة . . ما اسم هذه القرية ؟ هل هي قبية . . أم دير البلح . . أم دير ياسين ؟

السؤال العاشر :

ما الصوت . . وما الوحدة التي تستعمل في قياسه ؟

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل

العدد ٢٦

الاســم : --

المهنـة : --

العنـوان : --

أجوبة مسابقة العدد التاسع عشر

ج ١ أصحاب المعلقات السبع هم : أمرؤ القيس ، طرفة بن العبد ، زهير بن أبي سلمى ، لبيد بن ربيعة ، عمرو بن كلثوم ، عنترة بن شداد ، الحارث بن حلزة .

ج ٢ أسماء مؤلفي الكتب هم : الأجرومية في النحو لأبي عبد الله بن محمد الصنهاجي المعروف بابن أجروم . تقويم البلدان لإسماعيل بن محمد المعروف بأبي الفداء . فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لأحمد بن محمد بن عرب شاه الحنفي . آراء أهل المدينة الفاضلة لأبي النصر محمد الفارابي . الظرف والظرفاء أو الموشّى لمحمد الوشاء .

ج ٣ أحد القصور التاريخية . . يوجد في بادية الأردن طرف البحر الميت الشمالي الشرقي . . يرجح أنه بني أيام الوليد (٧١٢ ـ ٧١٥م) تزين جدرانه الرسوم . . وقف خلفه كسرى والنجاشي ، وإمبراطور بيزنطية ، ولذريق ملك القوط إنه (قصير عمرة) .

ج ٤ لم تعرف أسباب مرض الثعلبة بصورة قاطعة حتى الآن وإن كانت شواهد كثيرة تشير إلى أنه من أمراض الحساسية الشخصية ، بمعنى أنه تتكون أجسام مضادة ضد خلايا الجسم نفسه ، وفي حوالي ٢٠ ٪ من الحالات يمكن الحصول على تاريخ أسري ايجابي كأن يكون الأب أو الأم مصاباً أو أصيب سابقاً بنفس المرض . أما تأثير النواحي النفسية فمختلف عليه بين الأطباء إلا أنه من المؤكد أن الأمراض النفسية والصدمات العاطفية قد تتسبب في ظهور المرض ولكن ليس معنى هذا أن الحالة النفسية هي السبب .

ج ٥ قبيلة عربية من بطون كهلان بن سبأ ، هاجرت من اليمن إلى شمالي الجزيرة العربية بعد انهيار سد مأرب . . أرسلت وفداً إلى النبي ﷺ ودخلت الإسلام سنة ٦٣٠م ، ينتسب إليها أحد كرماء العرب . . من أفخاذها جديلة ـ نبهان ـ بحتر ـ ثعلبة ـ يسكن بعضها شمالي الحجاز وبادية الشام ويعرفون ببني شمر إنها قبيلة « طيء » .

ج ٦ بغير اللهو ترتق الفتوق : يضرب هذا المثل في الحث على استعمال الجد في الأمور .

الحلم مطية الجهول : يضرب هذا المثل في وجوب الأغضاء عن الجاهل .

شنشنة أعرفها من أخزم : يقصد هذه سجية أعرفها من أخزم .

كل خاطب على لسانه تمرة : يضرب هذا المثل للذي يلين كلامه إذا طلب حاجة .

ضغث على إبالة : يضرب هذا المثل لمن حمَّلك مكروهاً ثم زادك عليه .

ج ٧ أقدم النحاة الذين ذكرهم سيبويه في « الكتاب » . . قال عنهم ابن سلام الجمحي إنه « أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل » هو عبد الله بن أبي اسحق .

ج ٨ شاعر ، وفارس عربي مخضرم . . أسلم ، ثم ارتد بعد موت الرسول ﷺ . . ثم عاد إلى الإسلام . . شهد معركة القادسية ، وقتل في حصار نهاوند هو عمر بن معد يكرب الزبيدي (٥٤٢ ـ ٦٤١) .

ج ٩ صحابي أنصاري خزرجي . . أمره الرسول ﷺ أن يتعلم السريانية حتى أتقنها ليقرأ له ما يرده من كتب بها وبالعبرية . . كان مبرزاً في علم الفرائض إنه زين بن ثابت .

ج ١٠ توجد هذه المدن في البلدان الآتية :

ينبع : في المملكة العربية السعودية على البحر الأحمر إلى الشمال من جدة . دوعن : في حضرموت « اليمن الجنوبي » . زبيد : في اليمن الشمالي . تبوك : في المملكة العربية السعودية . عنابة : في الجزائر ، الجيزة : في مصر . تريم : في حضرموت « اليمن الجنوبي » . تطوان : في المغرب الأقصى . صبياء : في المملكة العربية السعودية . إربد : في الأردن .

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 4641968



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)
هاتف : ٤٦٤١٩٦٨



EUROPE - AMERICA - ASIA

Belgium	BF	100
Denmark	DKR	15
Finland	FMK	15
France	FF	10
F. R. G.	DM	7
Greece	DR	100
Italy	L	2000
Netherlands	DFL	7.5
Norway	NKR	15
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	80
Spain	PTS	100
Sweden	SKR	15
Switzerland	SF	7
United Kingdom	£	1.25
U. S. A.	$	2.50



أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٦ ريالات
الكويت	٣٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٥ دراهم
قطر	٥ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
سلطنة عمان	٣٠٠ بيسة
الأردن	٢٥٠ فلساً
ج.ع. اليمنية	٣ ريالات
ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٤٠٠ فلس
مصر	٢٠٠ مليم
السودان	٣٠٠ مليم
المغرب	٤ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
العراق	٣٠٠ فلس
سوريا	٣٠٠ قرش
لبنان	٣٠٠ قرش
ليبيا	٤٠٠ درهم

ADVERTISEMENTS : By arrangement With Administration

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 100

Others : S.R. 200

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٠٠ ريال سعودي

لغير الأفراد ٢٠٠ ريال سعودي

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

مطابع شركة الطباعة العربية السعودية العمارية ، الرياض